سلسلة الأنوار الإلهية (2)

شموس الأنوار ومعادن الأسرار

على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش

رضي الله عنه وقدس سره

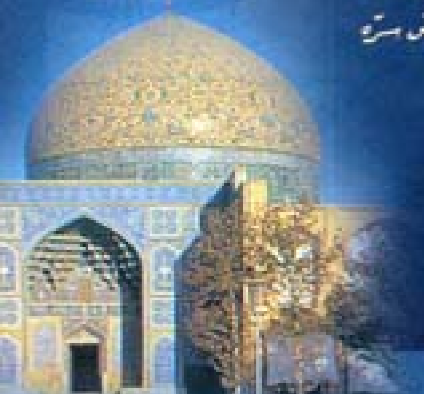

تأليف

العارف بالله سيدي محمد المرون

رضي الله عنه

شرح هذا الكتاب

الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني

تلميذ العارف بالله سيدي محمد المرون

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKI

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

شموس الأنوار ومعادن الأسرار على صلاة القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وقدّس الله سرّه

هذا التأليف للعارف بالله سيدي محمد المرون رضي الله عنه

نسخ هذا الكتاب الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني تلميذ العارف بالله سيدي محمد المرون &#5؛ &#5؛ المقدمة الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصَّمد، المتفرِّد بجمال مَلَكوته، المتوحِّد بجلال جبروته، تواضع كل شيء لعظمته، وذلّ كل شيء لعزّته، خضع كل شيء لِمُلْكِه، واستسلمَ كل شيء لقدرته، ملأ قلوب أوليائه بمحبته، واختصَّ أرواحهم بشهود عظمته، وهيَّأ أسرارهم لحمل أعباء معرفته، فسبحان مَن اصطفاهم لحضرته، واختصَّهم بمحبته، وفضَّلهم على كافَّة عباده بعد رُسُله وأنبيائه، فهم الغَياثُ للخلق، والدائرون مع الحق بالحق.

والصلاة والسلام على الطَّاهر المطَهَّر سيِّدنا محمد عِقْدِ الوجود، والوسيلةِ العظمى في وصول الخير إلى كل موجود، بذرةِ الوجود، ومطلعِ شمس السعود، قطْبِ رَحَى النبيِّين، ونقطةِ دائرة المرسَلين، فضَّله الله على جميع خلقه، وخصَّه بجزيل فضله وعطائه، صلَّى الله عليه وعلى آله مصابيح الدّجى، وأصحابه مفاتيح الهدى، وسلَّم تسليمًا كثيرًا طيِّبًا مُبَارَكًا فيه جزيلاً جميلاً دائمًا بدوام مُلْكِ الله.

الدعوة إلى التصوّف وحتميَّته إننا في عصر غلبت عليه الشهوات وطَغَت فيه الماديّات وأَسَرَتْه المغرَيات وامتلكته النزوات واحتضنته الملذّات وحاطت به الموبقات فانقلب عصرًا ماديًّا شهوانيًّا غافلاً فاسقًا متمرِّدًا شيطانيًّا استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذِكْر الله قَلَّمَا يوجد فيه مَن يمتثل أحكامَ الله عزَّ وجلَّ قلبًا وقالبًا

وينصاع لها ظاهرًا وباطنًا ويضبط نفسه وأنفاسه على مقتضاها خفية وعلانية، لذا فقد أصبح من الواجب والمحَتَّم على كل مَن أراد السلامة والنجاة كيفما كان انتسابه وارتباطه وتكوينه وثقافته ومستواه وآفاقه أن يكون التصوف قرينًا له وقريبًا منه ومزدوجًا لأنه الدواء الناجع لكل الأمراض الظاهرة والباطنة النفسية والقلبية العقلية والسلوكية وخصوصًا أمراض العصر التي فَشَت وذاعت وانتشرت وساحَت وباتت مشكلة معقدة وداءً عضالاً، ومن ثم كان التصوف مُطالبًا به كل مَن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكورًا لأنه الحل لكل معضلة والمصحِّحُ لكل عمل قلبي أو بدني والسَّدُّ المنيع في مواجهة جميع الآفات وكل التيارات الضَّارَّة، وهو وحده فقط بحيويته وروحانيته العالية وتشوّفاته وتوجّهاته الراقية يستطيع تحَدِّي تلك التيّارات الهدّامة الجارفة والحدَّ من انتشارها وشيوعِها وهو وحده فقط يستطيع مُصادمة أعدى عادِياتِ القلب الإنساني والقضاءَ عليها، فلا الموعظة وحدها بدون حال صوفي وبيئة وتربية صوفية تستطيع وَقْفَ تياراتِ الشهوات وحلَّ مشكلاتها، ولا الخطبة وحدها مجرَّدة عن التخلّق والإحساس والذوق والشعور الصوفي تستطيع حَلَّ معضلة جشعِ التيارات المادية، ولا الكلمةُ وحدها وهي بمعزل عن الخشية والتبتّل والاستقامة والتقوى والورع تستطيع معالجة الإقلاع عن التمرّد والفُسُوف والفُجُور والعصيان، ومن هنا فإن الكتابة في التصوّف وإظهارَ كتبه ومؤلَّفاته وإلقاءَ دروسِهِ وخطبه ووعظه وإرشاده ونشرَ مقالاته باتت واجبة وضرورية لإنقاذ الناس مما يضرّهم ويُرْدِيهِم ويعوقهم عمّا خُلِقوا مِنْ أجله، إذ التصوّف أمْرٌ فِطري في الإنسان ونَزْعَةٌ أصيلة فيه وهذا يقتضي بكل إلحاح إحياءَ هذه الفطرة وإنماءَها وإيقاظ هذه النزعة ورعايَتها حتى نستطيع معالجة جُلّ الأمراض والآفات والمصائب والمعضِلات، فالدواء النافع لكل داء يكمن في التصوّف وبدونه لا نستطيع معالجة أيّ داء.

ماذا تعني كلمة التصوّف التصوّف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد بأن يُمِيتَك عنك ويُحييكَ به، ويحصل بمراقبة الأحوال ولزوم الأدب والانقياد للحق وبالدخول في كل خلق سنيّ والخروج من كل خلق دنيّ. التصوّف هو لُبَابُ الشريعة وخُلاصتُها وثمرتها وحكمتها وأساسُها وروحُها وقوامُها. التصوّف هو الطريق الوحيد لاكتساب الإيمان القلبي الصحيح الذوقي الشعوري الصوفي وشتَّان ما بين الإيمان العقلي النظري الاستدلالي وبين الإيمان القلبي الذوقي الشعوري الذي هو مقام الإحسان المفسَّرُ بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ولا سبيل للوصول إلى هذا المقام إلا بالتصوّف الذي هو البحث عن الكمال والوصول إليه ومعرفة المصادر والموارد والحدود والقيود والبدايات والنهايات والغايات والمراتب

والمنازل والترقيات والمقامات كلها دنياها وعلياها، فهو يُريك أحوال النفس في الخير والشر، ويُريك كيفيةَ تنقيتها من عيوبها وآفاتِها، ويُريك كيفيةَ تطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل الخسيسة التي ورد الشرع باجتنابها، ويُريك كيفيةَ الاتّصاف بالصفات المحمودة التي طلب الشرع تحصيلها، ويُريك كيفية السلوكِ والسير إلى الله تعالى، وإذا كان الأمرُ هكذا والحالُ أن كل واحد لا يخلو من عيب أو مرض فالتصوفُ واجب على كل عاقل وعلى كل مَن أراد العافية دَرْءًا للمفاسد وجَلْبًا للمصالح ومن ثَمَّ قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه (مَن لم يتغلغل في عِلْمِنا ماتَ مُصِرًّا على الكبائر وهو لا يشعر) .

الصوفية رضي الله عنهم هم الصفوة من بني آدم بعد الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام، وهم الوارثون للعلم النبوي والهَدِي المحمدي المقتَفون آثاره السالِكون طريقَه، جمعوا بين العلم والعمل والحال والمقال، واجتهدوا في جهاد أنفسهم وتخليص سريرتهم، وصبروا على مشاق السير ووَعْثاءِ السفر وكابدوا وحشةَ الطريق وعوائقَه وصِعابَه وأخطارَه حتى وصلوا إلى مقصودهم وظَفَروا بالقرب من معبودهم فَفَتَحَ بصائرهم ونَوَّرَ سرائرهم وخصَّهم بعلوم عالية وأحوال شريفة ومقامات رفيعة، وصفّاهم من أكدار البشرية، ووفَّقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية، فكانوا بحق ينابيعَ علمٍ في كل مكان، وأعلامَ هَدْيٍ في كل زمانٍ وحُماة الدين وأنصارَه وأعوانَه في كل أوان، ينشرون نورَ الله في الأرض ويربّون الناس ظاهرًا وباطنًا على الحق، ينزعون منهم النفوس الأمّارة بالسوء الخبيثة الرديئة، ويزرعون مكانها النفوس المطمئنة الراضية المرضيّة، وينقلونهم من حالة دنيا في القبائح إلى حالة عُليا في الصلاح، ولا غرو في هذا لأنهم الذين ورثوا عن رسول الله (ص) تربيةَ النفوس وتزكيتها وتصفيتها وتطهيرها وتأديبها وتهذيبها، فمفاتيحُ هذه التربية وأُصولُها وقواعدها إنما هي في أيديهم وخاصة بهم وهي وحدها القادرة على إيجاد الإنسان في كمالاتِه كلِّها إيجادِ الإنسان الذي يقوم بفرائض العبودية لله إيجادِ الإنسان الذي يقدّم أعظم العطاء في باب التعامل مع الناس حيث يقوم بذلك مجتمع كله أدب وكله تراحم وكله عطف ولطف ومودّة وكله إيثار، وإذ ثبت أن الصوفية هم الوارثون للإرث النبوي وهم العالِمون العارِفون الدّعاة المخلِّصون المرشِدون الصادقون الدّالّون على الله بالحال والمقال البصيرون بأحوال العالم وأحوال الناس فيجب الاستجابة إلى طريقتهم والانضمام إلى صفّهم وشدّ عضدهم وتكثير سوادهم والكينونة معهم استجابة لقول الله عزَّ وجلّ: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}[(1)]، وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ *}[(2)]، وإن لم يستجب الإنسان لدعوتهم فسيبقى بعيدًا عن الإرث النبوي وبعيدًا من الله تعالى وسيبقى متحجّرًا كالحجارة أو أشدّ

قسوة ولو كان فقيهًا عالِمًا على حدِّ زعمه، وإذ كان الأمر هكذا فإنه يجب علينا صحبة هؤلاء القوم ذوي الهِمَم العَلِيَّة والتربية النبوية السَّنِيَّة ويجب علينا التَّلمَذَة على يد مشايخهم ومُرَبِّيهم ومُرشِدِيهم أهل النَّزاهة والتصفية، وإن تعذَّر العثور عليهم فلا مناص من العكوف على قراءة كتبهم واستيعاب مقالاتهم واستظهار كلامهم مع تكثير الصلاة على رائدهم وفرطهم السيد الكامل عَيْن الأعيان ومُنَوِّر الأكوان سيِّدنا محمد (ص) لأنه إذا لَمْ يَكُنْ بالإمكان صحبة نفوسهم فلا أقل من صحبة أنفاسهم من خلال كلامهم في كتبهم مع صحّة النِّيَّة وحُسْن القصد ريثما يعثر عليهم وحين العثور عليهم لا تُغني كتبهم عن صحبتهم من حيث إن علمهم علم أذواق لا علم أوراق أولائك الذين هداهم الله وأولئك هم أُولوا الألباب.

الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش قدّس الله سرّه من أقطاب الصوفية وأعلامها ومشايخها وأفذاذها العالِم العارِف والواصِل الكامل، النجم الذي لا يُدرَك، والبحر الذي لا ينزف، ذو السر المِصون، والعلم الموهوب المكنون، كعبة العلم المنيف، ونبعة النَّسب الشريف، سيِّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه كان يعتمد العَمل الصالح وسلوك المنهاج الواضح طريق له تغلغل في علوم القوم وتعمّق فيها فنال من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وهو رضي الله عنه شيخ أبي الحسن الشاذلي مؤسِّس الطريقة الشاذلية المنتشرة في العالم الإسلامي، ومن وصاياه لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما قوله: (يا أبا الحسن لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمَن غالبًا من معصية الله، ولا تَصحَب إلا مَن تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفي لنفسك إلا مَن تزداد به يقينًا وقليل ما هم) . ومن كلامه له رضي الله عنهما (ألله ألله والناس نَزِّهْ لسانك عن ذِكْرِهِمْ وقلبك عن التَّمَاثُل مِنْ قِبَلِهِمْ وقل: أللَّهمَّ ارحمني من ذكرهم ونجِّني مِنْ شَرِّهم واغْنِنِي بخيرك عن خيرهم وتَوَلَّني بالخصوصية من بينهم إنك على كل شيء قدير) ، وكلامه رضي الله عنه ونفعنا به كله من هذا القبيل. الشيخ مولاي عبد السلام رحمه الله هو صاحب الصلاة الرائعة المعروفة بالصلاة المشيشية العزيزة المثال النادرة النظير التي كادت أن تكون إعجازًا، عجز الواصفون عن حصر جزئيات كمالاتها وإفراد بدائعها وروائعها، لم يأْتِ الزمان بِمِثْلِها، وماذا عسى أن يُقال فيها حَدِّثْ عن البحر ولا حَرَج فيهي جديرة بأن تُكتَب بماء الذهب بل بسوادِ العيُون وهي كثيرة الخير والبركة وعظيمة القدر والمرتبة ولها مقام خاص وعظيم عند الصوفية رضي الله تعالى عنهم، وعنها يقول العارِف بالله سيدي محمد المرون رضي الله عنه ما يلي: (الصلاة المشيشية فيها التجريد والتفريد والتوجّه والانسلاخ من الشوائب والتعلّقات الدنيوية والأُخروية) لأن صاحبها كان له قلب مفرد فيه توحيد مجرد وغرق في بحر الوحدة، ولها

أزجار وتصريفات فاعتكف بهذه الصلاة في وسط المغارة أربعة عشر سنة فأين أنت من هذه الصلاة وأين هذه الصلاة منك. من خصائص الصلاة المشيشية أنه مَن داوم على قراءتها بجميع شروطها وآدابها لاحَت عليه الأنوار والأسرار ومَحَقَت عنه الحُجُب والأستار وطَوَت له المسافات والمشقّات وجعلته من المصْطَفَين الأخيار الذين أحبّهم الله وأحَبَّهم الرسول وكان محبوبًا عند أهل الديوان الحَيَّين والنائمين... الحضرة النبوية خَصَّت بهذه الصلاة المشيشية العظيمة التي شاعت وذاعت في كل العوالم ولم يأْتِ الزمان بمثلها لا شرقًا ولا غربًا وعجز عن شرحها الفُحُول الكبار. الصلاة المشيشية حارَت فيها عقول العارفينَ في شرحها وتفسيرها.
تفاسير المشيشية عديدة ومتنوعة فهناك تفسير من حضرة الذات، وتفسير من حضرة الصفات، وتفسير من حضرة الأسماء، وتفسير من حضرة الأفعال... الخ. قال الله تعالى: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}[(3)].
أفضل صلاة في الدنيا هي الصلاة المشيشية، المشيشية هي سيدة الصلوات. المشيشية جامِعَة مانِعَة، أي جمعت المعاني والأسرار حتى قال صاحبها (وَأَغْرِقني في عَيْنِ بَحْرِ الوحدة) . ما زال العارفون إلى الآن يستمدّون من أنوار المشيشية وأسرارها وكراماتها فَخُدّامُها ما زالوا يخدِمونها إلى يوم القيامة. المشيشية فيها القَبُول لأنها أتت بإذن من سيد الوجود... جمعت المشيشية أسرار الصلوات: الصلوات تستمد من المشيشية، والصلوات مضطرة إلى المشيشية. المغرب مليء بالأسرار وهو محل الأسرَار والكَتْم وهو أشرف دول العالم الإسلامي، ومولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه هو سلطان سلاطين أولياء المغرب).
شُرَّاح المشيشية الصلاة المشيشية تعرَّض لحلّ معانيها كثير من أفاضل الشُرَّاح فغاصوا بحارَ مَبَانِيها واستخرجوا دُرَرَ معانيها، ومِمَّنْ تَوَلَّى شرحها وتفسيرها وتَبْيينَها وإيضاحها خمسة عشر من كبار الصوفية وأعلامها وشيوخها ومُرَبِّيها هم: سيدي محمد المرون (المتوفَّى عام 1416 هـ) ، وسيدي عبد الحميد الشيمي (لم نقف على ترجمته) ، وسيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني (توفي عام 1327 هـ) ، وسيدي أبو بكر البناني (توفي عام 1284 هـ) ، وسيدي محمد الحراق (توفي عام 1261 هـ) ، وسيدي أحمد بن عجيبة (توفي عام 1224 هـ) ، وسيدي محمد المعطي بن الصالح (توفي عام 1180 هـ) ، وسيدي مصطفى البكري (توفي عام 1162 هـ) ، وسيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير (توفي عام 1146 هـ) ، وسيدي ابن زكري (توفي عام 1144 هـ) ، وسيدي عبد العزيز الدباغ (توفي عام 1131 هـ) ، وسيدي عبد الرحمن الفاسي (توفي عام 1036 هـ) ، وسيدي الحسن الزياتي (توفي عام 1023 هـ) ، وسيدي محمد الخروبي (توفي عام 963 هـ) ، وسيدي أبو المواهب الشاذلي (توفي عام 882 هـ) رضي

الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم. هؤلاء السادات تفضَّل الله عليهم فأغرقهم في عَيْن بحر الوحدة. هؤلاء الرجال الأخيار، العارِفون الكبار، من أولياء الله عزَّ وجلّ وخاصَّته وأهله وصفوته، تفانوا في محبته واستمسكوا بروابط حضرته فكانوا شُمُوس زمانهم وأُعجوبة عصرهم ونُخبة أوانهم خرطنا الله في سلكهم وأفاض علينا من سيب فيضهم وبركاتهم وأماتنا على محبتهم آمين، وقد أبانوا رضي الله عنهم في شروحهم للصلاة المشيشية ما أبانوا، وأفادوا فيها وأجادوا، أبانوا معناها، وحقَّقوا مَبناها، غاصوا في بحار أَلْفاظِها، واستخرجوا دُرَرَ دلالاتها وكنوزَ مضامينها، أَبْدَوْا فيها أسرارًا لطيفة، ومعارفَ ساطعة شريفة، ذكروا فيها عيونَ مسائل التصوف وحقائقه ومبادئه وأسراره، ذكروا فيها حِكَمًا رائعة ووصايا نافعة وتأييدات مُنعِشة وآدابًا للنفس وأساليب تزكيتها وإنابتها للحق وأسباب رجوعها، ذكروا فيها رِياضَ المُلْك والمَلَكوت، وبِحَارَ العِزَّة والجبروت، وميادينَ النفوس ومساراتها، ومعاني القلوب ومجالاتها، وأسرارَ الأرواح وغرائبها، فكانت بِحَقّ مواهب لدنية وأسرارًا ربّانية نطقت بها أفكار قدوسية وأسرار جبروتية، فهي مع صِغَر حجمها شروح، عظيمة قلَّ نظيرُها وَعَزَّ مَثِيلُها اكتظَّت محرَّرًا وازدخرت أسرارًا استمدَّت علومها مِنْ بَحْر {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}[(4)]، واستهامت معَارفها مِنْ مَوَارِدِ {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}[(5)]، فلم تكن مصادر علمها سُطُورًا على طروس أو كتبًا على رفوف، بل مواهب لدنية وأسرار ربّانية، وكل ما أظهروه من تلك المواهب والأسرار ما هو إلا كرشحات من سواحل بل لا آخر له أو قطرات من شواطىء نهر لا حدَّ له، {أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[(6)].

مِنْ مزايا الصلاة على رسول الله (ص) الصوفية رضي الله تعالى عنهم اهتمام خاص وعناية فائقة بالصلاة على رسول الله (ص) وذلك لِما لها من أسرار كثيرة وأنوار كبيرة وبركات عظيمة ومزايا مختلفة وفضائل متنوعة وفوائد متعددة إذ بتكثير الصلاة على رسول الله (ص) والتفاني في حبّه يصل العبد إلى ربه لأنه (ص) باب الله عزَّ وجلّ. بِفَضْلِ الصلاة على سيد الوجود فإن الله يَحْمِلُنا على سبيل سيد الوجود إلى الحضرة الإلهية، وبفضل المداومة والمواظبة على الصلاة على سيد الوجود فإن الله تعالى يتفضل علينا بمعرفة سيد الوجود معرفةً نَسْلَمُ بها من موارد الجهل ونكرع بها من موارد الفضل، أللَّهمَّ اجعلنا ممَّن يُصلِّي على سيِّدنا محمد صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله بتكثير الصلاة على سيد الوجود يكتسب العبد محبته (ص) ففي الحديث الشريف (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة) ومحبته عليه السلام تترتّب عنها محبة الله عزَّ وجلَّ، قال عزَّ وجلّ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[(7)] ومحبة الله تعالى

للعبد تجعله من أوليائه وخاصته وتجذبه إلى قربه وحضرته فيكون الله سمعه وبصره ويده ورِجله ومؤيّدًا وناصرًا له ومجيبًا طلبه وسؤله ففي الحديث القدسي «فإذا أحببتهة كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر بهة ويدَه التي يبطش بها ورِجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنّه».

بتكثير الصلاة على سيد الوجود يحظى العبد بصلاة الله عليه ففي الحديث الشريف «مَن صلَّى عليَّ صلاة واحدة صلَّى الله عليه عشرًا»، وصلاة الله على العبد تُخرِجه من الظلمات إلى النور. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[(8)]. قال الإمام الفاكهاني رضي الله عنه (وغاية مطلوب الأوّلين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى وأنّى لهم بذلك بَل لو قيل للعاقل: أيما أحبُّ إليك أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك، أو صلاة من الله عليك لَمَا اختار غير الصلاة من الله تعالى فما ظنك بمَن يصلي عليه ربّنا سبحانه وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار يعني إذا داوم العبد على الصلاة على النبي (ص) فكيف يحسن بالمؤمن أن لا يُكثِر من الصلاة عليه (ص) أو يغفل عن ذلك) . قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: (وقد حُبِّب لي أن أذكر لك يا أخي جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله (ص) تشويقًا لك، لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة، ويصير شغلك في أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه، وتصير تهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة رسول الله (ص)، كما أشار إليه خبر كعب بن عجرة أني أجعل لك صلاتي كلها، أي أجعل لك ثواب جميع أعمالي، فقال له النبي (ص): «إذَنْ يَكْفِيكَ الله تعالى هَمَّ دُنْيَاكَ وآخِرَتِكَ»، فمن ذلك وهو أهمها صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على مَن صلَّى وسلَّم عليه، ومنها تكفير الخطايا وتزكية الأعمال ورفع الدرجات، ومنها مغفرة الذنوب، واستغفار الصلاة عليه لقائِلها، ومنها كتابة قيراط من الأجْر مثل جبل أُحُد، والكيل بالمكيال الأوفى، ومنها كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه كما تقدَّم، ومنها مَحْو الخطايا وفضلها على عتق الرِّقاب، ومنها النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله (ص) بها يوم القيامة، ووجوب الشفاعة، ومنها رِضا الله ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظلل العرش، ومنها رجحان الميزان في الآخرة وورود الحوض والأمان من العطش، ومنها العتق من النار، والجواز على الصراط كالبرق الخاطف، ورؤية المقعد المقَرَّب من الجنة قبل الموت، ومنها كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم، ومنها رجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها، ومنها أنها زكاة وطُهْرة ينمو المال ببركتها، ومنها أنه تُقضَى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر، ومنها أنها عبادة وأحبّ الأعمال إلى الله تعالى، ومنها أنها علامة على أن صاحبها من

أهل السُّنَّة، ومنها أن الملائكة تصلِّي على صاحبها ما دام يصلِّي على النبي (ص)، ومنها أنها تزيِّن المجالس وتنفي الفقر وضِيق العيش، ومنها أنها يُلتَمَس بها مَظانّ الخير، ومنها أن فاعلها أولى الناس به (ص) يوم القيامة، ومنها أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها، وكذلك مَن أُهدِيَت في صحيفته، ومنها أنها تقرِّب إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسوله (ص)، ومنها أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حَشْره على الصراط، ومنها أنها تنصر على الأعداء وتطهِّر القلب من النِّفاق والصدأ، ومنها أنها تُوجِب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلاَّ منافق صاهر النِّفاق، ومنها رؤية النبي (ص) في المنام وإن أكثر منها في اليقظة، ومنها أنها تقلِّل من اغتياب صاحبها، وهي من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعًا في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأُجور التي لا تُحصَى، وقد رغَّبتك بذِكْر بعض ثوابها فلازِم يا أخي عليها فإنها من أفضل ذخائر الأعمال).

الصلاة على سيّد الوجود من أفضل الأعمال وأجلّ القُرُبات وهي مِعراج الوصول إلى الله تعالى ولذلك تقرَّب بها العارفون بالله تعالى كأصحاب الشرح والمشروح . أعني شُرَّاح المشيشية وصاحبها رضي الله تعالى عنهم المذكورة في هذه المقدمة.

وضع الشروح السبعة عشر وتراجم الشُّرَّاح، وزَجْره مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وذكر بعض فضائل زيارة مولاي عبد السلام، وقصيدة داليّة لسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه، وكلمة لسيدي يوسف النبهاني رضي الله عنه: وضع هذا كله في كتاب واحد.

خِدْمَةً للصلاة المشيشية المبارَكَة، وحُبًّا وتَفانِيًا في الانشغال بقراءتها، وشَغَفًا وهُيامًا بمعانيها، جَمَع العارف بالله سيدي محمد المرون رضي الله عنه هذه الشروح السبعة عشر وتراجم الشُّرَّاح وزجر مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وبعض فضائل زيارة مولاي عبد السلام وقصيدة دالية لسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه وكلمة لسيدي يوسف النبهاني رضي الله عنه، جَمَعَ ذلك كله وضَمَّهُ في كتاب واحد جامِع حتى يكون القارىء وهو بين هذه الشروح النَّيِّرة في واحدة شاسعة فَيْحاء ناضِرة، ورِياض مُزْهِرة مُونِقَة عاطِرة، وجِنانٍ روحية قدُّوسية مَلَكوتية، يَسْتَنْشِقُ مِنْ تَدَفّق غبيقِ معانيها الذكيةِ أرَجَ الحياة السرمدية الصافية، فَيَحْيَى حياة سعيدة مطمئنة طيبة. أخذ سيدي محمد المرون قدّس الله سرّه هذه النفائس وَوَضَعَهُمْ بين دفَّتي هذا الكتاب تقريبًا للفائدة وترغيبًا في الإطلاع وتسهيلاً للتناول وضَمًّا للأصول والفروع ورجاء أن يقع به الإمتاع ويعمّ به الانتفاع، فاختلاف أساليب الشرح وتنوّع عبارات الإيضاح وتعدّد طرُق الإفصاح تَزيدُ المعنى تِبْيانًا والمضمون إشراقًا والمفعومَ استقرارًا ورُسُوخًا. وسيجد الكِتاب إنكارًا ورَدًّا مِنْ بعض مَنْ عَلِمَ

شيئًا وغابت عنه أشياء وسيكون إنكارًا لما لم يحيطوا به عِلْمًا وَرَدًّا لِما لم يدركوه ولم يتصوَّروه، قال الله تعالى: {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}[(9)]. على أن هذا الكتاب سَيجد إقبالاً وترحيبًا ومَسَرَّة واحتضانًا من كل مسترشد مُستَبصِر مُسْتَهْدٍ مُنصِف إذ المنصف قليل الوعظ يكفيه والمعَاند لا يرتوي ولو سقيته من ماء البحر بما فيه، هذا والله المسؤول أن ينفع به كافة الأُمة، ويُزيل به عن صُدُور المؤمنين كل غمّة، وأن يجزل لسيدي محمد المرون رضي الله عنه جَزِيل الثواب، بلا عَدٍّ ولا حساب، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولأشياخنا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات آمين، والصلاة والسلام على مَنْ مِنْهُ انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار، والحمد لله ربّ العالمين.

سند الطريق أخذ العارف بالله الكامل المحقّق سيدي محمد المرون رضي الله عنه عن شيخه مولاي عبد الرحمن بن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي، عن سيدي علي المساري، عن مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي، عن سيدي أحمد الوارثي، عن شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي[(10)].

بعد وفاة مولاي عبد الرحمن الدرقاوي[(11)] رضي الله عنه جَدَّدَ العارف بالله سيدي محمد المرون رضي الله عنه العَقْدَ مَعَ سيدي أحمد الخمسي رضي الله عنه الذي أخذ عن مولاي الطاهر التسولي رضي الله عنه، عن سيدي الخضر الشجعي رضي الله عنه، عن سيدي محمد الحرّاق[(12)] رضي الله عنه، عن سيدي ومولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه، عن سيدي علي الجمل رضي الله عنه، عن سيدي العربي بن عبد الله رضي الله عنه، عن سيدي أحمد بن عبد الله[(13)] رضي الله عنه، عن سيدي قاسم الخصاصي رضي الله عنه، عن سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي[(14)] رضي الله عنه، عن سيدي يوسف الفاسي[(15)] رضي الله عنه، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه، عن سيدي علي الدّوار رضي الله عنه، عن سيدي إبراهيم أفحام رضي الله عنه، عن سيدي أحمد زرُّوق[(16)] رضي الله عنه، عن سيدي أحمد الحضرمي رضي الله عنه، عن سيدي يحي القادري رضي الله عنه، عن سيدي علي بن وفا رضي الله عنه، عن سيدي محمد بحر الصفا رضي الله عنه، عن سيدي داود الباخلي رضي الله عنه، عن سيدي أحمد بن عطاء الله رضي الله عنه، عن سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه، عن سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، عن القطب الأكبر سيدي ومولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، عن سيدي عبد الرحمن المدني رضي الله عنه، عن سيدي تقيّ الدين الفقير رضي الله عنه، عن سيدي فخر الدين رضي الله عنه، عن سيدي نور الدين رضي الله عنه، عن

سيدي تاج الدين رضي الله عنه، عن سيدي شمس الدين رضي الله عنه، عن سيدي زين الدين القزويني رضي الله عنه، عن سيدي إبراهيم[(17)] البصري رضي الله عنه، عن سيدي أحمد المرواني رضي الله عنه، عن سيدي سعيد رضي الله عنه، عن سيدي سعد رضي الله عنه، عن سيدي فتح السعود رضي الله عنه، عن سيدي سعيد الغزواني رضي الله عنه، عن سيدي أبي محمد جابر رضي الله عنه، عن سيدي الحسن السبط رضي الله عنه، عن سيدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن سيد الوجود سيد الأوّلين والآخرين مولانا محمد (ص).

هذه المقدمة كتبه السيد أحمد المرابط والدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني الرباط يوليوز 1996 م الصلاة المشيشية أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ مِنْهُ انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ وَفِيهِ ارْتَقَتِ الحَقَائِقُ وَتَنَزَّلَتْ عُلُومُ آدَمَ فَأَعْجَزَ الخَلاَئِقَ ولهُ تَضَاءَلَتِ الفُهُومُ فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِنَّا سَابِقٌ وَلاَ لاَحِقٌ فَرِيَاضُ المَلَكُوتِ بِزَهْرِ جمالِهِ مُونِقَة وَحِيَاضُ الجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَة ولا شيء إلا وهو به مَنُوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل المَوْسُوط صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله. أَللَّهمَّ إنه سِرُّكَ الجامع الدَّالُّ عليك وحِجَابُكَ الأعظَم القائم لك بين يديك. أَللَّهمَّ أَلْحِقْنِي بِنَسَبِهِ وحَقِّقْنِي بِحَسَبه وعَرِّفْنِي إيَّاهُ معرفةً أَسْلَمُ بِهَا مِنْ مَوَارِدِ الجهل وأَكْرَعُ بها من مَوَارِدِ الفَضْل وَاحْمِلْنِي على سبيله إلى حَضْرَتِكَ حَمْلاً مَحْفُوفًا بنصرتك وَاقْذِفْ بِي على الباطل فأدْمَغَهُ وَزُجَّ بِي فِي بِحَارِ الأَحَدِيَّة وانْشُلْنِي مِنْ أَوْحَالِ التوحيد وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الوَحْدَة حتى لا أرى ولا أَسْمَعَ ولا أجِدَ ولا أحِسَّ إلا بها واجْعَلِ الحِجَابَ الأَعظَم حياة روحي ورُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي وحَقِيقَتَهُ جَامِعَ عَوَالِمي بِتَحْقِيق الحق الأول يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن اسْمَعْ ندائي بما سَمِعْتَ به نداء عبدك زكرياء وانْصُرْنِي بك لك وَأَيِّدْنِي بك لك واجْمَعْ بيني وبينك وَحُلْ بَيْنِي وبين غَيْرِك أَللهُ أَللهُ أَللهُ إن الذي فرض عليك القرآن لَرَادُّكَ إلى مَعَاد { ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(18)]، { ن ه و ى يً 180 ٌ َ ٍ 181 ُ ّ ْ 182 }[(19)].

&5#؛ زجر الصلاة المشيشية المنسوب لصاحبها أي القطب الأكبر ابن مشيش رضي الله عنه وقدّس سرّه، يستحبّ قراءته بعد الصلاة المشيشية تكثيرًا للثواب

أَللَّهمَّ يا ربّ بجاهه عندك، ومكانته لديك، ومحبتك له، ومحبته إليك أن تصلِّي عليه وعلى آله وضاعف أَللَّهمَّ محبتي فيه وعرِّفني بحقه ورتبته ووفِّقني لاتِّباعه والقيام بأدبه وسُننه، واجمعني عليه ومتِّعني برؤيته وأسعِدني بمكالمته وارفع عني العوائق والعلائق والوسائط والحُجُب، وشَنِّفْ سمعي معه بلذيذ الخطاب، وهيِّني للتلقّي

منه وأهِّلني لخدْمته واجعل صلاتي عليه نورًا فائزًا كاملاً طاهرًا مطهَّرًا كاملاً ماحيًا كل ظلم وظُلمة وشك وشِرك وإفك وكفر ووِزْر وإصْر وغفلة وشهوة، واجعلها سببًا للتمحيص ومَرقى لأنال أعلى مراتب الإخلاص والتخصيص حتى لا تبقى فهيَّ رَبَّانية لغيرك حتى أصلح لحضرتك وأكون من أهل خصوصيتك متمسِّكًا بأدبه (ص) بالحبل المتين مُستمدًّا من حضرته العالية في كل وقت وحين، يا أللهُ يا نور يا حيّ يا مُعين، أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأُمِّيّ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا، { ن ه و ى يً 180 ﱞ 181 ﱟ 182 }[(20)].

&#5؛ كلمة سيدي يوسف النبهاني رضي الله عنه قال سيدي يوسف النبهاني نفعنا الله به:

(هذه صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش وهي من أفضل الصِّيَغ المشهورة ذات الفضل العظيم، قال الشهاب أحمد النخلي المكي: أجازني شيخنا الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي رحمه الله وشيخنا عيسى بن محمد الثعالبي رحمه الله بقراءة الصلاة المشهورة المنسوبة للشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى والدَّالّ عليه ذي الطريقة السَّنِيَّة المستقيمة والأحوال السَّنِيَّة العظيمة شريف النسب وأصيل الحَسَب سيِّدنا ومولانا الشيخ السيد الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني المغربي شيخ الشيوخ الأكابر، وممَّن أخذ عنه الشيخ القطب أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي نفعنا الله به وبهم أجمعين آمين، وأمرني أن أقرأها بعد صلاة الصبح مرة وبعد صلاة المغرب مرة، ورأيت في بعض التعاليق تقرأ ثلاث مرات بعد الصبح وبعد المغرب وبعد العشاء، وفي قراءتها من الأسرار والأنوار ما لا يلمّ حقيقته إلا الله تعالى وبقراءتها يحصل المَدَد الإلهي والفتح الربَّاني ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر مُيَسَّر الأمر محفوظًا بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبَلِيَّات والأمراض الظاهرة والباطنة منصورًا على جميع الأعداء مُؤَيَّدًا بتأييد الله العظيم في جميع أموره محفوظًا بعين عناية الله الكريم الوهّاب وعناية رسوله صلَّى الله تعالى عليه وعلى الآل والأصحاب وتظهر فائدتها بالمداوَمَة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى { ! " £ $ % × ' ( ) 52 }[(21)]).

&#5؛ ترجمة سيدي محمد المرون رضي الله عنه الشريف الحسني، العارف المحقّق، الإمام الجامعي، فريد عصره، سيدي محمد بن أحمد بن محمد العروسي المرون، قدّس الله سرّه ونفعنا ببركاته آمين. وُلِد رضي الله عنه فجر ليلة اثني عشر من ربيع الأول عام 1322 هجرية بمدينة تطوان. لازم مع أبيه الزاوية القادرية أثناء طفولته ومراهقته، وكان يطلب من الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن يتفضَّل الله عليه بشيخ حيّ مُرَبِّي، وذات يوم التقى بمولاي عبد القادر الجيلاني يقظة الذي قال له: مفتاحك هو

مولاي عبد السلام بن مشيش. توجه سيدي محمد المرون إلى مولاي عبد السلام رضي الله عنه حيث اعتكف مدة عنده، ثم التقى لأول مرة بسيد الوجود (ص)، ثم أرسله أهل الديوان إلى الشيخ مولاي عبد الرحمن بن مولاي الطيب بن سيِّدنا ومولانا العربي الدرقاوي رضي الله عنهم أجمعين، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر سنة. عندما التقى سيدي محمد المرون الأول مرة مع الشيخ مولاي عبد الرحمن الدرقاوي وجد عنده عددًا كبيرًا من العلماء والفقراء، فأشرب مولاي عبد الرحمن تلميذه سيدي محمد المرون كؤوس الشاي كلها. كان سيدي محمد المرون أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، فبفضل مَدَد مولاي عبد الرحمن حفظ سيدي محمد القرآن كله حفظًا جيدًا في سلكة واحدة. أخبرني سيدي محمد المرون بأن المادة الكبرى أتته من مولاي عبد الرحمن الدرقاوي، وعندما كنت أزور سيدي محمد أرى دائمًا صورة مولاي عبد الرحمن أمام عينيه لا تفارقه. كان الشيخ مولاي عبد الرحمن يحبّ تلميذه سيدي محمد حبًّا كبيرًا وكان يقول له (بدايتنا فقط نهاية غيرنا) . بقي سيدي محمد مع شيخه غوث زمانه مولاي عبد الرحمن حوالي عشرة سنة وهذه المدة كانت مملوءة بالمجاهدات والمكابدات، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ *}[(22)].

قال سيدي محمد المرون نفعنا الله ببركاته (هذا تاريخ نشأتي وذريتي وأحوالي منذ أخرجني الله لهذا الوجود ليلة الخميس عند الفجر 12 من ربيع النبوي بمدينة تطوان عام 1322 محمد بن أحمد المرون الشريف العلمي. الحمد لله الذي ألهمني وأيقظني من غفلات الجهل إلى يقظات تعلّم العلوم والمعارف فخرجت هاربًا بنفسي في طلب العلم من مدينة شفشاون إلى قبيلة بني زروال فتفضل عليَّ الله بملاقاة سيدي عبد الرحمن الدرقاوي بمدشر الزاوية السفلية بولد بن جامع ببني زروال، ومَدَّني بما كنت طالبه من الله ومن رسوله فألقى عليَّ ما لا يتصور في العقل وأمرني بقراءة القرآن ونبدأ السلكة من الرأس فشرعت فيها بالرباع والمصنّفات، فلما وصلت إلى نهايتها شرعت في دراسة العلوم كتفسير القرآن والبخاري ومسلم وغيره من التفاسير وشرح سيدي خليل عُشُر العبادة وابن عاشر وقرأت الشمائل لجسوس وبنيس وقرأت علوم التوحيد وقرأت علوم التصوف وعلوم القوم، هذه الأحوال كلها دارت في عام 1340 أنا نستمد من الشيخ كل عام. فلما توفي رحمه الله جدّدت العهد على سيدي أحمد الخمسي وصرت أستمدّ منه ما لا يتصوّر في العقل... الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله للدخول في زُمرة المؤذِّنين يوم الأحد أول من شهر ربيع النبوي في مسجد الباشا بتطوان عام 1357. الحمد لله الذي عرَّفني بزوجتي في عالم الخيال وعرفت

اسمها وصورتها وصفاتها وسيرتها فتزوَّجت بها رغمًا على أنفي ذلك تقدير العزيز العليم، بهذا أخبرني ملك الإلهام ناداني جهرًا وقال لي: اصبر على ما فيها من الصعوبات... فتزوّجت بها 22 رجب عام 1356...).

بعد وفاة مولاي عبد الرحمن رضي الله عنه جَدَّدَ سيدي محمد المرون النسبة مع الشيخ الكامل سيدي أحمد الخُمْسي رضي الله عنه. أخبرني سيدي محمد المرون بأنه كان ببني أحمد والشيخ سيدي أحمد الخمسي كان بفاس فرأى سيدي المرون رؤية مضمنها أن سيدي الخمسي أتى إليه فسأله سيدي محمد المرون أسئلة عديدة والشيخ سيدي أحمد الخمسي يُجيبه. بعد مدة أتى سيدي أحمد الخمسي بجسده إلى سيدي محمد المرون فكانت نفس الأسئلة والأجوبة، وكان هذا أول لقاء بينهما في عالم الأشباح.

وقعت لسيدي محمد المرون مع شيخه سيدي أحمد الخمسي رضي الله عنهما كرامات كبيرة وتفضّلات عديدة:

. منها ذات يوم من الساعة العاشرة صباحًا إلى الساعة الواحدة زوالاً أعطى سيدي أحمد الخمسي مِصباحًا مُضيئًا كبيرًا لتلميذه سيدي محمد المرون وقَدَّمَهُ على الجميع.

. يوم واحد قبل وفاة الشيخ سيدي أحمد الخمسي غَطَّى رحمه الله تلميذيه سيدي محمد المرون وسيدي ابن حساين رضي الله عنهما، غَطَّاهُمَا بسلهامه وقال لهما: (هذا مقام إبراهيم ومَن دخله كان آمنًا) وقال لهما: أنتما في مقام الجنيد رضي الله عنه.

سألت سيدي محمد المرون رضي الله عنه عن قوله تعالى: {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً}[(23)]، فقال: معناه آمِنًا من السلب والعطب والعَيْن والتابعة والجن وإذاية المخلوقين وسوء الخاتمة.

. ثلاثة أيام بعد وفاة سيدي أحمد الخمسي حَصَل لسيدي محمد المرون الفتح الذي يحصل للعارفين (انظر موضوع الفتح عند ترجمة سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه) .

.... الخ.

كان سيدي محمد المرون رضي الله عنه يقول لي: (هنيئًا لسيدي أحمد الخمسي وهنيئًا لنا به) .

خدم سيدي محمد المرون شيخه سيدي أحمد الخمسي حيًّا وميتًا: فقد أعطى كل ما يملك لشيخه، وبعد وفاة الشيخ خدم عائلة الشيخ. قال سيدي علي الجمل رضي الله عنه: (المنتسب إلى الله إذا رأيته أراد أن ينزع لك شيئًا فاعلم أنه أراد أن يعْطيك شيئًا أعظم منه لأن الربح الكامل لا يكون إلا بعد الخسارة

الكاملة) معناه الربح المعنوي لا يكون إلا بعد الخسارة الحسِّيَّة، وفي هذا المعنى قال سيدي محمد المرون رضي الله عنه: (يجب على المريد أن يعطي كل ما يملكه ـ أي نفسه وماله ـ لشيخه وإلا فلن يعطيه الشيخ الولاية. المريد يؤثِّر بحسِّه والشيخ يؤثِّر بمعناه، وبهذين الشرطين يلتقي السلكان فيضيء المصباح) .

كان رضي الله عنه مفتوحًا عليه في المذاكرة، لا شغل له إلا نُصح الناس وإرشادهم لأنه مأذون من الأولياء، قال له سيدي أحمد الخمسي رضي الله عنه: (قُلْ ولا حَرَجَ عليك) .

دَعَى رضي الله عنه الناس إلى الله وله عدة تلاميذ خصوصًا بغمارة وذلك أنه جَدَّدَ بناء زاوية الإمام البوزيدي رضي الله عنه التي امتلأت بالمريدين والفقراء حيث مجالس الذِّكْر والمذاكرة والعلم اللدني، وظلّ سيدي محمد المرون يُشرف أكثر من عشرين سنة على هذه الزاوية التي تقع في بوسلامة بغمارة.

كان رحمه الله يسأل الأطفال هل يحفظون القرآن والعقائد والأحكام وكان يقول: (آخر درجة في حفظ القرآن هي حفظ خمسة عشر حزب من سورة يس إلى سورة الناس) .

كان رضي الله عنه يسعى في مصالح الآخرين ويردّد مرارًا قول النبي (ص): «الخلق عيال الله وأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله». كان رحمه الله يداوي الناس: يعالج الأمراض الحسِّيَّة بالدواء الحسِّي أي الأعشاب، ويعالج الأمراض المعنوية بالدواء المعنوي.

سيدي أحمد الخمسي رضي الله عنه كان أكرم المخلوقات في زمانه وأعطى يد الكرم إلى تلميذه سيدي محمد المرون رضي الله عنه الذي كم من مرة رجع إلى داره بدون جلابة وبدون عمامة وبدون حذاء... الخ. الأُلوف من الجلابات والسراويل والقشابات أعطاها للناس. كان رضي الله عنه يُقرِض الناس وفي الحقيقة يعطيهم. كم من مرة تكلَّف بمصاريف العقائق والجنائز.

الشيخ مدة حياته: الفطور على الله والغذاء على الله والعشاء على الله، زمانه كله كان يصوم الاثنين والخميس. كان رضي الله عنه يقول: (الجوع دأبنا وحالتنا وسيرتنا) ، وكان يقول: (الجوع يهتم به مَن هو مشغول ببطنه) .

قضى الشيخ جُلّ عصره مؤذِّنًا بجامع الباشا بتطوان وكان يقوم بتنظيف ذلك المسجد.

مناقب سيدي محمد المرون كثيرة ومقاماته كبيرة عالية:

ـ عندما كان في السّنّ الرابعة من عمره زار مع أبيه ضريح سيدي هْدِّي رضي الله عنه ببني عروس، فقال مقدم سيدي هدي لأب الشيخ: رُدَّ البال من ولدك فإن أمره انتهى إلى العرش.

. مولاي إبراهيم بن الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنهم أجمعين، كان بزرهون فقال لأصحاب تطوان: هذا (أي سيدي محمد المرون) خليفة مولاي إدريس الأكبر.

. سيدي الفقيه محمد الأزرق أحد الأولياء رضي الله عنه قال أمام الملأ بأن العروسي: (أي سيدي محمد المرون) هو سيد المرضيين وعشير سيدنا موسى عليه السلام في الجنة.

. أخبرني سيدي محمد المرون بأن الشيخ سيدي أحمد الخمسي تفضَّل الله عليه بالمقام العيسوي ثم بالمقام الموسوي ثم بالمقام المحمدي، ومات رضي الله عنه في المقام الإبراهيمي والمقام الخضري. ثم أخبرني سيدي محمد المرون بأنه ورث جميع مقامات الشيخ سيدي أحمد الخمسي نفعنا الله ببركاته.

. سمعت الشيخ سيدي محمد المرون رضي الله عنه يردِّد مرارًا قول الشيخ سيدي محمد الحرّاق رضي الله عنه:

فأنا فريدُ عَصْري

قُولُوا لي بُشْرَى هنِيًّا

وكان رضي الله عنه يقول: الفَرْد المحمدي معناه انفرد عن جميع المخلوقات، انفرد بجميع العلوم وبمصالح الناس، الفرد المحمدي انفرد بالسخاء والكرم أو تقول انفرد بالأسرار والأنوار والمواهب والمنحات والتفضّلات... الخ.

كان رضي الله عنه يردّد كثيرًا قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[(24)] وكنا نسمع منه كل وقت علومًا جديدة طرية قريبة العهد بربّها لم نسمعها منه من قبل. الشيخ رضي الله عنه لديه الفتح الكبير: عندما يتكلم فإن الاستشهادات تقول له: ها نحن فتأتي إليه.

قال رضي الله عنه ونفعنا ببركاته: (فرأيت في هذه الليلة في عالم المرائي والخيال أتحدّث مع أُناس على شكل بني آدم ولم أعرفهم سوى أصحابي عبد الله وعبد الواحد وعبد الرحمن وعبد الصمد فأخذوا بيدي وساروا يتحدَّثوا معي في غوامش المعاني فسارت الأقفال تنفتح عن قلبي ولساني وفكرتي وعقلي وأشرب هذه المعاني والمفاهم وأنا أتلذَّذ بمُذاكرتهم وأتحلَّى وأتعشّق بكلامهم حتى ظهر لي ما كان مخزونًا مكنونًا في قلبي من العلوم والمعارف والمفاهم... الخ فصرت أتحدّث معهم في الغوامض والحقائق والأسرار حتى أبهرت عقولهم وعجزوا عن الجواب، فقلت لهم: بالله عليكم أحكي لكم ما مَنَّ الله به عليَّ في سابق علمه وأزله لما أخرجني إلى هذا الوجود بعد العدم فوجدت نفسي في البادية فبشَّرتني الحضرة الإلهية بأبي جنيد في زماني وأنا جالس بين يدي الشيخ في مقام إبراهيم... الخ. وقالوا لي: انتهت السياحات في البوادي الرجوع إلى

تطوان فتعجبت من ذلك فسارت الأقدار تنتقل بي شيئًا فشيئًا إلى أن وصل الإبان لملاقات العارفين بالله فمنحوني بصحبتهم يقظة ومنامًا مدة من السنين وأنا أستفيد منهم ما لا يُتَصَوَّر في العقل من المواهب والتفضّلات والمنحات والعطايات ما لا يُتَصَوَّر في الأذهان ولا في العقول الخاوية، هذه العلوم كلها إشارات ومغيّبات تعجز عن فهمها الخاص والعامّ، فسجنوني[(25)] في تطوان رغمًا على أنفي وجمع شملي مع الزوجة وهيّأ الله الأسباب من حيث لا أحتسب وأنا لا أستعدّ لها فتعجبت من ذلك فقلت سبحان من أين هذا ولم أدْرِ حقيقة هذا التسخير الإلهي الذي هيّأ الله هذه الأسباب كلها ففتح لي بابًا أُشاهد بها ما يبرز في هذا الوجود من عين الوجود فصرت أتقلّب كل يوم وليلة في العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب... الخ).

كان رضي الله عنه يقول: (القلب يقرأ العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحقائق والدقائق والرقائق، أي عين القلب ترى أنوارهم، وشعاع تلك الأنوار يصعد إلى العقل ويخرج إلى اللسان)، وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}[(26)]، معناه يعرف أسماءهم ويسمع كلامهم ويرى صورهم ويراقبهم ويحرسهم، وكان رضي الله عنه يقول: (باب الجنة في سدرة المنتهى، قال تعالى: { 9 : ؛ چ 13 = عع ؟ 14 ژ ء آ 15 }[(27)]، وباب جهنم في الأرض السابعة)، وكان رضي الله عنه يقول: (المساجد أتوا من الكعبة، والكعبة أتت من بيت العزّ الذي هو في السماء الدنيا، وبيت العز أتى من بيت النور الذي هو في السماء الرابعة، وبيت النور أتى من البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة، والبيت المعمور أتى من العرش)، وكان رضي الله عنه يقول: (كل يوم جمعة يُصلّي سيِّدنا جبريل وسيِّدنا ميكائيل عليهما السلام في بيت النور بالسماء الرابعة. سيِّدنا جبريل هو المؤذِّن، وسيِّدنا ميكائيل هو الإمام والخطيب)، وكان رضي الله عنه يقول في قول سيدي أبي الحسن الششتري رضي الله عنه:

سَبْعٌ هُمُ الدُّرَاري	والشمس والقمر
وَنَجْمٌ ثَمَّ ساري	مع نجوم أُخَر

سَبْعٌ هم الدراري إشارة إلى الأقطاب السبعة، والشمس إشارة إلى سيِّدنا محمد (ص)، والقمر إشارة إلى الغوث المحمدي، ونجم ثَمَّ ساري إشارة إلى سيِّدنا الخضر عليه السلام، ونجوم أُخَر إشارة إلى باقي أهل الديوان أي الأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء والأجراس... الخ.

كان رضي الله عنه يقول في قول سيدي ابن الفارض رضي الله عنه:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة	سكرنا بها من قبل أن يخلق الكَرْمُ

المدَامة أو الخمرة الأزليّة يشربها العارفون بالله من آذانهم لا بأفواههم ثم تسري هذه الخمرة الأزلية إلى القلب ثم الجَنان ثم إلى حضرة الرحمن. مفتاح القلب هما الأُذُنان، ومن القلب يطلع الشعاع إلى الرأس ويخرج إلى اللسان. المدامة أو الخمرة الأزلية معناها العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحقائق والدقائق والرقائق والتعشّقات والتشوّفات والتذوّقات... الخ.

كان رضي الله عنه يقول لأحد تلامذته: (أنا زُرْتُ جميع أولياء المغرب وعندما جئت إليَّ فكأنما زرتهم كلهم)، ثم قال له: (زيارتي طَوَتْ لك مَا سِواها).

قال رضي الله عنه لأحد تلامذته: (إذا لم ترَ صورتي الروحانية في عالم الملكوت فإنك طفل وتضيِّع وقتك)، ثم قال له: (صورتي الروحانية: كسوة خضراء وسلهام أخضر أي حلّة الجنة). صورة الشيخ في عالم الملكوت ليست هي صورته في عالم الجبروت، فكل مقام له صورة خاصة به والتلوّن بحسب المقام.

كان رضي الله عنه يقول: (مَن مات له شيخ ولم تظهر نتيجة بعد موته فليبحث عن شيخ آخر، وأما مَن مات شيخه وظهرت النتيجة بعد موته فليبق على العهد إلى يوم الدين ولا يبدله لأن الشيخ يراقبه. النتيجة معناها قول سيد الوجود (ص) (إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقرِّبني إلى الله تعالى فلا بُورِكَ لي في طلوع شمس ذلك اليوم). الشيخ ينصر مريده في الدنيا والآخرة، ويمدّه بالعلوم والمعارف والأنوار والأسرار لأن الأسلاك متصلة).

كان رضي الله عنه يقول: (مَن أراد القُرْب من الله فليصحب شيخًا جلاليًّا)، وكان رضي الله عنه يقول: (مَنْ أراد الترقّي فَعَلَيْه أن يكون مع الخبيثين والظالمين، ومَن كان مع الطيِّبين يصعب عليه الترقِّي لأنه بالإحسان تملك كل إنسان: يحسنون إلى الوليّ فيسلبونه. ألا ترى إلى مولاي عبد السلام بن مشيش قال لشيخه سيدي عبد الرحمن المديني رضي الله عنهما: أي المستقر؟ قال سيدي عبد الرحمن: بني عروس. قال مولاي عبد السلام: لماذا؟ فقال شيخه: لأنهم أقبح المخلوقات وأخبثهم (في ذلك الزمان) ثم قال له: لو رأيت قبيلة أخبث من بني عروس لأرسلتك إليها). وفي هذا المعنى يقول مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه (اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرّهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم

يصبك في بدنك ولأَنْ تُصَابَ في بدنك خَيْرٌ مِنْ أنْ تُصاب في قلبك، وَلَعَدُوٌّ تصل به إلى ربك خيرٌ من حبيب يقطعك عن ربّك).

سألته مرة كيف أنت يا سيّدي؟

قال لي: كما يريد الله قال تعالى: { « { (ص) } ! 23 }[(28)]، وقال الحق جلّ جلاله: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}[(29)]، ثم قال لي: عليك بالقرآن وَارْتَحْ. قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: (الشيخ مَنْ دَلَّك على الراحة لا مَنْ دلّك على التعب).

كان رضي الله عنه يطلب من الله الخفاء والسّتر وكان يقول: (الظهور نقمة والنفس تهواه، والخمول نعمة والنفس تأباه. الوليّ المخفي تبقى مقاماته تامّة كاملة. عبد الخفاء: فيما بينه وبين الله، وعبد الظهور: فيما بينه وبين الله وبين العباد وهنا أخذ العباد قسمة من درجته).

قلت له: لا يعرفكم إلا القليل.

قال لي: هذا من فضل الله علينا لأنه إذا أحبّ الله عبدًا أخفاه. سِرُّ الله مخفِي وليس بظاهر. كل كنز عليه عَزائم وطلاسم والعارف بالله أعظم الكنوز. قال سيّدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه (إن الله تعالى يقول لعبده غدًا يوم القيامة: ألم أخمل ذكرك عن الخلق فضلاً ورحمة مني عليك).

من كراماته رضي الله عنه أنه قال لي: لن يطبع أحد من كتبي في حياتي.

ترك سيّدي محمد المرون نفعنا الله به كتبًا عديدة:

. شروح المشيشية.

. النبراس.

. رسائل.

.كتاب الأشواق والأذواق.

. المطْلِع.

قال سيّدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه في الفتوحات المكية: (واعلم أن مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان فهو الكامل الذي لا أكمل منه وهو محمد (ص)، ومرتبة الكمل من الأناسي النازلين عن درجة هذا الكمال هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومنزلة مَن نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالم منزلة القوى الحِسِّيَّة من

الإنسان وهم الورثة رضي الله عنهم، وما بقي ممَّن هو على صورة الإنسان في الشكل هو من جملة الحيوان فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطي النموّ والإحساس). وقال أيضًا: (فاعرف يا وليّ منزلتك من هذه الصورة الإنسانية التي محمد (ص) روحها ونفسها الناطقة، هل أنت من قواها أو من محال قواها، وما أنت من قواها هل بصرها أم سمعها أم شمّها أم لمسها أم طعمها فإني والله قد علمت أيّ قوة أنا من قوى هذه الصورة لله الحمد على ذلك)، وقال سيِّدي علي الجمل الذي هو شيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما في كتابه «اليواقيت الحِسان في تصرّف معاني الإنسان» (اعلم أنه كان شيخ شيخنا سيدي أحمد اليماني نفعنا الله به من أهل التجريد ظاهرًا وباطنًا، أما باطنًا فلا إشكال، وأما ظاهرًا فكانت حقيقته في يده، وشيخنا سيدي العربي نفعنا الله به كان من أهل التجريد أيضًا ظاهرًا وباطنًا، أما باطنًا فلا إشكال، وأما ظاهرًا فكانت في لسانه، وأنا عبد مَنَّ الله عليَّ من بركة معرفة هؤلاء الرجال ساداتنا أهل المخفية شرّفنا الله بذِكرهم، ولكن سيّدي منهم وسندي وأستاذي هو سيدي العربي بن سيدي العارف بالله تعالى سيدي أحمد بن عبد الله نفعنا الله بالجميع أخذت عنه التجريد ظاهرًا وباطنًا، أما باطنًا فلا إشكال وأما ظاهرًا ففي أربعة جوارح في لساني وفي رأسي وفي رِجلي وفي ظهري هذه أربعة حقائق، ومعي رجل آخر أخي في الشيخ أخذ على شيخنا سيدي العربي التجريد ظاهرًا وباطنًا، باطنًا لا إشكال وظاهرًا أخذ منه حقيقة في عينه وهو يتصرف الآن). أخبرني الشيخ سيدي محمد المرون نفعنا الله ببركاته بأنه روحاني من أربع جهات: قلبه وطبيعته وعينه ويده.

توفي رضي الله عنه بمدينة تطوان يوم الثلاثاء 22 شوال عام 1416 هجرية الموافق 12 مارس 1996 ميلادية.

هذه الترجمة كتبها أحد تلامذة سيدي محمد المرون قدّس الله سرّه وهو الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي محمد المرون رضي الله عنه المتوفّى عام 1416 هجرية تنبيه:

لسيدي محمد المرون قدّس الله سرّه ثلاث شروح على الصلاة المشيشية، اختار منها رضي الله عنه شرحه هذا وأدمجه في هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم وصَلَّى الله بِذَاتِهِ وَسَلَّمَ بأسمائه وبَارَكَ بِصِفاتِهِ على أشرف المخلوقين وإمام المرسلين سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذا شرحُ تَصْلِيَةِ قُطْب الزمان وبحر العرفان شريف النسب وأصيل الحسب سيّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش قَدَّسَ الله سِرَّه.

لما أراد الله سبحانه أن يخرج ابن مشيش رضي الله عنه من الجذبة ومن أصنافها أَلْهَمَهُ أن يبحث عن شيخ التربية فشدّ رحلته إلى أن وصل إلى الديار المقدسة فَالْتَقَى أولاً بالشيخ تقي الدين العراقي رضي الله عنه ولقَّنه بداية ثم الْتَقى بالشيخ سيدي عبد الرحمن المدني رضي الله عنه الملقَّب بالزيّات المدفون في مدشر تارغة (مدشر تارغة يقع جنوب شرق مدينة تطوان ويبعد عن تطوان بحوالي 50 كلم) بجانب ضريح سيدي أحمد الغزال وسيدي عبد الرحمن المغربي رضي الله عنهما ومقام الإمام المدني بينهما مهمول. أخذ ابن مشيش عن الإمام المدني الطريقة والوسيلة والقطبانية فقال له الإمام المدني قدّس الله سرّه: ها أنت وربّك ونبيّك يقظة لا منامًا، وفي هذا الوقت قال ابن مشيش: يا رسول الله قلت في ليلة الإسراء لربك عند انصرافك من حضرته: يا ربّ لكل قادم تحفة، وأنا يا رسول الله ما تحفتي عند انصرافي منْ حضرتك؟ فقال يا ابن مشيش قُلْ: أللَّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقّت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق.

أللَّهمَّ

كأنه دعى الله بجميع أسمائه كله وقد ارتفع البُعْد ووقع الاتصال بلا انفصال مع الحضرة النبوية والحضرة الإلهية.

صَلِّ

معناه أللَّهمَّ أعْطِ سيدنا محمد أفضل ما سَأَلَكَ لِنَفْسِهِ، وأعطِ سيِّدنا محمدًا أفضل ما سألك له أحَدٌ مِنْ خَلْقِك، وأعطِ سيِّدنا محمدًا ما أنت مَسْؤُولٌ له إلى يوم القيامة.

أو تقول: أللَّهمَّ ابْعَثْهُ مقامًا محمودًا تُزْلِفُ به قُرْبَهُ وتُقِرُّ به عَيْنَهُ يَغْبِطُهُ به الأوَّلون والآخرون.

أو تقول: أللَّهمَّ أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة.

أو تقول: اللَّهمَّ أعطِ سيِّدنا محمدًا الوسيلة وبَلِّغْهُ مأموله واجعله أول شافع وأول مُشَفَّع.

أو تقول: أللَّهمَّ عَظِّمْ بُرْهَانَهُ وَثَقِّلْ ميزانه وأَبْلِجْ حُجَّتَهُ وارْفَعْ في أَهْلِ عِلِّيِّين درجته وفي أعلى المقَرَّبينَ مَنْزِلَتَه.

أو تقول: أللَّهمَّ ارْفَعْ درجته وأَكْرِمْ مقامَه وثَقِّلْ مِيزانَه وأَبْلِجْ حُجَّتَهُ وأَظْهِرْ مِلَّتَهُ وأَجْزِلْ ثَوَابَه وَأَضِىءْ نُورَهُ وَأَدِمْ كرامته وأَلْحِقْ به من ذريّته وأهل بيته ما تقرّ به عينه.

أو تقول: أَللَّهمَّ عَظِّمْ شأنه وبَيِّنْ برهانه وَأَبْلِجْ حُجَّتَهُ وبَيِّنْ فضيلته وتقبل شفاعته في أمته.

هذه بعض معاني الصلاة على سيد الوجود منقولة من كتاب دلائل الخيرات للإمام الجزولي رضي الله عنه.

قال الله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} إذا صلَّيت على النبي مرة واحدة صَلَّى عليك الله عشر مَرَّات: الصلاة من الله معناها الرِّضى والعطايا والمنحات والتفضّلات والأنوار... الخ، وأما سيد الوجود فإنه يدعو مع مَنْ يُصَلِّي عليه بالمغفرة والرحمة... الخ.

الصلاة على سيِّد الوجود درجات بعضها فوق بعض، قال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (ولا شك أن المتمسّك بالسُّنَّة لا تفوته الصلاة على صاحبها (ص) ولو لم يُصَلِّ عليه بلسانه، وإذا كان على سُنَّته وَصَلَّى عليه بلسانه فذلك نور على نور، ولا شك أن المتمسّك بسُنَّته حقًّا يصلِّي عليه بكليّته، والمنهمك الذي لا يُبالي بالسُّنَّة إنما يصلِّي عليه بلسانه فقط دون جوارحه وعمل قليل في سنة خير من كثير في بدعة فافهم فَهَّمنا الله وإيّاك).

أَللَّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار معناه توجّه بهذه الصلاة إلى عالم الأنوار الأحدية الصمدية حين نظر الله نظرة الجمال في صفاء بياض نوره فقبض قبضة من نوره فقال لها: كوني محمدًا نبيًّا رؤوفًا عطوفًا مُمَجَّدًا، لهذا الموطن أشار بهذه التصلية وسَمَّاها بأسامي عديدة: تارة سَمَّاها الصلاة الذاتية، وتارة سَمَّاها صلاة السرّ، وتارة سمّاها الصلاة الفيضية الكبرى، وتارة سمّاها الشجرة الأصلية، وتارة سمّاها صلاة النور الذاتي، وتارة سمّاها الصلاة المنفردة، وتارة سمّاها الصلاة الأحدية، وتارة سمّاها الصلاة العيبية، وتارة سمّاها الصلاة الأُنموذجية، وتارة سمّاها الصلاة القاسمية، فهذه التصليات كلها ترجع إلى أصل واحد وهي القبضة الممدية فصار هذا النور عَمُودًا على صورة الأحمدية وهي هذه القبضة تُسَبِّح الله تعالى سبعة ألف عام وتقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم والحق يتجلّى عليها بما هو أهله، فلما أراد الله أن يُظهِر حكمته وقُدرته وإرادته أن يُبرِز هذه العوالم مائة ألف عالم، الدنيا وما فيها يُعَدّ عالمًا واحدًا، والآخرة وما فيها يُعَدّ عالمًا واحدًا، انسلخت من هذه القبضة هذه العوالم كلها فقسم هذا النور فتفرّع منه ما كان وما يكون على مقتضى حكمته.

قال سيدي صدر الدين القونوي تلميذ سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنهما: (اعلم أن الحق تعالى لما تجلّى لذاته بذاته وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون له كالمرآة أوجد الحقيقة المحمدية التي هي جميع أهل النوع الإنساني في الحضرة العلمية فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها

وجودًا إجمالاً ثم أوجدهم فيها وجودًا تفصيليًّا فصارت أعيانًا ثابتة، فأعيان العالم في العلم والعين وكمالاتها إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية (ص)). وقال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه في كتابه عنقاء مغرب: (ولما تعلَّقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدّس رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية والحضرة الأحدية وذلك لما تجلّى لنفسه بنفسه في سماء الأوصاف وسأل ذاته بذاته موارد الألطاف في إيجاد الجهات والأكياف فتلقّى ذلك السؤال منه إليه بالقبول والإسعاف فكان المسؤول والسائل والداعي والمجيب والمنيل والنائل وكمَنَ فيه كُمُون تنزيه وحضر في حضرة علمه فوجد الحقيقة المحمدية على صورة حكمه فسلخها من ليل ذاته فكانت نهرًا وفجرها عيونًا وأنهارًا ثم سلح العالم منها فكانت عليه سماءً مدرارًا وذلك أنه سبحانه اقتطع من نور ذاته قطعة لم تكن فيه متصلة فتكون منه عند القطع منفصلة ولكن لما فطره سبحانه على الصورة فطر ما كان ثم جنسًا يجمعها ضرورة فكان قطع هذا النور المنزل المثل من ذلك الجنس والباري مُنَزَّه في نفسه في قيام الفصل به والوصل أو الإضافة بالإنسان إلى جنسه فهو قطع مثلي أبدي أحدي على معنى أزلي فكان لحضرة ذلك المعنى بابًا وعلى وجهها حجابًا... أنه سبحانه لما قطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة أنشأ منها سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام على النشأة التي لا تنجلي أعلامها ولا يظهر من صفاتها إلا أحكامها ثم اقتطع العالم كله تفصيلاً على تلك الصورة وأقامه منهرقًا على غير تلك النشأة المذكورة إلا الصورة الآدمية الإنسانية فإنها كانت ثوبًا على تلك الحقيقة المحمدية النورانية ثوبًا يشبه الماء والهواء في حكم الرقّة والصفاء فتشكّل بشكله فبذلك لم يخرج في العالم غيره على مثله فصار حضرة الأجناس إليه يرجع الجماد والناطق والحساس فكان محمد (ص) نسخة من الحق بالأعلام وكان آدم نسخة منه على التمام وكنّا نحن نسخة منهما وانتهت الأقلام غير أن في نسختنا من كتاب آدم ومحمد سرّ شريف ومعنى لطيف، أما النبيّون المرسَلون وغير المرسلين والعارفون والوارثون من سائر الأُمم والمؤمنون منّا فنسخة من آدم ووسط محمد عليهما السلام على أتقن مثال، وأما المؤمنون من سائر الأُمم فنسخة من آدم وظاهر محمد (ص) في حضرة الجلال، وأما أهل الشقاوة والشمال فنسخة من طينة آدم لا غير فلا سبيل لهم إلى غير ذلك فحقّق أيّها الطالب هذه النسخ تعش سعيدًا وتكن في ذاتح فردًا وحيدًا).

أللّهمَّ صَلِّ على قَبْضَتِكَ الذاتية المسْتَخْرَج منها العوالم الكلية اللاهوتية والناسوتية والملكوتية والجبروتية وعلى آله وصحبه وسلّم.

أللّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقّت الأسرار وانفلقت الأنوار قَدَّم الأسرار قبل الأنوار: أما علمت أن الله خلق الشجرة فيها سرّ الله ومن بعد انفلقت من هذه الشجرة الثمار ثم خلق الله الإنسان فيه سرّ الله وانفلقت منه العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحقائق اللدنية لقوله تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}[(30)] وقِس بهذا القياس. قَدَّم الأسرار قبل الأنوار تَأَدُّبًا لأجل هذا أشار البوصيري بقوله:

فإن من وجودك في الدنيا وضَرَّتَها	ومن علومك علم اللوح والقلم

لولا سيِّدنا محمد (ص) ما كانت الأسرار والأنوار، ولولا سيِّدنا محمد ما كانت الدنيا والآخرة. روى ابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه قال: (هبط جبريل على النبي (ص) فقال: إن ربك يقول: إن اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيبًا، وما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا) وروى الديلمي عن ابن عباس رَفَعَهُ (أتاني جبريل فقال: إن الله تعالى يقول: لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار).

من أسراره (ص) أنه لما فتح آدم عينيه حين كانت ذاته طينًا فنظر في سرادقات العرش وجد مكتوبًا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. عندما يُصَلِّي العبد على سيِّد الوجود فإن العرش يَهْتَزُّ ويضطرب شوقًا ومحبة لأن اسم سيد الوجود مكتوب على ساق العرش.

من أسراره (ص) أنه كان نبيًّا وآدم لَمُنْجَدِلٌ في طينته معناه أن طينة آدم ملقية على وجه الأرض مدة أربعين سنة تصبّ عليه سحائب الجلال إلا عامًا واحدًا صبَّ عليه الجمال هذا كله قبل أن ينفخ في آدم الروح، قال (ص): «كنت نبيئًا وآدم بين الروح والجسد».

من أسراره أن الحق جلَّ جلاله تجلّى عليه وهو في عالم الأنوار بالتجليات والمواهب والتفضّلات والمنحات والعطايا والفيوضات والعلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحقائق والدقائق والرقائق والتعشقات والتذوّقات والتشوّقات والمقامات والمراتب والمنازل والارتقاء والاختصاص والمزايات التي لا يصفها الواصفون فأمدّه الله بالأمداد الظاهرة والباطنة كلها تستمد من أمداده (ص) إلى أبد الأبد لا نهاية لأبديّته.

ومن أسراره أنه لما استقر هذا النور في بطن آمنة خرج منها نور فأضاء مصانع الشام وقصوره.

ومن أسراره قضية الفيل ويبس وادي سَاوة وغور بحيرة طبرية وتغوير الشهب. هذه الوقائع من أسراره وقِس بهذا القياس.

قال سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه: الأنوار عبارة عمّا ظهر من كثائف التجليات والأسرار عبارة عمّا بطن فيها من المعاني اللطيفة. الأسرار أرقّ من الأنوار. الأسرار للذات والأنوار للصفات لأنها أثرها.

وانفلقت الأنوار معناه انقسم هذا النور على أقسام: قسم من هذه الأقسام خلق الله صورته (ص) الظاهرة والباطنة وعلومه الظاهرة والباطنة ونبوّته ورسالته قبل وجوده ومصداق هذا أنه (ص) لما استقر نوره في بطن أُمه رأى عبد المطّلب في محرابه وهو يصلي (كان على ملّة سيِّدنا إبراهيم) سلسلة خرجت من ظهره وصعدت إلى السماء إلى العرش ونصْفُها هبط إلى البهموت.

أخرج الحافظ أبو بكر الضغاني عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمي أخبِرْني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى قد خلق نور نبيّك من نوره أي خلق نورًا وأضافه إلى نفسه تشريفًا فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جِنِّي ولا إنسي فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول حَمَلَة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور ألسنتهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله).

العوالم كلها تستمدّ من أمداده (ص) من أول القبضة النورانية إلى يوم القيامة حين ترجع هذه الأنوار إلى أصلها الأصلي وهي القبضة المحمدية هنا الرجوع إلى الأصل أصل. الله جلَّ جلاله مَدَّ سيِّدنا محمدًا (ص) بأنوار الأفعال وبأنوار الأسماء وبأنوار الصفات وبأنوار الذات وبأنوار أسمائه التسعة والتسعين التي تدور بدورانها في ذوات سيد الوجود الظاهرة والباطنة والعوالم كلها يقلبها كيف شاء لأنه خليفة الله في أرضه لأن الله تَستَّرَ فيه وجَمَع فيه الأنوار والأسرار فالأنوار والأسرار هي التي تُسَيِّرُ العوالم العلوية والسفلية، أما علمت يا أخي أن نور الشمس ذرّة من الخردل من نور العرش ونور العرش ذرة من أنوار الحجب، والحجب ذرة من أنوار أرض السِّمْسِمَا، وأما نور القمر وأنوار الكواكب السبعة فَمِثْلُ هذه الأنوار مقتبسة من أنوار الحَضْرَة: نور الكواكب مستمد من نور الأفعال ونور القمر مستمد من نور الأسماء ونور الشمس مستمد

من نور الصفات ونور العرش مستمد من نور الذات الإلهية، فهذه الأنوار كلها مستمدة من تلك القبضة المحمدية الأحمدية الصمدية.

(وانفلقت الأنوار) أي تفرّعت: الانفلاق هي الولادة بحروفها ولفظها، فهذا يسمى عالم الأنوار والأسرار. سار هذا النور ينتقل ويتطور من عالم الغيب إلى عالم السر إلى عالم الأنوار إلى عالم الهيللة إلى عالم الذرية يوم أَلَسْتُ بربكم إلى عالم الهول إلى عالم الهوية إلى عالم اللاهوت إلى عالم الناسوت إلى عالم الجبروت إلى عالم الملكوت إلى عالم المُلْك.

عَالَمَ المُلْك يُسَمَّى أيضًا عالم الحكمة أو عالم الظهور أو عالم الشهادة أوْ عالم التشريع وقِسْ بهذا القياس.

عالم الجبروت كله أسرار، وعالم الملكوت أنوار، وعالم المُلْك أغيار وأكدار.

(وانفلقت الأنوار) أي انفلقت أنوار التلوين والتمكين وأنوار التوجّه والمواجهة وأنوار الفرق والجمع وأنوار الستر والتجلِّي وأنوار المحو والإثبات وأنوار الغيبة والحضور وأنوار السكر والصحو وأنوار الخوف والرجاء وأنوار القبض والبسط وأنوار الهيبة والأُنس وأنوار الفقر إلى الله والغنى بالله وأنوار العزّ والذلّ وأنوار الحسّ والمعنى... الخ. أو تقول انفلقت أنوار العلوم وأنوار المعارف وأنوار المفاهم وأنوار المدارك وأنوار المشارب وأنوار الحقائق وأنوار الدقائق وأنوار الرقائق وأنوار التعشّقات وأنوار التشوّقات وأنوار التذوّقات وأنوار القرب وأنوار الوِصال.. الخ. أو تقول انفلقت الأنوار أي نور الهمَّة ونور الفكرة ونور العلم ونور الروح ونور العقل ونور القلب ونور النفس المطمئنة ونور الذات ونور القوة المدركة ونور القوة الحافظة ونور القوة المصوّرة... الخ. أو تقول انفلقت أنوار الدليل والبرهان وأنوار الكشف والعيان وأنوار التوحيد وأنوار التجلّي... الخ. أو تقول انفلقت أنوار الأبصار وأنوار البصائر وأنوار السرائر... الخ. أو تقول انفلقت نور التوفيق ونور التأييد ونور القوة ونور الفتح ونور السكينة والوقار ونور الحنانة والشفقة ونور الرحمة ونور المحبة ونور الصبر... الخ. أو تقول انفلقت نور الدلالة على الله ونور امتثال الأوامر ونور اجتناب النواهي... الخ. أو تقول انفلقت أنوار المهابة والجلالة والعظمة والأنوار الباطنية.

(وانفلقت الأنوار) أي انفلقت نور العقل ونور الإيمان... الخ. قال الشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (العقل نور يُدرَك به أمور مخصوصة وللإيمان نور يُدرَك به كل شيء ما لم يقم مانع، فبنور العقل تصل إلى معرفة الأُلوهة وما يجب لها ويسْتحيل وما يجوز منها فلا يستحيل ولا يجب، وبنور الإيمان يدرك العقل معرفة الذات وما نسب الحق إلى نفسه من النعوت).

(وانفلقت الأنوار) أي انفلقت أنوار المعاني المجردة عن المواد، وأنوار الأنوار التي هي السبحات، وأنوار الأرواح وهي أنوار روح القدس الجامع، وأنوار الرياح وهي أنوار عنصرية، وأنوار الطبيعة، وأنوار الأسماء، وأنوار المولّدات والأُمهات والعِلَل والأسباب على مراتبها، ونور الوقت، ونور الوقاية، وأنوار المعِيَّة من جانب الحق، ونور الشريعة، ونور الحقيقة (انظر شرح هذه الأنوار في الباب السادس ومائتين من كتاب الفتوحات المكيَّة للشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه).

(وانفلقت الأنوار) قال سيدي عبد الحق بن سبعين رضي الله عنه: اعلم أن أنواره (ص) تختلف باختلاف متعلقاتها ومضافاتها، ومن حيث الأقل والأكثر والأشد والأضعف، هذا بالنظر إلى نوع النوع لا أنها تنقص أو تضعف من حيث إنها أنوار إلا بأمْرٍ يلحقها في نفس الأمر. فمن ذلك نور عزّته، ثم نور الغاية الإنسانية ثم نور الإدراك ثم نور النبوّة ثم نور النشأة ثم نور السابقة ثم نور التشريف ثم نور التدلّل ثم نور التركيب ثم نور المولد ثم نور الخلقة ثم نور التربية ثم نور الانتقال ثم نور النهاية ثم نور التضمّن ثم نور العادة ثم نور التسخير ثم نور الأتباع ثم نور اللواحق ثم نور الجاه ثم نور الخطابة ثم نور المقايَسة ثم نور التفضيل ثم نور الإحاطة ثم نور الحصر ثم نور الكشف ثم نور التزكية ثم نور المكانة الكبرى ثم نور الانفراد ثم نور الذِّكر والعلامة ثم نور العلانية ثم نور الخصوصية في أول حاله ثم نور الخير المحض ثم نور اللواء ثم نور العبودية. (انظر شرح هذه الأنوار في كتاب: رسائل ابن سبعين).

الأنوار متعددة ومتنوعة، فَمِنْ بَيْن الأنوار ما قاله الإمام القشيري رضي الله عنه في قوله تعالى: { و ى يٍّ ٌّ ََ ُ ِ ّ }[(31)]، والنور الذي مِنْ قِبَلِهِ سبحانه نور اللوائح بتحقيق العلم ثم نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزائد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلّي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد.

أللَّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار: انشقَّت أسْرار الذات وانفلقت أنوارُ الصفات، أو تقول: انشقَّت أسرار الأحدية وانفلقت أنوار الواحدية، أو تقول: انشقَّت أسرار التفريد وانفلقت أنوار التوحيد، أو تقول: انشقَّت أسرار البقاء وانفلقت أنوار الفناء، أو تقول: انشقَّت أسرار الاتصال وانفلقت أنوار الوِصال، أو تقول: انشقَّت أسرار الكمال وانفلقت أنوار الجمال، أو تقول: انشقَّت أسرار المقامات وانفلقت أنوار الأحوار، أو تقول: انشقَّت أسرار الواردات وانفلقت أنوار الأوراد، أو تقول: انشقَّت أسرار المعارف وانفلقت أنوار الأعمال، أو تقول انشقَّت أسرار الوحي وانفلقت أنوار الإلهام، أو تقول: انشقَّت

أسرار المسامرة وانفلقت أنوار الحادثة، أو تقول: انشقَّت أسرار الشهود وانفلقت أنوار المشاهدة، أو تقول: انشقَّت أسرار المذكور وانفلقت أنوار الذِّكر، أو تقول: انشقَّت أسرار الاشتياق وانفلقت أنوار الشوق، أو تقول: انشقَّت أسرار الاهتداء وانفلقت أنوار الاقتداء، أو تقول: انشقَّت أسرار الاجتباء وانفلقت أنوار الاصطفاء، أو تقول: انشقَّت أسرار المحبوبين وانفلقت أنوار المحِبِّين، أو تقول: انشقَّت أسرار العارفين وانفلقت أنوار المريدين، أو تقول: انشقَّت أسرار الواصلين وانفلقت أنوار السالِكِين، أو تقول انشقَّت أسرار الإيجاد وانفلقت أنوار الإمداد، أو تقول: انشقَّت الأسرار القدسية وانفلقت الأنوار الإلهية، أو تقول: انشقَّت الأسرار الجبروتية وانفلقت الأنوار الرحماية.

قال سيدي محمد الفاسي الشاذلي رضي الله عنه في صلاته الياقوتية: (أللَّهمَّ صَلِّ وسَلِّم على مَنْ جعلته سببًا لِانْشِقاقِ أسرارك الجبروتية وَانْفِلاقِ أنوارك الرحمانية)، أو تقول: انشقَّت خزائنُ الأسرار وانفلقت مَعَارِفُ الأنوار، أو تقول: انشقَّت أسرار الجبروت وانفلقت أنوار الملكوت، أو تقول: انشقَّت علوم الأسرار وانفلقت علوم الأنوار.

قال الشيخ ابن عربي الحاتمي قدّس الله سرّه: (الإنسان إذا دخل في الغيب واتّصف به أدرك ما فيه من علوم الأنوار لا من علوم الأسرار، وعلوم الأنوار هو كل ما يتعلق به منافع الكون كلها... وعلوم الأسرار خفيت عن أبصار الناظرين وهي غيب الغيب فصار الغيب على هذا فيه ما يُدرَك به وفيه ما لا يُدرَك).

انفلقت معناه: انفلق الصبح إذا ظهرت أعلامه فإذا طلعت الشمس انفلقت وظهرت للوجود، كذلك العلماء العامِلون والشيوخ المرَبُّون انشقَّت وانفلقت منهم أُلوف التلاميذ والفقراء، كذلك الأغصان تنشقّ وتنفلق منها ثمارها، كذلك مُؤَلِّفُو الكُتُب انشقَّت وانفلقت منهم الأُلوف من الكتب وقِسْ بهذا القياس. لأجل هذا أشار بقوله انشقَّت الأسرار أي من بحر الجبروت وانفلقت الأنوار من بحر الملكوت، أو تقول: انشقَّت الأسرار من بحر الحقيقة وانفلقت الأنوار من بحر الشريعة، أو تقول: انشقَّت الأسرار من بحر الإحسان وانفلقت الأنوار من بحر الإيمان وقِس بهذا القياس. الانشقاق بداية لأهل البداية وهم علماء الظاهر أهل الأوراق، وأما الانفلاق فهو نهاية لأهل النهاية وهم العارفون بالله علماء الأذواق والأشواق، فَشَتَّانَ ما بين هناك وهنا لأن علماء الظاهر حُرَّاس في باب المِلك، وأما علماء الباطن فهم في وسط القصر على منصّة الإجلال والتشريف مع المِلك، فعلماء الظاهر يستدلّون على الله بالدليل والبرهان، وأما علماء

الباطن فلا دليل لهم ولا برهان إنما استدلالهم بالشهود والعيان، لذلك أشار الإمام الحراق رضي الله عنه بقوله:

فَتَرَاهُ في كل شيء تراه	فهو الكل دائمًا ما أَجَلَّهْ
فَافْنَ فيه صبابة وهيامًا	إنما الصَّبُّ مَن يَعيش مُوَلَّهْ

مقام التوبة له انشقاق وانفلاق، كذلك مقام الإسلام له انشقاق وانفلاق، كذلك مقام الإيمان له انشقاق وانفلاق، كذلك مقام الإحسان له انشقاق وانفلاق، كذلك القرآن له انشقاق وانفلاق، كذلك العلوم لها انشقاق وانفلاق، كذلك علوم التصوّف لها انشقاق وانفلاق، وقِس بهذا القياس فشرحها يطول.

وفيه ارتقت الحقائق أي لاحت وظهرت وانبجست وانفجرت من منابع التجليات من حضرة الأفعال إلى حضرة الأسماء إلى حضرة الصفات إلى حضرة الذات العالية، فالله يتجلّى لحضرة الذات فتستمدّ منها حضرة الصفات ثم تستمدّ منها حضرة الأسماء ثم تستمدّ منها حضرة الأفعال وهي حضرة المِلْك وحضرة الرسول والصحابة والتابعين وحضرة الشُّيُوخ، فمن هذه الحضرات تتفرّق الأمداد الإلهية، واعلم أن الأمداد الحسِّيَّة والمعنوية كلها تخرج من حضرة الرسول ومَن ورث سرّه كابن مشيش وما يليه من العارِفِين بيدهم الحلّ والعقد من الفرش إلى العرش.

وفيه ارتقت الحقائق أي في سيِّدنا محمد (ص) اجتمعت الأنوار والأسرار والحقائق والدقائق والرقائق والأفعال والأسماء والصفات والذات فأعطى سيِّدنا محمد العارفين أعطى لكل واحد منهم ما يستحقه على قدر هِمَّته.

الأمداد تنقسم بحسب المقامات والهِمَم، فأمداد للعامّة من مقام الأفعال، وأمداد للخاصّة من مقام الأسماء، وأمداد لخاصّة الخاصّة من مقام الصفات، وأمداد لخاصّة خاصّة الخاصّة من مقام الذات. الذات عين الصفات، والصفات عين الذات إلا أن الذات تستّرت في الصفات، فأهل البداية مظهرهم الصفات وأهل النهاية مظهرهم الذات. أهل البداية لا يشاهدون إلا مظهر الصفات فهم محجوبون عن شهود الذات لأن شهود الذات شرطه خراب الذات وإذا لم تخرب ذاتك وصفاتك لا ترى ذاتًا ولا صفات ولا أسماءً ولا أفعالاً إنما أنت مشغول بنفسك وفلسك وأهل جنسك وما بين البطن والفرج.

وفيه ارتقت الحقائق معناه تجلّى عليه الله بعلوم الظاهر والباطن.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (حملت عن النبي (ص) جرابين؛ فأما الواحد فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم). وقال سيِّدنا عليّ كرَّم الله وجهه: (إن بجانبي علمًا لو أبثّه لكم لفرَّقتم ما بين الرأس والجسد). وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (إن بجانبي علمًا لو أبثّه لكم لقلتم: أنا أول مَن يعبد الوَثَن). وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: (إن بجانبي علمًا لو أبثّه لكم لقلتم رَحِمَ الله قاتل سلمان).

تُوورِثَتْ هذه العلوم عن أعلامها وأقطابها: فمنها علوم الحسن البصري، ومنها علوم زين العابدين، ومنها علوم جعفر الصادق، ومنها علوم موسى الكاظم، ومنها علوم معروف الكرخي، ومنها علوم الجنيد إلى أن وصلت إلى ابن مشيش إلى الشاذلي إلى مولاي العربي الدرقاوي والإمام البوزيدي سيدي أحمد بن عجيبة وسيدي محمد الحرّاق.

هذه العلوم المسطّرة هنا مشتقّة من الأمداد المحمدية، فسيّدنا محمد مَدَّ مَن كان قبله من الأنبياء والرُّسُل ومَدَّ مَنْ بَعْدَهُ من العارِفِين والكُمصل والصِّدِّيقين.

كل ما ذكرناه من العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب هي أنوار وأسرار، قال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}[(32)] (بالجهل) {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ} (1) ، وقال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[(33)] إلى أن قال: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}[(34)]، وقال: {نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ}[(35)] معنى النور معرفة الله. لو كان علم الظاهر يُغني عن علوم الباطن وعلوم الإشارة لاستغنى سيِّدنا محمد عن سيِّدنا جبريل ولاستغنى سيِّدنا موسى بعلمه عن سيِّدنا الخضر حين اضطر وقال لسيِّدنا الخضر: { ح خ د ذ ر ز س ش }[(36) .])

معنى هذا أن علم الباطن يُغْني صاحبه عن علم الظاهر، بينما علم الظاهر لا يُغني صاحبه عن علوم الباطن إذ علم الباطن من العلوم كالروح من الجسد. تنقسم علوم الباطن إلى أقسام: منها إبراهيمية، ومنها خضرية، ومنها موسوية، ومنها عيسوية، ومنها محمدية.

قال الحق جلَّ جلاله: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[(37)]، وأما سيِّدنا محمد فعلَّمه الله الأسماء والمسَمَّيات.

أما علوم الأسماء فهي علوم الظاهر، وأما علوم المِسَمَّيات فهي من علوم الباطن وعلوم الإشارة وعلوم الرموز وعلوم التلويح وعلوم الفهم عن الله وعلوم الإلهام، ومن هذه العلوم استمدّ صاحب هذه التصلية وقال: أللَّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق.. الخ.

فلما فرغ من الأسرار والأنوار تكلم على علوم الحقائق والدقائق والرقائق التي هي من وراء العقول، لا تُنال بالدراسة أو بالتعليم من المعلِّم بل هي في عالم الغيب مطويَّة لا يطَّلع عليه مَلَك مُقَرَّب ولا نبيّ مُرسَل، قال سيِّدنا عليّ كرَّم الله وجهه: (سَلُوني قبل أن تفقدوني عن علم لا يعلمه جبريل وميكائيل . (إن لله من العلوم المخزونة المكنونة التي لم يطَّلع عليها مَلَك مُقَرَّب ولا نبيّ مُرسَل وإنما يقذفها الله في قلوب العارفين كسيِّدنا عليّ ومَن أخذ عليه من العارِفِين لذلك أقسم بالقَسَم المغَلَّظ والله ثم والله لا يصل واصل إلى وظيف أو مقام أو منصب أو جاه أو حالة أو معرفة أو علم أو حكمة أو ولاية إلا بإذن أهل الوقت وأهل التصريف هم الذين بيدهم الحل والعقد من الفرش إلى العرش.

أشار الله جلَّ جلاله بقوله في علوم الحقائق {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ}[(38)] فشرحها يطول. وقال تعالى: { 8 9 : ؛ چ = } [(39)] حارت العقول في جمع هذه الكلمات وما فيها من المعاني والإشارات والأحكام والشرائع والمناسك والصفات المتجليات فينا والحقائق. ولأجل هذه الحقائق أشار الله تعالى بقوله: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}[(40)] الروح معناه هنا هي الحقائق والدقائق، وقال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ}[(41)]، وقال: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}[(42)] ولم يخصِّص لا من ناحية العلم والمعرفة أو من ناحية الشرف والجاه أو من ناحية الخدمة.

وفيه ارتقت الحقائق: أي وفيه اجتمعت علوم الأوّلين والآخرين. سيد الوجود هو منبع الحقائق والدقائق والرقائق. ارتقت: أي صعدت من الأرض إلى السماء إلى العرش. ارتقت: أي صعدت وتوسّعت لأنه قبل سيد الوجود لم تكن هذه العلوم المحمدية. سيد الوجود له علم الأوّلين والآخرين، وأما باقي الأنبياء فعِلْمُهُمْ محدود من علوم الحقائق علوم الحَفْر لبِشْر الحافي وعلوم الجَفْر لجعفر الصادق كلها مطروزة بعلوم الحقائق، ومنها علوم التصوّف كلها حقائق ودقائق ورقائق، ثم شرع الشيخ رضي الله عنه يتكلم في علوم آدم.

وتنزّلت علوم آدم فأعجز الخلائق معناه كان هذا الخطاب في عالم الظهور حين قال الحق جلّ جلاله: { ِ ّ ّ ْ لله ـ پ ف » « { (ص) } ! " ₤ $ % × ' ( ) 30 * + ، - }[(43)]. فكل مَن برز في الوجود منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة إلا وآدم على بصيرة منه، فما بالك بسيّدنا محمد (ص) عَلَّمَهُ الله

الأسماء والمسَمَّيات وأطلعه الله على ما كان وما يكون في عالم الظهور وفي عالم البطون وفي عالم الخفاء وفي عالم الغيب وفي عالم السّرّ. قال الله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *}[(44)]، وقال: { ف » « 5 { (ص) } 6 ! " 7 £ $ % 8 × ' ( ) * 9 }[(45)]، هنا عَلَّمَهُ علوم الأوّلين والآخرين، فإذا كان سيِّدنا آدم أعجز الملائكة بعلمه وهو علوم الأسماء فسيِّدنا محمد (ص) أعجز مائة ألف عالم ومدَّهم بالأمداد الحِسِّيَّة والمعنوية وهو (ص) يراقب هذه العوالم كلها واحدًا بعد واحد ويحرسها. قال (ص): «الله يعطي وأنا أقسم»، يقسم الأمداد الحِسِّيَّة والمعنوية في الدنيا والآخرة لأنه عليه السلام خليفة الله في جميع خلقه يمدّهم بما يحتاجون إليه منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة.

فأعجز الخلائق هذا التعجيز متواتر في كل وقت، أما في عصر آدم فكان مع الملائكة حتى قال تعالى: { ئ ا ب }[(46)]، وأما في عصر سيِّدنا نوح فقال: {إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا}[(47)]... فصنع الفُلْك فأعجزهم بالسفينة وركب فيها هو ومَن آمن به وغرق كل مَن كفر به ثم أعجز سيِّدنا إبراهيم النمرود وقومه في تحطيم الآلهة[(48)] فبنوا له بنيانًا وألقوه في النار فقال الله لتلك النار: {كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[(49)] فأعجزهم الله. ثم قضية سيِّدنا موسى مع فرعون والسَّحَرَة فظهر عجز السَّحَرَة. ثم بعد ذلك توجّه فرعون وجنوده إلى موسى وقومه فغرق فرعون ومَن معه وكانوا مائة ألف. ثم قضية سيِّدنا عيسى في حمله وولادته ورفعه فأعجز الكل. ثم ولادة سيِّدنا محمد (ص) وبعثته ونبوّته ورسالته وعلومه فأعجز الخلائق.

وتنزّلت علوم آدم فأعجز الخلائق عن فهم ما أودعه الله فيه من العلوم والمعارف التي خصَّه الله بها دون غيره من غير واسطة ولا تعليم، من هنا حارت عقول علماء الظاهر وقامت الحروب واستمرت المعارك بين علماء الظاهر وعلماء الباطن ولا زالت مستمرة منذ زمن قديم إلى الآن ولا زال علماء الظاهر يعترضون على أهل الله بما في وسعهم وهم عاجزون عن معرفة أنفسهم لأنهم لو كانوا عرفوا أنفسهم لعرفوا ربهم ولعرفوا أهل الله ولكن الله أخبرنا بهم وقال في حقهم: {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[(50)].

وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق وله تضاءلت الفهوم فجميع المخلوقات منه وإليه منه خرجت وظهرت وانبزغت ولاحت وأشرقت العلوم الحديثة والقديمة وإليه يرجع الفضل لسيّدنا محمد فهو

أصل الموجودات الحسِّيَّة والمعنوية، الأعراب بالباب مَنْ أنكر هذا مات على سوء الخاتمة والله على ما نقول وكيل.

(فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق): عقول المخلوقات وعلومهم ومعارفهم ومفاهمهم كلها عجزت واضمحلّت وتقاصرت وتلاشت عن إدراك علوم سيِّدنا محمد (ص).

أرى كل مديح في النبي مقصرًا	وإن بالغ المثْني عليه وأَكْثَرَ
إذا الله أثنى بالذي هو أهله	عَليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

فإن من جودك الدنيا وضرّتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

فإذا كان علم اللوح والقلم من علومه (ص) هل يستطيع مخلوق أن يحصي شمائل سيد الوجود وأخلاقه وعلومه وذاته وصفاته لذلك أشار البوصيري بقوله:

فَتَنَزَّهْ في ذاته ومعانيه	استماعًا إنْ عَزَّ منها اجتلاء
وَامْلإَِ السَّمْعَ من محاسن	يُمْلِيهَا عليك الإنشاد والإنشاء

الله جلَّ جلاله أثنى على سيِّدنا محمد وقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ *}[(51)]، لأجل هذا صلَّى ابن مشيش قدّس الله سرّه بهذه التصلية التي لم يُصَلِّ بها أحد منذ خلق الله الدنيا ولم يظفر بها أحد من المخلوقات حتى عجز في تفسيرها الفطاحل من العلماء من القرن السادس الهجرء إلى الآن ففي هذه التصلية سرٌّ من أسرار الله إلا أن فيها التجريد والتفريد رُدَّ البال أيها القارىء لأجل هذا تخلّوا عن قراءتها ودراستها وشرحها خوفًا من الفاقة التي عاش فيها صاحب هذه التصلية رضي الله عنه كان مغموسًا في الزهد والورع لا يرى في هذه العوالم إلا الله حَيًّا وباقيًا ويرى ما سوى الله هالكًا مفقودًا لا وجود له في هذا الوجود كل شيء هالك إلا وجهه. وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق).

قال سيّدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه: (غُصْت لجُجَّة المعارف طلبًا للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت كما تحترق الشعرة إذا أُلقِيَت في النار فتأخرت القهقرى). وقال: (عرّج بروحي فخرقت الملكوت فما مررت بروح نبي إلا سلَّمت عليه

وأقرأتها السلام غير روح محمد (ص) فإنه كان حول روحه ألفُ حجاب من نور كادت أن تحْترق عند أول لمحة).

(وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق) معناه ولَهُ رُدَّت ورجعت وتوجّهت إليه الأسرار والأنوار والمعجزات والكرامات والحقائق والمفاهم والمدارك والمشارب والهِمَم والعقول والأفكار والأرواح والعلوم والمعارف: هذه الصفات كلها غيب مُغَيَّب مستور محجوب مُطَلْسَم مُضَمْضَم مبهم، حارت فيها عقول العلماء ودهشوا، فهذه الصفات تسمع ولا ترى، قال سيّدنا عمر رضي الله عنه لأُويس القرني رضي الله عنه: يا أُويس لماذا تأخرت عن القدوم إلى مُبايعة رسول الله والنظر في وجهه؟ فقال أُويس: (هل أنتم رأيتم رسول الله؟ والله ما رأيتموه إلا كالسيد في غمده ولو رأيتم نوره لاحترقتم، وأما أنا فلا أُفارقه إلا عند حاجته)، فصارت هذه الرؤيا متواترة إلى الآن في وقتنا، هؤلاء الرجال لا يُحجَب عنهم رسول الله طرفة عين لا يقظة ولا منامًا والله على ما نقول وكيل، وكذلك سيِّدنا الخضر لا يُحجَب عنهم إلا عند الحاجة، والملائكة لا تُحجَب عنهم كذلك والروحانيون كذلك لأن أهل الفتح لا يُحجَب عنهم من الفرش إلى العرش إلى ما يعلم علمه إلا الله.

قلوب العارفين لها عيون	ترى ما لا يرى للناظرين
وألسنة بأسرار تناجي	تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش	إلى ملكوت ربّ العالمين

وأما المحجوبون فهم منغمسون في عيون الغَيْن وعيون البَيْن وعيون اللونين والبحرين والبرزخين والشهوتين والجهتين والفتنتين والغفلتين هنا طاشت عقول العامّة وتسلّط عليهم الدّهش وخاضوا بحور الفحش واشتغلوا بالمادة فتسلّط عليهم البُعْد من الله.

(وله تضاءلت الفهوم فلم يدركهُ منّا سابق ولا لاحق)، معناه وله توجهت المطالب والمقاصد والرجاءات والاتجاهات إلى هذا الرسول العظيم إذ هو باب الله الذي ما ثَمَّ وصول إلا من بابه لأجل هذا توجّهت إليه الأنظار والعقول السالمة والهِمَم العالية لأن هِمَمَ العارِفِين دارِكَة، فالعارِفون هِمتّهم كلها مغموسة في حضرة الرسول يستمدون منه. قال عليه الصلاة والسلام: «إن لي صورة تقابل كل إيمان إيمان فإن فارقته صورتي لكفر من حينه». وفي رواية «إن لي صورة تقابل كل إيمان إيمان فإن فارقته صورتي لَسُلِبَ من حينه». وفي رواية أخرى «إن لي صورة تقابل كل إيمان إيمان فإن فارقته صورتي لارْتَدَّ من حينه». ومن معجزاته أن خلق

الله له صورًا حِسِّيَّة وصورًا معنوية، فالصور الحسِّيَّة تقابل عالم الحِسّ والصور المعنوية تقابل عالم المعنى فَصُوَرُهُ (ص) ملأت العوالم بأسرها. صورة سيِّدنا محمد الباطنة النورانية خلق الله منها الملائكة والأنبياء والرُّسُل والأفراد والأغواث والأقطاب والأوتاد والأبدال والبدلاء ورجال الغيب والنقباء والنجباء والأجراس وباقي الأولياء.

الأولياء الكُمَّل شيوخ الطريقة يحرسون تلاميذهم بالنظر والهِمَّة والتصريف، فإذا كان الشيخ يحرس تلاميذه فما بالك بسيد الوجود يحرس أهل محبته أين ما كانوا وتعيّنوا لأن له التصريف في جميع العوالم بأسرها.

فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة . رياض جمع روضة وهو محل النزهة والاستجمام، رياض وبساتين وحدائق فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين من أنواع الأزهار والثمار والفواكه والمياه والمناظر الخلاّبة والطيور وهي على الأغصان تغرِّد بجميع أغانيها وتُسَبِّح الله بحالها ومقالها، فهذه الرِّياض الحسِّيَّة لعلماء الظاهر، وأما الرِّياض المعنوية لعلماء الباطن فسيِّدنا محمد (ص) فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين من العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحقائق والدقائق والرقائق والعلوم اللدنية التي لا تُدرَك بالبصر ولا بالاجتهاد ولا بالدراسة ولا بالتعليم إنما هي هبة من الله لعباده لأهل الخصوص.

سيّد الوجود هو رِياض المِلْك والمِلَكوت، والعوالم كلها تقتطف منه ما سبق لها في الأزل وكلها تستمد من هذا البستان معناه حضرة الرسول هذا هو البستان إنما هذه إشارة صوفية فهذا اصطلاح ما بين مذهب الصوفية لأن اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم فيما بينهم واصطلاح الفقهاء فيما بينهم واصطلاح المحدثين فيما بينهم واصطلاح النحويين فيما بينهم واصطلاح المؤرِّخين فيما بينهم وقِس بهذا القياس إذ كل فن له اصطلاحه الخاص به وشتّان ما بين مصطلحات العارفين ومصطلحات غيرهم.

. عالَم المِلْك وعالم المِلَكُوت وعالم الجَبَروت.

عالَم المِلْك: من الأرض إلى السماء الدنيا.

عالَم المِلَكُوت: من السماء الدنيا إلى السماء الثانية إلى السماء الثالثة إلى السماء الرابعة إلى السماء الخامسة إلى السماء السادسة إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى.

عالَم الجبروت: من سدرة المنتهى إلى الكرسي إلى العرْش.

. تابع الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش ثناءه على سيد الوجود فذكر أن رياض المِلْك والملكوت مونقة بزهر جماله الزاهر المشعشع المضيء المنير قد أضاءت أنواره المتدفقة الساطعة اللامعة البرّاقة عوالمَ المِلْك

والملكوت والجبروت ففي عالم المُلْك والملكوت رِياض وبساتين تقتطف منها الأنبياء والرُسُل والصِّدِّيقون والمقرَّبون والعارِفون، فالماء واحد والزهر ألوان { 3 4 5 6 7 8 9 : ؛ چ = عع }[(52)]. الرِّياض الحِسِّيَّة فيها مناظر خلاّبة وفيها استجمام وراحة وألوان وفواكه وأطعمة ومشروبات وهم في ظلٍّ ظليل يتمتعون. وصف ابن مشيش سيد الوجود بالرِّياض لأنه (ص) بستان العارفين، هذه الرِّياض تجني منه العوالم العلوية والسفلية من العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحِكَم والمحبات والقُرْب والوِصال.

. رياضُ المُلْكِ في معناه قال رسول الله (ص): «ما بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَري روضة من رِياض الجنة»، وقال: «ما بين قبري ومنبري روضة من رِياض الجنة»، وقال: «إذا مَرَرْتُمْ برِياض الجنة فَارْتَعُوا»، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ»، وقال: «مَنْ زَارَ أخاه في الله خاض في رِياض الجنة حتى يرجع»، وقال: «عَائِدُ المريض يمشي في مغرفة الجنة حتى يرجع»، وقال: «إنما القبر روضة من رِياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

. مِنْ رياض المُلْك: الكعبة والروضة النبوية وبيت المقدس وقبر مولاي عبد السلام بن مشيش وقبر مولاي بوعزة وقبر مولاي إدريس الأزهر وقبور العارفين رضي الله عنهم أجمعين.

. أما رِياض الملكوت فهي مجامع الملائكة وحِلقُها وفيها تستريح الملائكة والأولياء والصالحون، أو تقول رياض الملكوت هي مقامات الأنبياء ومقامات الرُّسُل ومقامات الأولياء.

. (بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَة) أي بمدد جماله محيطة وجمالُه هي الأنوار والعلوم والمعارف والمفاهم... الخ.

وحِياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة الحِياض جمع حوض وهو محل اجتماع الماء وإن شئت قلت: هو (ص) كالبحر الذي تصبّ فيه الأنهار ومنابع الماء والسيول من السماء والحالة هذه لا يشعر بها ولا يكترث بها ولو أمسكت السماء ماءها والأرض منابعها لم تنقص منه مقدار أُنملة ولو اجتمع أهل الأرض على الاغتراف منه لم تنقص منه مقدار أُنملة، كذلك سيد الوجود يغرف من بحره مائة ألف عالَم ولو كشف عن بصرك وبَصيرتك لرأيت هذه الأمداد تعمّ جميع العوالم العلوية والعوالم السفلية وكلها تستمد مِنْ أمداده (ص)، وبهذه الأمداد يترقى العبد من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومن مقام إلى مقام ومن مكانة إلى مكانة ومن درجة إلى أعلى درجة كل ساعة وكل يوم وكل أسبوع وكل شهر وكل عام وهو في الزيادة والترقّي لذلك ذال ابن عطاء الله رضي الله عنه في حِكَمِهِ: (ما أرادت هِمَّةُ سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك).

(حِياض الجبروت) ليست حِياض الماء وإنما هي حِياض الأسرار والأنوار والمواهب والتفضّلات والمنحات والعطايات والكرامات والإنعامات والمراتب والمنازل. (بفيض أنواره) أي تزداد نورًا وإشعاعًا وإشراقًا بفيضانات أنواره (ص). (متدفقة) أي كثيرة غزيرة غير محدودة: النور الحِسِّي له حدّ وأما النور المعنوي فليس له حدّ لأنه يزداد كل يوم قوة ومناعة.

(متدفقة) التدفّق معناه الانصباب بشدة شيئًا فشيئًا أي منصبّة انصبابًا قويًّا مثل المطر القوي الشديد العزير الذي تمتلىء وتتدفق منه الأودية والأنهار وهذا تشبيه لقوة الأنهار المحمدية الممتلئة والمتدفقة منها حياض الجبروت والمزهرة بها رياض الملكوت. واعلم أن هذه الجُمَل تشير إلى ثلاث عوالم: عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت وكل عالم من هذه العوالم أفضل وأعظم مما قبله، أو تقول النور الأول والنور الثاني والنور الثالث وكل نور من هذه الأنوار أفضل وأعظم مما قبله، فبحر الجبروت مملوء بماء الغيب ومنه تنصبّ وتتدفق العلوم والمعارف والحِكَم والمواهب والأمداد الحسِّيَّة والمعنوية والموكل بهذا البحر هو سيِّدنا محمد (ص) وخادمه سيِّدنا جبريل وخدّامه الرَّوْحانيون.

حِياض الجبروت يَصُبُّ بعضها في بعض ومن هذه الحِياض يستمدّ العارفون بالله رضي الله عنهم.

في هذه الحِياض تفيض أنوار سِرِّ سيِّد الوجود، سِرّه الظاهر والباطن الباهر المتدفق كأمواج البحار، قال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

وسع العالمين علمًا وحلمًا	فهو بحر لم تعيه الأعباء

ثم قال:

كل فضل في العالمين فَمِنْ	فضل النبي استعاره الفضلاء

ثم قال:

لا تَقِسْ بالنبي في الفضل خَلْقًا	فهو البَحْرُ والأنامُ إضاءُ

فهو (ص) بحر الشرائع والحقائق والأسرار والأنوار والكرامات والمعجزات الباهرة وفي بحره غرق الأوّلون والآخرون وغاص في لجاجه الغوّاصون والغطّاسون وجاؤوا بالجواهر واليواقيت والدّرر واللآلىء والمرجان فهذه الأعراض الحِسِّيَّة للعلماء الحِسِّيين والفنِّيِّين الحسِّيين والحكماء الحِسِّيين اغترفوا هذه الأنواع بآلات علمية، وأما العارفون بالله فاغترفوا من هذا البحر الزاهر علوم الظاهر وعلوم الباطن والمقامات والمنازل والمراتب

والدرجات على أصنافها وأشكالها وألوانها وألبسهم عليه الصلاة والسلام حُلَلاً منها حُلّة الأفعال وحُلّة الأسماء وحُلَّة الصفات وحُلَّة الذات وأدخلهم في رِياض الأنوار والأسرار فغرقوا في بحار التوحيد والتفريد والتجريد وبحر الوحدة، منهم سيدنا عليّ والحسن السبط والحسن البصري وسفيان الثوري وشيبان الراعي والجنيد والشبلي والغزالي وابن عربي الحاتمي وأبو يزيد البسطامي والسيوطي والشعراني ومولاي عبد القادر الجيلاني ومولاي عبد السلام بن مشيش ومولاي العربي والبوزيدي وسيدي أحمد بن عجيبة والحرّاق وسيدي أحمد الخمسي هؤلاء الرجال كلهم رضي الله عنهم من هنا سلكوا هذه المحجّة البيضاء، ثم أثنى الشيخ ابن مشيش على سيِّد الوجود بما هو أهله فقال:.

ولا شيء إلا وهو به منوط معناه أنه (ص) أصل وجود كل شيء وكل كائن متعلق ومتصل به (ص) وأنه (ص) المحيط بإحاطة معالِمِ الأزليّة في البطون والظهور.

باطن الأشياء فيها سرّ الله تعالى، وظاهرها فيه نور سيّدنا محمد (ص)، ففي كل شيء تَرَى الله تعالى وترى النبي (ص) أي في كل شيء ترى سِرَّ الله وترى النور المحمدي. قال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ}[(53)] فَأَحْيَيْناه أي بِسِرِّ الله} لَهُ نُورًا يَمْشِي} (1) أي من النور المحمّدي.

باطن الإنسان هو سرّ الله الذي هو القلب الذي هو بيت الرب، وظاهر الإنسان هو النور المحمدي الذي هو العلم والمعرفة والعقل والذكاء والفهم والإلهام ونور البصر... الخ.

في كل شيء ترى الله تعالى وترى النبي (ص): قال الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه (وقد أكرمني ربّي سبحانه في ابتداء أمْري في حال شبابي ونحن إذ ذاك بفاس عام 1182 إذ كنت لا نرى في نفسي ولا في كل شيء إلا الله تعالى لكن بنفس ما نرى الله تعالى نرى النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وبنفس ما نراه صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلّم نرى الله تعالى).

نعمتان يتقلَّب فيهما الإنسان: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد. نعمة الإيجاد هي سر الله ونعمة الإمداد هو النور المحمدي. قال رسول الله (ص): «الله يعطي وأنا أقسم». الله يعطي: هذه نعمة الإيجاد، وأنا أقسم: هذه نعمة الإمداد.

نعمة الإيجاد: تيسير الأشياء كلها وتهيؤها.

نعمة الإمداد: التوفيق والتأييد والرضى والتسليم والحضور والمراقبة... الخ.

الشجرة لها أصلها وأغصانها وأوراقها وثمارها وأزهارها. مِنْ أصْلِ الشجرة إلى أغصانها هذا سر الله، وىما النور المحمدي فهي الأوراق والثمار والأزهار. قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه في كتابه دلائل الخيرات (أللَّهمَّ صَلِّ على مَنْ تَفَتَّقَتْ مِنْ نوره الأزهار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَنْ طَابَتْ ببركته الثمار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَن اخْضَرَّتْ مِنْ بَقِيَّةِ وُضُوئِهِ الأشجار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَنْ فَاضَتْ مِنْ نوره جميعُ الأنوار:. قَوْلُهُ أللَّهمَّ صَلِّ على مَن اخضرَّت من بقية وضوئه الأشجار: هذا الوضوء كان في الأزل.

ولا شيء إلا وهو به منوط أي عِلْمُ الحياة هو به منوط أي مُحِيط به ومَحْفُوف. سيد الوجود محيط بالملائكة بالبشر بالحيوانات بكل شيء، محيط بجميع العوالم. سيد الوجود يُمِدُّ جميع العوالم: كل واحد وما يستحق، يمدّ أهل الحسّ بالحسّ ويمدّ أهل المعنى بالمعنى: يمدّ العارفين ويخصّ كل واحد منهم بخصوصية خاصة به.

ولا شيء إلا وهو به منوط ومحوط ومحيط في صعود وهبوط ثم شرع الشيخ يثني على مَن هو الواسطة بين الخالق والمخلوقات في كل صعود وهبُوط من الخضرة الإلهية إلى سدرة المنتهى ومن سدرة المنتهى إلى حضرة الرسول فأخذت هنا الوسائط تتعدد في هذا السياق، تارة تكون الشريعة بابًا والحقيقة إيابًا وتارة تكون الحقيقة بابًا والشريعة إيابًا.

(حديث عمر بن الخطاب: بينما نَحن جلوس عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منّا أحد، إلى أن قال سيد الوجود: فإنه جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم) هنا الشريعة باب والحقيقة إياب. أما الحقيقة باب ففي موطن آخر حين قال سيّدنا جبريل: يا رسول الله مَن يُلقي عليَّ الوحي في سدرة المنتهى هل من حضرة الأفعال أو من حضرة الأسماء أو من حضرة الصفات أو من حضرة الذات أو من حضرة الإطلاق أو من حضرة التقييد أو من حضرة الناسوت أو من حضرة اللاهوت أو من حضرة الهول أو من حضرة القدس أو من حضرة المستوى، فقال سيد الوجود: يا جبريل إذا حان وقت إلقاء الوحي فإذا انتهى الوحي أُقْسِمْ باسمي على هذ الحجاب الذي بينك وبين هذا الإلقاء، فلما أخذ الوحي وانتهى قال جبريل: يا أيها الحجاب ارْتَفِعْ بِحَقِّ لا إله إلاّ الله وبحق محمد رسول الله فارتفع الحجاب فوجد سيد الوجود جالسًا على منصة الإجلال أي منصة الشرف والعظمة فقال جبريل: يا رسول الله أمِنْك وإليك، ففي هذا الموطن أي في سدرة المنتهى تكون الحقيقة بابًا والشريعة إيابًا، وقِس بهذا القياس الأنبياء والرُّسُل والصحابة والتابعين وتابع التابعين إلى ما نحن فيه.

قصة أبي الحسن الشاذلي مع شيخه مولاي عبد السلام حين قال الشاذلي في نفسه: هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال ولد الشيخ: يا أبا الحسن ليس الشأن مَن يعْلَم إنما الشأن مَن يكون عين الاسم: هنا الحقيقة باب لابن مشيش والشريعة إياب للشاذلي.

إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط حذف الوسائط اختلال. يا أيها الغافل المغفل تنفي الوسائط أما علمت أن سيد الوجود كان أُمِّيًّا لا يكتب ولا يقرأ ولا عَلَّمَه معلِّم أو حكيم؟! فلما أراد الله تعليمه أرسل إليه سيِّدنا جبريل وهو في غار حِراء فدخل عليه فقال له: يا محمد اقرأ، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أنا بقارىء» (3 مرات)، فقال جبريل: يا محمد اقرأ باسم ربك، فأخذ جبريل يلقِّنه ويعلِّمه ليلاً ونهارًا وينزل عليه بالوحي والتلقين فهذا مفتاح الوسائط لجميع المخلوقات منه تفرّعت الوسائط لا بدّ من الواسط ليعلِّمك ويهديك ويُخرجك من العدم إلى الوجود لأن الجهل عدم والعلم حياة:

إذا رُمْتَ العلوم من غير شيخ	ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى	تصير ضالاً من توقِّي الحكيم

يا أيها الأبله هل رأيت مولودًا وُلِد من بطن أُمه وَرَمَتْهُ أيتربَّى من غير مُرَبِّي؟ وهل يتعلَّم التلميذ من غير معلِّم؟ أيّ نوع من أنواع التعليم لا بدّ من أن يحتاج إلى المعلِّم الماهر، هل رأيت تلميذًا دخل المدرسة وعلَّم نفسه بنفسه أو لا بُدَّ من المعلِّم؟ فإذا كان كل علم لا بدَّ فيه من واسطة المعلِّم. لا سيما العلوم الفاخرة كالميكانيك والطب والهندسة. فما بالك بعلوم الباطن التي هي تصفية النفوس من أوساخ الطبيعة، تصفية النفوس من الرذائل والتحلِّي بالفضائل. الأمراض تنقسم إلى قسمين: أمراض الذات وأمراض القلب وكِلاهما يحتاج إلى الطبيب وهي الواسطة ومَن نفى الواسطة كان مُعترضًا على الله وعلى رسوله وعلى أهل الله، أما علمت أن القرآن كله وسائط ولكن مَنْ قَلَّ عِلمُه كَثُر اعتراضه.

لما فرغ الشيخ مولاي عبد السلام من الواسِطة أخذ يصلِّي ويُثني على سيد الوجود بما هو أهله فَأَلْهَمَهُ الله التوجّه إلى الديار المقدسة المعظّمة عند الله فلما وصل إلى الروضة المحمدية بالشوق والاشتياق طلب من حضرة الرسول القطبانية والتجريد والتفريد فقال له عليه الصلاة والسلام: قُلْ يا ابن مشيش: أللَّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيها ارتقت الحقائق... الخ وأخذ يلقِّنها له حَرْفًا إلى آخرها فخصَّه بهذه الصلاة المشيشية. كل قُطحب خَصَّهُ سيد الوجود بصلاته إلا الجزولي لَقَّنَهُ جميع التَّصليات والدليل على هذا هاته التصْليات التي نجدها في كتاب دلائل الخيرات (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد عدد ما

في عِلم الله صلاة دائمة بدوام مُلْك الله، أَللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد عدد ما كان وما يكون وعدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار، أَللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد حتى لا يَبْقَى من الصلاة شيء وارْحَمْ سيِّدنا محمدًا وآل سيِّدنا محمد حتى لا يبقى من الرحمة شيء وبَارِكْ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد حتى لا يبقى من البركة شيء وسَلِّمْ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد حتى لا يبقى من السلام شيء) فطالع يا أخي شرح دلائل الخيرات شرح الإمام المهدي الوزّاني وشرح الإمام السهيلي فإن جهلت شرحهما فلتَبْكِ على نفسك على ما فاتك منهما لكثرة تقصيرك وتفريطك.

الصلاة المشيشية فيها التجريد والتفريد والتوجّه والانسلاخ من الشوائب والتعلّقات الدنيوية والأُخروية لأن صاحبها كان له قلب مفرد فيه توحيد مجرد وغرق في بحر الوحدة، ولها أزجار وتصريفات فاعتكف بهذه الصلاة في وسط المغارة أربعة عشر سنة فأين أنت من هذه الصلاة وأين هذه الصلاة منك.

من خصائص الصلاة المشيشية أنه مَن دَاوم على قراءتها بجميع شروطها وآدابها لاحَت عليه الأنوار والأسرار ومَحَقَت عنه الحُجُب والأستار وطَوَت له المسافات والمشقّات وجعلته من المصطَفَين الأخيار الذين أحبَّهم الله وأحبَّهم الرسول وكان محبوبًا عند أهل الديوان الحَيَّين والنائمين وفتحوا له باب المجاهدة والمكابدة والتخلِّي والتحلِّي التي هي شعار الصوفية وسيرتهم ومذهبهم لأن الصوفي مَن تصفَّت ظواهره وبواطنه وأشرقت عليه الأنوار والأسرار وظهر فيه سرّ الله واستمدّت منه العوالم العلوية والسُّفلية.

الحضرة النبويّة خصَّت بهذه الصلاة المشيشية العظيمة التي شاعت وذاعت في كل العوالم ولم يأتِ الزمان بمثلها لا شرقًا ولا غربًا وعجز عن شرحها الفُحُول الكبار.

الصلاة المشيشية حارَت فيها عقول العارفين في شرحها وتفسيرها. تفاسير المشيشية عديدة ومتنوعة، فهناك تفسير من حضرة الذات وتفسير من حضرة الصفات وتفسير من حضرة الأسماء وتفسير من حضرة الأفعال... الخ. قال الله تعالى: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}[(54)].

أفضل صلاة في الدنيا هي الصلاة المشيشية، المشيشية هي سيدة الصلوات. المشيشية جامِعَة مانِعَة أي جمعت المعاني والأسرار حتى قال صاحبها: (وأغرقني في عين بحر الوحدة). ما زال العارِفون إلى الآن يستمدّون من أنوار المشيشية وأسرارها وكراماتها، فَخُدَّامُها ما زالوا يخدمونها إلى يوم القيامة.

المشيشية فيها القَبُول لأنها أتت بإذْنٍ من سيد الوجود، الأشياء يَلْزَمُها الإذْن والضَّأْمن. الأشياء تُعْرَضُ على سيد الوجود فإن قبلها تبقى تدور في العالم وإلا يُنسيها الله من قلوب الناس ومن عقولهم، مَا يُقْبَلُ يدور وما لا يُقْبَلُ يُنْسَى.

جمعت المشيشية أسرار الصلوات. الصلوات تستمدّ من المشيشية والصلوات مضطرة إلى المشيشية.

المغرب مليء بالأسرار وهو محل الأسرار والكتم وهو أشرف دول العالم الإسلامي ومولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه هو سلطان سلاطين أولياء المغرب.

قال (ص): «مَن عرف نفسه عرف ربّه». مَنْ عرف نفسه عرف ربّه وإذا عرف ربّه عرف عالَم المُلْكِ وعرف ما فيه من آيات الله الباهرة التي عجز عن مشاهدتها جُلّ الناس. إذا عرف العبد نفسه وطهّرها من الخبائث والرذائل وتصفَّت وتزكَّت جالَت في عالم المُلْكِ وارتقت إلى عالم الملكوت ثم ترتقي إلى عالم الجبروت ثم ترتقي إلى عالم الناسوت ثم ترتقي إلى عالم اللاهوت ثم ترتقي إلى عالم الأنوار ثم إلى عالم الأسرار ثم إلى عالم القُرْب ثم إلى عالم الوِصال هنا قابَ قوسين هنا مُسَمَّى عالم الأنوار والأسرار، لأجل هذا صلَّى ابن مشيش رضي الله عنه بهذه التصلية التي تناسب هذا الموطن وقال: (اللَّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق).

قال أحد تلامذة سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنهم: (الصلوات على أب الأنوار صلّى الله تعالى عليه وسلّم على نوعين: قسم اقتصروا على ذكر أوصابه صلّى الله تعالى عليه وسلّم الظاهرة المشاهدة لخاصّة الناس وعامّتهم، وقسم ذكروا أوصافه (ص) الباطنة، فمن القسم الأول عامّة الأولياء وهي الطريقة المسلوكة عند العامّة والخاصة، ومن الثاني خاصّتهم وعمدهم وأكابرهم وكان شيخ المشايخ أبا الفتوح مولانا عبد السلام هو أوّل مَن ابتكر هذا النوع من الصلوات المشتملة على ذِكْر الشمائل المحمدية وتبعه أكامل الرجال).

كل مَن وصل إلى هذا المقام المحمدي والجناب العاطِر الأحمدي خَصَّهُ سيّد الوجود بتصليته فانظر بعين بصيرتك كم من صلاة متنوعة في هذا الوجود: الصلاة الإبراهيمية والصلاة المشيشية وصلاة طب القلوب وصلاة روح الأرواح والصلاة القاسمية والصلاة الأحدية والصلاة البرية وصلاة بحر الأنوار والصلاة السرية... الخ الألوف من الصلوات. ذكر صاحب روح البيان عند آية {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[(55)]. (واعلم أن الصلوات متنوعة إلى أربعة آلاف، وفي رواية إلى اثني عشر ألف على ما نقل

عن الشيخ سعد الدين محمد الحمدي قُدِّسَ سِرُّه كلٌّ منها مختار جماعة أهل المشرق والمغرب بحسب ما وجدوه رابطة المناسبة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وفهموا فيه الخواص والمنافع).

الصلوات تنوّعت وتعدّدت: كل صلاة لها شَكْلُها ولَوْنها ومعانيها وأسرارها وأنوارها. كل صلاة لها عَدَدُ تصاريفها. كل صلاة وأصلها: من الذات أو الصفات أو الأسماء أو الأفعال.

الصلوات عديدة ومتنوعة منها:

. صلاة سيّدنا عليّ كرَّم الله وجهه:

(اللَّهمَّ دَاحِيَ المدْحُوَّاتِ وبَارِىءَ المسْمُوكَاتِ وجَبَّارَ القلوبِ على فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسعيدِها اجْعَلْ شَرَائِفَ صلواتِك ونَوَامِيَ بركاتك ورَأْفَةَ تحَنُّنِكَ على سيِّدنا محمد عبدك ورسولك الفاتِحِ لِما أُغْلِقَ والخاتِمِ لِمَا سَبَقَ والمعْلِي الحَقِّ بالحقِّ والدَّامِغِ لجَيْشَاتِ الأباطيل كما حُمِّل فَاضْطَلَعَ بِأمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزًا في مَرْضَاتِك واعِيًا لِوَحْيِكَ حافِظًا لِعَهْدِكَ ماضِيًا على نَفَاذِ أَمْرِكَ حتى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسِ آلاَءُ الله تَصِلُ بأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ به هُدِيَتِ القلوبُ بعد خَوْضاتِ الفِتَنِ والإِثْم وأبْهَجَ مُوضِحاتِ الأَعْلامِ وَنائراتِ الأَحْكامِ ومُنيراتِ الإِسْلام فهو أمينك المأْمون وخازِنُ عِلْمِكَ المخْزونِ وشهيدُك يومَ الدين وبَعيثُك نِعْمَةً ورسولُكَ بالحَقِّ رَحْمَةً. أللَّهمَّ افْسَحْ له في عَدْنِكَ واجْزِهِ مُضاعفاتِ الخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ مُهَنِّئاتٍ له غَيْرَ مُكَدِّراتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوابِكَ المحْلولِ وجَزيلِ عطائِك المعْلول. أللَّهمَّ أَعْلِ على بِناءِ الناسِ بِنائَهُ وأَكْرِمْ مَثْواهُ لدَيْك ونُزُلَهُ وأَتْمِمْ له نُورَهُ وَاجْزِهِ مِن ابْتِعَاثِكَ له مَقْبُولَ الشهادةِ ومَرْضِيَّ المقَالةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وخُطَّةِ فَصْلٍ وبُرْهَانٍ عظيم).

. صلاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

قال الإمام الشعراني: كان عبد الله بن مسعود يقول: إذا صلَّيتم على رسول الله (ص) فأحسِنوا الصلاة عليه لعلَّ ذلك يُعْرَضُ عليه وقولوا: (أللَّهمَّ اجْعَلْ صَلَواتِك ورَحْمَتَكَ وبركاتِك على سيِّد المرسَلين وإمام المتقين وخاتم النَّبيِّين عبْدِك ورسولِك إمامِ الخَيْرِ وقائِدِ الخير ورسول الرحمة. أللَّهمَّ ابْعَثْه المقام المحمود الذي يغبطه به الأوّلون والآخرون).

. صلاة الحسن البصري رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذرِّيَّته وأهل بَيْتِهِ وأصهاره وأنصاره وأشْياعه ومُحِبِّيه وأُمَّتِهِ وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين). كان الحسن البصري يقول: مَن أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل هذه الصلاة.

. صلاة الإمام الشافعي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على محمد بِعَدَد مَنْ صَلَّى عليه وصَلِّ على محمد بعدد مَن لم يُصَلِّ عليه وصَلِّ على محمد كما أمَرْتَ بالصلاة عليه وصَلِّ على محمد كما تُحِبُّ أن يُصَلَّى عليه وصَلِّ على محمد كما تَنْبَغِي الصلاة عليه).

. صلاة مولاي عبد القادر الجيلاني مُؤَسِّس الطريقة القادرية رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ بِأَفْضَلِ ما تُحِبُّ وأَكْمَلِ ما تريد على إمام أهل التوحيد، ولِسَانِ أهل التَّفريد والتمجيد، سيِّدنا ومولانا وسَنَدِنا وأَوْلاَنا محمد سيِّد السادات والعبيد، وعلى آله الكِرام البَرَرَةِ وصَحْبِهِ وَوارِثِيه وحِزْبِهِ وَكُلِّ مَنْسُوبٍ إلى جنابه المجيد، مِنْ غيْرِ نهايةٍ ولا تَحْدِيدٍ، وسَلِّمْ تَسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين).

. صلاة سيدي مرتضى الزبيدي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد بكل صلاة تُحِبُّ أن يُصَلَّى بها عليه في كل وقت يُحِبُّ أن يُصَلَّى عليه. أللَّهمَّ سَلِّم على سيِّدنا محمد بكل سلام تحبّ أن يُسَلَّمَ به عليه في كل وقت يحبّ أن يُسَلَّمَ به عليه صلاةً وسلامًا دائمين بدوامك عدد ما علمت وزِنَة ما علمت ومِلءَ ما علمت ومِداد كلماتك وأضعافَ أضعافِ ذلك. أللّهمَّ لك الحمد ولك الشكر كذلك على ذلك في كل ذلك وعلى آله وصَحْبِهِ وإخوانه).

. صلاة الفتح للشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه:

(اللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد عَرْشِ اسْتِوَاءِ تَجَلِّياتِك، وكُنْهِ هُوِيَّةِ تَنَزُّلاتِكَ، النُّورِ الأَزْهَرِ، والسِّرِّ الأَبْهَرِ، والفَرْدِ الجَامِعِ، والوِتْرِ الوَاسِعِ، صَلاةً أُشاهِدُ بها عَجَائِبَ الملكوتِ، وأسْتَجْلِي بها عَرَائِس الجبروت، وأَسْتَمْطِرُ بها غُيُوثَ الرَّحَمُوتِ، وَأَرْتَاضُ بها عَنْ عِلاَقَةِ نَاسُوتِ البَهَمُوتِ، يا لاَهُوتَ كُلِّ نَاسُوتٍ يَا أللهُ).

. صلاة سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على الذاتِ المحمدية، اللَّطِيفَةِ الأَحَدِيَّةِ، شَمْسِ سَماءِ الأَسْرَارِ، ومَظْهَرِ الأنوار، ومَرْكَزِ مَدَارِ الجَلاَلِ، وقُطْبِ مَلَكِ الجَمَال، أللَّهمَّ بِسِرِّهِ لَدَيْكَ وبِسَيْرِهِ إليك آمِنْ خَوْفِي وأَقِلْ عَثْرَتِي وأَذْهِبْ حُزْنِي وحِرْصِي وَكُنْ لي وخُذْنِي إليك مِنِّي، وارْزُقْنِي الفَنَاءَ عَنِّي، ولا تَجْعَلْنِي مَفْتُونًا بِنَفْسي مَحْجُوبًا بِحِسِّي واكْشِفْ لي عَنْ كلِّ سِرٍّ مَكْتُومٍ يا حَيُّ يا قيُّوم).

. صلاة سيدي محمد بهاء الدين النقشبندي مؤسِّس الطريقة النقشبندية رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ إنّا نَسْأَلُكَ أن تُصَلِّي على سيِّدنا محمد نِبْراسِ الأنبياء ونَيِّرِ الأولياء وزِبْرِقَانِ الأَصفياء ويُوحِ الثَّقَلَيْنِ وضِيَاءِ الخافقين).

. صلاة الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، مؤسِّس الطريقة الشاذلية:

(أللَّهمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ الصَّلوات وأَسْمَى البَرَكاتِ وأَزْكَى التَّحِيَّاتِ في جميع الأوقات على أَشْرَفِ المخْلُوقاتِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ أَكْمَلِ أَهْلِ الأرض والسمواتِ، وسَلِّمْ عليه يا رَبَّنَا أَزْكَى التَّحِيَّاتِ في جميعِ الحَضَراتِ واللَّحَظَاتِ).

. صلاة سيدي محمد وفا الشاذلي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على أَحْمَدِ أمْرِكَ ومُحَمَّدِ خَلْقِكَ وأَسْعَدِ كَوْنِكَ، أسألك أللَّهمَّ به، وبه أسألك أن تُصَلِّيَ عليه صلاةً ذاتِيَّةً خاصَّةً به عَامَّةً في جميع أَلْوَاحِهِ الحَرْفِيَّةِ والإِسْمِيَّةِ، وجميع مراتبه العقلية والعِلْمِيَّة، صلاة متصلة لا يمكن انفصالها بِسَلْبٍ ولا بغير ذلك بل يستحيل عقلاً ونقلاً وعلى آله وأصحابه الأُمَّهَاتِ الجوامِعِ، والخَزَائِنِ الموانِعِ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا).

. صلاة سيدي محمد الحنفي الشاذلي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على محمد النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسَلِّمْ عَدَدَ مَا عَلِمْتَ وَزِنَةَ ما عَلِمْتَ وَمِلْءَ ما عَلِمْتَ).

. صلاة سيدي أبي المواهب الشاذلي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا ومولانا محمد النبي الأُمِّيّ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرِّيَّته صلاة تشرح بها صدري وتيسِّر بها أمري وتَجْبُر بها كَسْري وَتُغْني بها فَقْري وتُنَوِّرُ بها قَبْرِي وَتَحُلُّ بها عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي).

. الصلاة العظيمية لسيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه صاحب الطريقة الإدريسية التي هي فرع من الطريقة الشاذلية:

(أللَّهمَّ إني أسألك بِنُورِ وَجْهِ الله العظيم الذي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِ الله العظيم وَقَامَتْ به عَوالِمُ الله العظيم أن تصلِّي على مولانا محمد ذي القدر العظيم وعلى آل نبي الله العظيم بِقَدْرِ عظمة ذات الله العظيم في كل لَمْحَةٍ ونَفَسٍ عَدَدَ مَا في عِلْمِ الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تَعْظِيمًا لِحَقِّكَ يا مولانا يا ذا الخلق العظيم وسَلِّمْ عليه وعلى آله مِثْلَ ذلك واجْمَعْ بيني وبينه كما جَمَعْتَ بَيْنَ الروح والنَّفْس ظاهرًا وباطنًا يقظةً ومنامًا واجْعَلْهُ يا ربِّ رُوحًا لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم).

. صلاة تثبيت الإيمان:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ جَرَى به القَلَمُ). هذه الصلاة قال عنها القطب الحداد رضي الله عنه: أن مَن صلَّى بها على النبي (ص) بعد صلاة المغرب قبل أن يتكلم أو ينشغل بشيء أربع مرات وقال: «أستغفر الله الذي لا إله إلاَّ هو الحيّ القيّوم الذي لا يموت أبدًا وأتوب إليه ربِّ اغفر لي» مات يقينًا على الإيمان.

. صلاة سيدي محمد الحرّاق رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: لما خرجت إلى زيارة الشيخ مولاي العربي . الدرقاوي . رضي الله عنه ألهمني ربِّي هذه الصلاة على النبي (ص) ونصّها: (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد الفاتح بك ما أغلق على غيره من معرفتك وعلى آله وصحبه وسلّم).

. صلاة سيدي فتح الله البناني رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على عظيم القدر والجاه، سيِّدنا ونبيِّنا ومولانا محمد رسول الله، وعلى آله وأصحابه ذوي القدر الرفيع عند الله، في كل لمحة ونفَس عدد ما وَسِعَه علمُ الله، والْطُفْ بالمسلمين أجمعين بِمَنِّكَ يا أللهُ).

. صلاة سيدي محمد بن الحبيب رضي الله عنه، وهذه الصلاة مُسَمَّاة بِكَنْز الحقائق في الصلاة على أشرف الخلائق:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم بأنواع كَمالاتك في جميع تجلياتك على سيِّدنا ومولانا محمد أول الأنوار الفائضة من بحور عظمة الذات، المتحقِّق في عالَمَي البطون والظهور بمعاني الأسماء والصفات، فهو أوّل حامِد ومتعبِّد بأنواع العبادات والقُرُبات، والمِمِدّ في عالَمَيِ الأرواح والأشباح لجميع الموجودات، وعلى آله وأصحابه صلاةً تَكْشِفُ لنا النِّقابَ عن وجهه الكريم في المرائي واليَقَظاتِ، وتُعَرِّفُنَا بك وبه في جميع المراتب والحضرات «مرة»، وَالْطُفْ بِنا يا مَوْلاَنا بِجَاهِهِ في الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ واللَّحَظَاتِ والخَطَرَاتِ «ثلاثًا»).

. صلاة جوهرة الكمال لسيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على عَيْنِ الرحمة الربانية والياقوتة المتحقِّقة الخاطئة بمركز الفهوم والمعاني ونورِ الأكوان المتكوِّنة الآدمي صاحب الحق الرباني البَرْق الأَسْطَع بِمُزُون الأرباح المالئة لكل متعرِّض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني. أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على عين الحق التي تتجلى

منها عروش الحقائق عَيْنِ المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم. أللّهمَّ صَلِّ وسلِّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرِّفنا بها إياه).

هذه الصلاة لها خواص: منها أن المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات، ومنها أن مَن قرأها سبعًا فأكثر يحضره روح النبي (ص) والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها، ومنها أن مَن لازَمَها أزيد من سبع مرات يحبّه النبي (ص) محبة خاصّة ولا يموت حتى يكون من الأولياء، ومنها أن مَن داوم عليها سبعًا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي (ص)، ومنهاأن مَن قَرَأَها اثْنَيْ عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زار النبي (ص) في روضته وكأنما زار جميع الأنبياء والأولياء.

. الصلاة الأُنموذجية وهي لسيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه:

(أللّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا ومولانا أحمد، الذي جَعَلْتَ اسْمَهُ مُتَّحِدًا بِاسْمِكَ ونَعْتِكَ، وصُورَة هَيْكَلِهِ الجِسْمَانِي على صُورَةِ أَنْمُوذَجِ حَقِيقَةِ خَلْقِ اللهُ سيِّدنا آدَمَ على صُورَتِهِ، وفَجَّرْتَ عُنْصُرَ مَوْضخوع مَادَّةِ مَحْمُولِهِ مِنْ أَنِيَّةِ أنا الله، بَلْ حتى إذا جَاءَهُ لم يَجِدْهُ شيئًا ووجد الله عنده، وآلِهِ وصحبه وسلّم).

قال سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه: (والذي لا يحلف بغيره وَمَنْ عَنَتْ وجوه الأنبياء والرُّسُل بجلال هيبته وخَرَّتْ خضعانًا أنوار ملائكة الملكوت لقهر عزيز سطوته إن قارىء الأُنموذجية له مكانة عند مولانا رسول الله لا تُنَال بسبب إلا بسببها وله من النظرات المحمدية كل يوم لأجل إدْمانِه قراءتها لا ينال بجد ولا تَشْمير.

حتى رأيتك تجتبي وتخصّ مَن
تختاره بلطائف الأَمْنَاحِ

ويَحْضره مولانا رسول الله عند موته ويسقيه كأسًا خاصًّا من كؤوس التخصيص والتشريف الإلهي الاجتبائي ما تنحلُّ حَبْوَتُك عند رؤية أثره يوم التغابن ولم يَزَلْ بين كل مُقبِل على الله تعالى وبين نبيّه سِرٌّ خاص لا يطّلع عليه غيره). وقال: (هذه الصلاة الأُنموذجية الكتانية التي الواحدة منها بثمانِ مائة من دلائل الخيرات، والواحدة منها بتسع مائة ألف من صلاة الفاتح المنسوبة للبكريين وهي عندهم بستمائة ألف من غيرها وعليه فمَن قرأ الأُنموذجية كان عند الله ولا عبرة بالمنتقد كمن قرأ خمسمائة وأربعين ألف مليون من مطلق الصلوات). وقال: (وثلاث منها فداء من النار وغير ذلك مما لا يُحصَى من فضائلها). وقال: (وقد كان القطب الأشهر سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه رآها في لوح التعيّنات فأراد أن يُخرجها

لأصحابه فقيل له: إنها ليست له إنها لمحمد بن عبد الكبير الكتاني الأحمدي الإبراهيمي الصِّدِّيقي الأُوَيسي يظهر في القرن الرابع عشر). وقال: (وكم صلَّيت بصلاة الأُنموذجية الكتانية وهو ـ أي سيّدنا محمد (ص) ـ واضع يده اليُمنى على صدره ويتمايل فإذا في الجنة وهو يأمر الحور العين يكتبها على شجرة طوبى).

ـ صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك، وسلِّم على سيِّدنا محمد وعلى آله سلامًا يعدل سلامهم) هذه الصلاة التي المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات.

ـ صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد مَنِ افْتَتَنْتَ به وجودَ الخلائق طُرًّا، وختمْتَ به عِقْدَ النبوة الغرَّا، وَجَعَلْتَهُ أعلى النبيِّين فَضْلاً وأعظمَهُمْ أجرًا، وخَلَقْتَ جميعَ الأنوارِ مِنْ نُوره فزادَتْ رُتْبَتُهُ بذلك قَدْرًا، صلاةً وسلامًا دَائِمَيْنِ لائِقَيْنِ بتلك الحضرة العَلِيَّة، عدد أفْراد أنواعِ البَرِيَّة، مَا ظَهَرَ في الوجود مِنْها وما بَطَن، وما تَحَرَّكَ وما سَكَن، وعدد مَا لَكَ في خَلْقِكَ مِنْ إفضال وَمِنَن، وَعَدَدَ كل عَدَدٍ وَقَعَ وَسَيَقَعُ في المُلْكِ والمَلَكُوتِ إنْ أُرِيدَتْ إحَاطَتُهُ لا يُحْصَى، أوْ جَمْعُ أنواعِ جُمَلِهِ وأفْرادِهِ بِعَدٍّ لا يُسْتَقْصَى، أللَّهمَّ اشْرَحْ بها صُدورنا، ويَسِّرْ بها أمورنا، وأخرِجْنا بها من كل ضيق وعُسْر، إلى كل فرج ويسْر، وقَرِّبْنا بها قُرْبَةً نصير بها لديك من أعلى المقَرَّبين، واكتبنا عندك من المحبوبين، وابْعِدْنا مِنْ ديوان العُدَاءِ والمطْرُودين، وبَارك اللَّهمَّ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمدُ لله ربّ العالمين). قال الشيخ محمد التافلاتي الخلوتي رضي الله عنه: (هذه الصلاة لسيدي الشيخ مصطفى البكري نقلت من اللوح المحفوظ قراءتها كل مرة بمقدار سبعين من الدلائل).

ـ صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيَّته وأهل بيته عَدَدَ ما في عِلْمِك صلاةً دائمةً بدوامِ مُلْكِكَ). قال سيدي الصغير بن ميار رضي الله عنه: (مَن قرأها مرة واحدة كأنما قرأ دلائل الخيرات أربعين مرة).

ـ الصلاة الذاتية للشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على الذَّاتِ المطَلْسَم والغَيْبِ المضَمْضَمِ والكَمَالِ المكْتَتَمِ لاهُوتِ الجمال وناسُوتِ الوِصَال طَلْعةِ الحَقِّ كَثَوْبِ عَيْنِ إنْسَانِ الأَزَلِ فِي نَشْرِ مَنْ لَمْ يَزَلْ، مَنْ أَقَامَتْ بِهِ نَوَاسِيتُ الفَرْقِ فِي قابِ قَوْسَيْنِ نَاسُوتِ الوِصالِ الأَقْرَبِ إلى طُرُقِ الحَقِّ فَصَلِّ اللَّهُمَّ بِهِ فِيهِ مِنْهُ عَلَيْهِ). عن سيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه أن قراءة صيغة هذه الصلاة تعدل ثواب دلائل الخيرات، وقد وصل بها مؤلِّفها القطب الأفخر

سيدي الشيخ الأكبر إلى مقامات أهل العرفان وصار غوث الزمان وبها له دارت رحى الكون وصار له بها المجد والعون.

. صلاة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النُّورانية ولَمْعَةِ القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأسرار الربّانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السَّنِيَّة والرتبة العَلِيَّة مَنِ انْدَرَجَتِ النبيّون تحت لوائه فَهُمْ مِنْهُ وإليه، وَصَلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلقتَ ورزقتَ وَأَمَتَّ وَأحْيَيْتَ إلى يوم تَبْعَثُ مَنْ أَفْنَيْتَ وَسَلِّمْ تسليمًا كثيرًا والحمد لله ربّ العالمين). هذه الصلاة قراءة ثلاث مرات منها تعدل قراءة دلائل الخيرات.

. صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من النبيين والمرسَلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هذه صلاة أُولي العزم مَنْ قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم كتاب دلائل الخيرات، نقل ذلك شُرَّاحها عن مؤلّفها سيدي الجزولي رضي الله عنه.

. صلاة السعادة:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام مُلْك الله). نقل سيدي أحمد الصاوي رضي الله عنه عن بعضهم أن هذه الصلاة بستمائة ألف صلاة.

. صلاة الفاتح لسيدي محمد البكري رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ والخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والناصر الحَقَّ بِالحَقِّ والهادي إلى صراطك المستقيم صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه حَقَّ قَدْرِهِ ومقداره العظيم). هذه الصلاة بستمائة ألف صلاة.

. صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد مَا اتَّصَلَتِ العُيُونُ بِالنَّظَر، وَتَزَخْرَفَتِ الأَرَضُونَ بالمطَرِ، وحَجَّ حَاجٌّ وَاعْتَمَرَ، وَلَبَّى وحلقَ ونَحَرَ، وطَافَ بِالبيت العتيق وَقَبَّلَ الحَجَر). قال الشيخ العياشي رضي الله عنه: (رأيت في ورقة في جدار قبّة بعض الأولياء ما نصه: هذه الصلاة مَن قالها مرة بخمسمائة ألف).

. صلاة النور الذاتي للإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد النور الذاتي والسّرّ الساري في سائر الأسماء والصفات). هذه الصلاة بمائة ألف صلاة.

. صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد عبدك ونبيِّك ورسولك النبي الأُمِّي وعلى آله وصحبه وَسَلِّمْ تسليمًا بِقَدْرِ عظمة ذاتك في كل وَقْتٍ وَحِينٍ). قال الهاروشي رضي الله عنه: وجدت مقيدًا عليها أنها بمنزلة مائة ألف صلاة.

. صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله صلاةً تَزِنُ الأَرَضِينَ والسمواتِ عددَ ما في عِلْمِكَ وعددَ جواهِرِ أَفْرَادِ كُرَةِ العَالَمِ وَأَضْعَافَ ذلك إنك حميد مجيد). قال العياشي رضي الله عنه: هذه الصلاة لها سرٌّ كبير وأجْر عظيم لمن وفَّقه الله لقراءتها، الواحدة منها بمائة ألف صلاة.

. الصلاة الكمالية (اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد وعلى آله عَدَدَ كمالِ الله وكما يليق بكماله). عن العلاّمة أحمد المقري المالكي رضي الله عنه أن ثواب هذه الصلاة الشريفة يعدل أربعة عشرة ألف صلاة.

. صلاة نور القيامة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ولسان حجتك وعروس مملكتك وإمام حَضْرَتِك وطِرَاز مُلْكِكَ وخزائن رحمتك وطريق شريعتك المتلذِّذ بتوحيدك، إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود، عَيْنِ أَعْيَانِ خَلْقِكَ المتَقَدِّمِ مِنْ نُورِ ضيائك، صلاة تدوم بدوامك وتَبْقَى ببقائك لا مُنْتَهَى لها دون عِلْمِك صلاة تُرضيك وترضيه وترضى بها عنّا يا ربّ العالمين). قال سيدي أحمد الصاوي رضي الله عنه وغيره: هذه الصلاة وُجِدَت على حجر بخط القدرة وهي صلاة نور القيامة سُمِّيت بذلك لكثرة ما يحصل لذاكِرِها بذلك اليوم من النور، في شرح دلائل الخيرات عن بعض الأولياء الأكابر أنها بأربعة عشر ألف صلاة.

. صلاة سيدي أحمد الخجندي رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله صلاة أنت لها أهل وهو لها أهل). أفاد الحافظ السيوطي رضي الله عنه أن كل مرة منها بأحد عشر ألف صلاة.

. صلاة مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد السَّابقِ لِلْخَلْقِ نُورُهُ ورحمةٌ للعالمين ظهورُه عدد مَنْ مَضَى من خلقك ومَن بقي ومَن سعد منهم ومَن شقي صلاة تستغرق العدَّ وتُحِيطُ بالحَدِّ صلاة لا غاية لها ولا مُنْتَهى ولا انقضاء

صلاة دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا مثل ذلك). قال السخاوي رضي الله عنه: كل مرة منها بعشرة آلاف صلاة.

. صلاة شمس الكنز الأعظم وهي القطب العيدوسي رضي الله عنه:

(أللّهمَّ اجْعَلْ أفْضَلَ صَلَوَاتِكَ أبدًا وأَنْمى بَرَكَاتِكَ سَرْمَدًا وَأَزْكى تَحِيَّاتِكَ فَضْلاً وعَدَدًا على أَشْرعفِ الخَلائقِ الإنسانيةِ ومَجْمَعِ الحقائق الإيمانية وَطُورِ التَّجَلياتِ الإحسانية ومَهْبِطِ الأسرار الرَّحمانية، وَاسِطَةِ عِقْدِ النبيين، وَمُقَدَّمِ جَيْشِ المرْسَلين، وقَائِدِ رَكْبِ الأنبياء المكرَّمِين، وأَفْضَلِ الخَلائق أجمعين، حَامِلِ لِوَاءِ العِزِّ الأَعْلَى، ومَالِكِ أَزِمَّةِ المجْدِ الأَسْنَى، شَاهِدِ أسرار الأَزَل، ومُشاهِدِ أنْوارِ السَّوَابِقِ الأُوَل، وتَرْجُمَانِ لِسَانِ القِدَمِ، ومَنْبَعِ العِلْمِ والحِلْمِ والحِكَمِ، مَظْهَرِ سِرِّ الجُودِ الجُزْئي والكُلِّي، وإنسان عين الوجود العُلْوي والسُّفْلي، رُوحِ جسدِ الكَوْنَيْن، وَعَيْنِ حَياةِ الدَّارَيْنِ، المتَحَقِّقِ بِأَعْلَى رُتَب العبودية، المتَخَلِّقِ بأخلاق المقامات الاصطفائية، الخليلِ الأعظم والحبيب الأكرم سيِّدنا محمدٍ بن عبد الله بن المطّلب، وعلى سائر الأنبياء والمرسَلين، وعلى آلهم وصَحْبِهِم أجمعين، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عَنْ ذِكْرِهِمُ الغافلون). قال سيدي نور الدين الشوني رضي الله عنه: فإني وجدت ثوابها في الآخرة تعدل المرة الواحدة منها عشرة آلاف من غيرها.

. الصلاة الريسونية:

(اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد وعلى آله كَمَا لا نِهَايَةَ لِكَمَالِكَ وعَدَّ كَمَالِهِ). عن الشيخ الشريف الحسني أبي عبد الله محمد بن علي الشهير بابن ريسون رضي الله عنه أنه رأى المصطفى صلَّى الله عليه في النوم ولقَّنه هذه الصلاة، وصحَّ أيضًا عن النبي (ص) أنها بعشرة آلاف.

. صلاة رفع الأعمال:

(أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد النبي عدد مَن صلَّى عليه من خلقك، وصَلِّ على سيِّدنا محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلِّي عليه، وصَلِّ على سيِّدنا محمد النبي كما أمرتنا أن نصلِّي عليه). ورد في بعض الآثار أن مَن صلَّى بها عشرًا في الصباح وعشرًا في المساء رُفِع له مثل عمل أهل الأرض.

. صلاة العالي القَدْر:

(أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد النبي الأُمِّي الحبيب العالي القَدْر العظيم الجاه وعلى آله وصَحْبِهِ وسَلِّمْ). قال الإمام السيوطي رضي الله عنه: مَنْ لازم على هذه الصلاة كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي (ص).

. صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على محمد صلاة تكون لك رضاء ولِحَقّه أداء). يُروَى عن سيدي عمر الهمذاني رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله (ص): «مَنْ قال كل يوم: أللَّهمَّ صَلِّ على محمد صلاة تكون لك رضاء ولِحَقْه أداء ثلاثًا وثلاثين مرة إذا مات فتح بين قبره وقبر نبيّه محمد (ص).

. صلاة (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاةً تَتَفَاضَلُ على كُلِّ صَلاةٍ صَلاَّهَا المصَلُّونَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إلى آخِرِهِ كَفَضْلِ الله على خَلْقِهِ وَمِلْءَ الميزَانِ وَمُنْتَهَى العِلْم) هذه الصلاة مذكورة في كتاب مسالك الحنفاء.

. الصلاة المشيشية:

نقل سيدي عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه أن بعض العارفين قال أن مَن صلَّى بالمشيشية على النبي (ص) مرة فكأنما صلَّى بجميع الصلوات الموجودة والتي ستوجد.

قال العارف بالله الهاروشي رضي الله عنه: سألت شيخنا العياشي عن الثواب المذكور في بعض فضائل الأعمال المروية عن غَيْر رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى آله بالصلاة الفلانية فَلَهُ كذا وكذا وهي بمثابة فِدْيَة أو بالصلاة الفلانية تعدل عشرة آلاف أو غير ذلك فأجاب بأن ذلك مما يلهمه الأولياء يرونه مكتوبًا بقلم القدرة على حَجَر أو وَرَق شَجَر أو يَسْمَعُون الهاتف بذلك أو يَتَلَقَّوْنَهُ عن النبي صلَّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى آله في النوم أو اليقظة، قال الهاروشي: أو تخاطب به عوالمهم اللطيفة وهو أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم رَضي الله عنهم دليلُه من السُّنَّة قوله صلَّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى آله: «لقد كان فيما قبلكم من الأُمم ناس مُحَدَّثون فإن يكن في أُمتي أحَدٌ فإنه عمر».

الصلوات التي ذكرناها مأخوذة من شفتيه الشريفتين من غير واسطة تلقّوها منه (ص) على مرأى ومَسمَع، كل واحد من هؤلاء الرجال لقّنه سيد الوجود صلاة خاصة به وهو في حجريه جالس يتحدَّث معهم في شؤون دينهم ويأخذون منه العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب على قدر اجتهادهم ومحبتهم وتصليتهم عليه والمدح والثناء عليه. مَنْ يُصَلِّي على سيِّد الوجود أو يمدحه أو يُثني عليه أو يفرح به فإن سيد الوجود يفرح به ويعرف اسمه وصورته ويسمع صوته ويشاهده ويتشفّع فيه دنيا وآخرة.

قالت الحضرة الإلهية: (إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلِّموا تسليما) لأجل هذا صلّى عليه الرجال بجميع الصلوات والتسليمات، قال أبو الليث السمرقندي رضي الله عنه: (إذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي (ص) أقضل العبادات فانظر هذه الآية فأمر الله عباده بسائر

العبادات وصلّى عليه بنفسه أوّلاً وأمر ملائكته بالصلاة عليه ثم أمر المؤمنين بأن يصلّوا عليه). مَن شغلته الصلاة على سيّد الوجود عن مسألته أعطاه الله تعالى ما يتمنى دنيا وأخرى. المَوَفَّقُ يتفكّر في أمداد الصلاة على سيّد الوجود وأسرارها وأنوارها ومواهبها وخُدَّامها وتصاريفها. كُلُّ مَن ربح من الأولياء والعلماء والصالحين كلهم ربحوا بالصلاة على النبي.

الصلاة على سيد الوجود لها مزايا ولها فضائل لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، منها:

قال رسول الله (ص): «ما مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي عليَّ إلاَّ صَلَّتْ عليه الملائكة ما دام يُصَلِّي عَليَّ فَلْيُقْلِلِ العَبْدُ مِنْ ذلك أوْ لِيُكْثِرْ» رواه الإمام أحمد. وقال (ص): «مَنْ صلَّى عليَّ مَرَّةً صَلَّى الله عليه عشرًا» رواه مسلم، وقال (ص): «أتاني آتٍ من عند ربي عزَّ وجلَّ فقال: مَنْ صَلَّى عليك من أُمّتك صلاةً كتب الله له بها عَشْرَ حسناتٍ، ومَحَا عنه عشْرَ سيئاتٍ وَرَفَعَ له عشر درجاتٍ وَرَدَّ عليه مِثْلها» رواه الإمام أحمد. وقال (ص): «مَن صلَّى عليَّ صلاة واحدة صلَّى الله عيه عشرًا، ومَن صلَّى عليَّ عشرًا صلَّى الله عليه مائة، ومَن صلَّى عليَّ مائة كتب الله تعالى له بين عينيه براءة من النِّفاق وبراءة من النار وأسكنه يوم القيامة مع الشهداء» رواه الطبراني. وقال (ص): «مَن صلَّى عليَّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة» أخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب. وقال (ص): «أكثِروا الصلاة عليَّ في يوم الجمعة فإنه ليس يصلِّي عليَّ أحد يوم الجمعة إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاته» رواه البيهقي. وقال (ص): «الصلاة عليَّ نور على الصراط فمَن صلَّى عليَّ يوم الجمعة ثمانِينَ مَرَّةً غُفِرَتْ له ذُنُوبُ ثَمَانِينَ عَامًا» رواه الدارقطني. وقال (ص): «مَن صلَّى عليَّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق لوسعهم» رواه أبو نعيم. وقال (ص): «أكثِروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة، فَمَنْ فَعَلَ ذَلك كنْتُ له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة» رواه البيهقي. وقال (ص): «أكثروا من الصلاة عليَّ فإن صلاتَكُمْ عليَّ مغفرةٌ لذنوبكم واطلبوا لي الدرجةَ والوسيلة فإن وسيلتي عند ربي شفاعةٌ لكم» رواه ابن عساكر. وقال (ص): «مَن صلَّى عليَّ حين يصبح عشرًا وحين يُمسي عشرًا أدركته شفاعتي» رواه الطبراني. وقال (ص): «أوْلى الناس بي يوم القيامة أكْثَرُهُمْ عليَّ صلاة» رواه الترمذي. وقال (ص): «البخيل مَن ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عليَّ» رواه الترمذي. وقال (ص): «مَنْ ذُكِرْتُ عنده فَخَطِيء الصلاة عليَّ خَطِيء طريق الجنة» رواه الطبراني. (عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ص) إذا ذَهَبَ ثُلُثُ الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءتِ { 6 6 7 8 7 }[(56)]، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه، قُلْتُ

يا رسول الله: إني أُكْثِرُ الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قُلْتُ: الرُّبُع؟ قال: «ما شئتَ فإن زدت فهو خير لك»، قلتُ: فالنصف؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلتُ: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»، قلتُ: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إِذَنْ تَكْفِنِي هَمَّكَ ويُغْفَرُ لك ذَنْبُكَ» رواه الترمذي.

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: (أُخِذَ علينا العهد العام من رسول الله (ص) أن تُكثِر من الصلاة والتسليم على رسول الله (ص) ليلاً ونهارًا ونذكر لإخواننا ما في ذلك من الأجْر والثواب ونُرَغِّبهم فيه كل الترغيب إظهارًا لمحبته (ص) وإن جعلوا لهم وِرْدًا كل يوم وليلة صباحًا ومساءً مِنْ أَلْفِ صلاة إلى عشرة آلاف صلاة كان ذلك من أفضل الأعمال) فأين أنت من هذا وأين هذا منك يا أيها الكسول، أمَا علمت أن الصلاة على النبي هي مفتاح القُرُبات عند الله؟! أما علمتَ أن عَالِمًا جميع المعاملات فيه (الأكل واللباس والنِّكاح والبيع والشراء...) كلها بالصلاة على النبي وهذا العالم هو عالَم السِّمْسِما. حكى الثعلبي في كتاب العرائس أن لله خَلْقًا وراء جَبَلِ قاف لا يعلم عددهم إلا الله ليس لهم عبادة إلا الصلاة على رسول الله (ص).

قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه: (أللَّهمَّ صَلِّ على مَنْ بالصلاة عليه تُحَطُّ الأوْزار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَن بالصلاة عليه تُنَالُ منازلُ الأبرار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَن بالصلاة عليه يُرْحَمُ الكبارُ والصغار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَن بالصلاة عليه نَتَنَعَّمُ في هذه الدار وفي تلك الدار، أللَّهمَّ صَلِّ على مَن بالصلاة عليه تُنالُ رحمةُ العزيز الغفار).

ثم شرع الشيخ مولاي عبد السلام يصلّي ويُثني بهذه الصلاة وهي:

صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله (صلاةً) أي صَلِّ صلاة كاملة تامة.

(صلاة تليق بك) أي صلاة متقونة بالإحسان والإتقان والتدقيق والأناقة والتشوُّق والذوق والعشق والمحبة والخشوع، أي صلاة متقونة من كل جهة ومكان: صلاة مُستَوفية الشروط، أي صلاة بالذات والنفس والقلب والروح والعقل والعلم والفكرة والهِمَّة.

صلاة تليق بك، أي بك يا رسول الله: صلاة تُحِبُّها وتعظِّمها وتمجِّدها لأن الصلاة تُعْرَضُ على سيد الوجود فيسمعها ويرضى عن المصَلِّي.

صلاة تليق بك بقدر عظمتك وكمالك وجاهك عند الله من غير واسطة فيما بيني وبينك وفيما بينك وبين الله ليكون قدر هذه الصلاة عظيمًا عندك وعند الله لذلك قال ابن زكري رضي الله عنه:

وإذا ما الجناب كان عظيمًا

مُدَّ لخادمه اللواء

(صلاة تليق بك منك إليه) بلا واسطة أحد من خلقك ولا شك أن الهدايا على مقدار مُهْدِيها فهذه الصلاة المشيشية مَنْ قرأها بشروطها وآدابها فهي أعظم وأكبر وأجلّ من جميع الهدايا التي تُهْدى لسيّدنا محمد (ص) فإن اجتمعت فيها الشروط عند قراءتها فَتَهَيَّأْ لِحُضُور سيد الوجود لسماعك هو ورفقاؤه. هذه الصلاة المشيشية من الصلوات التي يحضر فيها سيدنا محمد وأصحابه المِلاَح تعظيمًا لقدرها عند الله تعالى لأنها جاءت من خزائن الله التي لم يطَّلع عليها مَلَك مُقَرَّب ولا نبيّ مُرسَل وإنما يقذف الله هذا السر المصون في قلوب العارفين تارة تصليات وتارة أدعيات وتارة توسّلات وتارة مُناجاة وتارة حِكَمًا وتارة علومًا ومعارف ومفاهم ومدارك ومشارب وحقائق ودقائق ورقائق بحسب التجليات فهذه الفيوضات كلها مستمدّة من حضرة الرسول ومن أمداده ومن رشحاته لذلك أشار ابن مشيش رضي الله عنه في تصليته كأنه يقول: أللَّهمَّ عَظِّمْ ثوابَ قراءة هذه الصلاة كما عَظَّمْتَ سيِّدنا محمدًا وعظَّمت قدره وجاهه ومكانته عندك.

(كما هو أهله) أي ما يستحقه من الإجلال والتعظيم والتبجيل. كما هو أهله، أي كما تحبّ وترضى. روى الطبراني مرفوعًا (مَن قال جَزَى الله عنَّا محمدًا ما هو أهْلُهُ أَتْعَبَ سَبْعينَ كاتبًا ألْفَ صَباح).

. (صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله) الصلاة من الله تعالى ليست كصلاتنا، نحن ضعفاء وصلاتنا ضعيفة وأما العظيم الأعظم فصلاته عظيمة ولا تُكَيَّفُ، قال سيدي محمد الجزولي رضي الله عنه (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد صلاتك التي صلَّيت عليه وسلِّمْ على سيِّدنا محمد سلامك الذي سلَّمتَ عليه واجزه عَنَّا ما هو أهله).

. صلاة تليق بك منك إليه: قال الشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (فَصَلِّ أللَّهمَّ به فِيهِ مِنْهُ عَلَيْه). وقال سيدي محمد بْن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه: (السلام عليك منك إليك لديك). وقال: (السلام عليك بك لك عليك).

. صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله: لذلك العارفون رضي الله عنهم صَلّوا على النبي بجميع أنواع الصلوات وأشكالها وصيغاتها كالإمام الجزولي وغيره. لما فرغ الشيخ ابن مشيش من أنواع الصلوات شرع يتوسّل ويتضرّع إلى الله بسيدنا محمد ويقول:

أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع الدّالّ عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك.

سيِّد الوجود هو السِّرُّ الساري في الظهور والبطون، والمشْرِقُ في القلوب والعيون، والمشعشع في العوالم كلها، الذي أزاح الله به الظلمات عن كل ذي بصيرة من أهل العرفان فانشكفت لهم الأنوار والأسرار وارتفعت عنهم الحُجُب والأستار وقرّبهم لحضرته وأجلَسهم على منصةِ الإجلال والوقار وتوَّجهم بتيجان المفاخر والعزّ واليُمْن والاستبشار (ص) هن السِّرُّ الذي سَرَى في الوجود، قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمد النور الذاتي والسِّرّ الساري في سائر الأسماء والصفات).

سيّد الوجود هو السرّ الجامع: قال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه: (وذلك أنه (ص) جَمَعَ الله له نور الأنبياء وإرشاد الرُّسُل وهداية الأولياء ثم اختصّه بنور الخَتْم، وههنا لطيفة وهي أن اسم محمد الميم الأول منه إذا قلت ميم كان ثلاثة أحرف والحاء حرفان حاء وألف والهمزة لا تُعَدُّ لأنها ألف والميمان المضعفان كذلك ستة أحرف والدال كذلك دال ألف لام، فإذا عددت حروف اسمه كلها ظاهرها وباطنها حصل لك من العدد ثلثمائة وأربعة عشر على عدد الرُّسُل الجامِعِين للنبوّة ويبقى واحد من العدد هو مقام الولاية المفرَّق على جميع الأولياء والصالحين التابعين للأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام).

(ص) هو الحجاب الأعظم وذلك أن الأعمال كلها تُعرَض على سيد الوجود فإن قبلها تُعرَض على الحضرة الإلهية وإن لم يقبلها رُدَّت على وجه صاحبها.

أللَّهمَّ أَلْحِقْني بِنَسَبِهِ وَحَقِّقْني بِحَسَبِهِ يجب على كل عاقل لبيب أن يعرف أسماء نبيّه والسلسلة النسبية إلى عدنان.

نسبه من جهة أُمه المِصونة سيدتنا آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وكلاب هو جدّ أبيه.

نسبه من جهة أبيه محمد (ص) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيْ بن غالِب بن فِهْر بن مَالِك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان إلى هنا وصل نسبه المتفق عليه لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا ترفعوني فوق عدنان» وعدنان قريب العهد بإسماعيل عليه السلام.

النسب مختلف ومتعدّد فهناك نسب الطين والروح والعقل، ونسب الدين، ونسب العلوم والمعارف والمفاهم، ونسب الولاية، ونسب الأسرار والأنوار... الخ.

(أللَّهمَّ ألحِقني بنسبه) معناه أللَّهمَّ ألحِقني بنسبه الطيني والديني والخَلْقي والخُلُقي ودوام اتباعه في أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه وسيرته وشريعته وإلا فلا ينفع النسب الطيني، قال الله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ}[(57)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «ومَن أبطأ به عمله لا يُسرع به نسبه».

أشرف النسب هي التقوى وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ومحبة الله ومحَبةِ الرَّسُول ومحبة أهل الله ومحبة أهل البيت.

نسبه وحسبه (ص) هي قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[(58 [(، معناه اتصّف بصفات الله فهي نسبه الشبحي والروحي نسبه وحسبه هي طريقة الصوفية المحضة الصافية النقية الزكية الخالصة أهل التجريد والتفريد انفردت قلوبهم مع الحق، ذاتهم في الحانوت وقلبهم في الملكوت لأن نظرهم عبرة وصمتهم فكرة وكلامهم ذِكْر.

قال سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه: (قول الشيخ في صلاته «أللَّهمَّ ألحِقني بنَسبه» معناه كونه خليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ متَّصفًا بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنه عينه، فهذا هو نسبه من الحضرة الإلهية، أو تقول طلب الشيخ من الله أن يحقّقه بنسبته (ص) من الحضرة الإلهية وتحقّقه بحسب ذلك النسب وهي العلوم المحمدية والأولياء. فيها كلٌّ على قدر نصيبه ومحتده فغاية ما يدرك منها اثنين وسبعين، فمَن وصل إلى ستة وستين من العلوم المحمدية أو أزيد فلا يضرّه مجالسة الخلق للحق ولا مكالمتهم فلا يسمع إلا من الله واستوت خلوته وجلوته، ومَن أدرك العلم الأول من العلوم المحمدية وقسمه على اثنين وسبعين جزءًا أو علم جزءًا واحدًا من اثنين وسبعين جزءًا فله إن أراد أن يفسّر كل آية من كتاب الله تعالى باثنين وسبعين وجهًا من التفسير وأحاط بجميع العلوم الظاهرة والباطنة هذا لمن علم جزءًا واحدًا من اثنين وسبعين جزءًا من العلم الأول فضلاً عن العلم الواحد كله فضلاً عن اثنين أو ثلاثة إلى آخر اثنين وسبعين علمًا فاعرف النسبة).

وَعَرِّفْني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل (وعَرِّفْني إياه) أي طلب معرفة هذه الصفات التي ذكرناها أعلاه قبل أن يطلب معرفة الله لأن لكل داخل باب، قال تعالى: {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}[(59)] فَبَابُ الله سيِّدنا محمد (ص)، وباب سيِّدنا محمد الخلفاء من بعده، وباب الخلفاء

التابعون وباب التَّابعين العلماء العارفون وهم شيوخ طريقة الصوفية الذين قدمهم على قدم الرسول في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وأخلاقهم وسِيرتهم.

. وعرّفني إيّاه معرفة حق معرفته أُشاهد بها محيّاه وأسير بها في مواكب الأنوار والأسرار ورفع الأستار إلى حضرة الملك الجبار.

. (وعَرِّفْني إياه) أي وعرِّفني عظمته وسلطانه وسيادته وعزّه ومجده.

. وعرِّفني قدره وجاهه وشرفه ومقاماته ومنزلته ودرجته ورتبته ومِزيته وفضيلته ووسيلته وكرامته ومكانه عند الله تعالى.

. وعرِّفني حَقَّه العظيم علينا وفَضْله علينا.

. وعرِّفني من أسراره وأنواره وأمداده وفَيْضه.

. وعرِّفني من علومه ومعارفه ومفاهمه ومداركه ومشاربه... الخ.

. وعرِّفني أقواله وأفعاله وأخلاقه وشمائله وسيرته الظاهرة وسيرته الباطنة وكراماته ومعجزاته.

. وعرِّفني أسماءه وصفاته وذواته.

. وعرِّفني حُسْنَهُ وجماله وبَهْجَته وبهاءَه وكماله ونضاره وَرَوْنَقَهُ.

. وعرِّفني فضائله ومحاسِنه وشِيَمَهُ وسَجَاياه.

. وعرِّفني صوره وأوصافه الظاهرة والباطنة.

قال سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه بخصوص بعض أوصاف سيد الوجود: (عليه الصلاة والسلام فإن قلبه عرْشي وبساط نفْسه كرْسي وسرّه جبروتي ومظهر رُوحِهِ مَلَكُوتي ومُقْتَضى عَقْله قُدْسي).

سيد الوجود له صور عديدة: الصورة التي التقى بها الحق جلَّ جلاله، والصورة التي التقى بها جبريل عليه السلام، والصورة التي التقى بها ميكائيل عليه السلام، والصورة التي التقى بها إسرافيل عليه السلاة، والصورة التي التقى بها الأنبياء عليهم السلام، والصورة التي التقى بها العارفين والأولياء رضي الله عنهم.

النبي (ص) له صفات ظاهرة وله صفات باطنة، الصفات الظاهرة يصفها علماء الظاهر، وأما الصفات الباطنة فيصفها علماء الباطن.

قال سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:

وَعلى تفنّن واصفيه لِحُسنه	يَفْنَى الزمان وفيه ما لم يوصف

وقال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

إن من معجزاتك العجز عن وصفك	إذ لا يَحُدُّهُ الإحصاءُ
كيف يستوعب الكلامُ سَجَايَاك	وهل تَنْزِحُ البحارَ الرِّكاءُ

وعَرِّفْني سُنَّتَهُ وخصائصه وطبيعته:

. طبيعة سيِّدنا محمد (ص) نورانية: لا مائية ولا ترابية ولا ريحية ولا نارية.

. من بين خصائصه ما قاله أحد العارفين:

خُصَّ نبيّنا بعشرة خِصال	لم يحتلم قطّ ولا له ظلال
والأرض ما يخرج منه تبتلع	كذلك الذُّباب عنه مُمتَنع
تنام عيناه والقلب لا ينام	من خلفه يرى كما يرى أمام
لم يتثاءب قطّ وهي السابعة	وُلِد مختونًا إليها تابعه
تعرفه الدّواب حين يركب	تأتي إليه مُسرِعة لا تهرب
يعلو جلوسه جلوس الجلسا	صلّى عليه الله صُبحًا ومسا

. وعرِّفني إيّاه أي وعرِّفني سُنّته. عن عليّ رضي الله عنه قال: سألت رسول الله (ص) عن سُنَّتِه فقال: «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذِكْر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصَّبر ردائي والرِّضاء غنيمتي والعجز فخري والزّهد حِرفَتي واليقين قُوَّتِي والصِّدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خُلقي وقُرَّة عيني في الصلاة». هذه صفات من صفات سيّد الوجود ومَن اجتمعت فيه هذه الصفات نالَ وراثته عليه السلام.

. سيِّد الوجود له ذوات وله صور وله صفات وله أسماء وله خُدَّام. أهل الأرض وأهل السماء وأهل السِّمْسِما، أهل الدنيا وأهل الآخرة كلهم خُدَّام سيِّد الوجود. كل ما يوى الله يتصرَّف فيه الغوث. والغوث ما هو إلا نائب عن سيد الوجود.

. قال سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه: (فله عليه السلام من الصور التي يظهر فيها مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا ومثل هذا العدد في أولياء أُمته عليه السلام فله عليه السلام الظهور في مائتي ألف وثمانية

وأربعين ألفًا لأن الجميع مستمد من نوره عليه السلام ومن هنا يقع كثيرًا للمُريدين رؤيته عليه السلام في ذوات أشياخهم).

رؤية سيِّد الوجود (ص) لها مزايا لا تُعَدُّ ولا تُحصى:

ومن بين المزايا ما قاله العارف بالله سيدي محمد بن عبد الكريم السمان رضي الله عنه: (اعلم أن كل مَن رأى النبي (ص (من الأولياء في تَجَلٍّ من التجليات الإلهية لابسًا خلعة من خلع الكمال فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتصدّق بتلك الخلعة على الذي رآه بها وهي له هدية من الرسول (ص) فإن كان قويًّا أمْكَنَ له لُبسها على الفور في الدنيا وإلا فهي مُدَّخَرَة له عند الله تعالى يلبسها متى يقوَى استعداده إما في الدنيا وإما في الآخرة، فمَن حصلت له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا ففي الآخرة تكون هذه الفُتُوَّة له من النبي صلَّى الله تعالى عليه وسلّم، وكل مَن رأى ذلك الوليّ أيضًا في تَجَلٍّ من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإن ذلك الوليّ يخلعها ويتصدَّق بها نيابة عن النبي (ص) على ذلك الرائي الثاني وتنزل من المقام المحمدي للوليّ خلعة أخرى أكمل من تلك الخلعة عِوَض ما تصدَّق به عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهكذا إلى ما لا نهاية له. ولم تزل هذه الفُتُوَّة دأْبه وعادته لسائر مَن يراه من الأولياء أبَدَ الآبدين).

وقال سيدي علي بن وفا رضي الله عنه: (كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته يومًا فرأيت النبي (ص) يقظةً لا منامًا وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص عليَّ فقال لي: اقرأ، فقرأت عليه سورة والضحى وسورة ألم نشرح ثم غاب عنّي، فلما بلغت إحدى وعشرين سنة أحْرَمْتُ لصلاة الصبح بالقرافة فرأيته (ص) قبالة وجهي فعانقني فقال: «{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ *}[(60)]» فأُوتيت لسانه من ذلك الوقت).

. وعرِّفني إيّاه أي أسألك يا ربّ رؤية سيد الوجود، قال سيدي جسوس رضي الله عنه في كتابه شرح الشمائل النبوية: (قال رسول الله (ص): «مَن رآني فقد رأى الحق» فإنه (ص) رأى المولى جلَّ جلاله فمَن رآه فقد رأى مَن رأى وهذه خصوصية عظيمة ومِزية فخيمة لم تثبت في الدنيا لأحد ولا تكون لأحد ولهذا اصطفَّت جنود الله وملائكته ليلة الإسراء على سدرة المنتهى ينظرون فيما رجع به (ص) من أنواع الجلال والكمال وكان الأمين جبريل يطوف به بين صفوف الملائكة تنويهًا بقدره وتفخيمًا لأمره فكان رؤساؤهم وعظماؤهم يضعون أجنحتهم في مواطىء قدميه (ص) ولهذا كان نبيّ الله موسى لما لقيه النبي (ص) يَرْدُدْه إلى الله ليرى مَن رأى وقد سأل سبعون ألفًا من الملائكة مولانا جلَّ جلاله النزول إلى الأرض لينظروا إليه

(ص) لِما يعلمون أنه أكرم الخلق على الله ولأنه رأى فيرون مَن رأى ولأنه المجلى الأعظم والمرآة الكبرى ولهذا كان الأكابر من الأولياء يغيبون في مشاهدته (ص) وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي: لو غاب عني رسول الله (ص) طَرْفَةَ عَيْنٍ ما أعْدَدْت نفسي من المسلمين).

. الطريقة لا تكمل إلا بمعرفة سيد الوجود، قال الشيخ أبو العباس الطنجي رضي الله عنه: (وَرَدْتُ على سيدي أحمد الرفاعي فقال: ما أنا شيخك إنما شيخك عبد الرحيم بقنا فدخلت على الشيخ عبد الرحيم فقال لي: أعرفت رسول الله (ص)؟ قلت: لا، قال لي: رُحْ إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله) ص) فَرُحْتُ إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله (ص) فرجعت إلى الشيخ، فقال لي: أعرفت رسول الله (ص)؟ قلت: نعم، قال: الآن كملت طريقتك لم تكن الأقطاب أقطابًا والأوتاد أوتادًا والأولياء إلا بمعرفة رسول الله (ص)).

وعرِّفني حلية سيد الوجود وكمالاته المعنوية حتى أُشاهده في الأُفق الأعلى فأكون حينذاك من أهل المقام المحمدي وأتحقّق بالكمال الإلهي

قال سيدي عبد الكريم الجيلي قدّس الله سرّه في كتابه «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية»: (وقد روينا عن الحسن بن علي رضي الله عنه عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله (ص) وكان وصَّافًا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئًا أتعلّق به، قال: كان رسول الله (ص) فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه الشريف تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب عظيم الهامة رجل الهامة إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أُذُنه إذا هو وفّره، أزهر اللون واسع الجبين أزجّ الحواجب سَوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه مَن لم يتأمله أشمّ كثّ اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان رقيق المسربة كان عنقه جِيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادِنًا متمسِّكًا سواء البطن والصدر مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرّد مَوصول ما بين اللبّة والسّرّة بشعر يجري كالخيط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنِكبَين وأعالي الصدر طويل الزندين رَحب الراحة شثن الكفَّين والقدمين وسائر أو قال: سائل الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبوا عنهما الماء إذا زال زال تقلعًا ويخطو تكفؤًا ويمشي هونًا ذريع المشيئة، إذا مشى كأنما ينحطّ من صبب وإذا التفت التفت جميعًا خاف الطرف نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جلّ نظره الملاحظة يسُوق أصحابه ويبدأ مَن لقيه بالسلام. قلت: صف لي

منطقَه، قال كان رسول الله (ص) متواصل الأحزان دائم الفكر ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمُه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكَلِم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثًا ليس بالجاف ولا المهين يعظّم النعمة ولا يذمّ شيئًا ولم يكن يذمّ ذواقًا ولا يمدحه ولا يُقام لغضبه إذا تعرَّض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار بكفّه كلها وإذا تعجب قلبَها وإذا تحدّث اتصل بها فضرب بإبهام اليُمنى راحة اليُسرى وإذا غضب أعرَض وشاحَ وإذا فرح غضَّ طرفه جلّ ضحكه التبسّم ويفتر عن مثل حَبّ الغَمام. هذا حديث جامع مَن تأمّله علم يقينًا أن هذه الصورة العظيمة أكمل صورة وأحسنها وأقومها ولو أخذنا ما قالت الحكماء في كتب الفراسة على ما يقتضي كل عضو عضو يكون هذا صفته لانتهى بنا الكتاب إلى مجلدات كثيرة ولكن اكتفينا من ذلك جميعه بذِكْر هذه الصورة الكاملة المعتدلة الخلقة ليستحضر المبتدي خيالَها في قلبه فيستمدّ من خيال هذه الصورة ما لا يحصل بدون ذلك، ومتى يعقل العبد هذه الصورة في قلبه وكان دائم الملاحظة لها حصلت له السعادة الكبرى وانفتح بينه وبين النبي (ص) طريق الاستمداد من غير واسطة حتى أنه إذا تصفَّى وتزكَّى وتطهَّر من خواطره النفسية والعقلية وما دونهما فإنه يرتقي في ذلك إلى أن تناجيه الصورة المحمدية فما دونه في عالم الأرواح فتظهر له كما هي عليه وتناجيه وتكلمه فيأخذ من رسول الله (ص) كما أخذ منه أصحابه، ومتى كان هذا العبد من أهل التوحيد الخاص فإنه يشهد بعد ذلك كمالاته المعنوية وبها يتقوّى للاتِّصاف بما يُقَدَّر له منها، ولا يزال كذلك حتى يشاهده في الملكوت الأعلى ثم يشهده في الأفق المبين، فإذا شاهده في الأفق الأعلى انطبع بالخاصِّيَّة المحمدية في مقابلة الوليّ كمالات محمدية من المقام المحمدي فَبِها يكمل في وجوده ويتحقّق بصفات معبوده، فمَن لا يرى رسول الله (ص) بالأفق الأعلى والمستوى الأزهى لم يكن من أهل المقام المحمدي فلم يتحقَّق بالكمال الإلهي).

وعرّفني إيّاه أي عَرِّفْني أسماءه (ص)

ذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتاب شوق العروس وأُنْس النفوس نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: (اسم النبي (ص) عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشيطان عبد القهّار وعند الحسن عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البرّ عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدّوس وعند الهوام عبد الغيا وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السِّباع عبد السلام وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغَفَّار

وفي التوراة موذموذ وفي الإنجيل طاب طاب وفي الصحف عاقب وفي الزّبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المؤمنين محمد (ص)). ذكر هذا كله القسطلاني في المواهب وذكر فيه من الأسماء والألقاب والكِنَى ما يزيد على أربعمائة. قال ابن دحية: أسماؤه (ص) تُقَرِّب من الثلثمائة وأنهاها بعض الصوفية إلى ألف.

. قال بعض الصوفية: لله تعالى ألف اسم وللنبي (ص) ألف اسم حكاه ابن العربي في العارضة.

قال سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه: (واعلم أن الأسماء الحُسْنى هي ألف اسم منها ثلثمائة في التوراة وثلثمائة في الإنجيل وثلثمائة في الزبور وواحد في صحف إبراهيم وتسعة وتسعون في الفرقان قد جمعت معاني تلك الأسماء كلها وأدخلت في التسعة والتسعين اسمًا التي في القرآن واحتوت عليها واشتملت على فضائلها وأسرارها وثوابها).

. لنَتَطرَّق الآن إلى ذِكْر بعض أسماء سيّد الوجود:

محمد وأحمد ومحمود وطه ويس والمدَّثر والمزَّمِّل والنجم الثاقب وعبد الله ونعمة الله وداعي إلى الله والصِّراط المستقيم والعروة الوثقى والحق المبين والسِّراج المبين وقدم صدق والرؤوف الرحيم والكريم والأمين والمنْذِر والنذير والمبشِّر والبشير والشاهد والشهيد والماحي والحاشر والعاقِب والمقَفَّى وخاتم النبيين ونبيّ الملاحم ونبي التوبة والنبي الأُمِّي ورحمة للعالمين ورسول الرحمة ورسول الراحة.

(ص) هو قُطْبُ رَحَى النبيين ونُقْطةُ دائرةِ المرسلين، قُطْبُ الجلالةِ وشمسُ النبوة والرسالة.

(ص) هو سِرُّ الأسْرار ونور الأنوار وروحُ الأرواح وقَلْبُ القلوب وحقيقة الحقائق وغاية الغايات وقُطْبُ الأقطاب وواحِدُ الآحادِ وغَوْثُ الأغواث ومَدَدُ الأمداد وجُودُ الجود وكَنْزُ الكنوز وعَيْنُ العيون وأصل الأصول وهيولى الهيولات ونَفَسُ الأَنْفَاسِ الرُّوحِيَّة وعَرْشُ العروش الذاتية.

(ص) هو السِّرُّ الأَنْزَهُ الأَكْمَلُ والنُّور الأول، السِّرُّ الأَبْهى والنور الأسْنى، فَاتِحُ خزائنِ الأسرار وخاتمُ دَوْرات الأنوار، السِّرُّ المَصون والنور المخزون، لَوْحُ الأسرار ونور الأنوار، مَعْدِن المعارف والأسرار ومَنْبَعُ العلوم والأنوار، شَمْسُ سماءِ الأسرار ومظهرُ الأنوار، مَغْرِبُ أسرار الذات ومَشْرِقُ أنوار الصفات، فَلَقُ صُبْحِ أَنْوارِ الوَحْدَانية وطَلْعَةُ شَمْسِ الأسرار الربَّانية.

(ص) هو سِرُّ الأسرار، ومعدن الأسرار، وخزائن الأسرار، ولَوْحُ الأسرار، وشمسُ سماء الأسرار، وشَمْسُ الأسرار الربَّانية، ومهبط الأسرار الرحمانية، وأمين الأسرار الإلهية، وسِرُّ إطلاق الأحدية، وسِرُّ الوجود، وسِرُّ الذات وَلَوْحُ التشكّلات، الجَوْهَرُ الفَرْدُ والسِّرُّ المِمْتَد، وسُلَّم الأسرار الإلهية.

(ص) هو نُورُ الأنوار، وأَبُ الأنوار، ومَنْبَعُ الأنوار، ومَرْكَزُ دائرة الأنوار، ومظهر الأنوار، وشجرة الأصل النورانية، والنور المطلق، والنور الأعظم، والنور اللاَّمِع، والنور الساطع، والنور الأَبْلَج، والنور، والسراج المنير، ونور الهدى، ونُورُ الأبصار وضياؤها، والنور الساري الممدود.

(ص) هو روح الأرواح، وأَبُ الأرواح، وروح الحق، وروح القِسْط، وروح القدس، والروح الكُلِّيَّة، وروح المشاهِد الملكوتية، ورُوحُ صُوَرِ الأسرارِ الملكوتية، وروح جسد الكونين، وروح الكلمات.

(ص) هو سرّ الوجود، ونور الوجود، وشمس الوجود، وبذرة الوجود، وسَبَبُ وُجُود الوجود، وبدَايَةُ نُقْطَةِ الانفعال الوجودي، وقُطْبُ دائِرةِ الوجود، ومرآة الوجود، وسيد الوجود، وبَصَرُ الوجود، ونعمة الوجود، وجوهرة الوجود.

(ص) هو مرآة الشهود، ونور الشهود، وعَيْنُ الشهود، وسِرُّ بصيرة الشهود.

(ص) هو عرش التجلّي وكرسي التَّدَلِّي، جَمَالُ التَّجَليات الاختصاصية وجَلاَلُ التَّدَليات الاصطِفائية، ومَجْلى التجليات، ومَظْهَرُ أنوار التجليات، وقِبْلَةُ التجليات، وطُورُ التجليات الإحسانية، ونُقْطَةُ مَرْكَزِ جميع التجليات.

(ص) هو سِرُّ الحضرة، ونور الحضرة، وعَيْنُ الحضرة، وبابُ الحضرة، وإمام الحضرة، ومَجْلى حضرة الحضرات الرحمانية، وحَضْرَةُ عَرْشِ الحضرات الرحمانية.

(ص) هو إمام جامع الأُنْس وخطيبُ حضرة القُدْس وداعي الأرواح إلى حضرة القدّوس.

(ص) هو إمامُ حضرة الجبروت ومَظْهَرُ أسرار المِلْكِ والملكوت، طِرَازُ المِلْكِ والملكوتِ ومُسْتَوْدَعُ خزائنِ الرَّحَمُوت.

(ص) هو عَيْنُ الوصول، وكَنْزُ الوصول.

(ص) هو غاية الغاياتِ ومُنْتَهَى الغايات، ولَبِنَةُ التَّمَام.

(ص) هو البَرْزَخُ الأعظم، وبَرْزَخُ البَحْرَيْنِ، وثاني اثْنَيْن، والبرزخ الجامع.

(ص) هو باب الاسم الجامع، ومظهر الاسم الأعظم، وكلمة الاسم الأعظم، وعَيْنُ الاسم الأعظم.

(ص) هو خير الورى وخير البَرِيَّة.

(ص) هو سيّد الوجود، وسيّد الكونين والثقلين، وسيّد الأوّلين والآخرين، وسيّد الأنبياء والمرسَلين، وسيّد السادات، وسيّد الأرواح والأشباح.

(ص) هو الكمال المكْتَتَم، ومغناطيس الكمالاتِ، وصورةُ الكمالات الرحمانية، وسلطانُ المظاهر الكمالية، ومَجْلى الكمالاتِ الإلهية الأعظم.

(ص) هو قُطْبُ دائرةِ الكمالِ ويَاقُوتَةُ تاجِ مَحَاسِنِ الجمال، كَامِلُ الذَّات وجميلُ الصفاتِ، مُحَمَّدُ الكمالِ وأحْمَدُ الجمال، مظهر الكَمالِ ومُقْتَضَى الجمالِ والجلال.

(ص) هو جَلالُ الهُوِيَّةِ وجمالُ الحضرةِ القُدْسِيَّةِ، صِورَةُ الجمالِ ومَطْلَعُ الجَلالِ، مَرْكَزُ مَدَارِ الجلالِ وقُطْبُ فَلَكِ الجمالِ، كمالُ جَمالِ مَمْلَكَةِ اللهِ وجَمالُ جلالِ سَلْطَنَةِ الله.

(ص) هو بَهْجَةُ الكمالِ وتاجُ الجلالِ، وبَهاءُ الجمالِ وشَمْسُ الوِصَال.

(ص) هو لاَهوتُ الجمالِ ونَاسُوتُ الوِصالِ، مَجْمَعُ حقائقِ اللاَّهوتِ ومَنْبَعُ رقائقِ النَّاسوت.

(ص) هو مَرْكَزُ حقائقِ الأنبياء والمرسَلين ومَهْبِطُ الرقائق الربَّانيَّة، أشْرَفُ الحقائقِ الإنسانيةِ ومَجْمَعُ الرقائق الإيمانية.

(ص) هو بَهْجَةُ قَمَرِ الحقائقِ الصمدانية، ويَنْبُوعُ الحقائقِ الوجوية، وحَقيقةُ الصلوات، وحقيقةُ الحروفِ القُدْسِيَّاتِ، وبَحْرُ الحقائق والدقائق والرقائق.

(ص) هو بَحْرُ المعارفِ الربانية ومَنْبَعُ العلوم اللَّدُنيّة، شَمْسُ العوارفِ وبَدْرُ المعَارِفِ وبَحْرُ الأسرار واللَّطَائفِ، وخزائنُ العلوم الاصطفائية.

(ص) هو عَيْنُ المعارف الأقوم، وعَيْنُ الحق، وعَيْنُ الذِّكْر، وعَيْنُ الحَضْرَة، وعَيْنُ الرحمة الربَّانيَّة.

(ص) هو النُّورُ الأَبْلَجُ والبهاءُ الأَبْهَجُ.

(ص) هو نُورُ العِلْمِ الأَكْمَلِ وبساطُ الرحمة في الأزل، مُقَدِّمَةُ الوُجودِ الأَوَّلِ ورُوحُ الحياة الأفضل.

(ص) هو طَلْعَةُ الحَقِّ ويَاقُوتَةُ الأَزَل.

(ص) هو المظهر الأَتَمّ، والمجْلى الأعْظم والمرآة الكبرى.

) ص) مِرْآةُ الذَّاتِ ومَجْلَى الصِّفات، سُلْطَانُ حَضرتِ الذَّاتِ ومالِكُ أَزِمَّةِ تَجَلِّيَاتِ الصفات، مَطْلَعُ شَمْسِ الذات في سماء الأسماء والصفات، عَرْشُ رَحْمَانِيَّةِ الذاتِ وَكُرْسِيُّ الأسماءِ والصفاتِ، عَرْشُ اسْتِوَاءِ الذاتِ وَوَجْهُ مَحَاسِنِ الصفات، مَجْلى مِرْآةِ الذاتِ ومُنْتَهَى الأسماء والصفات.

(ص) هو لَوْحُ الأَسْرَارِ القَيُّوميَّة، ولَوْحُ نُقُوشِ العلوم الأحدية.

(ص) هو سِدْرَةُ مُنْتَهى الإحاطِيَّاتِ الخَلْقِيَّاتِ الصِّفاتِيَّاتِ، وبَيْتُ مَعْمُور التَّجَليات الكُنْهِيَّاتِ الذَّاتِياتِ، وسَقْفُ مَرْفُوع الكمالاتِ الأسمائيات، وبَحْرٌ مَسْجُور العلوم اللَّدُنِيَّات.

(ص) هو سَمَواتُ فَخْرِ التَّسَامي والتَّرقيات، وشَمْسُ العلم والدِّراية، وبَدْرُ الكمال والنهاية، ونَجْمُ الاجتباء والهداية.

(ص) هو بَدْرُ المعارف في سموات الدقائق، وشَمْسُ العوارف في عروش الحقائق.

(ص) هو سُلَّمُ الرِّضَا ورَفْرَفُ الاصْطِفا.

(ص) هو كَنْزُ الحقيقةِ وشَمْسُ الطريقة.

(ص) هو مَرْكَزُ إحاطةِ الباطنِ والظاهر، دائِرَةُ الإحاطةِ العُظْمى ومَرْكَزُ محيطِ الفَلَكِ الأَسْمَى.

(ص) هو خَطُّ الوَحْدَةِ بَيْنَ قَوْسَي الأَحَدِيَّةِ والواحِدِيَّةِ.

(ص) هو الذَّاتُ المطَلْسم، والغَيْبُ المضَمْضَمُ، وفاتحة الكنز المطلسم.

(ص) هو الدُّرَّةُ البيضاء والزبرجدة الخضراء، هو الإكسير الأكبر والكبريت الأحمر، هو الدّرَّة البيضاء التي تَنَزَّلَتْ إلى الياقوتة الحمراء.

(ص) هو أَمِينُ الله على سِرِّ الأُلوهية المطلسم، وحَفِيظُهُ على غَيْبِ اللاَّهوتِيَّةِ المكَتَّم.

(ص) هو عزيزُ الحضرة الصمدية، وسلطانُ المملكة الأحدية.

(ص) هو تَاجُ المِمْلَكة الإلـهية، وعَرُوسُ المملكة الإلـهية.

(ص) هو مُجْلى الأُلوهية، وقُطْبُ رَحَى عوالم الأُلوهية.

(ص) هو لِسَانُ حُجَّةِ الله، ولِسَانُ الحَضْرَةِ الأقدسية، ترجمانُ الأَزَلِ والأَبَدِ ولِسَانُ الغَيْبِ الذي لا يحيط به أحد، وترجمان لسان القدم.

(ص) هو بَابُ الله والحجاب الأعظم.

(ص) هو عِلْمُ يَقينِ العلماء الرَّبَّانيين، وعَيْنُ يَقينِ الخلفاء الراشدين، وحقُّ يقينِ الأنبياء.

(ص) هو مُنْتَهى هِمَمِ القُدْسِيِّين ومَرْمَى أَبْصارِ الموَحِّدِين.

(ص) هو واسِطَةُ أَهْلِ الحُبِّ وقِبْلَةُ أهل القرب، واسِطَةُ عِقْدِ السُّلُوكِ وشَرَفُ الأَمْلاَكِ والملوك.

(ص) هو طِبُّ القلوب ودواؤها، وعافِيةُ الأبْدان وشفاؤها، وقوتُ القلوب وأسرارها.

(ص) هو أفضل الخليفة الإنسانية وأشرفُ الصورة الجسمانية.

(ص) هو حَائِزُ الفضيلة وصاحب الوسيلة.

(ص) هو الحبيب المحبوب، شافي العِلَلِ ومُفَرِّجُ الكرب.

(ص) هو القاضي لجميع الأغراض، الشّافي لجميع الأمراض، الدافع لجميع الأعراض.

هذه بعض أسماء وبعض صفات سيد الوجود ذكرها العارفون بالله رضي الله عنهم في تَصْلِياتهم عليه (ص).

كل اسم من أسماء سيّد الوجود له صورة في الحضرة الإلهية، وتلك الصورة تُسَبِّح الله تعالى وتستغفر لصاحبها. كل اسم ما خَرَجَ على لسان العارف بالله حتى بَرَزَ وكُتِبَ في اللوح المحفوظ: أَلْسُنُ الخَلْقِ أَقْلامُ الحَقِّ.

قال سيدي عبد الرحمن البسطامي رضي الله عنه (واعلم أن لكل واحد من هذين الاسمين الكريمين يعني محمد وأحمد بحكم جمعيتهما اشتمالاً على الآخر مع رجوع سائر الأسماء إليه سلبية كانت أو ثبوتية فبأيّها دعوته به منهما فقد دعوت بجميع أسمائه { ! " ₤ $ % × ' ( ) * + ، } [(61)]).

ما الفرق بين اسمه محمد واسمه أحمد؟

قال سيدي ابن القيّم رضي الله عنه (والفرق بين لفظ أحمد ومحمد من وجهين:

. أحدهما أن محمدًا هو المحمود حمدًا بعد حمد فهو دالٌّ على كثرة حمد الحامدين له وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه، وأحمد أفعل تفضيل من الحمد يدلّ على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره، فمحمد زيادة حمده في الكمية وأحمد زيادته في الكيفية فيُحمَد أكثر حمد وأفضل حمد حُمده البشر.

. الوجه الثاني أن محمدًا هو المحمود حمدًا متكرِّرًا كما تقدَّم وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره، فدلَّ أحد الاسمين وهو محمد على كونه محمودًا ودلَّ الاسم الثاني وهو أحمد على كونه أحمد الحامدين لربّه وهذا هو القياس...) وقال الشيخ ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (سُمِّيَ مِنْ حيث تكرّر حمده محمدًا ومن حيث كونه حامل لواء الحمد أحمد). وقال سيدي محمد بهاء الدين البيطار رضي الله عنه: (اعلم أن هذا الاسم الكريم وهو محمد (ص) معناه مرجع المحامد التي هي معاني الكمال ومعاني الكمال هي الأسماء الحسنى). وقال: (فإن اسمه أحمد متضمِّن لاسم الله أحد وللميم التي هي دائرة مراتب الوجود وهي أربعون مرتبة كما أن عدد الميم بحساب الجمل أربعون وقد فصّل هذه المراتب الغوث الجيلي رضي الله عنه في كتابه مراتب الوجود وذكر أنها أربعون مرتبة فأشار (ص) أن أحديّته العظمى تندرج بها جميع مراتب الوجود). وقال سيدي البعقيلي رضي الله عنه: (وقد أُعطي . أية رسول الله (ص) . التصرّف حيًّا وميتًا فذاته

مع كل مؤمن، وصورته تتصور لكل واحد في دلالة اسمه محمد، وصورته الباطنية تتجلى في دلالة اسمه محمود، وتتجلّى صورة روحه وسرّه في دلالة اسمه أحمد). وقال سيدي عبد الرحمن البسطامي رضي الله عنه: (قال بعض الأئمة أن لهذه الحقيقة المحمدية أسماء نورانية وصفات ربّانية: منها ما هو بمنزلة الأُصول الكليّة، ومنها ما هو بمنزلة الفروع الجزئية وينشأ بعضها عن بعض ويقال فيها عن وجه أنها متناهية ومن وجه أنها غير متناهية وترجع من غير تناهيها بوجه إلى تسعة وتسعين وبوجه آخر إلى أكثر، وأوسعها حِيطة وأشملها جَمْعًا سيّدنا محمد، وأسبَقها حُكمًا وأرفعها حَضرة اسمه سيّدنا أحمد، فمحمد بمثابة اسم الله في اشتماله وجمعيّته وأحمد بمثابة الرحمن في عمومه وسبقيّته، ولما كانت الأسماء الحسنى تدخل بوجه ما تحت حيطة اسمين سابقين وهما الواحد والأحد من حيث إن الواحد أصل ومنشأ لجميع الاعتبارات الغير المتناهيات فيدخل تحته جميع الأسماء السلبية. كان اسم سيدنا محمد لأسمائه بمثابة الاسم الواحد وأحمد بمثابة الاسم الأحد، وكما كانت بوجه آخر تدخل تحت حيطة اسْمَيْن عَامَّيْن شاملين وهما الظاهر والباطن. كان اسم سيّدنا محمد بمثابة الاسم الظاهر، وسيّدنا أحمد بمثابة اسمه الباطن، ولذلك كان اشتماله من حيث ظهوره في عالم الأمر وعلى هذا النمط الأول والآخر).

ما الفرق بين الحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية؟

قال سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه: (حقيقتان: حقيقة باطنية إجمالية أمْرِيَّة قُدْسِيَّة وهي الحقيقة الأحمدية، وحقيقة شهادية تفصيلية مُلْكِيَّة جسمية وهي الحقيقة المحمدية، وهو بمقتضى حقيقته الباطنية يُرَبِّي باطن العالَم وبمقتضى حقيقته الظاهرة يُربِّي ظاهر العالَم فله التربية المطلقة). وقال سيدي البعقيلي رضي الله عنه: (إن الله تعالى لما أراد أن يوجِد مَن يعرفه بوصفيّ كرمه الإحسان إلى أحبابه والانتقام في أعدائه ظاهرًا والكل محبوب باطنًا اقتطع قطعة من نوره المكرّم الذي فاض من بحر علوّ ذاته وكبره فصار العلو تعاليًا والكبر الفائض تكبّرًا فالتعالي يقتضي مَن يتعالى عليه والتكبّر مَن يتكبَّر عليه والنور المكَرَّم قوة التعالي والتكبّر فخلق منه المتكبّر عليه والمتعالي عليه وهو أول تعيُّن تعيَّن المسمّى بالحقيقة المحمدية بعد الحقيقة الأحمدية التي أوقفها في محراب القدس، فالأحمدية قائمة والمحمدية محيطة دائرة كدائرة الصدف والصوان، فالمحيطة منسلّة من القائمة، فالقائنة غيب وهي النور المكرم فعبادتها الحمد لله).

ما الفرق بين الولاية المحمدية والولاية الأحمدية؟

قال سيدي أحمد الفاروقي النقشبندي مجدّد الألف الثانية رضي الله عنه: (اعلم أن نبيّنا عليه وعلى آله الصلاة والسلام مسمًّى باسمين وكلٌّ من هذين الاسمين المبارَكَين مذكور في القرآن المجيد. قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}[(62)]، وقال سبحانه حكاية عن بشارة روح الله: {اسْمُهُ أَحْمَدُ}[(63)]، ولكلٍّ من هذين الاسمين المبارَكَين ولاية على حِدَة، فالولاية المحمدية وإن كانت ناشئة من مقام محبوبيّته عليه السلام ولكن ليست هناك محبوبية صرفة بل مُزِجَت فيها كيفية المحبية أيضًا وإن لم يكن ذلك المزج ثابتًا له (ص) بالأصالة ولكنه مانع لمحبوبيّته الصرفة، والولاية الأحمدية ناشئة من المحبوبية الصرفة ليست فيها شائبة المحبية وهذه الولاية أسبق قُدُمًا من الولاية السابقة وأقرب منها إلى المطلوب بمرحلة واحدة ورغبة المحِبّ فيها أكثر فإن المحبوب كلما كان أتمّ في المحبوبية يكون استغناؤه ودلاله أتمّ ويكون في نظر المحبّ أحسن وأملح...).

ما هي بعض معاني حروف سيِّدنا محمد وما هي بعض معاني حروف سيّدنا أحمد عن طريق الإشارة؟

قال مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وَبِرَّ وَأَكْرِمْ وَأَعِزَّ وأَعْظِمْ وَارْحَمْ على العِزِّ الشامخ والمجد الباذخ والنُّور الطَّامح والحق الواضح مِيمِ المملكة وحَاءِ الرحمة ومِيمِ العلم ودَالِ الدلالة، وأَلِفِ الجَبَروت وحَاءِ الرَّحَمُوتِ ومِيمِ الملَكُوت ودَارِ الهداية . (وقال سيدي محمد بن عراق رضي الله عنه: (أللَّهمَّ صَلِّ على مِيمِ مُلْكِكَ وحَاءِ حِكْمَتِك ومِيمِ مَلَكُوتِكَ ودَالِ دَيْمُومِيَّتِكَ صلاة تستغرق العدّ وتحيط بالحدّ). وقال: (أللَّهمَّ صَلِّ على أَلِفِ أحديَّتك وحَاءِ وحدانيتك ومِيمِ مُلْكِكَ ودَالِ دِينك). وقال البكري رضي الله عنه: (المِيمُ الأولى إشارة للملكوت الأعلى، والحَاءُ للحياة والحفظ الذي به وفيه كتب القلب الأسْنى، والميم المشدَّدة للملكوت الباطن والمُلْك الظاهر، وَدَالُ الدوام والاتصال الماحِية لوهمَي الانقطاع والانفصال). وقال بعض العارفين: (المِيمُ الأولى لِلْمُلْكِ الأول، والثانية للثاني الأُخروي الأبدي ولذا ضعفت، والحاء للرحمة توسطت بينهما إشارة إلى أن المِلَكَين يتجاذبانه ويستمدّان منه، والدّال إشارة لدوام المِلْكِ). وقال سيدي محمد بهاء الدين البيطار رضي الله عنه: (وذلك أن بيت الوجود قام بأربعة أركان وهي: الأوّلية والآخرية والظاهرية والباطنية فهي أركان كعبة الذات التي يدور عليها جميع الأسماء والصفات، فَالْمِيمُ الأولى ركن الأولية الحقيّة، والدَّالُ الأخيرة ركن الدلالات الآخرية الخلقية، والحَاءُ ركن الحياة الباطنية فلها مرتبة البرزخية، والمِيمُ الثالثة ركن صورته الظاهرة الإنسانية وهي ركن الحجر الأسود الذي هو يمين الله، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}[(64)]، فكان (ص) كعبة الذاتي التي حجَّت لمبايعة يمين صورته الكريمة جميع الأسماء والصفات). وقال سيدي البعقيلي رضي الله عنه: (فميمه لمحوه الباطل

«جاء الحق وزهق الباطل»، وحاؤه لاستمرار حُكمه أي رسالته فيما تقدّم من نشأة الحقيقة المحمدية إلى ما لا نهاية له من أنفاس الآخرة... والميم الثانية مُشار بها إلى مُلكه على وجه النيابة وهو تمكّنه في كل شيء وعليه قبضًا مُحكمًا بحيثة لم يخلق الله مَن خرج عن خلافته...، والميم الثالثة مُشار بها إلى جمعية الخلائق في عرش جنة هوية كوثريّته (ص) وهي الحقيقة المحمدية، والدال رمز للدلالة على الله بكلِّيَّته. فمن بحر الميم الختم، ومن بحر الدال الهداية، ومن بحر الحاء الفتح، ومن بحر التنوين النصر). وقال: (والفتح مقام عليّ كرَّم الله وجهه فهو فاتح قلوب العلماء بعلم الشرائع وقلوب العارفين بعلوم لدنية «إن هنا علومًا لو وُجِدَت لما حمله» فوجدها لها ولله الحمد بعد وفاته، والختم مقام عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع المصاحف وختمها صيانة من التبديل والتغيير بمقابلة سورها سور اللوح المحفوظ، والنصر مقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والهدى مقام أبي بكر فهو الذي وصل إلى جواهر التوحيد «الجهل بالجهل إدراك» ميت في الحياة بصواعق الإيمان وهو يمشي، والقدر مقام جميع الصحابة رضي الله عنهم، والمقدار مقام العلماء من العارفين فمن دونهم من الصالحين أهل التصريف وغيرهم).

وقال سيدي محمد بن إدريس الدباغ رضي الله عنه في كتابه «مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار»: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد حَاءِ إحاطةِ السِّرِّ المكْتُوم، ومِيمَيْ مَمْلَكَةِ الدَّائِمِ الحيِّ القَيُّومِ، ودَالِ الدَّيْمُومِيَّةِ، مَنْ بُدِىءَ بِهِ الخَلْقُ وبِهِ مَخْتُومٌ). وقال سيدي القطب عبد الكريم السَّمان رضي الله عنه: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدنا محمد نقطةِ دائرةِ الوجود وحِيطَةِ أفلاكِ مَرَاقِي الشهود، أَلِفِ الذاتِ الساري سِرُّها في كل ذرّة، حَاءِ حياةِ العالم الذي جَعَلَ منه مَبْدَأَهُ وإليه مَقَرُّهُ، مِيمِ مُلْكِكَ الذي لا يُضَاهَى، ودَالِ دَيْمُومِيَّتِك التي لا تَتَنَاهَى).

وقال سيدي المعْطي بن الصَّالِح رضي الله عنه: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد مِيمِ مَحْقِ الأَرْواح الجبروتي، وحَاءِ حياةِ الأشباح الملكوتي، ودَالِ دليلِ طريقِ السعادةِ الرَّحَمُوتي). وقال: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد مِيمِ مَصَبِّ الرَّحَمَاتِ الرَّحْمَانية، وحَاءِ حِلْيَةِ الأجسام النورانية، وميم مَوائِدِ الكرامات الامْتِنَانِيَّةِ، ودَالِ دائرة أرباب الأحوال والكشوفات العِيانِيَّة). وقال: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد مِيمِ مَعْدِنِ الحَياءِ والصبر، وحاء حياة أهل الأُنْسِ والذِّكْر، ومِيمِ مَسْرَحِ خَوَاطِرِ أهل العناية والفَخْرِ، ودَالِ دِيوانِ أهل الحَمْدِ والشكر). وقال: (أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد مِيمِ مَوائِدِ أهل النِّعَمِ

الضَّافِية، وحاءِ حِلْيَةِ أَهْلِ القُرْبِ والمَوَاكِبِ السَّامِيَة. أللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم على سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد مِيمِ مَنازِعِ أهلِ الحقائق العِرْفانيَّة والآيَاتِ الشافِية، ودَالِ دِيمَةِ أهل النَّفَحَاتِ وعَوَاطِفِ الرَّحَمَاتِ الهَامِيَةِ).

(وعَرِّفْنِي إيّاه معرفة أَسْلَمُ بها من موارد الجهل) الموارد منها نورانية، ومنها ربانية، ومنها نفسانية، ومنها شيطانية. والشيخ رضي الله عنه يتعوّذ من الموارد النفسانية والشيطانية احتياطًا أن تشغله عن الله. هذه الموارد تتوارد على قلب ابن آدم كأمواج البحار. الموارد النفسانية والشيطانية تقطع الطريق على السَّيَّارين والطَّيَّارين وأرباب الأحوال والعلماء وأرباب المناصب والمشايخ المدَّعين الذين يفترون على الله الكذب، ينتمون إلى العلم وهم عنه بمعزل وينتمون إلى المعرفة وهم عنها بمعزل وينتمون إلى الشرف وهم عنه بمعزل وينتمون إلى الولاية وهم عنها بمعزل وينتمون إلى العبادات والمعاملات وهم عنها بمعزل وينتمون إلى حُسْن الخلق والأدب وهم عنها بمعزلة لأن لكل شيء له مصداق وحقيقة وشواهد تشهد لك بأنك استحقت مقامًا بالحجج القاطعة والدليل والبرهان.

(أَسْلَمُ بها من موارد الجهل):

كل مَن لا يعرف رسول الله (ص) فهو جاهل. كل مَن لا يعرف أوصافه الحِسِّيَّة وأوصافه المعنوية وأوصافه الظاهرة وأوصافه الباطنة فهو جاهل. الجهل ينقسم إلى أربعة أقسام: جهل العامّة، وجهل عامّة العامّة، وجهل الخاصة، وجهل خاصة الخاصة لأن حسنة الأبرارِ سيئاتُ المقَرَّبين وقِس بهذا القياس.

(وأكرع بها من موارد الفضل):

المَوَارِدُ جَمْعُ مَوْرِدٍ وهو محل الشرب. الشرب الحِسِّي هو المعهود بين الناس كشرب الماء والحليب وجميع المشروبات الملوّنة، وأما الشرب المعنوي فهو الذي أشار إليه ابن الفارض رضي الله عنه:

شَرِبْنَا على ذِكْرِ الحبيب مُدَامَةً

سَكِرْنَا بها مِنْ قَبْلِ أن يُخْلَقَ الكَرْمُ

فراجِعْ هذه القصيدة (خمريّة ابن الفارض) تستفد من شرحها ما لا يتصور لك في عقلك وفهمك. الشرب المعنوي معناه شرب العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب لذلك قال الحقُّ جَلَّ جلاله: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}[(65)]، من هنا قِس معنى الشراب، قال الحلاّج رضي الله عنه:

اشْرَبْ شراب أهل الصّفى	تَرَ عَجَائِبْ

مع رجال المعرفة	والخَمْرُ طَائِبْ

وَأَكْرَعُ بها من موارد الفضل:

معناه إذا أراد الله أن يتفضَّل على عبده خَلَقَ ونَسَبَ إليه من العلوم اللدنية والأسرار الإلهية والمواهب الربَّانية والعطايات الرحمانية والمنحات القدّوسية التي هي تفضّل من الله ومِنَّة لا بالكسب أو بالمجاهدة أو بالمكابدة أو بالجاه أو بالعبادات أو بالعلم أو بالشرف وإنما هي اختصاص لذلك مَن وقف في باب الرسول وأحسَن الآداب فتح له الباب وأجلسه على منصّة الأحباب وتلذَّذ مع الرسول بالخطاب وجادَ عليه سيّد الوجود بأنواع الشراب من بحره الفيّاض المتدفّق الزاخر المتلاطم الأمواج، قال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

وَسِعَ العالمين عِلْمًا وحِلْمًا	فهو بحر لم تُعْيِهِ الأَعْبَاءُ

وَسِعَ سيّدنا محمد مائة ألف عالم على جميع أصنافها وأشكالها وأنواعها منها معروفة ومنها غائبة عن عامّة الناس المحجوبين ولو كانوا علماء في الظاهر فهم محجوبون بعلمهم وشرفهم عن الوصول لحضرته (ص). حضرة الرسول مجموع فيها العوالم العلوية والسفلية فمنها تستمدّ جميع الأمداد لأن الله أمدّه بعلوم الأوّلين والآخرين ما كان وما يكون وما سيكون، قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[(66)] فالعلوم كلها مندرجة ومنغمسة في علومه (ص)، وأما حِلْمُهُ (ص) فإنه وَسِعَ جميع العوالم بأسرها، وما من حليم إلا وقد عُرِفَت له زَلَّته أو هفوته تخدش في كمال حِلْمِهِ إلا نبيّنا عليه الصلاة والسلام فإنه لا تزيده شدّة الأذى له والجهل عليه إلاّ حِلْمًا وعفوًا وصفْحًا فهُو بسبب حلمه نال المعالي التي خصَّه الله بها دون غيره. مَحَاسِنُ سيد الوجود لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى وإلى ذلك أشار ابن الفارض رضي الله عنه بقوله:

كَمُلَتْ مَحاسِنُهُ فَلَوْ أَهْدى السَّنا	لِلْبَدْرِ عِنْدَ تَمامِهِ لَمْ يَخْسِفِ
وعلى التَّفَنُّنِ وَاصِفيهِ لِحُسْنِهِ	يَفْنَى الزَّمَانُ وفيه مَا لَمْ يُوصَفِ

واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفًا بنصرتك معنى السبيل هي المحَجَّة البيضاء لَيْلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، قال الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}[(67)]. الصراط المستقيم هو الكتاب والسُّنَّة، ومَن خرج عن الكتاب والسُّنَّة فقد ضلَّ عن سواء السبيل، قال رسول الله (ص): «ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين مِلَّة، وإن هذه المِلَّة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة».

(واحملني على سبيله إلى حضرتك) السبيل الظاهر هو الكتاب والسُّنَّة، وأما السبيل المعنوي فهو الرفرف الأخضر الذي كان يعرج فيه يقظة ومنامًا ويصعد إلى المسْتَوى بِقاب قَوْسَيْن أو أدنى من غير واسطة جبريل أو غيره. قال الإمام ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (وله (ص) أربعة وثلاثون مرة الذي أُسْرِي به منها إسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها، وأما الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني). وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: (إنما قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}[(68)] ولم يقل بنبيّه ولا برسوله ليفتح باب السريان لغيره فمَن له قسط من العبودية له قسط من الإسراء، ولما كان عليه السلام كمال العبودية كان له كمال الإسراء فأُسْرِي بروحه وجسده وليس ذلك لغيره). وقال سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه: (كانت معارج الأنبياء والأولياء جميعهم بالأرواح وعرج به (ص) بجسمه إلى العرش فهو . أي الحق تعالى . تجلَّى عليه في روحه وجسمه وسائر هيكله، وبقية الكُمَّل تجلَّى عليهم في أرواحهم، فنهاية ما تبلغ إليه أرواحهم هو ما يبلغ إليه جسمه ولروحه من وراء ذلك ما لا يكون لغيره). الإسراء الذي كان ليلة سابع وعشرين من رجب كان بواسطة جبريل والبُراق والمِعراج على مرأى ومَسمَع من الفرش إلى العرش كلهم شاهدوه وتبرّكوا به، وثلاث وثلاثون مرة وقع الإسراء فيها من غير واسطة فيما بينه وبين الله، لذلك أشار ابن الفارض رضي الله عنه بقوله:

وَلَقَدْ خَلَوْتُ مع الحبيب وبَيْنَنا	سِرٌّ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ إذا سَرَى
وأَبَاحَ طَرْفِيَ نَظْرَةً أَمَّلْتُهَا	فَغَدَوْتُ مَعْرُوفًا وَكُنْتُ مُنكَّرَا
فَدَهِشْتُ بَيْنَ جلالِه وجمالِه	وَغَدَى لِسَانُ الحَالِ عَنِّيَ مُخْبِرَا
نَزِّهْ لِحَاظَكَ في مَحاسِنِ وَجْهِهِ	تَلْقَى جَمِيعَ الحُسْنِ فيه مُصَوَّرَا

الكتاب والسُّنَّة هما الرفرف الأخضر تَصْعَدُ عليه إلى أعلى الدرجات: اقْرَأْ وَارْقَ إلى حضرته: أول حضرة من حضراته الإيمان بالله وبرسوله وبكتابه، ثانيًا امتثال الأوامر واجتناب النواهي لذلك قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[(69)]، ثالثًا الأعمال بالإخلاص والنِّيَّة الصالحة فتكون الأعمال كلها خالية من الحظوظ الحِسِّيَّة والمعنوية، رابعًا الخوف والخشية والخشوع والبكاء والتضرّع والإنابة، خامسًا الحضور والمراقبة والهيبة والوقار والسَّكينة، سادسًا المشاهدة والفناء ها أنت وربّك ونبيّك. فأول

المراتب مقام التوبة لها تسعة وتسعون درجة فتمام المائة بداية مقام التقوى التي لها تسعة وتسعون درجة فتمام المائة بداية مقام الإسلام الذي له تسعة وتسعون درجة فتمَام المائة بداية مقام الإيمان الذي له تسعة وتسعون درجة فتمام المائة بداية مقام الإحسان الذي له تسعة وتسعون درجة فتمام المائة بداية مقام الفتوّة التي لها تسعة وتسعون درجة فتمام المائة بداية مقام الصدِّيقية ثم مقامات الأنبياء والرُّسُل.

واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفًا بنصرتك مؤيَّدًا بعناية الله راكبًا في هذا الرفرف ليقطع بي جميع المسافات البعيدة (هذه المسافات يتطلَّب قطعها بدون الرفرف مدة من السنين) لأن الطريق فيها صعُوبات ومشقّات قاسية لا يتحمّلها إلا مَن أخذ الله بيده وسَلَكَ به مسالك الرجال الذين وصفهم الله تعالى بقوله: {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ}[(70)]، منهم الإمام ابن مشيش رضي الله عنه فسار محمولاً على كاهل هذا الرفرف الأخضر إلى حضرته حملاً محفوفًا بنصرتك.

واقذف بي على الباطل فَأدمغه معناه نطلب منك يا رسول الله أن تنحي وتدفع عني الباطل بجميع أنواعه وامْحُ عنِّي آثاره لأركب في هذه الرفارف وأصعد إلى العرش ومَن حَوْله، قال تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}[(71)]، والعمل الصالح يرفعه العمل إذا كان خالصًا لوجه الله لا رياء فيه ولا سمعة ولا جزاء ولا شكور صَعَدَتْ صُورَةٌ رَوْحانية على صورة صاحبها، صعدت إلى العرش واضْطَرَبَتْ وسجدت بين يدي الله فيقول لها اسكني وهو أعلم بذلك فتقول: يا ربّ لا أسكن حتى تغفر لصاحبي وتعطيه ما سأل، ومن تمام سؤالها وطلبها أنه تصعد ذاتُ صاحب العمل الصالح وتَصْعَدُ صورته الحِسِّيَّة والمعنوية. إن النفس إذا تَصَفَّتْ وتَطَهَّرَتْ وَتزَكَّتْ صَالَتْ وَجالَتْ وارْتَقَتْ لأنها جَزَمَتْ وَعَقَدَتْ وأَعْطَت العهود والمواثيق ألا تَلْتَفِتَ مُدَّةَ سَيْرِها فَصَعَدَتْ وعَرَجَتْ في المعارج التي يعرج فيها الأولياء.

الباطل هو ما سوى الحق تعالى وكل ما يشغلك عن ذكر الله وعبادته فهو باطل وضلال، قال تعالى: {فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ}[(72)].

لما فرغ الشيخ ابن مشيش من هذا الأسلوب توجّه رضي الله عنه بِقَلبِهِ وَقَالِبِهِ إلى حضرة الرسول يتشفَّع ويتضرَّع بخصوص قضية بُوشْنَافَ التي يطول شرحها فقال:

وزجّ بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد: أي أَدْخِلْني في بحار الأحدية، معناه غَطِّ وَصْفي بوصفك ونعتي بنعتك وأفعالي بأفعالك، قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه: (وأَدْرِجْ أسمائي تحت أسمائك وصفاتي تحت صفاتك وأفعالي تحت أفعالك دَرْجَ السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الإمامة)

فغرق في عَيْن بَحْر الوحدة وهو توحيد الذات العالية فغاب بها عن نفسه وعن شهود السِّوى وبقي بوجود ربّه، لا بوجود نفسه وفلسه معتمدًا على أهل جنسه. غرق وغاب في بحار أفعال الله فهي صفة من صفات الله ثم انتقل من صِفةِ الأفعال إلى بحار أسماء الله ثم انتقل من صفة الأسماء إلى بحار صفة الصفات ثم انتقل من صفات الصفات إلى بحار صفة الذات.

قال الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني قدّس الله سرّه: (واغْمِسْنا في بحار أَحَدِيَّتِكَ حتى نَرْتَعَ في بَحْبُوحَةِ حَضْرَتِكَ وتَقْطَعَ عَنَّا أَوْهامَ خليقتك بِفَضْلِكَ ورحمتك). على العاقل من أهل هذا الفن ألاَّ يخرج عن الحضرات الثلاثة ويكون شاخِصًا لهذه الحضرات: يكون شاخِصًا بصره إلى الحضرة المحمدية ويكون شاخصًا بصيرته إلى الحضرة الواحدية ويكون شاخصًا سِرَّهُ إلى الحضرة الأحدية: هنا تلتقي الشريعة مع الحقيقة مع الطريقة.

(وَزُجَّ بي في بحار الأحدية) معنى في بحار الأحدية أي انسلخ من قلبه ما سوى الله وانفرد بالعبودية ظاهرة وباطنة ودخل في قِصار التجريد والتفريد.

(وَزُجَّ) معناه الدخول والتوغّل، فلما دخل وغرق في بحار التوحيد المفرد والقلب المجرَّد توجّه إلى الله بتوحيده الحِسِّي، فلما استقر مكانه ورسخ فيه قال: يا ربّ هذا التوحيد المفْني فَمُدَّني بالتوحيد المعنوي المبْقي الذي لا يفنى إلى أبد الأبد فَمَدَّهُ بالتوحيد المبقي وعلومه وأصوله وفروعه وثبوته ومعانيه وحقائقه وثمراته، وخلاصة التوحيد هو الاسم المفْرَد وهوالله انفرد به سبحانه عن جميع المخلوقات (الاسم المفرد لم يَتَسَمَّ به أحد في الدنيا ولو تَسَمَّى به لاحترَق). الاسم المفرد فيه صورة متوفرة الشروط النفس درجاتها إحدى عشر والعقل عشرون والروح ستة وستون والجسم أربعة، هذه الصفات لأهل البداية، وأما الصفة الثانية فالجسم درجاته خمسة عشر والنفس أربعة وأربعون والعقل ثمانون والروح مائتان وأربعة وستون. قال الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: (أللَّهمَّ إني أسألك بالأَلِفِ القائِمِ الذي ليس قبله سابق وباللاَّمَيْنِ اللَّتَيْنِ طَمَسْتَ بهما الأسرار وجعلتهما بين العقل والروح وأَخَذْتَ عليهما العهد الواثق وبالهاء المحيطة بالعُلُوم الجَوَامِدِ والمتَحَرِّكَةِ والصَّوَامِتِ والنَّوَاطِق).

هذه الصفات المحسوسة، وأما صفاته المعنوية فلا تُدْرَكُ صفات الذات إلا بخراب الذات، قال تعالى: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *}[(73)]، وقال تعالى: {قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ}[(74)] (وهم العارفون)، {وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا} (2) (وهم الغافلون).

علوم التوحيد فيه غاص الأوّلون والآخرون حتى قال الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه: (وانشلني من أوحال التوحيد) فالقرآن مملوء بالتوحيد ولكن يتلوّن لفظه بحسب التجليات والمقامات، لكل مقام له مقال، بحسب الطبائع الأربعة ما يناسبها من الأذكار والأوراد والأسماء والأدعيات والأحزاب والتصليات والتوسّلات فهذه الأسماء كلها أمداد إلهية لها تأثير وتصريف لأجل هذا تحتاج إلى الشيخ العارف بالمعارف يعرف بها الأشباح والأرواح ويعرف ترياق المتلوّن لأن الذات مركبة من أربعة طبائع، قال تعالى: { ك ل م ن ه و 6 ى يّ 7 ٍ ِ َ ُ ّ ّ ْ 8 }[(75)] معناه ركَّبك من هذه الطبائع.

التوحيد أنواع:

توحيد العامّة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصّة الخاصّة. (وانشلني من أوحال التوحيد) أي من أوحال توحيد العامّة وطلب الشيخ رضي الله عنه توحيد الخاصّة بل توحيد خاصّة الخاصّة، أو تقول: (وانشلني من أوحال التوحيد) أي طلب ألاَّ يخدم بعض الأسماء الإلهية دون البعض، وطلب من الله تعالى التوفيق لكي يخدم جميع الأسماء الإلهية ذِكْرًا وتَخَلّقًا وتَحَقُّقًا، أو تقول: (وانشلني من أوحال التوحيد) وهي العوارض النفسانية والشيطانية والدنيوية فالله ابتلانا بالأعداء وهم الشياطين والأوهام والخيالات والهواجس والرواجس والشكوك والظنون والخواطر النفسانية الظلمانية والاعتقادات الفاسدة اعتقادات الملحِدِين والجامِدين والمعانِدين وأهل الزيغ والطيش والفلس والعمى والإجرام والنفاق والإشراك والطمع فيما عند الناس... هذه هي مزاليق التوحيد للعامّة والخاصّة كل واحد منهم له مزاليق بحسب المقامات فَمَهْمَا كَبُرَ المقام إلا وَكَبُرَتْ معه المزاليق والإذايات والامتحانات وتجليات الجلال وإذاية الخلق وإذاية الشيطان بجميع أنواعها ويجتمعون عليه معًا شياطين الإنس والجنّ يُوحي بعضهم إلى بعض ويتسلّطون عليه لِيَقْطَعُوهُ عن سيره إلى الإمام.

(وانشلني من أوحال التوحيد) معناه طلب مقامات المقَرَّبين وطلب شهود الذات العَلِيَّة... الخ. قال سيدي شهاب الدين بن المليق الشاذلي رضي الله عنه: (وانشلنا بأحديّتك من أوحال توحيد الموحِّدين وأقِلْنا من عثار الموحِّدين وأقِلْنا من عثار الموقنين واسلك بنا لنهج المقرَّبين). وقال شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه: (معناه أن الأوحال هي الغيبة في شهود الأوصاف العَلِيَّة والوقوف معها، والنشولُ منها هو بالغيبة عنها في شهود الذات العَلِيَّة وأن شهودها متضمّن لشهود الأسماء والصفات). وقال سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه: (إلهي ادْنُ من دُنُوًّا أشهد به مَعْنى الجمال وَزُجَّ بي في سِرِّ سِرِّكَ حتى أَصِلَ وأرى الوِصال، إلهي انْشُلْنِي مِنْ شِرْكِ شَكِّ الأَوْهَام وَزُجَّ بي في تِبْيَان التَّنْزِيهِ وتَشْبِيهِ الأَوْهام).

وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسَّ إلا به: وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ، أي في حقيقة بحر الوحدة، أي وسط بحر الوحدة حتى يغيب عن الوجود وعن الشهود بشهوده فَانِي عن الموجودات وباقي بالله لذلك قال: (حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلا بها) معناه حتى لا أرى في الوجود مُطِيلاً ولا مُسْتَطِيلاً إلا إيّاكَ أُشَاهِدُكَ في كل لَحْظَة وأَتَلَقّى منك العلوم في كل طَرْفَةٍ حتى أُشاهِدَ بذلك دَقَائِقَ المِلْكِ والمَلَكُوتِ وَأَكُونَ معك في حضرة الجبروت فَأَشْرَبَ مَشْرَبًا رَاوِيًا مِنْ بِحَار مِنَحِ أنْهَارِ أَسْرَارِ دقائقِ الأُنْسِ بِكَ.

سيِّد الوجود (ص) هو بحر الوحدة ومن هذا البحر تَعْرِفُ العوالم. أَللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد بَحْرِ أنوارك ومعدن أسرارك ولسان حُجَّتك... الخ بَحْرِ أَنْوَارك أي بَحْر الوحدة.

(وأغرقني في عَيْنِ بَحْر الوحدة) وهو التوحيد المِبْقي المنفرد لا تخالطه شوائب دنيوية ولا أُخروية، تخلَّصت عبوديته لله لذلك قال: (حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أُحِسَّ إلا بها) وهي بحر الوحدة فَغَرق فيها عَمَّا سواها لأنها حضرة التجريد والتفريد وحضرة التقييد وحضرة الإطلاق وحضرة القُدْس وحضرة الأفعال وحضرة الأسماء وحضرة الصفات وحضرة الذات وحضرة المِلْك وحضرة الملكوت وحضرة الجبروت ثلاثمائة وستة وستون حضرة كلها تتصرف في هذه العوالم الظاهرة والباطنة كلها وزارات وكلها نائبات عن الحضرة الإلهية كل واحدة منها قائمة بشؤونها {لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[(76)] منذ خلقهم الله وهم شاخِصون أبصارهم لأوامر الله لا يلتفتون طَرْفَةَ عَيْنٍ مِنْ خوفهم من عذاب الله وسخطه وغضبه فلا يأمَن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

أو تقول: (حتى لا أرى) ما تقدّم وما تأخر (ولا أسمع) ما يشغلني عنها (ولا أجد) في ذِهني ولا في فكري ولا في خيالي ولا في قلبي ولا في سِرِّي ولا في هِمَّتي (ولا أحسّ) بالغيبة أي غائب عن الدنيا وغائب عن الآخرة وغائب عن كل ما سوى الله (إلا بها) أي بمحبة الله فالمحبة لها بداية ووسط ونهاية.

أو تقول: (وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلا بها) هنا طلب النجاة من بِوشْناق: انظر قضية بوشناق عند شرح قوله تعالى:{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(77)].

وأغرقني في عين بحر الوحدة وأغرقني أي وغَيِّبْني حتى لا أرى سواك. أولياء الله منهم مَن غرق في الذات، ومنهم مَن غرق في الصفات، ومنهم مَن غرق في الأسماء، ومنهم مَن غرق في الأفعال، أو تقول: منهم مَن غرق في الفردانية، ومنهم مَن غرق في الصمدية، ومنهم مَن غرق في حضرة القدس، أو تقول: منهم مَن

غرق في التوحيد، ومنهم مَن غرق في التفريد، ومنهم مَن غرق في الديمومية. قال سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه (سِرْ في ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد، وطِرْ في ميدان التفريد حتى تحلق وادي الديمومية، فإن عطشت سقاك كأسًا لا تظمأ من الذِّكر بعدها أبدًا)، أن تقول: منهم مَن غرق في الجلال، ومنهم مَن عرق في الجمال، ومنهم مَن غرق في الكمال: الكمال هو بين الجلال والجمال، قال سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:

فدهشت بين جلاله وجماله	وَغَدَى لسانُ الحال عَنِّيَ مُخْبِرَا

أو تقول: منهم مَن غرق في الوحدانية، ومنهم مَن غرق في الواحدية، ومنهم مَن غرق في الأحدية، ومنهم مَن غرق في الوحدة، والشيخ مولاي عبد السلام رضي الله عنه طلب من الله تعالى أن يغرقه في عين بحر الوحدة.

قال الإمام الحراق رضي الله عنه: (الأحدية: الغيبة في الأُلوهية عن شهود العبودية حتى يضمحل الدليل في المدلول، والوحدانية: الغيبة في العبودية عن شهود الأُلوهية حتى يقع الاحتياج إلى الدليل على وجودها، والوحدة: شهود الأُلوهية في عيْن وجود العبودية وهو الكمال، وأُقْسِمْ هذا من قول مولانا عبد السلام رضي الله عنه: (وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلا بها). وافهم من قوله: ولا أحسّ فإنه يشير للإحساس الذي هو شهود الأُلوهية في عَيْن وجود العبودية). وقال سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه: (وأما الأحدية فهو تجلِّيه بذاته في ذاته لذاته عن ذاته مع ظهور نسبة الأحدية ومحو جميع النسب من الأسماء والصفات والكثرة والغيرية، وأما الوحدة فهو تجلّيه بذاته عن ذاته في الحقيقة المحمدية والحقيقة المحمدية هي الرائية له في ذاتها فهو تجلّيه لغيره في غيره، وأما الواحدية فهو تجلّيه بأسمائه وصفاته في غيره لغيره وهي الحقيقة الآدمية). وقال أيضًا: (فالمراتب ثلاثة: الأحدية والوحدة والواحدية، فالأحدية كُنْه الحق من حيث ما هو بلا نسبة ولا كيفية ولا غيرية ولا شيء غيرهما مما يعقل أو يتوهم أو يتخيل، وأما الوحدة فهي مقامه (ص) في حضرة الذات من حيث ما هي هي لجميع الاعتبارات إلا الغيرية، وأما الواحدية فهي حضرة الحق بمرتبة أُلوهيته مشتملة على جميع الصفات والأسماء والذات عن صاحبها غيب ولي مشهده إلا مرتبة الأُلوهية المشتملة على جميع الصفات والأسماء ومَن كان في هذا الميدان لا مطمع له أن يحوم حول مرتبة الوحدة من حيث ما هي تجلِّي الذات المطلقة.

كيف الوصول إلى مقام الوحدة؟ قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (فالذات محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال، والأفعال بالأكوان والآثار، فَمَنْ تَجَلَّتْ عليه الأفعال بارتفاع حُجُب الأكوان تَوَكَّلَ، ومَن تجلَّت عليه الصفات بارتفاع حُجُب الأفعال رَضِيَ وسلّم، ومَن تجلَّت عليه الذات بانكشاف حُجُب الصفات فَنِيَ في الوحدة فصار موحِّدًا مطلقًا). وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الجعل رضي الله عنه: (العارف إذا رأى الأشياء يتحقَّق أن الأشياء كلها كامنة في أضدادها صارت عنده الأشياء وأضدادها واحدًا لا فرق فيها، وإذا تحقَّق عند هذا المقام وثبت لم يبق بعده إلا الاستغراق في عين بحر الوحدة وذلك عَيْن المقصود). وقال أيضًا: (اعلم أن الإنسان بإسقاط التكاليف على نفسه يصير يقول للشيء كن فيكون وهو مقام عين الوحدة الذي طلب سيدي مولاي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به وجعلنا من السالِكِين على منهجه القويم).

كل شيء له روحه. روح الصلاة المشيشية هو قوله: (وأغرقني في عين بحر الوحدة).

. روح كتاب دلائل الخيرات لسيدي محمد الجزولي رضي الله عنه هو من قوله: أَللَّهمَّ يا ذا المَنِّ الذي لا يُكافَى امتنانه والطَّوْل الذي لا يُجازَى إنعامُه وإحسانه نسألك بك ولا نسألك بأحد غيرك أن تُطْلِق ألسنتنا عند السؤال وتوفِّقنا لصالح الأعمال وتجعلنا من الآمنين يوم الزحف والزلزال يا ذا العزّة والجلال... إلى آخر كتاب دلائل الخيرات.

. روح صلاة الغيوب هو قوله: (أَللَّهمَّ ثَبِّتْ جَناني وأَدِرِ الحق على لِساني وافتح عليَّ فتح العارفين بك).

انظر صلاة الغيوب بأكملها عند شرح {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[(78)].

الشيخ رضي الله عنه تجرَّد وانفرد كالملائكة لخدمة الله تعالى وخدمة جنابه العظيم سيِّدنا محمد (ص) وهو واقف بباب هذا الجناب العظيم لأنه باب الله ما ثَمَّ وصول إلا من بابه لأن الله هو المعطي وسيّدنا محمد هو القاسم لجميع الأمداد الإلهية لجميع العوالم بأسرها يُمِدُّ كل واحد بما هو أهله لأن الله جعله خليفة في هذه العوالم ولولاه لم تُخلَق هذه العوالم، لأجْلِهِ (ص) خُلِقَتِ العوالم ولكرامته طُلِبَت وبنوره أضاءت واخضرَّت، وبوجوده النهار اسْتَنَار والسموات اسْتَقَلَّتْ والأرض اسْتَقَرَّتْ والجبال أَرْسَتْ والصَّعْبَةُ ذَلَّتْ وماء السماء سَكَبَتْ والسحاب أَمْطَرَتْ والعُيُونَ نَبَعَتْ والبحار تَفَجَّرَتْ ولولاه (ص) لم تخرج هذه العوالم من العدم إلى الوجود.

قال سيدي عبد الرزاق القاشاني رضي الله عنه: (الصورة المحمدية جامِعَة للحضرة الأحدية الذاتية والواحدية الأسمائية)، (ص) هو خط الوَحْدَةِ بين قَوْسَي الأحدية والواحدية. ثم توجّه الشيخ رضي الله عنه بالصلاة والثّناء فقال: واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه روح سرّ حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول.

سيّد الوجود هو الحجاب الأعظم والواسطة العظمى. طالب ابن مشيش من الله تعالى ومن حضرة الرسول أن يجعل هذا النور المحمدي حياة روحه وحياة قلبه ومقاصده ومطالبه وقرّة عينه وثمرة فؤاده وحياته وعزّه وشرفه وذكره وشهوده وفكره وغايته فمحبته غاية الغايات لأن روحه انغمست في بحر الشهود والعيان فاستغنت عن ما سواها فإذا شاهد هذه المشاهد كيف يلتفت لسواها، قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل قدّس الله سرّه: (اعلم أن مما خصَّني به مولانا من فضله وجوده وإحسانه أن جعلني ما ذكرت النبي (ص) بفكري أو بذِكري إلا وجدته معي وأنا بين يديه جهرة حسًّا لا معنى يحدّثني (ص) بعلم المغيبات وآخذ عنده علوم الظاهر وعلوم الباطن وأصحابه الكرام جالسين معي بين يديه (ص) ورضي الله عنهم أجمعين، هذا مما تفضَّل عليَّ به الكريم جلَّ ثناؤه وتقدّست صفاته وأسماؤه والحمد لله على ذلك، فصِرتُ آخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل، والجود والكرم من عين الجود والكرم، والصدق والتصديق من عين الصدق والتصديق، والحق والتحقيق من عين الحق والتحقيق، فَبِه أرقص وبه أُغنِّي وفيه فنا فناء فني فهو ذكري وشهودي وفكري وهو شرابي ومدامي وخمري).

مَنْ تَشَبَّثَ بأذيال الرسول (ص) وتأسَّى به وتَخَلَّقَ بأخلاقه يكون باطنه مشاهدة وظاهره مكابدة، أو تقول: باطنه حَقًّا وظاهره خَلْقًا، أو تقول: باطنه جَمْعًا وظاهره فَرْقًا، أو تقول: باطنه حقيقة وظاهره شريعة لهذا أشار الحق جلَّ جلاله بقوله: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ *} {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ *}[(79)] يشاهد جلاله وجماله وهو شاخص أبصاره ينتظر ماذا يفعل الله به وهو في الحيرة والغيبة ما عليها من مَزيد فإذا تفضَّل عليه بشيخ ماهر فإن الشيخ يُخرِجه من الفناء إلى البقاء كما يخرج فصل الشتاء ويدخل فصل الربيع ثم فصل الصيف ثم فصل الخريف فهذه هي الفصول الأربعة كذلك الذاهب إلى ربِّي لا بُدَّ له من الفصول الأربعة حضرة الأفعال وحضرة الأسماء وحضرة الصفات وحضرة الذات فهذه هي الفصول الأربعة لا بدَّ لكل سالِك أن يسلك على هذا المنوال فافهم هذه الإشارات فشرحها يطول وهذه الفصول كلها منطوية في حضرة الرسول منها افترقت الأمداد والمقامات والمراتب والمنازل والعطايا والتفضّلات.

(وحقيقته جامع عوالمي) أي واجعل شهود حقيقته كلها بظاهرها وباطنها تجمع عوالمي الباطنة وهي علوم الباطن من العلم بالله والمعرفة الكبرى والفهم عن الله والإدراك والحضور والمراقبة والشهود والعيان والزّهد والورع والخوف والخشية والتسليم والرّضى والتأييد والشوق والذّوق فأين يا أخي أنت من هذا؟ وأين هذا منك؟ بينك يا أخي وبينه بُعْد المِشرِقين، فجميع العوالم والعلوم كلها مَطوِيَّة في حضرة الرسول فيه اجتمعت الحقائق الظاهرة والباطنة فَظَاهِرُهُ عليه السلام مُلْكٌ وباطنه مَلَكُوت ورُوحُهُ وسِرُّهُ جبروت، قال ابن الفارض رضي الله عنه:

كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ فَلَوْ أهْدَى السَّنَا	لِلْبَدْرِ عند تَمَامِهِ لَمْ يَخْسِفِ
وعلى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ لِحُسْنِهِ	يَفْنَى الزمان وفيه ما لَمْ يُوصَفِ

) وحقيقته جامع عوالمي) معناه عوالم الشريعة وعوالم الحقيقة وعوالم الظاهر وعوالم الباطن هذه العوالم كلها مطوية في ترسه فالقلب بيت الرّبّ قال رسول الله (ص): «إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» لأن الله غيور أن يرى في قلبك ما يشغلك عنه، أمَا علمت أن الله ينظر في قلوب العارفين ثلاثمائة وستة وستين نظرة في كل ساعة زمانية فمَن تَصَفَّتْ سريرته وتخلّصت عبوديته لله صَادَفَ هذه النظرات وحصل فيها الكرامات والعطيّات والتفضّلات والفيوضات والمنحات والهدايا من الله إلى عبده الحقيقي لا المجازي الذي هو اسم بلا مسمى عبد الدينار والدرهم والبطون والفروج.

(وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول) طلب ابن مشيش من حضرة الرسول ومن الحضرة الإلهية أن يحقّقه بتحقيق الحق الأول وهو عالم الجبروت والملكوت الذي دعى سيّدنا إبراهيم عليه السلام رَبَّهُ حين قال: { ؛ چ = عع ؟ }[(80)]، وطَلَبَ سيّدنا إبراهيم عليه السلام رؤية الملكوت فأجابه الله في طَلَبه قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *}[(81)]. لما بَلَغَ الشيخ ابن مشيش غاية الغايات في القرب والوِصال قال: يا رَبِّ لِكُلِّ قادِمٍ تُحْفَةٌ فَحَقِّقْني بالحق الأول.

يا أول يا آخر يا باطن اسْمَعْ ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء قال سيدي أبو سعيد الخراز رضي الله عنه: مَا عَرَفْتُ الله إلا بِجَمْعِهِ بين الضِّدَّين ثم تَلَى قوله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}[(82)]، وقال سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه: (هو الأول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها، والآخر بكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكّوا فيها، والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه،

والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه). وقال سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه: (يا أول كنت ولا أحكامَ ظاهرة، يا آخر لا تزالُ تُرَتِّبُ الأُمُورَ الشهاديَّة على مَكْنُونِ تَقْدِيرِ الشؤون الغيبية سِتْرًا على الأسرار أن تُبْتَذَلَ ولا بُدَّ للحسناء من نِقاب، يا ظاهر فليس غيرك آخِذًا بالنَّواصي والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مَطويَّات بيمينه، يا باطن خلقتَ كل شيء واخترت له في سوابق التقدير ما لا مَحِيصَ عنه). وقال الإمام القشيري رضي الله عنه: («الأول» لاستحقاقه صفة القِدَم و«الآخر» لاستحالة نعت العدم و«الظاهر» بالعلوّ والرِّفْعَة و«الباطن» بالعلم والعكمة، ويقال: «الأول» فلا افتتاح لوجوده و«الآخر» فلا انقطاع لثبوته «الظاهر» فلا خفاء في جلال عِزِّه «الباطن» فلا سبيل إلى إدراك حقّه، ويقال «الأول» بلا ابتداء و«الآخر» بلا انتهاء و«الظاهر» بلا خفاء و«الباطن» بنعت العلاء وعِزِّ الكبرياء، ويقال: «الأول» بالعناية و«الآخر» بالهداية و«الظاهر» بالإحياء و«الباطن» بالإماتة والإفناء، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}[(83)]، ويقال: «الأول» لا بزمان و«الآخر» لا بأوان و«الظاهر» بلا اقتراب و«الباطن» بلا احتجاب، ويقال: «الأول» بالوصلة و«الآخر» بالخِلَّة و«الظاهر» بالأدلة و«الباطن» بالبُعْد عن مُشابهة الجملة، ويقال: «الأل» بالتعريف و«الآخر» بالتكليف و«الظاهر» بالتشريف و«الباطن» بالتخفيف، ويقال: «الأول» بالإعلام و«الآخر» بالإلزام و«الظاهر» بالإنعام و«الباطن» بالإكرام، ويقال: «الأول» بأن اصطفاك و«الآخر» بأن هداك و«الظاهر» بأن رعاك و«الباطن» بأن كفاك... ويقال: «الأول» عِلْمُ ما يفعله عبادُه ولم يمنعه عِلْمُه من تعريفهم و«الآخر» رأى ما عَمِلوا ولم يمنعه من غفرانهم و«الظاهر» ليس يخفى عليه شيء من شأنهم وليس يَدَعُ شيئًا من إحسانهم و«الباطن» يعلم ما ليس لهم به عِلْمٌ م خسرانهم ونقصانهم فيدفع عنهم فنون مِحَنهم وأحزانهم). وقال رضي الله عنه: (وقيل: إن هذه الأسماء إشارة إلى صفات أفعاله فهو الأول بإحسانه والآخر بغفرانه والظاهر بنعمته والباطن برحمته. وقيل: الأول بالإسعاد والآخر بالإمداد والظاهر بالإيجاد والباطن بالإرشاد). وقال سيدي أبو طالب المكّي رضي الله عنه: (هو الأول في أمره، الآخر في حُكمه، والظاهر في فعله، والباطن في وصفه). هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية والظاهر بلا تشبيه والباطن بلا تكييف.

حضرة الرسول اجتمع فيها الأول والآخر والظاهر والباطن، قال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه مُخَاطِبًا سيد الوجود (ص): (أنت الأول في النظام والآخر في الختام والباطن بالأسرار والظاهر بالأنوار).

لما فرغ الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه من الطلب نادى يا غياث المستغيثين اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام حين دخل على مريم { . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ؛ ج = عع ؟ ژ ء آ 37 أ ؤ إ ئ } [(84)] بالاضطرار والتوجّه بالقلب والقالب (أي توجّه الذات إلى القِبلَة وتوجّه القلب إلى الحضرة الإلهية).

هذا الخطاب كله بين يدي الرسول في روضته والرسول (ص) يلقّن له ما يخرج من شفتيه (ص) وابن مشيش رضي الله عنه يكتب ويحفظ ما يتليه عليه من العلوم اللدنية التي لم يطّلع عليها مَلَك مُقرَّب ولا نبيّ مُرسَل وإنما هي هِبَة من الله تعالى.

اختار ابن مشيش رضي الله عنه دعاء سيّدنا زكرياء عليه السلام من بين الأدعيات، قال سيّدنا زكرياء عليه السلام: { غ [گ] ء 5 ـ }[(85)]. دعى ابن مشيش رضي الله عنه بدعاء سيّدنا زكرياء عليه السلام لِيَهَبَ الله له وَلِيًّا يَرِثُهُ في سِرِّهِ وفي ظاهره وفي مقاماته وفي درجاته مع أهل الديوان حتى لا يموت عقيمًا من غير النَّسل الديني لأنه ليس الشأن بالنسل الطيني فقط.

أشار ابن مشيش رضي الله عنه بهذه التصلية إلى الاتصال مع الحضرَة النبوية والحضرة الإلهية اتصال بلا انفصال فراجع قصيدة الششتري رضي الله عنه التي يقول فيها:

مِنْ أحْسَنِ المذَاهِبْ	سُكْرٌ على الدَّوَامْ
وَأَكْمَلِ الرَّغَائِبْ	وَصْلٌ بلا انْصِرَامْ

مَنْ لَمْ يتعشّق ويتشوق ويتذوّق بِقَصَائِدِ العارِفِين بالله مَاتَ مغبونًا ومحرومًا من شَطَحات الصّوفية.

صلّى ابن مشيش بهذه التصلية يطلب فيها الوارث الروحاني يرثه ويرث سرّه ونوره ومقامه وهي القطبانية والغوثانية فاستجاب الله دُعَاءه فوهب له أبا الحسن الشاذلي ففرغ له في آنيته ما كان عنده وخلع عليه خلعة الذات والصفات وأمدَّه بالأمداد الحِسِّيَّة والمعنوية، وقال له: يا أبا الحسن انشر هذه الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها.

لَقَّنَ الشيخ ابن مشيش سِرَّهُ ونوره لتلميذه أبي الحسن الشاذلي، ولم يظفر بهذا السر أولاده من صُلبه وأصحابه.

المريد يؤنس شيخه في حياته وفي مماته، تَأنُّسُ الشيخ بمريده تأنّس معنوي. التأنّس في الدنيا حِسّي والتأنّس في الآخرة معنوي. التأنّس في العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك تأنّس معنوي. قال سيدي داود الباخلي

رضي الله عنه: (والله ليس قَصْدِي أن أذهب إلى الله بِصُحُفٍ أكتبها وإنما قصدي أن أذهب إليه بقلوب أجذبها وأميلها إلى ما عنده وأُحبِّبه إليها).

كمل الشيخ ابن مشيش مطلوبه فقال:

وانْصُرْنِي بِكَ لَكَ وأيِّدْني بكل لك واجْمَعْ

بَيْنِي وبَيْنك وحُلْ بيني وبين غَيْرِك

معناه وانْصُرْنِي ولا تخذلني وقَوِّنِي ولا تضعفني وعَلِّمْني ولا تجهلني وقَرِّبْني ولا تُباعدني. (وانصرني بك لك) أي من غير واسطة لأن الواسطة تَحُول بيني وبينك. دوام الحال من المحال لأن التقلّبات كأمواج البِحار تعتري خواطرَ الإنسان وقلبه وعقله وأفكاره، لذلك سُمِّي القلب لكثرة تقلّبه من طور إلى طور ومن حال إلى حال ومن فكر إلى فكر ومن هِمَّة إلى هِمَّة ومن تدبير إلى تدبير، لا بدّ من التقلّبات في كل نفس وهذه التقلّبات إما نورانية أو ظلمانية فإذا غلب نور الإيمان على قلب الإنسان كانت تقلّباته كلها نورانية روحانية، وإذا غلبت عليه الظلمة كانت تقلّباته كلها ظلمانية شيطانية فَمِنْ أَجْلِ هذه الصفات خاف ابن مشيش من مكر الله وقال: (وأيِّدْني بك لك واجمع بيني وبينك) الاتصال الكُلِّي لا الجزئي معناه الاتصال بلا انفصال فإذا فَرَغَ من عبادة شَرَعَ في أخرى. إذا أحبَّ الله عبدًا تفضَّل عليه بالهداية والتوفيق والصبر والرِّضى والتسليم وشُكْر النِّعَم وشُكْر الواسطة وشُكْر المنْعِم والنصر والتأييد فيفتح له الباب ويرفع عنه الحجاب ويُجلسه على منصّة الأحباب ويتمتّع معهم بالخطاب ويكلِّمه الرّبّ الجليل بالصواب ويقول له: يا عبدي أنا الملك الوهّاب: فهذا هو الاتصال بلا انفصال، ولهذا أشار ابن مشيش بقوله: (واجمع بيني وبينك وحُلْ بيني وبين غَيْرِك).

(وانْصُرْنِي بك لك (أي انصرني على جميع عوالمي الظاهرة والباطنة فَشَرْحُ هذه العوالم لا يعرفها إلاّ الخواصّ من الرجال، وأما غيرهم فلا يعرفون أنفسهم بَلْهَ يعرفون عوالمهم الظاهرة والباطنة، قال (ص): «مَن عرف نفسه عرف ربّه»، فَمَنْ عرف نفسه وعوالمه كان من خاصَّة الخاصَّة فهو كالنجم السَّاري الذي لا يُدْرَك.

(وَحُلْ بَيْني وبين غيرك) والله ما حَجَبَ الناس عن الله إلا الجهل. قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}[(86)]، فأين البُعْد؟ وقال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [(87)] { ، فأين البُعْد؟

وقال تعالى: { َ ُ ِ ّ }[(88)]، فأين البُعْد؟ حَجَبَتْنَا عن الله نفوسنا والشيطان والهوى والدنيا الذين هم سَبَبُ البُعْد الذي هو وَهْمِي وليس ببُعْد حقيقي.

(وَحُلْ بَيْني وبين غيرك) قال سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه في وِرْد السَّحَر (إلهي حُلْ بيني وبين مَن يَشْغَلْني عن شُغْلي بِمُنَاجاتك وأَفِضْ عليَّ من الأسرار التي خَبَّأْتَهَا في مَنِيع سُرَادِقاتك). وقال شيخنا سيدي أحمد الخمسي رضي الله عنه (إلهي وسيدي ومولاي عبدُك وخليقتك وأثِر قدرتك وإرادتك وعلمك طارح نفسه خارجة عن مِلْكِهِ بين يديك تقرِّبها أو تُبعِدها تعذِّبها أو ترحمها تُسعدها أو تشقيها طالب منك أن تحول بيني وبين خصمها أو جنسها ووهْمًا بنور ذاتك وعظيم عظيم قُربك، فإذا لم تحُل بيني وبينهم فإنهم يفسدون عيشي ويُكَدِّرون وقتي ويبغضونك في لنسوء ظني بذلك).

(وانصرني بك لك وأيِّدني بك لك واجمع بيني وبينك وحُلْ بيني وبين غيرك) بِحَقِّ اسمك الأعظم ونبيِّك الأكرم سيِّدنا محمد (ص) أن تَسْتَجِيب دعوتي وتُقِيلَ عَثْرَتي وترحم شكايتي ولا تهمل قطرة عبرتي وأَنِّسْ وحشتي بك يا ربّ فإني غريب والغريب يألَف الغريب، فسمع ابن مشيش رضي الله عنه قول الله تعالى: { ا ب ة ت ث ج ح }[(89)] فقالها بقلبه خالصًا:

ألله ألله ألله.

قال: ألله أولاً بقلبه ثم بروحه ثم بِسِرِّه، فَتَرَقَّى أولاً إلى علم اليقين، ثم إلى عين اليقين ثم إلى حق اليقين، أو تقول: قال: ألله فأخرج الله من قلبه حبّ الدنيا ثم أخرج الله من روحه حبّ الآخرة ثم أخرج الله من سِرِّه حبّ ما سوى الله.

الاسم المفرد هو أعظم الأذكار وعندما يقول العبد: ألله، يقول الله تعالى: لَبَّيْكَ يا عبدي، وتقول الملائكة: نحن لك خُدَّام ونحن رَهْن إشارتك، قال الله تعالى: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[(90)].

عندما يقول العبد الصالح: ألله، فإن الألف ينادي خُدّامه قائلاً: هذا الذَّاكر ماذا يريد فحقِّقوا له مطالبه، واللام الأولى تقول: هذا الذَّاكر ماذا يريد فحقِّقوا له مطالبه، واللام الثانية تقول: هذا الذَّاكر ماذا يريد فحقِّقوا له مطالبه، والهاء تقول: هذا الذَّاكر ماذا يريد فحقِّقوا له مطالبه.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[(91)]، وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه يحثّ أصحابه على ذِكر اسم الله وهو يقول: (هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمرة، فبساط العلم وثمرته النور وإن حصل النور وقع الكشف والعيان). وقال شيخ الشيوخ مولاي

العربي الدرقاوي رضي الله عنه: (وأما ذكر الاسم المفرد فنرى والله أعلم أن الصواب أن يذكره الذَّاكر كما أقول له بسكينة ووقار وإعظام وإجلال وحالة نظيفة سَنِيَّة شريفة واعتماد على الله وأن لا يذكر أَلله أَلله بلا مَدّ قطّ وليذكر أَلله أَلله أَلله بوقف الإشباع ولا بدّ ولا بدّ، وليُشخِّص حروفه الخمس ويستحضر تشخيصها بِعَيْن قلبه دائمًا وهما الألف واللاّمان والألف المحذوفة والهاء من غير أن يكتبها في شيءٍ ومَهْمَا زَهَقَ عن تَشْخِيصها رجع إليه من حينه ولو زَهَقَ عنه ألف مرة رجع إليه ألف مرة فإنه أي الذَّاكر يُفْتح عليه الفتح الكبير في أقرب مدة ونرى الله أعلم أنه لا يتعدَّى ثلاثة أسْبُع، وقيل: أسْبُعًا واحدًا، وقيل: ليلةً، وقيل: أقل من ذلك وما ذلك على الله بعزيز بشرط أن يكون الذَّاكر كما قرّرنا).

ثم تلى الشيخ رضي الله عنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(92)].

هذه الآية نزلت في حق سيِّدنا محمد (ص) لما خرج من مكة كَرْهًا يوم الهجرة فبكى وشكى إلى الله فنزلت عليه هذه الآية.

تلى الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه هذه الآية عند ضريح سيّدنا محمد (ص) ليرجع إلى هذا المقام مرارًا متعددة ولو بالخطوة أو بالرحلة أو بالهِمَّة.

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ} (1) إن الذي فرض عليك الهجرة من مكة إلى المدينة لرَادّك إلى مكة منصورًا مؤيّدًا، أو تقول: إن الذي فرض عليك خمسين صلاة لرادّك إلى خمسة صلوات، أو تقول: إن الذي فرض عليك الجهاد والقتال لرادّك إلى النصر والعزّ والغنائم، أو تقول: إن الذي فرض عليك المجاهدة والمكابدة لرادّك إلى المشاهدة وإلى أعلى المقامات والمراتب والمنازل والدرجات والترقِّي إلى أعْلى عِلِّيين مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا، فالمراد من هذا هو الاتصال مع حضرة الرسول لا أُفَارِقُها طَرْفَةَ عَيْنٍ لذلك قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: (لَوْ غَابَ عني رسول الله (ص) طَرْفَةَ عَيْنٍ ما أَعْدَدْتُ نفسي من المسلمين).

(لَرَادُّكَ) معناه خرجت من عالم الأرواح إلى عالم الحكمة وعالم الأشباح لَرَادُّكَ إلى عالم الأرواح وقِسْ بهذا القياس لأن الرجوع إلى الأَصْلِ أصْلٌ ومَنْ جاء على أصله فلا يُسْأَلُ عنه لأنه خَرَجَ من عَالَمَ الصفاء والوفا إلى عالم الأكدار والجَفَا لرادّك إلى عالم الصفا والوفا.

{ اح خ د ذ ر ز س ش ص ض 10 } [(93)]: هذا هو أرفع دعاء. {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ} (2) أي العلم اللدنيّ من العلوم والمعارف والمفاهم والمدارك والمشارب والحقائق والدقائق والرقائق { ر }

[(94)] أي فضلاً وجودًا وكرمًا فإنّا لا نستحق ذلك { ز س ش ص ض } (1) أي اهدنا الصراط المستقيم، صراط الهداية والسعادة.

رَبَّنَا تفضّلْ علينا وجُدْ علينا وامْنُنْ علينا وخُذْ بيدنا وَالْطُفْ بِنَا في حُكْمِكَ وقَضَائِكَ لُطْفًا يَليقُ بِكرمك.

ربّنا آتِنا مِنْ لَدُنْك من العلم اللدُّنِّي المخزون المكنون الذي لم يَطَّلِعْ عليه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبي مُرسَل وإنما يقذفه الله في قلوب العارفين.

لما فرغ ابن مشيش من هذه الصلاة وأراد السفر إلى المغرب قَلَّدَهُ شيخه الغوث سيدي عبد الرحمن المدني بالقطبانية في الروضة بِحَضْرَةِ مولانا رسول الله (ص) وبمحضر الصحابة وبمحضر أهل التصريف وأهل الديوان، فقال الأقطاب الستة بلسان واحد: يا أيها الشيخ عبد الرحمن المدني لماذا قَلَّدْتَ ابن مشيش بالقطبانية وهي مخصوصة بالمشرق مدة ستة قرون والآن حملها إلى المغرب، فنصب الإمام بُوشْنَافَ شفة في الفرش وشفة في العرش. وقال: يا ابنَ مشيش أين ما توجَّهتَ ابْتَلَعْتُكَ ولم يظهر لك أثر، فَنَصَّبَ سيد الوجود لِابْنِ مشيش رَفْرَفًا وقال له: اصْعَدْ على هذ الرفرف وَاتْلُ هذه التصلية، فصار يَتْلوها والرفرف يَهْوِي به إلى أن وصل إلى تحت بطن الحوت (البَهَمُوت) ثم صَعَدَ به الرفرف إلى الجَبَل الذي كان يقطن فيه ابن مشيش وهو جَبَل النور، فلما وَصَل ابن مشيش إلى هذا الجبل جَبَلِ العَلَمِ وطلع النور إلى العرش قال الأقطاب للإمام بُوشْنَافَ: الصيف ضَيَّعت اللبن انْظُرْ إلى ابن مشيش أين هو؟ فنظر بُوشْنافَ فوجده على رأس جبل النور، فدعى بوشناف على ابن مشيش وقال له: تموت مذبوحًا، وقال ابن مشيش لِبُوشْنَافَ يشنع خبرك ويتلف قبرك فكان الأمر كذلك.

مكث ابن مشيش رضي الله عنه في القطبانية عشرين سنة ثم تقلَّد بالغوثانية سبعة عشر يومًا وتسلّط عليه أبو الطواجين. أبو الطواجين كانت له عفريتة تخدمه وكانت كُلَّما توجهت إلى نواحي بني حسان أبو بني حزمان أو بني إيدير أو بني عروس أو غير ذلك احترقت بالنور الساطع من تلك الجبال فقالت العفريتة لأبي الطواجين: أما علمت ما أنا فيه من الاحتراق من تلك الجبال أين ما توجهت إلا وتسلّط عليَّ شهاب من النار والآن إذا لم تَقتل صاحب النور فلا مطمع لك في خدمتي فَهَيَّأ أبو الطواجين جَيْشًا فَقَتَلوا ابن مشيش رضي الله عنه وهو في محرابه بعين البركة فحملوه إلى رأس الجبل فدفنوه، وبقي قبره محجوبًا لا يُعْرَف ثلاثمائة عام من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري حيث جاء الإمام الغزواني رضي الله عنه فلما وصل إلى قبره وتوضأ وصلَّى رفع يديه إلى الله وقال: إن لله رجالاً لو أقْسَمُوا على الله لأَبَرَّهُمْ والآن يا ابن مشيش ارْفَعْ

يَدَيْكَ ورَأْسَكَ من هذا القبر لِيَرَاك العالم بأسره وإلا أقلب عليك هذه الجبال فَانْشَقَّت الأرض وخرج رأسه ويداه فَقَبَّلَها كلُّ مَن كان حاضرًا معه. وقال الإمام الغزوَاني رضي الله عنه: الآن طابت نَفسي وقرَّت عيني بك يا ابن مشيش، ها أنت واقف في باب الرسول وباب العطاء تستمد منك جميع المخلوقات العلوية والسفلية، وبنى الإمام الغزواني عليه الحوش (أي السور) المعلوم وغرس فيه شجرة تَشْتَى، وجاء من بعدهم مولاي اليزيد وبني بالجير والقرمود فلما انتهى بناؤه ارتمت القبة إلى الحصين ولم يَبْقَ إلا الحوش المدَوَّر بالحجر كما هو الآن. قال الإمام الغزواني لأصحابه ومَن معهم: هنا الدعاء مُستَجاب عند الله.

مات الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وخلفه في مقامه الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه الذي سَاحَ في أنحاء العالم مشارق الأرض ومغاربها وامتلأت الأرض بأتباعه وتلاميذه وخدّامه وفقراءه وزواويه وأوراده وأحزابه العديدة فكان رضي الله عنه يدرس سبعين عِلْمًا في الظاهر وسبعين علمًا في الباطن، وإذا أردت أن تطّلع على هذا فَطَالِعْ وَرَاجِعْ كتب التصوف.

قال الإمام الشاذلي رضي الله عنه في حزبه الكبير: (واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخًا بينهم وبين أعدائك) أي أنه طلب من الله تعالى أن يكون الفتح والقرب الذي يحصل للأولياء على يده، وقد أجاب الله تعالى دعاءه رضي الله عنه حيث انتشرت طريقته الشاذلية شَرْقًا وغَرْبًا.

علوم التصوف تغسل الطبائع من الدنس والأوساخ والقاذورات من النفوس كما يغسل الصابونُ والماءُ الثيابَ من الوسَخ. علوم التصوف كلها تدلّ على تصفية النفوس من الرذائل والتحلّي بالفضائل وتدلّ على معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة أهل الله ومعرفة المشايخ ومعرفة الإخوان في الله. علوم التصوف زبدة علوم الحقيقة، والحقيقة زبدة علوم الشريعة مَنْ لَمْ يَتَغَلْغَلْ في معرفة شمائل سيد الوجود (ص) ويَتَنَزَّهْ في شرح الهمزية لِبِنِّيس وجسّوس رضي الله عنهما مَاتَ مغبونًا ومحرومًا ومحجوبًا ومطرودًا لأن الله أخبرك بمحبته وخدمته وطاعته فأعْرَضْت عنه بالبَتَّة واشتغلت بمصالحِ نفسك وفلسك وأهل جنسك.

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا *}[(95)]: (أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد صلاة عبد صلَّى عليه في بدايته وختمه، فرزقته السر والبركة في قراءته وفهمه. أللَّهمَّ افتح علينا من غيب أسرار علومك المخزونة المكنونة ما تشرح به صدورنا حتى لا تتحرك ذرّة في دار المُلْك والمَلَكوت إلا أعطيتنا منها علمًا يا فتّاح يا فتّاح يا فتّاح يا فتّاح. أللَّهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعل آله صلاة تفتح لنا بها كل باب وتيسّر لنا بها جميع الأسباب وتُلْهِمُنا بها الحكمة والصواب إنك أنت الكريم

الوهّاب. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آله صلاة تفتح لنا بها أبواب السرّ والتيسير وتغلق بها عنّا أبواب الشر والتعسير إنك على كل شيء قدير. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد صلاة تُخرِجنا بها من ظلمات الوهم وتكرمنا بنور الفهم حتى توضح لنا ما أشكل حتى يفهم فإنك تعلم ولا نعلم وأنت علاّم الغيوب. أللّٰهمَّ ثَبِّتْ جَناني وَأدِرِ الحق على لساني وافتح عليَّ فتح العارفين بك. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد صلاة العبد الحاشر المحتاح الذي ضَجَّ من كل ضيق وحَرَج وَالْتَجأَ إلى باب الكريم ففُتِحَتْ له أَلْفُ باب من الفرج. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد الحبيب المحبوب شافي العِلَل ومُفَرِّج الكُرَب. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد الحبيب المحبوب الكريم الشفيع الرؤوف الرحيم الذي أَخْبَرَ عن ربّه الكريم بأن الله تعالى في كل نَفَس مائة ألف فرج قريب. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد القاضي لجميع الأغراض. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد الشافي لجميع الأمراض. أللّٰهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمد الدَّافع لجميع الأعراض، وعلى آله حَقَّ قَدْرِهِ ومقداره العظيم). هذه الصلاة اسمها صلاة الغيوب. ختم الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه تصليته بهذه الآية الكريمة.

{ ن ه و ى ي 180 ً ٌ 181 ٍ ُ ّ ْ 182 }[(96)].

قال سيِّدنا عليّ كَرَّم الله وجهه: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الأَوْفَى مِنَ الأجْر فَلْيَقُلْ آخِرَ مجْلِسِهِ حين يقوم: { ن ه و ى ي 180 ً ٌ 181 ٍ ُ ّ ْ 182 } (1) .

&#5؛

سيدي عبد الحميد أفندي الشيمي رضي الله عنه شيخ السادات الكتانية بالديار المصرية

لم أقف على ترجمته &#5؛

مزج الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي عبد الحميد أفندي الشمي رضي الله عنه شيخ السادات الكتانية بالديار المصرية.[1]

اسم هذا المزج هو: مفاتيح الخزائن العرشية في مزج الصلوات المشيشية (اللّٰهمَّ) يا منزل الحروف العلوية من محيط الحضرات الإجمالية إلى مركز دائرة العروش التفصيلية (صَلِّ) بلاهوت المعنى الذاتي الذي لولاه ما قامت حقيقة في المنصّة الفرقية (على) قاب قوسي الأسماء الكمالية، السابح في فضاء سموّ علوّ هواء فلك أطلس رقيم الهوية، وإقليد كنزية الحضرة العمائية الجامع لوجهي نسبها الحقيّة والخلقية (مَن منه انشقّت الأسرار) الطلسمية المسلّطة أشعّتها الفاعلة على المجالي الغيبية (وانفلقت الأنوار) الواحدية المتنزّلة من حضرة الأحدية

لإبراز مظاهر الربوبية (وفيه) غيبًا وشهادة (ارتقت) مادة (الحقائق) الرتقية المفتوق منها جميع العوالم الكونية (وتنزّلت) به منه فيه عليه لطائف رقائق دقائق (علوم) مستوى عرش ناطقة (آدم) الأسمائية (فأعجز) جميع (الخلائق) فهم ما تحلّت به طَوِيَّته من روح التخصيص الآدمية الفائضة من الخزائن العَلِيَّة والألواح الكتمية (وله) على التحقيق (تضاءلت الفُهُوم) والإدراكات، وطاحت الرموز والإشارات، فالعقول تقصر عن الإدراك ولا مَحيص لها عن قيدها ولا انفكاك (فـ) ذلك سرّ إحاطة الوجود وقيوميّته بجميع أحكامه في كل مقام بحسبه (لم يدركه منّا) جملة وتفصيلاً أُصولاً وفروعًا (سابق) في وجوده الموهوم (ولا لاحق) في فنائه المحتوم (فرِياض) شواهد المِلْك الناسوتي وحدائق مشاهد (الملكوت) اللاهوتي بنسائم نفائح روائح (زهر جماله) اليتيم المشرِق (مونقة، وحياض) جداول محيطات (الجبروت) الأسمائي والمنهل الصفاتي (بفيض أنواره) الشعشعانية (متدفقة) وبرقائقه العندية ومُنازلاته القدسية متألِّقة (ولا شيء) يصعد أو ينزل من العوالم العلوية والسفلية (إلا وهو) من حيث أنِّيَّته وهويته (به منوط) وبنور وساطته الرحمانية محوط (إذ لولا الواسطة) في جميع دوائر الإمكان (لذهب) وتلاشى في عين العدم (كما قيل الموسوط صلاة) كنهية تتدلى رقائق حقائقها من هوية عزّة التنويه (تليق بك) من حيث ذاتك التي لا تحيط بعظمتها العلوم، ولا تدرك كُنْه جلالها الفهوم، تترى وتترادف سبحاتها من محراب جامع الجمع (إليه) وتتوارد بتوارد تنزل الروحانيات العُلَى عليه، وسلامًا يساوق هذه الصلاة الفاشحة من روائح الأُمم برياح جوامع الكَلِم (كما هو أهله. أللّهمَّ إنه سرّك) الواحدي (الجامع) لبدائع الدقائق اللاهوتية المتنزّلة من الطروس الكتمانية على بساط الحضرة الفهوانية، الجامِعَة لكافّة السعادات الكاملة المتصلة بجميع العوالم المدركة والعاقلة في الفاتحة والخاتمة.

أسألك أللّهمَّ يا مولاي يا غافر، يا مولاي يا قادر، يا مَن تحجب بالكشف وتنكر بالوصف، وتعرف بما به تنكر، وظهر بما به تستر، أن تحقّقني بحقيقته السامية بعد رفع حجاب الجسم، وأن تُشهِدني معناه المقدس عن الصورة والرسم، وأن تستهلكني فيك عن قُربي وشهودي وشعوري بتوحيدي، وأن تجرِّدني عن النسب والإضافات بتحقيق حقائق الأسماء والصفات، حيث جعلتها طُرُقات تنزّلاتك ومظاهر تجلياتك، بمحمد التوحيد الحامد بجميع المحامد، داعي الجميع بكلمة التوحيد من الكثرة إلى الواحد، فهو (الدّالّ) بحقيقته المقدسة (عليك) ورداؤك المعلّم، وطرازك الأفخم، وصراطك الأقوم (وحجابك) النوراني (الأعظم القائم) بك (لك بين يديك) فلا يصل طاشر الإدراك في جوّ المعاني إلا إلى حضرته الجامعة، ولا يهتدي في ليل الشك حائر إلا بأشعة انعكاسات أنواره الساطعة. (أللّهمَّ ألحِقني بنسبه) اليوحي باستغراق الكل والجملة

والجزء والنتيجة مني، واستهلاك المجموع من ذلك في المحيطات الأربعة، حيث يستحيل الغير من المتصوِّرين الذهي والخارجي، ويفقد الفرق في القضيتين من المجاز والجائز، ويغيب الشاهد المقيَّد في المشهود المطلق، ويمتزج الموضوع بالمحمول، وينطوي البساط الثاني في البساط الأول، ويستغرق الواحد الآحاد، ويستهلك مراتب الأعداد، ويردّ اللاحق من الخلق إلى السابق من الأمر، وتنعطف اللام على الألف، ويستمر الأمر ولا يختلف (وحقِّقني بحسبه) السبوحي، واستغرق اللَّهمَّ السرّ مني في حقيقة الذات، والروح في سرّ الحياة، والقلب في نور المعرفة، والعقل في إحاطة العلم، والنفس في محض القدرة، والحسّ في نفوذ الإدراك، وما عَدَا ذلك في تروحن الحجاب الأنفس، وأبدلني مكان الفرقين من الوهم والخيال التمكين في الجمعين من المعرفة والشهود العيان (وعرِّفني إياه معرفة) أشهد بها عنقاء مغرب الاعتبار في جميع الأحوال والأطوار (أسلم بها من) ورود (موارد الجهل) وحضيض مهبط الهوى والأوزار (وأكرع بها من) رحيق سلسبيل (موارد) الحنان و(الفضل) والإيقان والنور والعرفان في مقام الإحسان (واحملني) بقوة ريح نفس الرحمة الوجوبية. (على) متن نار حرارة الإرادة العشقية في (سبيله) السلوكي القويم ونور حقيقة صراطه المستقيم (إلى حضرتك) العظموتية حتى أشهدك به شهودًا تنزيهيًّا، وأذوق من مدام معرفتك كأس أُنْس وصَفَا، وأشتم بخياشيم القُرْب أنفاس أهل الودّ والوفا، وأُلامس أنوار الهياكل الملكوتية ملامسة استجلاء وصَفَا، وأتحلَّى بحُليّ العرفان في جامع جمع حيطة الأكوان، فيتجلى لي سرج أحديّتك من أُفق كان الله ولا شيء مَعه وهو الآن على ما عليه كان (حملاً محفوفًا) بعوامر (نصرتك) وجميل رعايتك، واسلك بي يا مولاي يا جابر العظم الكسير مسالك التوفيق، والحفظ في الطريق والأدب في صحبة أهل التحقيق، وعرِّفني الطريق إليك والأخْذ منك والردّ إليك، وهَبْ لي من علمك عقلاً، ومن حياتك روحًا، ومن قدرتك فعلاً، ومن كلامك لسانًا، ومن سمعك فهمًا، ومن بصرك كشفًا، ومن إحاطتك قيامًا، وامنحني بك منك محو لوح المباينة (واقذف بي) من جميع حيثياتي (على) ليل دجى الغيّ (الباطل فأدمغه) بسلطان قهر نور فرقان الحق الفاصل (وزجّ بي في بِحار) صرافة (الأحدية) المجرّدة عن جميع الاعتبارات الحَقِيَّة والخلقية (وانشلني) بسلطان ناموس التفريد (من) مزالق (أوحال التوحيد) المحفوفة بالغلطات والتزليف والمشوبة بالهَلَكات والتغريق إلى حيطة جمع الجمع على التحقيق، واجعل لي من عظمة صمدانيتك مَلَكَة إحاطية تعصم بها خلائق خلقي من مخالفة حَقائق حقّي، وأغنِني بمِنّتك عن التمنّي وبعنايتك عن التعنّي، واعصمني بجميل ولايتك عن التولّي عمّا أولاه جمالك من التجلّي (وأغرِقني في عين بحر الوحدة) المطلقة حتى لا أحتجب بشهود الغير عن دوام السير، وأبقِني

بصفاتك العَلِيَّة في المواطن الأحدية في وجود إحاطة وجودك (حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلا بها) في مدار الصعود الروحاني ومناهج الهبوط النفساني (واجعل) يا مولاي (الحجاب الأعظم) والناموس الأفخم والقاموس الجمعي المطمطم واللاهوت الجمالي المكتم مشكاة (حياة روحي) الجزئية (وروحه) الكلية التي هي للحق من وجه وللخلائق من وجوه (سر حقيقتي) المجازية (وحقيقته) البرزخية عين هاء هوية (جامع عوالمي) الإجمالية في مجامع نواسيت معالمي التفصيلية (بتحقيق الحق الأول) والآخر والظاهر والباطن (يا أول) فليس قبلك شيء (يا آخر) فليس بعدك شيء (يا ظاهر) فليس فوقك شيء (يا باطن) فليس دونك شيء (اسمع ندائي) وافتح عيون قلبي بعيون مَدَدك المستمر، وأتبع لواعج حبي بروح أمرك المستعر، وأيِّد بروح قدسك سلطاني المنتصر، وارفع حجاب وهمي من علمك المستتر، واجعلني بك عند التلوّن كالماء المنهمر، واطْوِ بساط تقصيري بطولك المنتشر، وأقِمْني بالقدم الصدق القيّوم تعلى كل مؤتمر، في مقعد صدق عند مَلِيك مقتدر (بما سمعت به نداء عبدك زكريا) وطهِّرْني أللَّهمَّ بطهور الإيمان، واجعلْ صلاة صلاتي وصلة بيني وبينك في كل آن، وزَكِّ روحي بأنوار المراقبة والعيان، وارزقني الإمساك عمّا سواك والعكوف في حضرة وفاك وعلاك، وحجَّ بقلبي إلى كعبة ذاتك وحرم أمْنك وأُنْس قدسك وجرِّدني عن ملابس الأغيار، وحقِّقني بإجابتك بلبَّيك أللَّهمَّ لبَّيك في سائر الأمور، وأوقفني على عرفات المعرفة ومشاعر جمع الجمع مع قوم قلوبهم إليك مزدلفة، وبلِّغني في منى المنى كل أُمنية حتى نرمي بجمرات الجدّ والاجتهاد شياطين النفوس الشهوانية، مُحلِّقين بموسى التجريد شعود استشعار شيء مع أحديّتك، ذابِحِين بمِديَة التوحيد بَهيمة أنواع الشهوات الحاجبة عن أُنْس مراقبتك، مُفِيضين إلى طواف الألطاف ببيت عزّتك، ساعِين على أقدام الاستقامة والجدّ في طاعتك وخدمتك، وأدخِلنا بك عليك من باب أشرف عبادك المقرَّبين، محمد القائم بسرّ الخلافة عنك من حيث أنت بحقيقة الثبات والتمكين، عائِذِين بك لديك عائدين بك منك إليك (وانصرني بك لك) واجمعني ولا تفرّقني وقرِّبني ولا تُبعدني وخصِّصني وخلِّصني وسَدِّدني، بك أستعيذ اكلأني كلاءة الوليد ولا تَكِلني إلى نفسي، واجذبني بك إليك عن حِسِّي، واجعل بك لا بغيرك أُنْسي، (وأيِّدني بك لك) يا مُنَفِّس كُربَة كل مكروب، ويا كاشف الضّرّ والبلوى عن أيوب، ويا مَن أقرَّ بيوسف عين صَفِيِّه ونبيِّه يعقوب، ونَجَّى نوحًا من الغرق، وإبراهيم من الحَرَق، ويونس من الظُّلُمات، وسلَّم موسى من شرّ الجبابرة العُتاة (واجمع بيني وبينك) في حضرات قدسك وأُنسك حيث المطالعة والمفاتحة والمواجهة والخطاب، وشرب كؤوس المنادمة بلطائف الأسرار، وعرائس المعارف وقدس التجلِّيات المبهِجَة للأرواح

بإنعاش الارتياح المبشّرة بواديها بالسَّماح والنجاح والفَلاح (وخلِّ بيني وبين غيرك) بنور استغراق مفردت الوجوب لمفردات الإمكان، واستواءِ هوية الغيب على عرش جامع الإنسان. يا مَن نظرت باسمك الباطن لبواطن أوليائك فغابوا فيك عمّا سواك، وظهروا مُتَسَربلين من اسمك الظاهر بسرابيل قدسك وحُلَل أُنْسك وملابس وفاك (الله) أول آخر (الله) باطن ظاهر (الله) عالِم قادر، (الله) راحم غافر (إن الذي فرض عليك القرآن) ورفع ذِكرك المقدّس بأتمّ معنى وأجلَى بيان وأحلى تبيان (لرادّك إلى مَعاد) لنرجع بقطرات وجودنا إلى بحرك الزاخر بالسيادة حتى نفوز من كمالك الباهر بكل وصف فاخر { ح خ د ذ ر ز س ش ص ض } [(97)] ونَقِّنا عن الكدورات البشرية حتى نخلص من قيود الموانع الكونية، ونزِّهنا عن الإخلاد إلى أرض المقتضيات الشهوانية لنتحقّق بالأنوار الربانية من التأييد بالأنفاس الرحمانِية، واعرج بلطائفنا على بساط نور التجليات الأسمائية في مراقي مدارج {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا *}[(98)] أللَّهمَّ فَصَلِّ على عين الوجود، النور المشهود، مُمدّ الأرواح، ومنعش الأشباح، دالِّ الخَلْق عليك وموجِّههم إليك، بهجة الطروس ومهذِّب النفوس، مفيض المعارف على القلوب من حضرات الملكوت والغيوب، قلم التجلِّي الأول، لوح التجلّي الثاني، سرّ الأحدية، نور الواحدية، مجلى حضر الذات، مُشرِق أنوار الصفات، فاتح أسرار الأزل، روح نظام الأبد، صلاة مقدسة مطهّرة كاملة منوّرة، تخصّه من حيث هو بمَا هو في وصفه الفريد، الذي لم يشاركه فيه أحد من العبيد، ما دام شرفه السامي يعلو على الرُّسُل والأنبياء وعلى الملائكة وكل الأولياء، وسلِّم عليه كذلك سلامًا يبلغه هناك، وارْضَ أللَّهمَّ عن آل بيته هُداة الأنام وعن ليالي فجره العشرة الكِرام، وعن بقية أصحابه العِظام.

ترجمة سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه العارف بالله مؤسِّس الطريقة الكتانية الأحمدية، سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني رضي الله عنهما. وُلِد في منتصف ربيع الأول عام 1290 هجرية وتربّى في حِجْر والده جبل السُّنَّة والدين محفوفًا بعنايته مشمولاً برعايته، ولم يفارقه ليلاً ولا نهارًا سفرًا ولا حضرًا وبفضله صارت نفسه متعلِّقة بالله مُعرِضة عن كل ما سواه، ودخل المكتب لتعلّم القرآن فيسّر الله عليه جمعه في سلكتين وفي الثالثة وقف لوحه على قوله تعالى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[(99)]، ومنذ جمعه كان يختم منه سلكة في كل يوم وفي خلال مقامه بالمكتب حفظ من المتُون في مختلف الفنون العلمية ما لا يتأتَّى حفظُه لغيره في عشرات السنين وكانت أولها حكم ابن عطاء الله.

وأما تلقّيه لعلم التصوّف فكان على يد والده الذي أحيى الحقائق ووطّد الطرائق وجدّد رسم القوم بعدما كاد يخبو... فعلى يده تربّى وقطع عقبات السلوك على نمط أهل التصوّف الإسلامي ومنه استفاد ما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى من فوائد شيوخ التصوّف الحقيقيين الذين اجتمع بهم في رحلاته العديدة بالمشرق والمغرب تلك الرحلات الواقعة في القرن الماضي والتي كان لها أثر كبير في ربط المغرب بالمشرق وهو الذي لقّنه عدّة أذكار كانت سببًا في إشراق قلبه بالإمدادات الإلهية والفيوضات المحمدية وقد ذكر عن نفسه أنه كان يلازم ذِكْر سبعين ألفًا من الهيللة وستين ألفًا من الاسم الشريف سيّدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعلى آله بتوجّه تامّ إلى أن فاجأه الفتح واجتمع بالنبي (ص) يقظة وأخذ عنه دعوته الإسلامية وطريقته الكتّانية وإذنه في إرشاد الخلق ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ليكون مجدّد الإسلام في هذا القرن الرابع عشر.

قال صاحب المظاهر:

(كان رضي الله عنه رَبْعَة أمْيَل إلى الطول أبيض مُشربًا بحُمرة شديدة سواد الشعر عظيم اللحية تملأ صدره ما رأيت أهْيَب منه ولا أحسن وجهًا وقَدًّا ولا أطيب ريحًا، وكان يتلثّم في غالب أحواله ولم أتجاسر قطّ على سؤاله عن سبب تلثّمه، نعم كان ذلك من شأن المصطفى (ص) في بعض الأحيان وممّن اشتهر باللِّثام سيّدنا موسى الكَليم وسيّدنا دِحية الكلبي والشيخ أبو يعزي وأبو العباس البدوي وأبو العباس الملثّم وغيرهم من الأكابر، كلُّ مَن رآه أحبّه يُفاجىء أعداءه وهم يشتمونه فلا يتمالكون أن يقوموا إجلالاً لوجهه ولا يفارقونه إلا بعد تعفيرهم لِحاهم في يده ورِجله فإذا فارقوه تعجّبوا من أنفسهم، تشمّ رائحته من بُعْد، كلّ مَن يرى وجهه يعلم أنه ليس بوجه كذّاب ورَحِم الله الشريف عون الرفيق أمير مكة فإنه تكلم شخص عنده في الأُستاذ فقام إليه الأمير قائلاً: يا حمار انظر إلى وجهه لو نظرت إليه ما تكلمت فيه، وكان الأُستاذ محسودًا أين ما حلّ ونزل مُحِبًّا في الوجه مُبغضًا في الظهر على عادة الله مع أمثاله في الإكثار من حُسَّادهم وأعدائهم لغير سبب وخصوصًا في مَسْقِط رأسه وسكنه لأنه ما فَقَدَ عالِم حُرمته إلا في بلده، ورَحِمَ الله وَرْقَة ـ بن نوفل ـ لن يأتي أحد بمثل ما أتيت به إلا عُودِي، وقد كان الشيخ أبو محمد صالح دفين آسفي يُوصي أصحابه قائلاً اسألوا عني قبل أن تقربوا من آسفي فإذا وصلتم إلى بلدي فاقطعوا عني السؤال. إلا أنه كان له خُلُق ألطف من الهوى وألذّ من نسيم الأسحار، جُبِل على السَّخاء والبَذْل ينفق ما وجد ولا يخشى من ذي العرش إقلالاً. هِمَّته أبعد من الثريا ما لَقِي وزيرًا ولا سلطانًا فضلاً عمَّن دونهما إلا بطلب أو

لرجاء نفع عمومي. هِمَّته في الذِّكر والتذكير والدّلالة على الخير كثير التلاوة والذِّكر يقوم الليل ويعفّر وجهه في التراب يختار السجود عليه يصوم الاثنين والخميس والأيام الفاضلة يُجيب عن كل ما يسأل عنه بالبديهة سواء في الحديث أو التفسير أو التصوف أو الكلام أو البيان أو الأصول أو الفلسفة أو علوم الحقائق والأسرار أو غيرها من العلوم الأصلية والفرعية...).

ترك سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه كتبًا رائعة مفيدة:

. البَحْر المسجور في شرح الصلاة الأُنموذجية.

. روح القدس في شرح الصلاة الأُنموذجية.

. خبيئة الكون شرح الصلاة الأُنموذجية، طُبِعَت بفاس.

. الرقائق الغزلية في شرح الصلاة الأُنموذجية.

. لقطة عجلان شرح الصلاة الأُنموذجية، طُبع بفاس.

. اقتباس العقائد الجملية من الصلاة الأُنموذجية.

. الصلوات الكتانية على الذات المحمدية بلسان جامع.

. أدلّ الخيرات في الصلاة على سيّد الكائنات، طُبع بفاس ثم بمصر.

. سبقية النور المحمدي.

. السَّانحات الأحمدية والنفثات الرَّوعية في مواد خير البَرِيَّة بلسان أهل الباطن، طُبِعَت بفاس.

. البيان المسدّد لمن أنكر التعبير بأحمد بدل محمد.

. أجوبة عمّا أشْكَل في الصحيحين في حق المقام المحمّدي.

. الجوابات العظيمة عمّا أشْكَل في القرآن في حق المقام المحمّدي.

. الطلاسم في الكمالات المحمدية.

. الألفية في الكمالات المحمدية.

. تعليق على ألفيَّته في الكمالات المحمدية.

. الحِكَم الإلـهية والمحمدية. طُبِعَت بفاس.

. المواقف الإلـهية في التصوّرات المحمدية.

. الياقوت والمرجان في العلم المحمّدي.

. الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذّات المحمدية.

. البحر الخِضَمّ في شروط الاجتماع بالنبي الأعظم.

. اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية، طُبِعَت بآخر ختمة البخاري.

. مقدمة للشمائل الترمذية.

. رسالة في أُبُوَّته (ص) للمؤمنين وكل رسول أب لأُمّته، طُبِعَت بفاس.

. النفثات التوحيدية.

. أجوبة عمّا أشْكَل في القرآن في جانب التوحيد.

. أسرار الاستعاذة، طُبِعَت في أوائل السرّ الحقِّي الامتناني في شرح وِرْد المترجم.

. تفاسير خمسة للبسملة من علم الكلام والفقه والتصوّف والحقائق والنحو.

. تفسير القرآن لم يكمل.

. الفصّ المختوم في تفسير والضحى.

. رسالة في أن البسملة آية من كل سورة.

. تشريح أسرار الشريعة في قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[(100)].

. الدرّة البيضاء في معنى الصَّلاح الذي تَطَلَّبه الأنبياء في نحو قوله تعالى: {وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[(101)].

. الاستئذان في تفسير قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا}[(102)]، طُبِع بفاس.

. الكشف والبيان عمّا خَفِيَ عن الأعيان في سرّ آية {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ}[(103)]، طُبِع بفاس.

. ختمة البخاري، طُبِعَت بفاس.

. ختمة الأجرومية.

. شرح بعض أسئلة الحكيم الترمذية الشهيرة.

. شرح الصلاة المشيشية.

. شرح أبيات من الهمزية البوصيرية.

. تعليق على فصوص الحاتمي.

. تعليق على عنقاء مغرب للحاتمي.

.كشف البراقع بشرح: توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سرّ... الخ.

. رِياض الأزهار في شرح قول ابن الفارض:

قلبي يحدّثني بأنك مُتلِفِي

روحي فِداك عرفت أم لم تعرفِ

. الرَّشحات الفيضية بفكّ مُبهمات قول ابن الفارض:

عليك بها صرفًا وإن شئت مزجها

فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

. ديوان شعر.

. الأحزاب الكتّانية السبعة، طُبِع أكثرها بفاس.

. الوصايا الكتانية.

. العهود الكتانية.

. الرسائل الكتانية في الهداية والإرشاد في عدة مجلَّدات.

. لسان الحجّة البرهانية في الذَّبِّ عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية، طُبِع بفاس ثم ببيروت.

. الكمال المتلالي والاستدلالات العوالي في مُجاجَجَة أهل التفريط والتغالي وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل مُتتالي، طُبِع بفاس.

. تأليف في الخشوع في الصلاة.

.كشف اللِّثام عن سرّ الصيام.

. تآليف خمسة في الفرق بين طريقة الاجتباء وطريقة الإنابة.

. سُلَّم الارتقاء، طُبِع بفاس.

. مدارج الإسعاد الروحاني في السلوك.

. سفينة المحبة، طُبِعَت بفاس.

. الولاية الذاتية.

. اللمحات القدسية في متعلِّقات الروح بالكلِّيَّة.

. القهرمان الأقدس.

توفي رضي الله عنه شهيدًا يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني عام 1327 هجرية.

هذه الترجمة مُقتبَسَة من كتاب (ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد) لسيّدي محمد الباقر بن سيِّدي محمد بن سيِّدي عبد الكبير رضي الله عنهم.

مَزْج الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيِّدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه المتوفّ عام 1327 هجرية (أللّهمَّ صَلِّ) بأحدية الكلّ الجمعي التجريدي[(104)] في غيب[(105)] هوية[(106)] {فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[(107)] على مَن منه انشقَّت أسرار الذات وانفلقت مُقتَضَيات أنوار الصفات وفيه ارتقت الحقائق من سُرادقات غيب غيب أُنزِل القرآن على سبعة أحرف[(108)] (على مَن منه انشقَّت الأسرار) العمائية[(109)] من الفضاء الذاتي فأحببت أن أعرف[(110)] (وانفلقت الأنوار) الصفاتية على بسطُ م ن ه وِ {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}[(111)].

(وفيه) إجمالاً وتفصيلاً (ارتقت) هيولى[(112)] (الحقائق) من سرادقات غيب إن هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحرف، وفيه (تنزّلت علوم) سيِّدنا (آدم) الجسماني مع نُعُوت الإحاطة بمُسَمَّيات أُوتيت جوامع الكَلِم[(113)] (فأعجز الخلائق) لاتحافه بنعت مَنْ رآني فقد رأى الحق[(114)] (وله تضاءلت الفُهوم) بِلِسانة { - . / 0 1 2 72 } [(115)] للوقوف خلف حِجاب الكُنْه (فلم يدركه منّا سابِق) للبساط الصدفي (ولا لاحق) للمنهل المزجي (فرِياض الملَكوت بزهر جماله مُونِقَة) لتمنْطُقه برقائق تحفة الصائم الطيب (وحِياض الجبروت بفيض أنواره متدفِّقة) لكونه دولاب مفيض مناهل أشعة الأُنْس[(116)] ولذيذ المناجاة في صورة نسيم المحادثة[(117)] على أرجاء الهياكل (ولا شيء) من جواهر أعيان الممكنات (إلا وهو به مَنُوط) اتحادًا ذاتيًا (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) فالشمس لا بدَّ لها من سحاب والحسناء لا بدّ لها من نقاب (صلاة تليق بك منك) في بساط وجُعِلَت قُرَّة عيني في الصلاة[(118)] (إليه كما هو أهله) مَنُوطَة باللّهمَّ أنت الخليفة[(119)] في المال والأهل والولد (أللّهمَّ إنه سرّك) المتوَّج بتاج «سؤر المؤمن شفاء»[(120)] (الجامع) لأشتات الكمالات الإلهية في مكتب { ى يٍّ ّ َ ُ 6 } [(121)] (الدال) بنفسه وقلبه وعَقْلِهِ وروحه وسِرِّه الأَجْلَى والأَخْفَى وقَالَبِهِ (عليك) كُلٌّ على قَدْرِ القَابِلِيَّةِ المبْسُوطَةِ مِنْ «جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ[(122)] (وحجابك

الأعظم) الملَثّمُ المعْنِيّ «بالكبرياءُ رِدَائي والعَظَمَةُ إزَاري مَنْ نَازَعَني في شَيْءٍ مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ[(123)] (القائِمُ لك بين يديك) بِنَعْتِ [(124)]، { ه و ى 1 ي ًّ َ 2 } [(125)] (أَللَّهمَّ أَلْحِقْني بِنَسَبِهِ) سِلْسِلَة أَحَدِيَّةِ الكلِّ الجَمْعِي التَّشْبِيهي التَّنْزِيهي لِكُلِّ شَيْءٍ نَسَبٌ ونَسَبُ اللهِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *}[(126)] (وحَقِّقْني بحسبه) مَنْهَجِ الرُّوحِ الكُلِّيَّةِ المفَاضَةِ مِنْ قلْزم[(127)] {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}[(128)] (وَعرِّفْني إياه معرفة) مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ[(129)] في نَفْسِ {أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[(130)] (أَسْلَمُ بها مِنْ مَوَارِدِ الجَهْلِ) به حتى لا أَطِيرَ بِأَجْنِحَتَي الإجْمَالِ والتَّفْصِيلِ إلا في سُرَادِقاتِ طَهَ (وأكرع بها) من نَعْتِ الأَبَارِيقِ السَّلْسَبِيلِيَّةِ[(131)] المدَارَةِ على نُدْمَانِ الهوَى في قَابِ قَوْسَيْنِ[(132)] وأَحَدِيَّةِ أَحَدِيَّتهم في صَفْوِ الكَأْسِ المزْجي على نَغَمَاتِ الأَوْتَارِ في خَلَواتِ جَلَواتِ الأَسْحَارِ (مِنْ موارد الفَضْلِ) الصَّمْداني المتْلُوِّ مِنْ سُرَادِقاتِ المنَابِرِ في مَساجِدِ إزالَةِ الوَحْشَةِ في قَالَبِ ادْنُ مِنِّي يا حبيبي (واحْمِلْني) به (على سبيله) النَّاسُوتِي[(133)] واللاَّهُوتِي[(134)] (إلى حَضْرَتك) الظاهِرةِ في {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}[(135)]، على سَبِيلِ التَّشَاكُلِ الممْتَدِّ مِنْ عُنْصُرِ فإذا أَحْبَبْتُهُ[(136)] (حَمْلاً محفوفًا بنصرتك) الجَذْبِيَّةِ {قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ}[(137)] (واقْذِفْ بِي) سُلُوكًا أَوْ جَذْبًا (على الباطل) الوُجُودِي الوَهْمِي المتَكَثِّرِ بِمُقْتَضَيَاتِ الواحدية (فأدمغه) بالوُجُودِ الحَقِّي الذَّاتِي القائِمِ {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}[(138)]، {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ}[(139)] (وَزُجَّ بي في بحار الأحدية) بَعْدَ المحْقِ[(140)] الذَّاتِي لَنْ يَرَى أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حتى يَمُوت[(141)] (وانشلني من أوحال) الإِلْقَاءِ في شَبَكَةِ الوَحْدَةِ المطْلَقَةِ التي هي أَوْحَالُ (التوحيد) التَّقْيِيدي { ط ظ ع 33 غ [34 }[(142)] (وأغرقني في عين بحر الوحدة) المزْجِيَّةِ الممْتَدَّةِ مِنْ عُنْصُرِ {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي}[(143)] (حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلا بها) في مِرْآةِ وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الكِبْرِياءِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ[(144)] (واجعل الحجاب الأعظم) بَرْزَخَ[(145)] البَحْرَيْنِ (حياة روحي) بِنَعْتِ الاصْطِحَابِ العَيْني {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [(146)] (وروحه سرّ حقيقتي) بَدَأَ الدِّينُ غَرِيبًا وسَيَعُودُ غريبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ[(147)] (وحقيقته) بِنَعْتِ جَوْهَرِيَّةِ عَمَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ (جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول) هَيُولي جَامِعَة لاِرْتِسَامِ جَمِيعِ الأَشْكَالِ والصُّوَرِ بِنَعْتِ الظُّهُورِ فيها أَللَّهُمَّ أَنْتَ الخَلِيفَةُ (يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن) مَنْ ذَاتُه لِذَاتِهِ عَيْنًا وحُكْمًا (اسمع ندائي) في

بِسَاطِ الْهَمْسِ الذَّاتِي { + ، - . / 0 1 } [(148)] (بما سمعت به نداء عبدك سيِّدنا زكرياء) عليه السلام { غ [گ] ء 5 ـ . ف ق ك ل م ن 6 هـ و ى يٌ ٍ َ ُ ِ ّ ْ 7 } [(149)] (وانصرني بك لك) يا أَحَدِيُّ في مَهَامِهِ الألفات (وأيِّدني) على فَتَكَاتِ جَمْعِ الْجَمْعِ[(150)] العَجَمِي في كَهْفِ {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ *}[(151)] (بك لك واجمع بيني وبينك) يا فَرديّ في غَارَاتِ البَاءَاتِ طَمْسًا وتَجْرِيدًا في مَقَامِ المعِيَّةِ المجْهُولَةِ.

(وحُلْ بيني وبين غيرك) بحجاب { { (ص) } ! " £ $ % 18 } [(152] (مَنْ يَمْنَعكَ مِنِّي قَالَ[(153)] (أَللهُ أَللهُ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) فَضَاء التَّعَيُّنِ الأَوَّلِ[(154)] الأَحْمَدِي أَوَّل مَصْدَرٍ مِنْ كُهُوفِ البُطُونِ الذَّاتِي الأَحَدِي، المسْتَهْلَك فِيهِ جَمِيعُ مُقْتَضَيَاتِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ حُكْمًا حُبُّ الوَطَنِ مِنَ الإيمانِ[(155)] {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ}[(156)] بواسطة هَيُولي الإِجْمَالِ والتَّفْصِيل { ر } (5) التي هي نُسْخَتُهُ الذَّاتِيَّةُ الجَامِعَةُ لِدَقَائِقِ الكَنْزِ المصُونِ { ز س ش ص } (5) ، } قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}[(157)]، { ض } {رُشْدًا} (5) ، {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ}[(158)] كُلٌّ بِكَمَالاَتِهِ وشُؤُونِهِ { ! " £ $ % } إِنَّ الإِطْلاَقَ عَيْنُ التَّقْيِيدِ {صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (7) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا، أَللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ خَتْمِ المفَازَاتِ الغَيْبِيَّةِ المنْقُوشَةِ فِي لَوْحِ أُنْزِلَ القُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ بِلِسَانٍ عَجَمِيٍّ بَين مُقِرٍّ إِنَّ هذا القرآنَ له ظَاهِرٌ وبَاطِنٌ ولِبَاطِنِهِ سَبْعَةُ أَبْطُنٍ، عَرْشِ الظُّهُورِ وَلَوْحِ البُطُونِ وإِنْسَانِ الدَّهْرِ وعَيْنِ التَّشَكُّلاَتِ التَّقْدِيرِيَّةِ والحُكْمِيَّةِ في الأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ والسُّؤَالِ والجَوَابِ والنَّارِ والطُّوفَانِ والنُّورَانِيَّةِ والظُّلْمَانِيَّةِ الممْحُوَّةِ بِمَحْوِ الغَيْرِيَّةِ بِشُعَاعِ {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا} {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا { ن هـ و ى يً 180 ٌ ٍ َ ُ 181 ِ ّ ْ 182 }[(159)].

&#5؛ ترجمة سيدي أبي بكر البناني رضي الله عنه سيِّدنا وسندنا ومولانا أبو بكر بن محمد بن عبد الله البناني، الرباطي دارًا وضريحًا ومولدًا، الفاسي أصلاً ومحتدًا، الدباغي نسبة الدرقوي طريقة الصوفي حقيقة، كان رضي الله عنه ونفعنا والمسلمين به من أكابر العلماء العامِلِين جامعًا بين الشريعة والحقيقة برزخًا بينهما يعطي الوسيلة فيهما. اشتغل أولاً رضي الله عنه بعلم الظاهر ببلده رباط الفتح ثم ارتحل إلى فاس بقصد قراءة العلم أيضًا فعكف على القراءة بمدرسة الصفارين سنين عديدة حتى حصل على علوم الشريعة كلها

بحسب الإمكان بحيث صار يُقال فيه ما قيل في نادرة الزمان الشيخ الأكبر سيدي ابن عربي الحاتمي رفع الله له الشأن بجاه سيد ولد عدنان هو أعلم بكل فن من أهل ذلك الفن، ثم جذبه الحق إلى حضرته فصرف عنان وجهته إلى علوم الحقيقة وطريقة الصوفية رضي الله عنهم فأخذها هذاك عن مشايخ عديدة رضي الله عنهم وعمدته في الطريق والوصول إلى مقام التحقيق هو الشيخ الإمام العارف بالله تعالى شيخ الطريقة وإمام الطالبين للحقيقة الكامل المحقّق المدقّق المربي الواصل أبو المواهب الإلهية والمعارف الربَّانية والعلوم اللدنية والأخلاق النبوية الشريف الحسني سيّدنا ومولانا عبد الواحد بن مولانا علال القصار المشهور بالدباغ، وهو أعني مولانا عبد الواحد الدباخ أخذ الطريقة عن شيخه الشريف الحسني سيّدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الدرقاوي رضي الله عنه.

حصل لسيدي أبي بكر البناني رضي الله عنه ببركة شيخه مولانا عبد الواحد الدباغ وملازمته له من الفتح ما لا يمكن التعبير عنه بحيث صار إمامًا يقتدي به وسِراجًا يُستَضاء به، وأذِنَ له رضي الله عنه في التصدّر لتربية الخلق ودلالتهم على الله والكل بإذن من الله ومن مولانا رسول الله (ص) حسبما هو مشهور عند أكابر أصحابه رضي الله عنهم فصدع رضي الله عنه بما أمر به فأقبل الناس عليه بدوًا وحضرًا وخرج على يده جماعة ممَّن لبسوا الخرقة وأما غيرهم فأكثر من أن يُحصَى وشُهرته رضي الله عنه في مشارق الأرض ومغاربها جِنَّها وإنْسها تكفي.

(ومما وجدته بخطه رضي الله عنه ونفعنا به) بعد الحمدلة ما نصّه وفي 20 صفر الخير سنة 1273 هـ التقيت بالنبي (ص) في عالم الأرواح وأمرني بتحسين عمامته وشدّها على رأسه فقدمت لذلك فأخذتني الهيبة من مواجهته (ص) فعمدت إلى تحسين ذلك من وراء ظهره أدبًا معه (ص) فلما فرغت أتيت أمامه مُطرِقًا وأنشدت:

أمحمد إني بجاهك عائذ	مما عرّى جسمي من الضرّاء
ولقد دعوتك حين جَلَت كُربَتي	لم أَلْفَ غيرك كاشفًا لبلائي
والحال إن عظمت فلا يدعى لها	إلا العظيم وأشرف الشفعاء

وهذه الأبيات للشيخ سيدي محمد الحراق وليست من محفوظاتي في عالم الأشباح لكنني لما رُمْتها في عالم الأرواح وجدت حِفظي بها مَنوطًا فلما فرغت من الإنشاد نظر إليَّ (ص) نظرة العطف والبشاشة واستيقظت عقب ذلك فوجدت الأبيات لا زالت مَنوطة بالحفظ فراجعت ديوان الشيخ فإذا بالوفاق

حاصل وتعبير ما أشار به (ص) من شدّة العمامة وتحسينها معروف وغايته الأخذ بالعزائم والرفض للرّخص وهو إشارة إلى سلوك طريق الجادة وفي ضمن ذلك الإذْن بالمعروف الذي يُوجِب حُسْن وجه الحقيقة والنهي عن المنكر الذي يُوجِب حُسْن وجه الشريعة والأمر إن كان من عند الله يمضه والسلام.

كان له رضي الله عنه القلم البارع في جودة التأليف قَلَّ أن يوجد له نظير، وجلّ تآليفه رضي الله عنه فُيُوضات إلهية وفتوحات ربّانية بحيث لو رأيت مسودَّة تآليفه رضي الله عنه وأرضاه وأكرمنا والأحباب بما به أكرمه بجاه سيِّدنا ونبيِّنا ومولانا محمد (ص) الذي قال: «مَن عمل بما عَمِل ورَّثه الله علم ما لم يعلم» آمين، وتآليفه رضي الله عنه في التصوف وطريق القوم وغير ذلك تنيف على الستين تأليفًا وكلها في غاية الإتقان وحُسْن الترتيب قد حازت من الرونق والمهابة والقبول ما لا يخفى على أهل الفتح بعطفة النبي الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم وهي من أعظم الدلائل على جلالة قدره وعلو منصبه رضي الله عنه كما قال مولانا عليّ كرّم الله وجهه المرء مخبوء تحت لسانه تكلموا تعرفوا. وقال بعضهم الرجال صناديق ومفاتيحها ألسِنَتُها وفي الحكم العطائية كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز ولا يخفى أن القلم أحد اللسانين.

. فمنها رسائله المسمَّاة بمدارج السلوك إلى مالك الملوك.

. ومنها كتاب الفصول المسَمَّى ببغية السالك وإرشاد الهالِك.

. ومنها شرح الحِكَم العطائية المسَمَّى الغيث المسجم في شرح الحِكَم في أرْبَع مجلدات.

. ومنها الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية التي أولها:

مَن ذاق طعم شراب القوم يدريه
ومَن داره غدًا بالروح يشريه.

. ومنها الفتوحات الغيبية في شرح المشيشية.

. ومنها بلوغ الأُمنية في شرح حديث إنما الأعمال بالنِّيَّة.

. ومنها شرح الأبيات الثلاثة المنسوبة لابن عربي الحاتمي قدّس سرّه التي أوّلها:

تطهّر بماءِ الغيب إن كنت ذا سرٍّ
وإلا تيمَّم بالصعيد أو الصخر

. ومنها تحفة الملوك والممالك في شرح ألفية ابن مالك شرحها رضي الله عنه بالإشارة.

. ومنها تفسير القرآن العظيم بالإشارة.

. ومنها الفتح الوهبي في التعريف بشيخه مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي.

. ومنها إشراق الحلك في شرح حديث يتجلى ربّنا في صورة مَلَك وهو حديث التحوّل.

. ومنها كتاب الفصول الفاصلة في بيان الزّاد والرَّاحِلَة.

. ومنها تحفة الملوك في قول الرسول لِعَلِيِّ: أنت أخي وأنا أخوك.

. ومنها حديقة الأزهار في نتائج الصمت وعلومه وما فيه من الأسْرار، جعله رضي الله عنه على عشر منازل كل منزلة احتوت على مائة وعشرين علمًا وجعل له خاتمة كالتكملة جمع فيها أسرار المنازل وعلومها وجعلها تفسيرًا لقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا *}[(160)]، وقد ذكره رضي الله عنه آخر الرسالة السابعة والعشرين من رسائله، وقال بعد ذِكره ما نصّه: لقد فتح الله علينا فيه بعلوم لم تخطر على بال ولا علمت أن أحدًا سبقني إليها من النساءِ والرجال كل ذلك ببركة رسول الله (ص) وبركة شيخي وشيخه إذ بإذْن مَن ذكرت فعلت وبإشارته كتبت وما شهدت إلا بما علمت وما علمت إلا ما وجدت ولولا ورود الإذْن عاريًا عن التقييد ما أبديت علم ذلك في شاهد التقييد لأن ذلك م موانع المزيد والحمد لله على فضله وإحسانه.

. ومنها حِكَمُه العجيبة وهي من أحسن ما يكون اشتملت على وصايا نافعة ونصائح لوجوه الخير جامعة أولها: (مَنْ لم تسقه رياح العناية وتحمله شوارق الرعاية مِنْ أين له أن يدَّعي الهداية) وآخرها (سافر بظاهر وجودك عن المماثل من الناس واهرب بباطن شهودك من حلاوة الاستيناس إذ العبادة لا تكون بالشركة ولا تنجح مع تلبيس الوسواس).

. ومنها شرح نوابغ الزمخشري عفا الله عنه التي أولها بعد الخطبة (السُنَّة منهاجي ومنها أجي).

. ومنها كتاب فتح المتعال في كشف آفات المنازل والأحوال وهو كتاب عظيم الموقع.

. ومنها طبقات مشايخه رضي الله عنهم.

. ومنها رائيّته المسَمَّاة هدية المزيد وهي من بحر الطويل اشتملت على وصايا نافعة أولها:

حقيقة جمعي في افتراقي وهِمّتي

تمدّ جميع الكون في الطيّ والنشر

وآخرها:

فخذها مريد الحق مني هدية

تسدّد حالاً منك إن كنت ذا حجر

. ومنها لاميته الجليلة في مدح النبي (ص) سمّاها الجوهرة في مدح مَن جاء بالحق وشهره، أولها:

قدَّت فؤادي ذات الحلى والحلل

الخ...

. وغير ذلك من التآليف التي لم تظهر بعد وفاته رضي الله عنه فلا حول ولا قوة إلا بالله.

توفي سيّدنا ومولانا الوالد قدّس سرّه ضحوة يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الثانية سنة أربع وثمانين بعد المائتين والألف وحضر موته خَلْقٌ كثير من أصحابه وغيرهم بحيث ملأ الحاضرون الدار، ولما قَرُبَ خروج روحه رضي الله عنه أمر الفقراء بذِكر الاسم الأعظم الذي هو ألله فلم يزالوا يذكرون الله عزَّ وجلّ بلسان واحد وصيغة واحدة إلى أن وصلت روحه إلى صدره فشرعوا في قراءة صلاة الشيخ مولنا عبد السلام بن مشيش وهي اللّهمَّ صَلِّ على مَن منه انشقَّت الأسرار... الخ. فلما وصلوا إلى قوله: فيها: إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى مَعاد.

فارق الدنيا رحمة الله عليه وجعلنا على أثره... ودفن بزاويته التي كانت وُهِبَت له في حال حياته بحومة السلويقة من بلده رباط الفتح... والزاوية المدفون بها رضي الله عنه المتقدمة الذِّكر كانت قبل بنائها بقعة خالية فوهبت له وحبست عليه حال حياته وعلى أصحابه ما تناسلوا من بعده إلى أن يَرِث الله الأرض ومَن عليها وقد كان عبد السلام بشَّره في وقعة عظيمة يطول ذِكرها بأن مدَّده رضي الله عنه لا ينقطع وأصحابه لا ينقرضون بفضل الله. وقال له: مُر أصحابك أن يجعلوا أول وِرْدهم بسم الله الخالق الأكبر حرز لكل خائف لا طاقة المخلوق مع الله.

هذه الترجمة مُقتبَسَة من كتاب (إتحاف أهل العناية الربَّانية في اتحاد طرق أهل الله) لسيدي فتح الله بن سيدي أبي بكر البناني رضي الله عنهما.

&#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي أبي بكر البناني رضي الله عنه المتوفَّى عام 1284 هـ اسم هذا الشرح هو: الفتوحات الغيبية في حلِّ ألفاظ الصلاة المشيشية الحمد لله الذي ملأت عظمته القلوب والأسرار، فخرست من أجل الثَّناء عليه ألسِنَة العقول والأفكار، والصلاة والسلام على إنسان عين الحضرة الإطلاقية، ومرآة مجلاها، وخطيب حضرة قاب قوسين، وإمام مصلاَّها، ترجمان الحقّ

ورابطة الربوبية والمربوبية، والحجاب المسدول عن إدراك السُّبحات لكل مَن اتّصف بالعبودية، سفير حضرة الوجوب وحضرة الإمكان، وسرّ جوهرة التكوين المنطوية في صدفة الأكوان، عين الرحمة الربّانية وينبوع بَحرها، القائل إنما أنا قاسم والله هو المعطي، أي كل نفس ما فيه مُناها، مَن به عُرِفَت المعارف في ميدان التعريف، وفي سُلَّم علومه الذاتية عرجت أرواح المحِبِّين إلى حضرة التشريف، سيِّدنا وسندنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، برزخ الحضرتين والمفتاح لدائرة الدوائر والخاتم، صلاة تنفي بها عن قلوب المحِبِّين له الشكوك والأوهام، وتحمل بها مَن انتسب عليه في محامل الرعاية إلى معاطن علوم الكشف والإلهام، وعلى آبه وأصحابه شموس الهدي وأقمار الهداية، الدَّالِّين على الله تعالى بالقول والفعل والحال بسابق مَحْض الفضلِ والعناية.

أما بعد فيقول العبد الفقير الذليل الحقير أبو قحافة أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عبد السلام البناني، الرباطي دارًا ومولدًا، الدرقاوي نسبة، الدباغي طريقة، كان الله له، هذا شرح لطيف على الصلاة المنسوبة للقطب الجامع مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله بذِكره وأفاض علينا من سيب فيضه آمين، ندبني إليه شيخنا ووسيلتنا إلى ربّنا صاحب المواهب الربَّانية والعلوم اللدنية أبو الفيض وأبو الفضل الشريف الحسني مولانا عبد الواحد بن مولانا علال بن مولانا إدريس الملقَّب بالدباغ رضي الله عنه بعد أن قال لي: أرجو الله أن يرشدك إلى طريق التحقيق فامتثلت أمره وارتكبت مَطِيَّة قَصْده وقيَّدت عليها ما فتح الله به في هذه الأوراق وإني معتذر لمن طالعه بأن ما سطَّرته كله بطريق الجبر والقهر في باطني مع ما رزقني الله من قوة التعبير عنها والحمد لله وإني مُقِرٌّ على نفسي بأنني قد سلكت مهامه رجال درست سنابك خيولهم أهاضيبها، وتقلَّبوا في سبيل حِياضها، وما علق ببالي أنني من سربهم ولا من فرقة جمعهم، لكن هاجرت إليهم طمعًا في تكثير سوادهم، ومَن كثر سواد قوم فهو منهم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب، وسمَّيته الفتوحات الغيبية في حلّ ألفاظ الصلاة المشيشية. قال المؤلِّف رحمه الله ورضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم.

أللَّهمَّ: أصله يا ألله فحذف حرف النداء وعوَّض عنه الميم الدَّالَّة على الجمع ولا يجمع بين العَوَضَين وشذَّ مجيء ذلك في الشعر وهذا اللفظ باعتبار أصله هو الاسم الأعظم الجامِع لجميع الحضرات الأسمائية والصفاتية فهو مجمع الضدَّين . أعني الأُلوهية والمألوهية . ومحل الوصفين . أعني الغيب والشهادة . فله الحيطة على سائر الأسماء والصفات، فالداعي به داعٍ بسائر أسمائه التي هي عين صفاته، فأوله جمع، وآخره جمع

الجمع، ووسطه جمع في تفرقة وتفرقة في جمع فافهم، وقد اشتملت إشارة حروفه على جميع أصول معاني أوصاف الذات العَلِيَّة من طريق الإشارة، فالألف إشارة إلى الوحدانية، واللام الأولى إشارة إلى محو الإشارة واللام الثانية إشارة إلى محو المحو في كشف الهاء، وبعبارة الإشارة في الألف هو قيام الحق بنفسه وانفصاله عن جميع خلقه فلا اتصال له بشيء من خلقه كامتناع الألف أن يتصل بشيء من الحروف ابتداء بل تتصل الحروف به على حدّ الاحتياج إليه واستغنائه عنهم وهذا معنى الوحدانية بالألف تجلِّي الحق من أنانيته لقلوب الموحِّدين فتوحَّدوا به، وباللام الأول تجلِّي الحق من أزليَّته لأرواح العارفين فانفردوا بانفراده، وباللام الثاني تجلِّي الحق من جمال مشاهدته لأسرار المحِبِّين فغابوا في بحار حبّه، وبالهاء تجلِّي الحق من هويَّته لفؤاد المقَرَّبين فتاهوا في بَيداء التحيّر من سطوات عظمته فافهم.

صَلِّ: بجميع شؤونك الوجودية الإلهية.

على مَن: أي الذي جاء بالموصول المقتَضي للإبهام إشارة إلى أن غايته لا تُدرَك ولا تُثبَت إلا لحقيقته التي هو صورتها.

منه: وبه أي من حقيقة حقيقته وبسبب محبوبيّته.

انشقَّت: ظهرت وتعيَّنت.

الأسرار: الذاتية من كنز عَماها وهو إنسان عينها وانجلت في خفاء عزِّها في مراتب وجودها وهو أسنى مظاهرها فلولاه ما تعيَّنت ولا ظهرت كما أنه لولاها ما تعيَّن ولا ظهر إذ لولا تعيّن الحقيقة الذاتية لم تظهر لها عين في الدائرة العلمية الإلهية الوجودية فبتعيّنها في عين وجودها تجلَّت من أصليَّة عَمائها ورأت نفسها بنفسها في نَفسها بعين أحديّتها وهذه المرتبة هي المسَمَّاة بالهويَّة الذاتية ثم تعيَّنت في مرتبتها العلمية الوجودية التي هي مرتبة الأُلوهية وهي المسَمَّاة بالاسم الله فرأت نفسها في عين العلم بها ثم انتشر الوجود وتعيّن في مراتبه وعوالمه، ولما كانت هي التي طلبت الوجود لتتعيَّن به وتظهر فيه كان لها الحكم عليه فظهرت بشؤونها وكمالاتها كما اقتضاه اعتبار ظهورها في عين ذاتها، (وقد صحَّ في الخبر النبوي) أن الله قبض قبضة من نوره وقال لها: كوني محمدًا فكانت.. الخ، فالقبضة سرّ غيبي من باطن الذات وليست مُقتَطَعَة من عين الذات فتكون منفصلة عنها بعد أن كانت متصلة بها، فالذات ظاهرها وهو باطنها وسرّها وذلك السر هو الساري في مرتبة الأُلوهية والتعيّن الوجودي، فكانت المرتبة والتعيّن صورته وهو روحهما فتعيّن الوجود وتعيَّنت مرتبته بسرّ باطن الذات المعَبَّر عنها بالقبضة، والتعبير بالقبضة باعتبار صورتها التي هي المرتبة

والتعيّن، فالسرّ غير متعقّل في مرتبة الذات ولا في مرتبة الأُلوهية حتى يشكّل كون هذه القبضة من الذات لاستلزامها الانفصال عنها بعد الاتصال بها المنَزَّه عن ذلك الحق سبحانه بل به تعيَّنت الذات ومرتبتها في التعقّل وهو لا يتعقّل اتصاله ولا انفصاله لعدم وصفه بمرتبة أو تعيّن بل هو إطلاق غيب غيب الغيب، فالغيب الأول الإضافي المرتبي الوجودي والغيب الثاني الذاتي والثالث هو السر المطلق الساري في الغيبين والظاهر تعيّنهما به في التعقّل. (وقوله) كوني محمدًا ليس المراد كونا متجدِّدًا بل المراد أنت محمد أظهر وجودك وعينه والتعبير بالأمر أيضًا بالنسبة للتعيّن الصادر عن أن لا تعيّن، فالكينونة ليست على بابها ومعناها الوضعي على حدّ قوله تعالى: { } ! " £ } [(161)]، أي أنتم، فالقبضة هي عين تعيّن وجوده في مرتبة حقيقته وذلك التعيّن لا يُوصَف لا باتصال ولا بانفصال لأنه لا يقبل الاتصال بشيء ولا الانفصال عن شيء بل كل شيء به تعيّن، والسرّ عبارة عمّا خَفِي إدراكه وانعدمت تعيّناته بوصف أو مرتبة، فالإشكال إنما وقع من حيث تعقّل المراتب، فإذا تعقّل الإنسان الذات وتعقّل القبضة فلا يسوّغ له أن ينسب كون القبضة من الذات لاستحالة ذلك على الحق سبحانه. الحاصل أن القبضة المحمدية عبارة عن التعيّن الذاتي الذي لا يُوصَف بقبلية ولا بعدية، والمراد بالتعيّن ظهور الحقيقة المحمدية في نفسها ومراتبها والتعيّن لا يوصف باتصال ولا بانفصال واقتطاع بل ذلك كله عبارة عن تعيّن الغيب من غيبه في عينه، فقوله: كوني محمدًا، أي أنت محمد أظهِر حقيقتك وتعيّنك في مرتبة وجودك، فالخطاب من نفس التعيّن في نفسه والأمر عين الواقع كما قدّمنا فمعنى قبض قبضة، أي عيّن تعيّنًا ذاتيًّا وأظهره في مراتب ظهوراته، هذا وحقيقته (ص) الإطلاقية المتعيِّنة بها جميع الحقائق لا تقتضي علمًا ولا جهلاً وإنما المعلومات المرتسمة في بعض مراتبها أكسَبَت نفسها العلم بها فعلَّمت نفسها بنفسها في مرتبتها المرتَسِمَة فيها، فإن تدلَّى (ص) إلى مرتبته المرتَسِمَة فيها المعلومات فإنه يعلمها من حيث ارتسامها في تلك المرتبة وإن بقي في عزّ غِناهة انطمست تعيّنات المعلومات فجهلت نفسها بنفسها فهو يعلم كل شيء بنفس كل شيء وتنزّه عن تعيين كل شيء لغِناه عن كل شيء فهو المتعالي عن جميع المعلومات بانعدامها وطمس تعيّناتها في مراتبها لغِناه عنها العالم بها من حيث ظهور حقائقها في مرتبة من مراتبه بتدلِّيه إليها فافهم.

وانفلقت: اتَّضحت وظهرت.

الأنوار الصفاتية القدسية من أصل مركزها: وهو حَبَّتها فتمّ ظهور الأسرار وانشقاقها في عين وضوح الأنوار وانفلاقها فهو البرزخ المحيط بين الوجوب والإمكان والشجرة المتفرِّع عنها الزمان والمكان مبدأ

الدائرتين ومنشأهما وسيّد الكونين وأولهما وختامهما وذلك أنه لما تعيَّن الوجود من باطنه الذي هو غيب هويته إلى ظاهره الذي هو صورة عمائه وارتسم فيه القابِلون له من أعيان الممكنات كان أول قابل له الروح العقلي فعقل الوجود وكان أول موجود بلا واسطة بينه وبين الوجود، أي كان من عالم الأمر، ومعنى عقل الوجود أي ظهر به لنفسه فلما رأى نفسه بعين الوجود صارت نفسه مرئية له وتابعة للوجود فانحطَّت رتبتها عنه فكان هو واسطة بين نفسه ووجوده بعقله الذي عقل به وجوده، والمراد بالروح المعنى القائم به غيره وبالعقل تعقّل قيام الغير به بسبب الوجود الذي قام هو أي العقل به، وما ورد إن صحَّ من قول الحق له: لا أضعك إلا في أحبّ الخلق إليَّ حين قال له: أقبِل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، أو كما ورد فإن المراد بإقباله قبوله الوجود وبإدباره قبوله العدم فهو واسِطة بين الوجود الحقّ والعدم والمِحْق لأنه ما ظهر إلا بقبوله الوجود ولم يتّسم بهذا الاسم الذي هو علامة ظهوره قبل أن يقبله والمراد بأحبّ الخَلْق إليه أقربهم إليه وأقربهم إليه هو كامل وقته ووضعه فيه، أي جعله مظهرًا للوجود فكل مَن دخل الوجود فإنه يكون تحت حيطته وقهره يُحييه أولاً ويرزقه لظهوره بالوجود المقتضي ذلك ثم يُميته ويعدمه لسَبْقِيَّة عدمه على وجوده فكل مَن يموت فبإذنه وكل مَن يوجد فتحت قدمه، والمراد بالحمق الذي وضعه في غير الأحبّ لِما خالف في إقباله وإدباره هو المخالفة فإن المطِيع الحقيقي هو الكامل والناس ممَّن دونه متفاوتون فَرُبَّ طاعة عند قوم معصية عند آخرين، حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين، ولا يلزم من هذا أن يكون غير الكامل لا يحبّه الله فإنه قد يحبّه ولكن المراد المذكور أحبّ منه. وهذا هو المراد بقوله (ص): «أول ما خلق الله نوري» لأنه عقل وجوده في عين حقيقته فانتشرت منه الأكوان كلها فكان هو حقيقة الوجود ومنبع كل موجود (ص) فهو المظهر الأكمل وغيره من أهل وراية سرّه مُرَبٍّ للوجود وشتّان ما بين المنزلتين وإن عَلَتا فالأول الذي هو حقيقة الوجود عين الحقيقة والثاني الذي هو مربّ عين المألوهية والأول ممدّ والثاني مستمدّ فالعارفون مستمدون ولاستمدادهم منه (ص) يشاهدون وصاحب الحقيقة المذكورة منه يقع الاستمداد وهو منبع للوارد فالأضواء مُقتَبَسَة من مشكاة مصباحه والأنواء مُغتَرَفَة من بحره فمن نوره قامت الدلالة والدليل، ومنه تعيَّنت الطريقة والسبيل فمظهره (ص) القطب الكبير ثم من دونه من أهل الشهود والمراتب.

وفيه: وبه.

ارتقت الحقائق الوجودية الإلهية وظهرت أعيانها: أي صعدت وعَلَت في نفس مراتبها وعلا بعضها بعضًا لأنه حقيقتها ومنه مادتها وانتشارها في جميع عوالمها ومراتبها واختصَّت الحقيقة الذاتية بالظهور على التمام

في صورة الإنسان المحمدي لأنه مخلوق على صورتها وإلا فهي عين كل شيء ولذلك يقال: كل شيء فيه كل شيء، أي حقيقة الإنسان هي حقيقة الفرس والنخلة والزيتونة وكذا وكذا من جميع الأشياء المبصرة المعلومة الصغيرة والكبيرة الجليلة والحقيرة الضارّة والنافعة القوية والضعيفة، وأما غيره من سائر المظاهر فقد انطوت فيه واختفت عن عينه فلا يعرفها ولا يمكن أن يعرفها لعدم إحاطته بقواها الوجودية الصورية بخلاف الإنسان فإنه خُلِق على صورتها فلا يخلو الزمان عن هذه الصورة الأحمدية لتقوم بوجودها وتظهر بعينها ولولاها لانهدّ الوجود وهذه الصورة هي صورة الإنسان الكامل فيه وبه يحفظ الله الوجود وتحفظ أشياؤه وتقوم به سائر الكائنات من أجناس الموجودات وأنواعها إذ لولا الواسطة لذهب الموسوط بذهاب روحه فحقيقته (ص) هي بزرة الحقائق وحبّتها التي نبتت منها وانْتَشَرَت فروعها من عينها ومراتبها من أصلها فلما تمَّ ظهورها بجميع مراتبها ظهرت صورتها حاوية جملة تلك الفروع ومشتمِلة على جميعها فكانت حقيقة صورته آخر ما ظهر كما أنها أول ما برز وانتشر وإن كانت الفروع من حيث الصور أكبر من صورة الحقيقة الحاوية لها ومُمِدَّة لها وساترة لها من طرفي الغطاء والوطاء فإن إمدادها للصورة من حيث حقيقتها فما استمدت من سواها {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}[(162)] ويتبيَّن لك أن حقيقته (ص) هي بزرة الحقائق المتفرِّعة عنها بضرب مثل عقلي مثل حقيقته (ص) مثل بزرة البطيخ مثلاً ونحوه تنبت فروعًا وفي تلك الفروع تظهر صورة البطيخ وهي آخر ما يظهر وإليها انتهى الظهور ثم إنك تجد الحبَّة المستنبتة داخل الصورة فلها تُنسَب الأوّلية من حيث استمداد الفروع منها والصورة كما أن لها تُنسَب الآخرية من حيث وجدانها داخل الصورة واشتمال الصورة عليها كوجود صورة الإنسان داخل صورة العالم الأكبر بين سماء وأرض مع أنه في نفسه انطوت فيه حقائق العوالم بأسرها إذ من حقيقته وحبته تفرَّعت، ولما كانت حقيقته (ص) الجمعية منها تعيَّنت جميع الحقائق بعث إلى كافّة الخلق وكانت رسالته عامّة وكتابه مخبر بأحوال الأوّلين والآخرين التي هي حقائقهم المتعيِّنة في المرتبة المذكورة المجموعة في المرتبة الأحدية والحقيقة المحمدية.

وتنزّلت علوم آدم: هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها وهي مدخولة بحرف الجر القبلي لكن إن أبقينا حرف الجر على بابه من الظرفية لا يكون فيه كبير معنى لأنه يكون من باب الإخبار بالمعلوم وتحصيل الحاصل لأنه تحقَّق عندنا كشفًا ونظرًا أنه به انجلت الأسرار الذاتية من العَماء الأصلي وبه انفلقت حبَّة الأنوار الصفاتية وهو مجلى الظهور للحقيقة الذاتية ومنه تفرَّعت جداول هذه الأعيان الوجودية علوها

وسفلها جليلها ودقيقها وأن الكل مُفتَقِر إليه من حيث الإمداد لأنه الواسطة وهي روح الموسوط فلم يَبْقَ لمعنى الظرفية كبير فائدة وإن كانت هي صحيحة في النسبة الخارجية بطريق الأصالة وفي آدم بطريق الخلافة والنيابة لكن الأبلغ في تقرير كلام المؤلِّف أن يقال إن في كلامه حذفًا والتقدير وفي مرتبته (ص) الثانية الغيبية الإضافية تنزّلت علوم آدم... الخ وهو تقدير لطيف، وأما أن يقال إن الفاء بمعنى الباء كما خيّطنا كلامه في الجملة التي قبل هذه وتكون الباء سببية بمعنى أنه (ص) بسببه نزلت عُلوم آدم الذي هو السرّ الوجودي والفيض المقدس الأسمائي من مرتبة عمائها وغيب هويتها لكونه مجلى السر المقدس فهو مرتبة من مراتبه (ص) ومجلى أسامي علومه في مرتبته العلميَّة.

فأعجز: آدم الذي هو أبو صورته الأسمائية لا الذاتية لاختصاصها به وبمرتبته وآدم في مرتبة التعيّنات الأسمائية الصورية كما أنه (ص) عين أعيان حقائقها العلمية.

الخلائق: من حيث تدلّي العلوم الأسمائية إليه وبيانها لهم فأفحمهم أمره وسجدت إليه سائر المكوّنات حيث قالت: لا علم لنا لإحاطته بما لم يحبطوا به من علم أسْماء ربّه المتعيِّنة في الصور والأشكال المعرفة به إذ بصورته تمّ ظهور الحق ووجوده فتعيَّن به وله ظهور اسم كل موجود بعين وجوده فكان ظهور هذه المرتبة في آدم أكمل كرامة للحقيقة الأحمدية التي هي محل تنزّلات العلوم بأسرها الأسمائية والذاتية فإذا عجزت الأعيان الوجودية عن إدراك حقيقة صورة الجمع التي هي مظهر آدم فعجزها بالنسبة إلى الحقيقة الجمعية وهو حقيقة النور المحمدي أحروي ولذلك قال:

وله: (ص) أي لمرتبة حقيقته العليا.

تضاءلت الفُهُوم: أي صغرت وخفيت وقصرت عن إدراك الحقيقة المحمدية لإطلاقها وعدم حصرها في فهم فاهِم وعقل عاقِل لأن حقيقته (ص) عين الحقيقة الذاتية الأحدية وشؤونها وكمالاتها لا تكيّف حتى يلزم منه الإدراك ولذلك قال (ص): «لا يعرفني حقيقة غير ربّي» ونفي الإدراك من حيث اكتسابنا ذلك بإدراكنا لأن الأفهام محجوبة عن إدراكها بالحُجُب الصورية والمعنوية، وأما من حيث التقريب والعناية وسوابق الاصطفاء والهداية والإرث الأحمدي فقد يحصل الوقوف للنّز القليل من أُمته ويعثر على سرّه ومَن عثر عليه ولو لمحة ما لا خوف عليه من البُعد بعد ذلك، والمعنى الأول هو الذي قصد نفيه المؤلِّف بقوله:

فلم يدركه منّا سابق: صورة من حيث الإدراك الفهمي بل بالعناية الربّانيَّة.

ولا لاحق: له صورة إذ ليس معه غيره بوصف إدراكه قبل ظهور صُورته وبعدها بل هو أدرك نفسه بنفسه في نفسه بعين أحديَّة جمعه في مرتبته المتعيِّنة منها المراتب بأجمعها التي كانت الأنبياء أول مظاهرها صورة وفرقًا وكان هو آخرها حقيقة وجمعًا فالسبق واللحاق صوريان لأنه كما قدّمنا أصل نقطة خط الدائرتين بداية ونهاية وفي تقدّمه وجودًا وتأخّره شهودًا إشارة لطيفة يدريها الذائق بذوقه.

فرياض: جمع روض وهو ما يرتاض فيه للراحة.

الملكوت: باطن الأعيان الوجودية وفيه تحصل الراحة للسائر من عالم المِلْك بأن تستريح نفسه من ظاهرها لباطنها برؤيتها صورتها في عالم مثالها الذي هو ألطف من كثافتها في عالم حسّها فترى ببصيرتها ما لا تراه ببصرها فتكون لها بذلك نزهة في رِياض الملكوت فهو جمال محض والمِلْك جلال محض أو تقول الملكوت جمع محض والمِلك فرق محض، وعالم الملكوت مثال عالم الجبروت الذي هو الحكم الوجودي، والتفرقة بين المِلْك والمَلَكوت والجبروت والرحموت إنما هي على طريق التعقّل، وأما من باب التحقيق فالكل عين الآخر، وبيان ذلك أن الرحموت هو النفس الرحماني المسمّى بالعمى ويعبَّر عنه بالسر الإلهي وبالعناية وقدم الصدق واللطيفة الإنسانية وأول مراتب الوجود والتعيّن الثاني ومرتبة الواحدية وقاب قوسين وحضرة الأُلوهية وغير ذلك كروح الروح، وسُمِّي بالنفس لأن فيه تنفّست حقائق ذاته سبحانه التي هي أسماؤها، والجبروت هو الحكم الوجودي فالحكم هو نفس الوجود وهو الروح والمراد بالحكم الحركة الحُبِّيَّة العرشية الظاهرة في عين الوجود الروحي المشار إليها بقوله: «كنت كنزًا لم أُعرَف فأحببت... الخ» فكل حقيقة ظهرت بحركة وكل حركة حكم وكل حكم روح جبروتي ووجود أسمائي وحقيقة ذاتية وهو حضرة الربوبية، والملكوت مثال ذاك الحكم كما قدّمنا، والمِلك صورته، فتبيّن أن الملك هو الملكوت وهو الجبروت وهو الرحموت وهو حضرة العبودية فتعيّن الذات في عين وجودها هو الأسماء والصفات والرحموت، وتعيّنها في عين صفاتها هو الحكم والجبروت، وتعيّنها في عين مثالها وصورتها هو المِلك والملكوت، والمحل الذي تتعيَّن فيه هذه العوالم هو العرش واللطيفة الإنسانية فافهم.

بزهر جماله مونِقَة: أي بنور معاني صفات جمال النور الأحمدي وكمال بهائه تأنّقت وأعجبت وزينت بواطن الأعيان الثابتة وتألّق بارق سناها واستتمّ كمال ظهور مثال الحكم الوجودي لتحلّيه بما تحلَّت به الحقيقة الأحمدية الجمعية الذاتية ولولا تحلّي بان الممكن الأول بالحقيقة الإطلاقية لما كانت له عين مرئية ولا ظلال بادية لأن الحقيقة الأحمدية التي هي الروح القدسي أو السرّ الإلهي هي روح الممكنات التي تحقَّقت بها

حقائقها الخارجية وصورها الوجودية فالممكنات صورتها وهي حقيقتها ولا وجود لحقيقة من نفسها بنفسها إلا للحقيقة الأحمدية الإطلاقية.

و: إنما تأنَّقت بواطن المثال الملكوتي بصفات الجمال وأعجب من حيث أن.

حياض: جمع حوض وهو مجتمع الماء.

الجبروت: عالم الأرواح وهو الحكم الوجودي الذي هو مجتمع المعاني.

بفيض أنواره: أي بسبب تجلّي حقيقة النور الأحمدي التي هي حقيقة الحقائق ومعدنها المتفرّعة عنها العوالم بأسْرها على تلك الحِياض التي هي مجتمع السرّ الوجودي.

متدفقة: ومنصبّة من عين الحقيقة على رِياض الملكوت فحقيقته تمدّ جبروته وهو يمدّ ملكوته وهو يمدّ مُلْكه فهي الجامعة للأطوار المانِعة مَن حلَّ بها من الأغيار لأن مادة جميع الأعيان الصورية والحقيقة من حقيقته (ص) تفرّعت جداولها وسالَت أوديتها فمجمع حقيقته الجمعية ممدّ لكل موجود ونور صورته الأحمدية سار في كل مشهود فهو الاسم الأعظم الذي قامت به حقائق الأشياء وصورتها فلذلك قال:

ولا شيء: من الظلال الشاخصة والحضرات الكونية صورة وحقيقة، أو تقول ولا شيء من أنواع الأشياء وأجناسها على اختلافها في مراتبها من جميع العوالم وما فيها من إنس وجِنّ وغير ذلك.

إلا وهو به: أي بحقيقته.

منوط: معلَّق ومربوط ومستند إيجادًا وإمدادًا لأن حقيقته (ص) عين الاستعداد الكلي والتعيّن الأول الذاتي الذي هو غيب الهوية وتقدم أن أول قابل له هو الروحُ الكلي والنفس الكلية وهي الحقيقة الأحمدية، والاستعدادات الجزئية هي التعيّنات الإلهية الوجودية، والقابِلَة لها الأرواح الجزئية والنفوس الجزئية، فالاستعدادات الجزئية التي هي مجمع العوالم بأسرها منوطة ومعلقة بالاستعداد الكلي الذي هو الحقيقة الأحمدية ومفتقرة إليه افتقارًا ذاتيًّا فالكل منه وإليه ولور وصلة الاستعداد الكلي بالاستعدادات الجزئية لَما شخصت ظلالها ولا انتشرت أعيانها ولذلك قال:

إذ لولا الواسطة: الجامعة بين شيئين أي لولاه (ص) من حيث ظهوره في جميع العوالم وتفرّعها واستمدادها منه وإحياؤها بحياته.

لذهب كما قيل: المعنى.

الموسوط: به القائم بالواسطة أي لذهب معناه وروحه القائم بها من حروف الوجود، فلما كان كذلك وجب أن يشهد في كل مشهود ويرى فيه كل موجود، فالحقيقة الأحمية لها البرزخية الكبرى الجامعة بين الذات والأُلوهية والعبودية، وإن شئت فقل لها البرزخية بين الوجوب والإمكان، والوجوب هو حضرة الأسماء، والإمكان حضرة الممكنات، وسُمِّيت الحضرة الأسمائية بالوجوب لقيامها بنفسها بخلاف الممكنات فهي قائمة بالأسماء وظاهرة بها، وهنا تحقيق لا تسعة الأوراق فمَن ذاق عرف وإلا فلا حرج عليه إذا سلّم واعترف، وبالجملة فنبيِّنا محمد (ص) هو الواسطة بين الأُلوهية والمألوهية ورابطة بين الربوبية والمربوبية، فمن هنا كان رحمة للعوالم بأسرها لأنه أسّ الوجود والسبب في كل موجود وينبوع الدوائر وترجمة الظواهر والسرائر فله (ص) في كل عالم وحضرة ونشأة وموطن ومقام وحال معنى هُو روحُ تلك الصورة الوجودية وقوام جواهرها الكونية (ص).

صلاة: اسم مصدر لأن مصدر صلَّى تصلية وهنا كلام لا يليق بهذا المحل.

تليق بك: من حيث إنها صادرة.

منك: بداية ولا تعقل للبداية ونهايتها.

إليه: وفي الحقيقة هي صادرة منك إليك لأنه عينك وسرّك الجامع.

كما هو أهله: بتأهيلك إيّاه ومعرفتك بقدرة عندك لأنه لا يقدر أحد قدره غيرك لأن حقيقته الجمعية إطلاق بإطلاق حقيقة ذاتك وهي لا يُحاط بها علمًا، فحبيبك الذي استتمّ به ظهورك لا يحاط به علمًا ولا يعرفه أحد سواك كما ترجمت بذلك حقيقة النورانية بقولها: «لا يعرفني حقيقة غير ربِّي».

أللَّهمَّ إنه سرّك: الغيبي المتجلِّي من بطون الذات وغيب هويتها الذي انجلت به أسرار الأحدية من نقطة غينها وكنزية عمائها فارتسمت في مرآة إنسانيته أنوار شؤون الأُلوهية وكمالاتها فهو صورتها.

الجامِع: لها في هويتها والظاهر بها في مرتبتي الأسماء والأفعال فهو مجلى الذات في سائر مرتبها الأحدية والواحدية والوحدة فلذلك اقتضت حكمتك أنه:

الدَّالّ عليك: لظهوره في صور أعيان الحقائق الوجودية وقيامها به فهو عين الدلالة والدليل وبه تحقق السير في أوضح السبيل فلا سبيل إلى العثور على الحقيقة الأصلية إلا به ومنه لأنه مفتاح أبواب حضرتك القدسية.

وحجابك: اسمك.

الأعظم: الأمم الذي احتجت به عن أن يدرك أحد لاستحالة إدراك الحقيقة بدون مظهر من مظاهرها فالحقيقة الأصلية تنكّرت بما به تعرّفت واستترت بما به ظهرت ، فالحقيقة المحمدية هي عين اسمه الظاهر لظهور أسرار الحقيقة الأصلية في صورة الحقيقة المحمدية وهي عين الباطن لاستتار الحقيقة بصورة الحقيقة المحمدية، فالحقيقة الأزلية ظهرت لنفسها بنفسها في نفسها واختفت من شدة ظهورها بنفسها في نفسها لأن مِنْ شدة الظهور الخفاء، فالنور الأحمدي هو:

القائم لك: بجميع معاني اسمك الأعظم.

بين يديك: حضرتي الأسماء والأفعال، فسرّ الحقيقة الأحمدية الذي هو حجابك واسمك الأعظم سار في صور الكائنات سريان النار في الفحم، فالوجود كله قائم به ولا يصحّ أن يخرج شيء عن حكمه إذ كل شيء مَنوط به.

أللّهمّ ألحِقني: بالسلوك في طريق هدايته والجذب إلى حضرة وصوله فأقف على عين عنايته.

بنسبه: ونقطة اعتداله حتى أُشاهد أنوار حقيقته فإنه لا يدرك أحد حقيقته إلا بك ولا يتحقَّق بما تعيّن منها إلا مَن اصطفيته إكرامًا له وأدخلته في حِماك وعزّك لأن حقيقته في عزّ غيبك مطلقة بإطلاقك كما أنها ظاهرة بعوالمك وجميع حضراتك، أظهرته في كل ظاهر وأضمرته في كل ضمير فإنَّا نسألك بحروفك الغيبية وكلماتك الأصلية وتجلّياتك الأسمائية وآياتك القرآنية وأنوار حقيقة حبيبك التي سبَّحك من نورها كل مُسَبِّح بأنوا، تسبيحه أن تسلخ ليل إمكاني بنهار وجوبك وظِلّ وجودي بأنوار شهودك.

وحقّقني بحسبه: وكمالاته التي هي أوصاف حقيقته الظاهرة به وعليه إذ به انفتق رتق الصفات في مرتبة واحديتها وبه تعيَّنت أعيانها وتميَّزت في مرتبة وجدتها فله الحيطة بها تحقّقًا وتخلّقًا فهو مجلاها من حيث هي هي كما ترجمت بذلك حقيقتك الذاتية في قولها: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ *}[(163)]، فالقرآن جاء مُبَيِّنًا لحسبه وأخلاقه فظاهره ظاهرة وباطنه باطنه وحده جمعه ومطلعه جمع جمعه فافهم، وسأل التحقّق دون التخلّق لأن التخلّق يكون عن كسب وتعمل في التحلّي بالصفات فصاحب التخلّق محل لأحكام الصفات وهدف لسهام آثارها، والتحقّق لا يصحّ إلا بمناسبة ذاتية تقتضي بأن يكون المتحقِّق بها مرآة للذات والمرتبة الجامعة للصفات ترتسم فيه جميع الأسماء والصفات ارتسامًا ذاتيًّا على سبيل المحاكاة للارتسام الإلهي فيه أعني بصاحب التحقّق يظهر وينفك آثار الأسماء والصفات في المتخلّقين بها وغيرهم من المجالي الذين هم محل آثارها من الأناسي وغيرهم فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله.

وعرّفني إيّاه: بشهودي له في عين حقيقته فتكون:

معرفة: حقيقية عينية يقينية تدمغ كل باطل من وهم أو شك أو ظن يزلزل القدم عن مستقره إذ المعرفة الحقيقية هي التي يعلم بها ولا يجهل ويجهل ولا يعلم ويثبت ولا ينفي وينفي ولا يثبت ويصول على ذلك كله بما يبدو منه إليه من فيضان المعارف التي لا يُحاط بكُنْهها، وعدل عن ضمير الاتصال إلى ضمير الانفصال لنكتة لطيفة يدريها الذائق بذوقه، وطلب معرفته (ص) لأنه بقدر معرفته والتحقّق بها تحصل معرفة الحق سبحانه التي لا نهاية لها لعدم انتهاء تعرّفاته التي كان الإنسان مُظهِرًا لتجلياتها لكونه النسبة الجامعة بين النسب الإلهية والكونية فلا يزاف يتجدّد له العلم بالله بحلوله في كل عالم من عوالمه ومرتبة من مراتبه ومقام من مقاماته ومنزل من منازله ويشهده في كل مظهر من مظاهره حتى يُخرِجه الحق سبحانه عن سائر الأحوال والمقامات وتجلياتها الأسمائية المظهرية بتجلٍّ ذاتي معتدل عن التجليات الأسمائية الذي هو مختص بالعارف الأكمل وبهذه النشأة الدنيويَّة فإن مَن لم يحصِّله بها لا يحصِّله في النشأة الأُخروية وهذا التجلي العديم النعت والوصف لا يُدرَك بعمل ولا سلوك لإطلاقه إذ السلوك بالعمل والتوجّه في طريق معينة والتقلّبات في أحوال مخصوصة من حيث الظاهر والباطن أو هما معًا كل ذلك مقيَّد وينتهي إلى غاية لكونه له بداية وهي التوجّه مثلاً وكذلك تعقّل التوجّه إليه والبداية والنهاية مقيّدة بتعقّلهما وعدم التعقّل مقيد بالإطلاق وتعقّل الإطلاق من كل وجهة وقيد ومطلب وغاية مقيَّد بنفس ذلك التعقّل والمقيَّد لا ينتج إلا المقيد لأنه لا يعطي من جميع الوجوه المذكورة إلا ما هو منه إذ كل سالِك على طريق معينة هي حرقه الذي يُعيد الله عليه فالمطلوب الخروج عن كل قيد بعد السلوك فيه والإطلاق عن كل إطلاق بعد التقيّد به وعبادته سبحانه بكل وجه ومشاهدته في كل وجه ومعرفته لا من وجه وتقديسه عن كل وجه وعن كل تقديس فافهم، ولما كانت معرفة كمال حقيقته (ص) التي لا نهاية لها هي سُلَّم السلامة من الجهل بالحقيقة الإطلاقية الذاتية سأل ذلك بقوله:

أسلم بها من موارد الجهل: بك لأنه مظهر ذاتك ومرآة العلم بك فمنه ترى وتشهد وبه يرقى العالِم إلى أعلى درجات العلم بك ويصعد فلا سبيل إلى الحضرة الإطلاقية الإلهية إلا من باب برزخية الحقيقة الأحمدية والتحقّق بالحقيقة المحمدية من طريقِ المعرفة ليس هو من باب الكسب إنما هو من باب الفضل والاجتباء فلذلك أسند المعرفة إلى الحقيقة الإطلاقية في قوله: «وعرفني» كما أن معرة الحقيقة الإطلاقية التي هي عين الحقيقة المحمدية لا تحصل إلا من حيث الأسماء والصفات باعتبار تميّزها في مرتبة وحدته أو

استهلاكها في أحديَّته وشهودها في عينها، وأما معرفتها من حيث هي هِي فلا إذ ليس ثَمَّ مَن يعرف لأن الأحديّة ذات سحق ومحق فافهم.

وأكرع بها: أي أشرب بسبب معرفتي بالحقيقة الأحمدية من غير آلة وواسطة إذ لا حجاب بين حضرة الوجوب وحضرة الإمكان إلا أنوار الحقيقة الأحمدية فمَن بلغ درجات الاصطفاء فقد مكَّن.

من: صرف.

موارد: بحر.

الفضل: تجلياتك الذاتية والأسمائية التي هي عناصر توحيدك الذاتي في بساط التجريد على سبيل التفريد.

واحملني: بعناية توفيقك وسوابذ حفظك ورعايتك.

على: مركب جادة.

سبيله: طريقه الجادة الجامعة لجميع الطرق الحاصرة لها فهي الطريقة الغَرَّاء بقمر التوحيد الذاتي النقية من شهود دليل السّوى وغلس الأكدار وانتهاء سيري.

إلى حضرتك: الإلهية فالطريق الموصلة إلى الحضرة الإلهية واحدة والناس في سيرها متفاوتون وبحسب سيرهم تعدَّدت فصارت ذات وجوه كثيرة بحسب سير السائرين واختلاف أحوالهم حتى قيل إنها على عدد أنفاس الخلائق أي كل نفس طريق لأن صعود النفس الواحد مُخالِف لنزوله والتخالف ينتج كثرة الوجوه وكل وجه تعرف وكل تعرف طريق، فالطرق على قدر التعرّفات وهي لا نهاية لها من حيث السائرون المتوجِّهون لا من حيث الحق سبحانه فإنها واحدة لا تتبعّض ولا تتجزأ فكل مَن أقبل على الحق وتوجّه من حيث هو توجّهًا يليق به فذلك التوجّه طريقه، ثم الطرق وإن تعدّدت كما قدّمنا فهي ترجع إلى ثلاثة طرق كما صرَّح بذلك بعض شُرَّاح الفصوص الحاتمية وهي طريق سلسلة الترتيب وطريق السر وطريق أعلى وهي طريق التوحيد الذاتي، فطريق سلسلة الترتيب هي ظاهر العبودية وهو ظاهر القرآن الذي هو ظاهر الحقيقة الأحمدية، والمراد بسلسلة الترتيب مراتب الوجود التي أحكامها ظاهر القرآن المتكفِّل به ظاهر صورة القبضة المحمدية، وطريق السرّ هي طريق الربوبية وهي باطن القرآن الذي هو باطن إنسان عين الحضرة المطلقة، وطريق التوحيد الذاتي هي الحقيقة الذاتية التي هي حقيقة الإنسان المحمدي ومطلعه الذي يستشرف منه على الظاهر والباطن، وأما حدّه فهو البرزخ الجامع بين ظاهره وباطنه، أو يقال طريق سلسلة الترتيب هي ظاهر الأُلوهية وهي العبودية، وطريق السرّ باطنها وهي الربوبية، وطريق التوحيد الذاتي الأصل المنسوب إليه

الظهور والبطون، أو يقال طريق سلسلة الترتيب صورة الأُلوهية وطريق السر حقيقتها، وطريق التوحيد الذاتي حقيقة حقيقتها وهذا معنى قول الحاتمي قدّس الله سرّه: «السالكون على ثلاثة أقسام: سالك بنفسه، وسالك بربّه، وسالك لا سالك» فيكون معنى الأول السلوك بالظاهر الذي طريقه سلسلة الترتيب التي هي ظاهر الأُلوهية وصورتها، والثاني السلوك بالباطن الذي طريقه طريق السر وهي باطنها وحقيقتها، والثالث سالك لا سالك من حيث وقوفه على عين الظهور والبطون وأصلهما وغيبته فيما نسبا إليه ووصف بهما فلا يوصف بسلوك ولا عدمه لخروجه عن الظهور والبطون والصورة والحقيقة والاسم والابتداء والانتهاء فهو في عين الذات المجرَّدة، أو يقال الأول سلك بنفسه من حيث ابتداؤه منها وقطعه جميع عوالمها ومراتب وجودها ومقاماتها حتى وصل إلى الحضرة الإلهية فهذا سالك بنفسه وإن كان في الحقيقة سالكًا بربّه وله يُنسَب الكمال الإنساني في الطور الإلهي ثم سلك بربه من حضرته فعاد عودًا معنويًّا وقطع الدائرة مرة ثانية وهذا هو الكمال الإلهي في الطور الإنساني كما نبّه على الكمالين تلميذ الحاتمي وهو صدر الدين في كتابه مفتاح الغيب، وأما الثالث فإنه لما خرج عن الدائرة إلى عين الإطلاق الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء فيقال فيه سالك لا سالك. الحاصل أن طريق سلسلة الترتيب هي طريق العبودية لأن سلسلة الترتيب هي مراتب الوجود وأحكامها التي هي الأحكام التكليفية هي العبودية، وأما الطريق الثانية فهي الربوبية لأن الربوبية سرّ العبودية فيعرف الإنسان سرّ تلك الأحكام وحقائقها، والثالثة هي الكشف الذاتي والتحلّي الحقيقي فافهم. هذا والطريق دورية لا خطية فكل مَن كان ابتدأ سلوكه من مرتبة مَّا من مراتبها فلا بدّ أن يطوف على عين جميعها ولا تفاوت في وجوه هذه الطرق خلاف ما يظهر من قول القائل: «نهاية طريق كذا بداية طريق كذا» فإنه يقتضي أن الثاني له الفضل على الأول لتحصيله ما لم يحصّله واطّلاعه على مَن لم يطَّلع عليه لأن ابتداءه من انتهاء الثاني وليس هذا مراد القائل بل المراد أن الأول انتهى في مرتبة من مراتبه التي هي مرتبة جمعه، والثاني ابتدأ منها دائرًا على جميعها حتى يستوعبها بابتدائه فيما انتهى منه بانتهائه فيما ابتدأ منه فيكون كل واحد أحاط بها تمامًا فلا فضل لأحدهما على الآخر أللّهمَّ إلا مَن قصرت به النفقة فحطّ رَحْله في مرتبة من مراتبها من غير استيعابه جميعها فإن ذلك ما قدّر له على أيّ وجه من وجوهها والوقوف على عين الطريق والتحقّق بها أمر قلبي غيبي يهبه الله لمن شاء من عباده فليست الطريق قولاً باللسان ولا عملاً بالأركان ولا تؤخذ عن أحد إلا على سبيل الدلالة والإرشاد والتحقّق بها هو المطلوب والجاري على ألسنة القوم أن الأقسام ثلاثة: شريعة وطريقة وحقيقة، فالشريعة أحكام الظاهر التي هي الإسلام، والحقيقة

حقائقها التي هي الإحسان والشهود بالعَيان، والطريقة برزخ بينهما جامِع لهما وهي الإيمان، فالطريق هي السلوك بالشريعة في عين الحقيقة فإن الشريعة عين الحقيقة ولا يفرّق بينهما إلا محجوب عن ربّه بنفسه ولا يعرف أنهما شيء واحد إلا المرتَقي في مقامات الإحسان التي هي الموهبة من المنّان، وأهل الطريق على أقسام؛ فمنهم مَن تكفَّل ببيان مبادئها وظاهرها، ومنهم مَن توسّط، ومنهم مَن تكفَّل بغايتها وانتهائها وكل إلهي طالب الوصول إلى الحضرة الإلهية ومحمول.

حملاً محفوفًا بنصرتك: وتأييدك بروح القدس إذ لولا سوابق لطفك وعنايتك لأهل مودّتك ما استقرَّت أقدامهم في مَزَلَّة التوحيد على عقبة التفريد وشواهق التجريد لكن وجدانهم هبوب نفسك من قبل اليمن يرسي قدمهم عند تدكدك جبال النفوس بتقلّبات الأحوال وتعرّفاتك القهرية الصمدية التي هي طريقك الموصِلة إليك.

واقذف بي: بتجلّي أنوار أسمائك وصفاتك في سائر طوري.

على الباطل: الشاغل عنك الذي هو شهود ذاتي وصفاتي بنفسي في نفسي.

فأدمغه: وأمحق وجوده به وجعلت الباطل مجموع ذات الإنسان وصفاته لأن ذلك المجموع هو العالم بأسره علوّه وسُفْله، وهو الباطل الذي لا وجود له حقيقي، فصورة ذاتك مثلاً هي العالم السفلي وصفاتك هي العالم العلوي وبالذات تقوم الصفات كما أن بالصفات تظهر الذات وليست الذات إلا مجموعها فإذا تفرَّقت سُمِّيت صفات فإذا خرج الإنسان عن ذاته وصفاتها فإنه يرى ذات الحق وصفاته، فحقيقة صفاته هي صفات الحق التي ظهرت في المرتبة الثانية التي هي مرتبة الواحدية، وحقيقة ذاته هي ذات الحق المتعيِّنة في المرتبة الأولى التي هي الأحدية فيخرج الإنسان بسبب تجلّي أنوار القُرْب عن صفات نفسه أولاً ويتلبَّس بصفات ذات الحق وهذه الدورة الأولى، ثم يخرج عن صفات الحق إلى ذاته وهذه الدورة الثانية فتصير ذات الحق ذاته وصفاته صفاته وهذا مقام المحبوبية الذي هو نتيجة قرب الفرائض ثم قرب النوافل فافهم.

وزُجَّ بي: بمنجنيق أنوار شهودك.

في: عين.

بحار الأحدية: الذاتية التي لا يظهر لأحد فيها استعداد لقبول وجوده لأنها أول التعيّنات التي تجلَّت فيها الحقيقة الأصلية من كنز عمائها فهي من حيث المعنى عبارة عن صرافة الذات المجرّدة عن سائر الأسماء والصفات وعن جميع الأفعال والآثار فهي ذات سحق ومحق لا ظهور فيها ولا بطون ولا أول ولا آخر ليس

فيها وجود حق ولا خلق ولا وجود جمع ولا فرق عارية عن جميع النِّسَب والمقتضيات والأحكام والاعتبارات وهذا مجلى «كان الله ولا شيء معه»، ثم يلي الأحدية الواحدية وهي التي قبل بها كل موجود وجوده فهي ظهور الذات بالأسماء والصفات والأفعال والآثار بحكم الذات لا بحكم افتراق الجميع، أي كل اسم أو صفة ظهر في هذه المرتبة يظهر هو عين الآخر وهذا مجلى قوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}[(164)]، وهذه المرتبة الثانية التي هي التعيّن الثاني وهي تعين الحقيقة في مرتبتها العلمية الوجودية هي مرتبة الأُلوهية كما أنب التي قبلها هي مرتبة الهوية ثم يليها مرتبة الوحدة التي هي ظهور الذات بالأسماء والصفات والأفعال والآثار بحكم ما يستحقه كل واحد من الجميع، أي في هذه المرتبة تباينت الأسماء والصفات وظهر حكم اسمه المنِعِم غير المنتَقم كما اقتضت حِكمة الخبير العليم.

وانشلني من أوحال التوحيد: أي أخرجني من متشابه التوحيد الذي هو تقابل الأسماء وتضادّها واختلاف تعرّفاتها المفضي إلى الحيرة وذلك أن النفس إذا نزّهته عن المماثلة بقوله: [(165)]{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} جاء التشبيه بقوله: (إن الله خلق آدم على صورته) وإن قالت إنه مُنَزَّه عن صورة الخلق جاء التشبيه بقوله: رأيت ربّي في صورة شاب أمْرد...» الخ الحديث إلى ما لا نهاية له، فهذا المقام الذي تتقابل فيه الأسماء بأضدادها يحتاج فيه الموَحِّد إلى تأييد من الحق وإلا زَلَّ قدمه ووقع في مهواة الخسران. أللَّهمَّ إنّا نعوذ بك منك إليك ونعتصم بك من كل شرّ فيضان الأنوار كما نلجأ إليك من شرّ الأغيار.

وأغرقني في عين بحر الوحدة: الذاتية وصفاء جوهرتها فأُشاهد الأُلوهية في عين العبودية، وسأل الزجّ في الأحدية والإغراق في الوحدة لأن الوحدة أخصّ من الأحدية والواحدية ، فهي مجلى الكمال، ولذلك سأل الإغراق فيها إذ فيها الوفاء بحقوق الأُلوهية والقيام بوظائف العبودية وقد عبَّر بعض المحَقِّقين عن الوحدة بالأُلونية وهو حسن من حيث كون الاسم عين المسمَّى والتعبير بالوحدة أحسن.

حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلا بها: المتبادر أن حتى هنا إغيائية في الاستغراق ويحتمل أنها تعليلية وكلاهما صحيح، أي وأغرقني في عين بحر الوحدة إلى أن لا أرى شيئًا أو كي لا أرى شيئًا بعينه ولا أسمعه بسمعه ولا أجده بإدراك عقله ولا أحسّه بحاسّة من حواسّه المرتَسِمَة في خيالي بل ذلك كله لا يكون إلا بشهود الوحدة وسرّها في كل ذرَّة حسبما ينتج لي ذلك قرب النوافل ثم قرب الفرائض.

واجعل الحجاب الأعظم: الأعمّ (ص) أي أرِنِيه وأشهِدنِيه فالجعل شهودي لا وجودي إذ الجعل الوجودي حاصل وسؤاله يؤذِن بعدمه وقد تقدَّم أنه سرّ الأعيان الوجودية وبه انتشرت ظلِّيَّتها واستقامت أشخاصها وجواهرها.

حياة: وجود.

روحي و: أشهدني.

روحه: وجوده.

سر: شهودي.

حقيقتي و: أشهدني.

حقيقته: في.

جامع عوالمي: حقيقة وصورة فلا أرى سواه ويكون فنائي فيه غاية أمري ومُنتاها.

بـ: سبب.

تحقيق الحق: والتعيّن.

الأول: الأحدي الذاتي.

يا أول: في عين آخريته ولا أوّليّته له.

يا آخر: في عين أوليته ولا آخرية له.

يا ظاهر: في عين باطنيته ولا ظاهر له.

يا باطن: في عين ظاهريته ولا باطن له، إذ هو الذي أول الأول وآخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن فسقطت هذه المعاني وبقي حق محض، وأيضًا الأوّلية تقتضي عدّ الأدهار، والآخرية عدّ الأعصار، والظاهرية بواديء الآيات، والباطنية أسرار الخَفِيَّات، وهذه الصفات كلها منفية عن كمال الأُلوهية لأن الأولية في الأذهان آخرها إلى قِدَم الزمان ولا زمان في الأزل، والآخرية استياقها إلى دوام الأعصار ولا أعصار في الأبد، والظاهرية في العقول الظهور في الأماكن ولا مكان عند ظهوره، والباطنية في الخيال طويت الخَفِيَّات وهو مُنَزَّه عن أن يكون محلاً لجريات العِلل إذ لا علّة في وجوده مُنَزَّه عن الوسواس والقياس، أوله آخره وآخره أوله، ظاهره باطنه وباطنه ظاهره، أولا لا بزمان وآخر لا بأوان، ظاهر لا باقتراب، باطن لا باحتجاب، أول من عين ما هو آخر وظاهر وباطن، وآخر من عي ما هو أول وباطن وظاهر، وباطن من

عين ما هو ظاهر وأول، أول للأرواح بسبق العنايات، وآخر للقلوب بحُسْن الرعايات، ظاهر بنعت الكشف للأسرار، باطن بكشف حقيقته للعقول القدسية، سبحانه عمّا أومى إليه الخليقة بكمالِهِ، سبحانه عمّا أشار إليه البَرِيَّة بنهايته، مَن يعرف عقود عِلل الأشياء حتى يعرف أوّليّته، ومَن يعرف عروق الأعصار حتى يعرف آخريته، ومَن يعرف كينونة الأفعال حتى يعرف ظاهريته، ومَن يعرف أسرار بطون الأرواح والنفوس حتى يعرف باطنيته، لو يعرف المخلوق ماهيّة وجوده بنعت إحاطة علمه بها يعرف أصل كل أصل وعلّة كل علّة إذ لا يعرفها إلا مَن يُوجِدها ولا يُوجِدها إلا هو الذي نعته الأول والآخر والظاهر والباطن كما اقتت حكمته تعالى:

اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء: الخفي عن العقول والأوهام القاصِرة عن إدراك كُنْهه الأسرار والأفهام، وخصَّ زكرياءِ بالذِّكر إشارة إلى أنه يطلب ولدًا يكون وارث سرّه وقد حقّق الله رجاءه واستجاب دعاءه ووهب له أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه فأحيى الله به هذه العلوم اللدنية التي لا زال الرجال والحمد لله يتداولونها إلى يوم القيامة. وقد أحيى الله رسومها بعد أن هدَّت ووهت على يد شيخ هذه الطائفة الدرقوية العارف بالله حقيقة شريعة وحقيقة شيخ شيخنا مولانا العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني وتفجّر ماؤها شرقًا وغربًا فالحمد لله على ذلك على أن هذه الطائفة المحمدية قد كاد أن يصبح ماؤها غورًا كما سمعت شيخنا أيّده الله يقول وهو كما قال: إذ لا بدّ للشمس من سحاب وللحسناء من نِقاب وإلى الله ترجع الأمور.

وانصرني بك: بتأييدك لأكون مخلصًا في عبوديتي.

لك وأيِّدني بك لك: بسوابق عنايتك ولطف رعايتك كما أيّدت حبيبك فجمعت له بين الحقيقة والشريعة فقلت وقولك الحق «هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين».

واجمع بيني وبينك: فأُشاهد الربوبية في عين العبودية، أي أكون جامِعًا بين حق وخلق وهذه مرتبة الكمال وقد حارَ فيها كثير من الفحول وهي من أوحال التوحيد كما صرَّح بذلك الشيخ الأكبر، وحملنا الجمع في كلامه على جمع الجمْع لأنه هو المراد بقرينة البينيّة وهو مطلوب العارفين من ربهم بدليل قوله:

وحل بيني وبَيْن : رؤية.

غيرك: من حيث إنه غير بل أرى الخلق عين الحق والجمع عين الفرق إذ الغير لا وجود له من حيث غيريّته لأنك أنت.

الله: في المِلْك وأنت.

الله: في الملكوت وأنت.

الله: في الجبروت فالغيرية لا وجود لها لكن لما كان الوهم من الأحوال التي تعتري الطور الإنساني سأله أن يعصمه من وقوعه فكأنه سأل في قوله واجمه... الخ اليقين الذي يتم به الشهود ويسأل في قوله وحل... الخ نفي باقي الأحوال من الشك والظن والوهم، وأتى بهذا الاسم عقب سؤاله إشارة إلى نتيجة جمعه، ولنجعل الكلام على هذا الاسم الشريف كالخاتمة لهذا التعليق فأقول: هذا الاسم علم على المرتبة التعيينية الجامعة للمراتب والتعيّنات كلها فمدلوله أول مراتب الذات التي هي حقيقة الحقائق وليس فوقه إلا الغيب المشار إليه بالهو ثم الغيب المغيب الذي لا إشارة له ولا اسم ولا نعت ثم ما لا لسان له من تعيّن وغيب وإطلاق وتقييد وإشارة ونفيها إلى غير ذلك، فبهذا الاسم الشريف تنطمس التعيّنات النفسية وتنطفىء الأحوال الوهمية فتنقلب تعيّنات إلهية وأحوالاً وصفات حقِّيَّة فيرى الذَّاكر ربه بربه بما كان به يرى نفسه في نفسه فتلك الصفات التي كان عليها في الحالة الأولى هي عين الصفات التي انتقل إليها وإنما كان شعاعه منعكسًا يرى ما لغيره لنفسه فحجب بذلك عن ربه واختلفت عليه الأحوال وتراكمت لديه الأهوال وعظم عنها لأجل ذلك الزوال، وهذا الاسم أيضًا يطفىء وهج الوارِدات الحالية ويسير بصاحبه في جادة الطريق حتى لا يحصل منه ميل ولا انحراف عن الاعتدال فيقع على عين المقصود الذي هو حضرة الإله المعبود ثم يخرق أيضًا الصفات بعد التحقّق بها والتستّر بكثيفها والتظلّل بظلّها بالعثور على عين الذات ثم يصير بعد ذلك حجابًا عن المذكور وغفلة مما صدر وهو في هذا المقام المذكور فافهم، وكيفية ذكره عندها أن تشاهد في حال الذِّكر صورة الاسم ولفظه ومعرفة مرتبة حروفه في عالمها ومعناه وحقيقته وأن تشاهد سائر الشؤون التي احتوت عليها ذاتك بزعمك وأن لسانك وحنكك وأسنانك ويدك وغير ذلك من جوارحك كلها صول شؤون الحق وتعلّم حقيقة الشأن في نفسك وحقيقة كل شأن من هذِه الشأن وحقيقة الشأن الجامع لها الذي صورته هي صورة ذلك فتكون في حال الذِّكر مستحضِرًا لجميع ما ذكر ومتحقِّقًا به تفصيلاً وإجمالاً فيكون ذكرك حينئذ إنما هو مساعدة للشؤون فأنت في هذه الحالة تشاهد الشؤون فقط وهذا كله قبل التمكّن في شهود المذكور فيكون الذِّكر بهذه الحالة مُعينًا له على التمكّن فيه فإذا تمكَّن وتحقَّق فإن الذِّكْر والذَّاكر والمذكور شيء واحد فإنه لا يتصوَّر سَلْب الذِّكر عنه حتى يلتبس به ويُعَدُّ ذاكِرًا فهو المذكور حينئذ عند غيره. إذا علمت هذا ظهر لك سرّ التشخيص الذي تعنيه هذه الطائفة الدرقوية زادها الله شرفًا وتأييدًا

إذ لا معنى للذِّكر سوى حبس النفس عن الجولان في أقطار بلادها وجمع الهِمَّة على قبول الواردات الإلهية الحَقِّيَّة من أصلها ومعدنها ودفع الوسوسة المخرِجَة عن جادة الطريق وواسطتها وإذا لم يكن الذِّكر بهذه المثابة فهو حجاب عن المذكور لمن تحقَّق وخرج عن ظلّه وزالت علّته فالتشخيص مُعِين على حبس النفس عن الجولان في بلادها لمن كان ضعيفًا وأما القوي فلا كلام معه، وهذا كله مع المريد الصادق الذي سلب الإرادة وكان مراده مولاه، وأما مَن يذكر بنفسه لنفسه بأن يذكر لأجل الثواب الأُخروي وكذا الدنيوي من الحفظ والعافية ونحو ذلك فإن هذا لا كلام معه أيضًا بل كلامنا مع مَن لا مطلَب له قطّ في علم أو شهود أو تحقُّق وتمكّن وغير ذلك مما فيه قيد الوجهة والطلب والتشوّق وغير ذلك مما يجلّ ذِكره.

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ}[(166)]: أحكامه الظاهرة التي هي التكاليف الشرعية وبها يعبّر السالك مراتب وجوده لأن الأحكام الشرعية أحكام لمراتب الوجود المعَبَّر عنها بديار ليلى التي يمرّ عليها السائر، والمراد جميع المقامات الحسِّيَّة والمعنوية.

{لَرَآدُّكَ}[(167)]: بها.

{إِلَى مَعَادٍ}[(168)]: أصلك وحقيقتك إذ قيامك بوظائف العبودية يكشف لك عن سرّ الربوبية وبكشف أسرار الربوبية ينقطع البين وتظفر بالعين أي تردّ إلى شهود أصلك وحقيقتك، وبيان ذلك أن الأحكام الشرعية بجملتها لها أصول إلهية وحقائق ربّانية اعتدالية غير مائلة إلى جانبي الإفراط والتفريط، ولاعتدالها كانت مُوصِلة إلى عين أصلها، فالردّ إلى الأصل الذي هو شهود الحقيقة الإطلاقية لا يكون إلا من باب العبودية خلافًا لمن نظر إلى عي الحقيقة فجعل يتلبس بجميع صورها الخارجة عمّا عيّنه الشرع سبحانه على العبيد مما يعلم صلاحهم فيه ووصولهم به إليه من قوفهم مع الاعتدال الموجب للبُعْد من الضَّلال الموصِل إلى عين المقصود الحافظ من الوقوع في النار مع أهل الجحود وهذا هو المسَمَّى بالزنديق الخارج عن الحق وهو يزعم التحقيق وما مثله إلا مثل مَن يريد أن يستنبت ثمار الصيف في الشتاى فإنه لا يصل إلى ذلك ولو كان له علم بما هنالك، بل نقول له: مثلك قد ترك الطريق وحادَ عن الرفيق ومال إلى شهوته الخَفِيَّة بمواقة حقيقته النازلة به في الهاوية، وأيم الله إنه ما وافق الحقيقة الخارجة عنها وإن كان فيه إفراط لجانبها لكن وقوعه في المعاصي ومخالفته للأخذ بالنواصي أقوى في اتّباع الرَّدى وموافقة شهوته الحائدة به عن الهدى الواقعة به في مجاورة العدا، نسأل الله السلامة والعافية.

{رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً}[(169)]: علمًا لدنيًّا مُستَفاضًا من خزائن رحمتك الذي جعلت الخَضِر مظهرًا له، والمراد بالعلم الورود من ماء عين الحياة الذي هو نفس العلم اللدنيِّ فمَن شرب منه لا يموت أبدًا لأن العلم مبذور في أرض الحياة إذ بها يقوم فهي هو وهو هي، ولذلك لما شرب منه الخَضِر لم يمت أبدًا لأن العلم اللدنيِّ لا يفنى فالخضر لا يفنى، ومعنى شرب الخضر منها قيام العلم بالحياة فمَن شهد حقيقة العلم في عين حياته أي في عين حقيقته الإلهية الوجودية الأزلية فشهوده ذلك هو المسمّى بالخضر وهو لا يفنى أبدًا دنيا وأخرى وانحلال جسم صاحبه بالموت لا يحجبه عن ذلك بل يزيد به شربًا منها أي شهودًا، فكل مَن حصل له هذا الشهود فله خضر يخصّه وهو نفس الشهود فافهم.

{ ز س ش ص ض }[(170)]: سيرنا في طريق رشدنا طريقًا.

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ}[(171)] الآية، وآية {سُبْحَانَ رَبِّكَ}[(172)]... الخ، وليس ذلك في نسخة الخروبي ولا في نسخة سيدي عبد القادر الفاسي.

قد انتهى هذا التعليق بحمد الله وحُسْن عونه وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم والحمد لله ربّ العالمين على يد مؤلّفه عبد ربه وأسير ذنبه أفقر الورى إلى عفو الله أبو بكر البناني الرباطي دارًا ومنشأ الدرقاوي نسبة غفر الله للجميع آمين.

&#5؛ ترجمة سيدي محمد الحرّاق رضي الله عنه العلاّمة الأديب الشيخ الجليل المربِّي الكبير سيدي محمد الحرّاق، أحد الرجال الذين لا تفتخر بهم مدن شفشاون وفاس وتطوان فحسب بل يحقّ للمغرب كله أن يفتخر به لأنه رحمه الله كان بحرًا زاخرًا في العلم وجبلاً راسخًا في المعرفة، وكان إمامًا في ثلاثة علوم قلّما اجتمعت في رجل واحد في الشرق والغرب: علوم الشريعة وعلم الأدب وعلم التصوّف. كان في مقدمة العلماء الفقهاء، فقد درس مختلف العلوم العقلية والنقلية وشهد وأفتى وخطب ودرَّس وعمل جميع ما يعلمه كبار العلماء والفقهاء، وكان نابغة من نوابغ الأدب وأشعاره الكثيرة مطبوعة يتغنَّى بها كثير من الناس في مختلف الطبقات ويعجز عن الإتيان بمثلها كثير من الأدباء ويعتزّ بها صوفية المغرب ويفخرون بها على المتأخرين من صوفية المشرق، وكان من أكابر شيوخ التصوف ورجال التربية وهذه رسائله العامرة بالحقائق والرقائق متداولة بين الناس يسترشد بها المهتدون ويهتدي بها الغافلون.

يحكي الفقراء الدرقاويون ـ بتطوان وغيرها ـ أن مؤسِّس الطريقة الدرقاوية الشيخ مولاي العربي الدرقاوي اجتمع ذات يوم مع تلميذه الشيخ سيدي محمد البوزيدي الغماري في جامع القرويين بفاس، فقال مولاي

العربي للبوزيدي أريد أن يكون معنا في هذه الطريقة عالمان من علماء الظاهر ليدافعا عنها ويناضلا مَن يعارضها، فقال له البوزيدي: أما أنا فقد وجدت صاحبي، وهو يشير إلى تلميذه الشيخ أحمد بن عجيبة الذي كان دخوله في الطريقة الدرقاوية على يده بعد أن كان من كبار علماء الظاهر بتطوان، فلما سمع مولاي العربي ذفلك ثنى سبّابته وغمسها في الماء وصار يقلِّبها هنا وهناك كما يفعل صائد السمك في النهر، ولعلهما كانا جالسين في صحن المسجد حيث يوجد الماء، يشير بذلك إلى أنه ما زال يبحث عن صاحبه.

ومضت الأيام ومات الشيخ البوزيدي بعد أن مات صيده ابن عجيبة وذلك بعد أن أنقذ الله بهما الجمّ الغفير من العصاة والغافلين، وهيّأ الله الأسباب فاجتمع الشيخ مولاي العربي بالشريف الحرّاق وهو يومئذ فقيه مفتي مُدَرِّس، من جملة علماء الظاهر بتطوان أيضًا، فلم يفارقه إلا وهو شيخ من شيوخ التربية وإمام من أئمة التربية.

وهنا يقول سيدي أبو عبد الله المرير ما نصه: «لما حقّق الله للشيخ الدرقاوي ما كان يؤمّله من دخول عالِم من علماء الظاهر في طريقه ليكون حرسًا شديدًا على مَن ينتقد على فريقه، اتخذ الحراق من عمده التي يعتمد عليها وحججه الدامِغة التي يستند إليها، لكان يجلّه ويرفع من قدره وينوّه بذِكره ويخاطبه في رسائله خطاب الأكفَّاء ويقيمه في ذلك مقام النوّاب عنه والوكلاء».

أما كيفية اجتماع الفقيه الحرّاق بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي فمعروفة متواترة.

الشيخ مولاي العربي الدرقاوي شدّ الرحلة إلى قبائل غمارة للتعزية عقب وفاة تلميذه الشيخ سيدي محمد البويدي... وفي إحدى الأيام هيَّأ دابة ووجه بها مع أصحابه من قبيلة غمارة إلى تطوان من غير بيان المرمى الذي أراده بها ولا كشف للهِمَّة التي صرفهم إليها، إلا أنهم لما وصلوا المدينة أطلقوا للدَّابَّة عنانها وانتظروا أين يكون مرساها وفي أيِّ مكان تقف خُطاها، فلم تزل الدابة جادَّة في سيرها موفَّقة في قصدها إلى أن ألقت عصاها واستقر بها نواها إزاء دار الشيخ الحرّاق التي كانت إذ ذاك بِنقيبة الجامع الكبير، فوقف الأصحاب بالباب وعلِموا أنها مأمورة بلا شك ولا ارتياب، وكان الشيخ الحرّاق لا زال متأثِّرًا من مكر أعدائه ملازمًا لمنزل إيوائه غير مستعد لسفره والتقائه، فقال أصحاب مولاي العربي اغتنم فرصة هذه الحركة واركب الدابَّة فإنها إن شاء الله كلها خير وبركة، فركب الشيخ الحرّاق وقصد مولاي العربي.

ثم إن الشيخ الحرّاق رحمه الله لما قرب من المكان الذي كان به الشيخ مولاي العربي نزل على عين ماء وتوضّأ كما توضّأ قبله الشيخ أبو الحسن الشاذلي حين أراد الاجتماع بشيخه مولاي عبد السلام بن مشيش متبرِّئًا من كل علم وعمل إلا ما يأتيه على يد هذا الشيخ. وقد ذكر الشيخ محمد بن العربي الرباطي أن الشيخ الحرّاق أخبره بعد ذلك بأنه لم يكن عارفًا بقضية الشاذلي مع ابن مشيش وإنما هو مَحض إلهام من الله سبحانه، ثم وقف على أن ذلك الوضوء هو شرط في الطريقة الشاذلية.

وتقدَّم الفقيه الحرَّاق إلى الشيخ مولاي العربي فرحَّب به ترحيبًا وتعانق الرجلان وارتفعت أصوات الفقراء بذِكر الله ثم دخلوا المكان المعَدّ لجلوسهم وابتدأت المذاكرة فقال الشيخ للفقيه اذكر الله وذكِّر في الله.

وذكر ابن العربي الدلائي عن بعض الذين كانوا حَاضرين في ذلك المجلس أنه لما جلس الفقيه الحرّاق بين يدي مولاي العربي أتت امرأة بآنية من الصامت الحلو ودفعتها لمولاي العربي فشرب منها وأعطى فضلتها للفقيه الحرَّاق فشربها، ثم أخذا في المذاكرة فقال مولاي العربي: إن الشيخ الكامل هو الذي يكون في غاية السكر وفي غاية الصحو، وفي غاية الجذب وفي غاية السلوك، وفي غاية الفناء وفي غاية البقاء.

فقال الفقيه الحرَّاق يا سيدي ظهر لي بسبب عقلي الفاتر وفهمي القاصر أن هذا جمع بين متناقضين وهو مُحال، فقال له مولاي العربي ورد في الحديث أن لله مَلَكًا نصفه ثلج ونصفه نار وتسبيحه أللَّهمَّ يا مَن ألفت بين الثلج والنار، فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تُذيب الثلج، ألِّف بين قلوب عبادك المؤمنين، فشرح الله صدر الفقيه الحرَّاق للفهم وقال: الآن ظهر لي أن السكر يكون باطنًا والصحو ظاهرًا، والجذب والسلوك كذلك، كما يقال في الإيمان والإسلام، فسُرَّ مولاي العربي بذلك وقال له: والله يا سيدي إلا كذلك وصار يكرِّرها. ثم لقَّنه الأوراد وأذِنَ له في التربية والتلقين ولم يأمره بخرق عادة ولا بكشف رأس ولا سؤال ولا لبس مرقعة ولا ذكر في الأسواق وإنما حضَّه على كثرة ذكر الله وجمع القلوب على الله وإخلاص العبودية لله.

وذكر سيدي العلاَّمة مولاي التهامي الوزاني أنه بعد أن انصرف سيِّدي محمد الحرّاق من عند مولاي العربي الدرقاوي قال له بعض كبار أصحابه غفر الله لك يا سيدي كم لنا في صحبتك من زمان ومع ذلك لم نصل منك إلى درجة الكرامة التي أكرمت بها الفقيه الحرّاق فقد دفعت له الأمانة مرة واحدة دون أن يتكلَّف لذلك أقلّ كلفة، فقال مولاي العربي: إننا لم نزد سيدي محمد الحرّاق شيئًا على كونا أوقدنا فتيلته فقد جاء ومِصباحه صافٍ نظيف وقد وضع في أسفله ماءً نقيًّا وصبَّ عليه زيتًا يكاد يُضيء من صفائه ووضع فيه فتيلة نقيّة لا تحتاج إلى تقويم ولا تهذيب، ثم طلب منّا أن نُوقده له ففعلنا.

كان عُمْر سيدي محمد الحرّاق رضي الله عنه حين اجتماعه بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه نحو أربعين سنة.

تصدَّى الشيخ سيدي محمد الحرَّاق للمشيخة والتربية مع إلقاء دروس التفسير بتطوان وفاس وغيرهما. قال تلميذه الشيخ محمد بن العربي الرباطي ما نصّه: (وقد أخذ عنه رضي الله عنه خلق كثير لا يُعَدّ كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس، وأهل الاعتناء بدينهم بحاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجمٌّ غفير من أهل تطوان. وأما شفشاون كاد أهلها كلهم أن يدخلوا في طريقته، وانتشر مدده إلى أن بلغ إلى الرباط مع أنه لم يصل إليها بنفسه، وكان مهتمًّا بالوصول إليها غاية الاهتمام لأن اهتمامه كان في الدلالة على الله وكان رضي الله عنه يقول: لو كنت أعلم أن أحدًا بقنة جبل يريد الوصول إلى الله لأتيت إليه حبوًا وأخذت بيده ابتغاء مرضاة الله وترغيبًا في الإقبال على الله). وقال: (وأخبرني هو رضي الله عنه أنه لما قرب وفاة الشيخ مولاي العربي رضي الله عنه رأى في عالم النوم ملأ من الناس كثير ومعهم الشيخ مولاي العربي وعلى رأسه شاشية جديدة والناس كلهم حُفاة الرؤوس فأتى إليه مولاي العربي وأخذ الشاشية الجديدة التي كانت على رأسه وجعلها على رأس الشيخ سيدي محمد الحرّاق، فلما استيقظ أوّلها بالخلافة من بعده فلما مرَّت ثلاثة أيام جاء خبر مولاي العربي بالوفاة فكان الخليفة من بعده بلا شك ولا إشكال والحال يشهد والرجال تعرف بالحق لا الحق يعرف بالرجال).

كان سيدي محمد الحراق رضي الله عنه يقول: (إني ربحت من باب الفضل فلا أدلّ إلا عليه، وما من شيخ إلا ويدلّ على السبيل الذي مرَّ عليه ولا يوصل إلا للمقام الذي انتهى إليه) وكان يقول:

ثمن الوصول من الأحبة غالي	متعذِّر في سائر الأحوال
لو أنفق الإنسان فيه روحه	وجلائل الأموال والأعمال
ما نال منه بذاك أدنى ذرَّة	إلا بمحض الجود والإفضال

ترك سيدي محمد الحرَّاق رضي الله عنه:

. ديوانًا يعتبر من أعظم دواوين الصوفية.

. شرح بعض الآيات القرآنية.

. شرح بعض الأحاديث النبوية.

. حوالي خمسين رسالة.
. شرح التصلية المشيشية.
. شرح الحزب الكبير للإمام الشاذلي رضي الله عنه.
. شرح الحِكَم العطائية سمّاه إثمد القلم في أحداق الحِكَم.
. شرح الأبيات الثلاثة التي أولها:
توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر
جمع هذا كله تلميذه سيدي محمد بن العربي الدلائي رضي الله عنه في كتاب (النور اللامع البرّاق في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحرّاق.
توفي رضي الله عنه يوم واحد وعشرين من شعبان عام 1261 هجرية بعد أن عاش حوالي ثلاث وسبعين سنة.
هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (النور اللامع البراق في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحراق) لسيدي محمد بن العربي الدلائي، ومن كتاب (النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق) لسيدي محمد داود.
&#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارِف بالله الكبير سيدي محمد الحرّاق رضي الله عنه المتوفّى عام 1261 هجرية هذا الشرح مأخوذ من كتاب (النور اللامع البراق في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحراق) لأبي عبد الله محمد بن العربي الرباطي الدلائي رضي الله عنهما وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله وسلّم
(أللّهمّ) أصله يا ألله ثم حذفت منه ياء النداء وعُوِّض منه الميم وهذا الاسم هو اسم للذات الجامع لجميع معاني الأسماء والصفات وهو الاسم الأعظم المشهور. (صلِّ على) الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن العِباد دعاء بالرحمة، والرحمة رقّة وانْعطاف في القلب فهي بهذا المعنى مُحال عن الله تعالى فوجب حملها على فائدتها وغايتها وهي الإحسان لمن رحمه سبحانه، وإحسان الحق لرسوله عليه الصلاة والسلام لا يساويه إحسانه لأحد من الخلق لأنه تعالى جعله عليه السلام نور الوجود وأصل كل كائن وموجود ووجود الشيء رحمة له فلذلك كان عليه السلام رحمة للعالمين وهدية للمؤمنين ومعنى (صلِّ عليه) أي ارحمه بأن تبالغ في الإحسان إليه ولكن خصَّ الدعاء بالرحمة للأنبياء بلفظ الصلاة تشريفًا لهم وإشارة إلى أن نفع ذلك راجع للمصلِّي لا لِلْمُصَلَّى عليه إذ هم أئمة الشفعاء وإمامهم مولانا رسول الله (ص) وبجّل وعظّم (من) أي الرسول الذي منه... الخ وعبَّر عنه بالموصول المبهم لأن المقام يقتضي ذلك من

حيث انبهامُ رتبته (ص) لأنه (ص) بلغ من الشرف وعلوّ الدرجات إلى غاية لا يمكن بلوغها لغيره من المخلوقات أصلاً، (منه) يتعلق بقوله: انشقَّت، أي من حقيقته النورية المنجذبة من الحقيقة الذاتية، (انشقَّت) أي اندفعت (الأسرار) جمع سرّ أي أسرار العارفين ومواجيد الواصِلِين بنفسها لعالم التكوين، جمع سِرّ وهو ما بطن من الحقيقة اللطيفة الأزلية المحيطة بجميع الحقائق ذاتًا واسمًا وصفة على ما يليق بها فلها الوجود في كل موجود مع تنزيهها عن الظرفية والحلول وغيرهما مما لا يليق بها (وانفلقت) أي ظهرت من ذاته وحقيقته باعتبار تلوين جمالها (الأنوار) أي صفات التكوين التي هي أنوار الدلالة على الذات التي بها يهدي الله تعالى مَن أراد هدايته إلى معرفة تلك الأسرار المندفعة من السرّ المحمدي الجامع لأسرار الكون كله من حيث إنه مُقتَضَب من النور الذاتي المحيط كما تقدَّم فالصفات الدَّالَّة على الذات كلها تجْتَلَى على الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام فهي عروس خلقة الكون جميعًا (وفيه) أي في ذاتها الشريفة المطهَّرة (ارتقت) أي ارتفعت لدلالتها على التنزيه وبُطلان التشبيه بسبب تنويعها وتجنيسها وتباين أشكالها ودلالتها على كمال القدرة في عين الحكمة من جهة أنها بَيْن في نفس العَيْن وفَرْق في ذَاتِ الجَمْع (الحقائق) على اختلاف أنواعها وأجناسها في التكوين فلا حقيقة من حقائق المكوّنات إلا وهي مستمدّة من الحقيقة الأحمدية فهي السِّراج الذي أُسرِجَت منه جميع الأنوار والمعدن الذي صِيغَت منه جميع الأسرار صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أنت مِصباح كل فضل فما	تصدر إلا عن ضوئك الأضواء

(وتنزَّلت) معطوف على قوله: ارتقت، أي وفيه تنزَّلت (علوم آدم) ... الخ، أي وفي ذاته وحقيقته تنزّلت (علوم آدم) ... الخ، علوم آدم وهي أسماء تلوين الجمال المحمدي وتكويناتها ذاته وحقيقته فما من اسم إلا وهو واقع على نور من أنواره الذاتية ومظهر من مظاهر صفاته المتَّصفة بها ذاته ولذلك قال الإمام البوصيري:

لك ذات العلوم من عالم الغيب

ومنها لآدم الأسماء

أي لأنه عليه السلام الحقيقة المسَمَّاة بتلك الأسماء ولذلك كان عليه السلام يعلم أسماء المسَمَّيات التي علَّم آدم عليه السلام ويزيد عليه بمعرفة منافعها وخِصالها وغير ذلك مما لا يمكن علمه لغيره من البشر (فأعجز الخلائق) أي أَوْقَعَهُمْ في العجز عن إدراك حقيقته المحيطة بالحقائق الكونية كلها لأنه الحقيقة الجامعة والسِّرُّ

المطلسم بظهور التكوين الداعي لعظمة الحجاب بشهود الفرق فيه فكان عليه السلام الحجاب الأعظم على الحقيقة (وله) أي ولأجله، أي ولأجل علوّ درجته وبعد حقيقته عن مدارك العُقول (تضاءلت) أي تقاصرت بأن عجزت عن إدراك معناه (الفهوم) جمع فهم وهو اللطيفة النورانية التي بها يقع الإدراك ولذلك قال في البردة:

وكيف يدريك في الدنيا حقيقته	قوم نِيام تسلوا عنه بالحلم

(فلم يدركه) أي لم يقف أحد على حقيقته، وإذا كان أصحابه الذين هم {خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[(173)] لم يدركوا من جبريل عليه السلام إلا حسْن دحية الكلبي فكيف يدرك أحد حقيقة أحمد (ص) وهو سرّ صون الذات وأصل وجود المكوّنات من أهل الأرض والسموات (منّا) أي معشر المخلوقات قاطبة (سابق) على مظهره الشخصي وإلا فهو الإمام السابق عن جميع العوالم كلها ذاتًا وحقيقة لأنه عين وجود الجميع والماهية المحيطة بعالم الظهور كله (ولا لاحق) أي لمظهره الشخصي أيضًا وإلا فهو النور المتصلة به الأنوار كلها أولها وآخرها (فرياض) جمع روض كحِياض جمع حوض (الملكوت بزهر جماله) وهو عالم النور المندفع من عالم الذات إلى عالم ظهور الأسماء والصفات واستعيرت الرِّياض لأنه محل التلوين بقدرة التكوين (مونقة) أي معجبة لكل مَن فتح الله بصيرته ونور سريرته لأن عالم النور المقتضب من الذات هو الحقيقة المحمدية وكُلّ مَا طُرِزَ به من الصفات فهو مظهر الجمال المصطفوي، فاستعار الرِّياض لحقيقة ذاته واستعار الزهر لمظاهر صفاته فهو الدّالّ على الذات العَلِيَّة بالذات والمُعْلِمُ بكمالها بظهور الصفات ووضوح الآيات (ص) وعلى مَن له من آل وصحب وزوجات (وحِياض) جمع حوض وهو ما يجتمع فيه الماء لسقي الروض، استعير للحقيقة من حيث إن الوجود جميعًا منها استمداده كما أن حوض الروض منها استمداد حياة جميع ما فيه (الجبروت) وهو عالم النور الأصلي الفائض منه النور الكوْني لعالم التكوين على حسب ما تخصّه به الإرادة وتتعلق به القدرة ويسبق به العلم (بفيض) يحتمل أن يكون معناه بفائض فيكون من باب الوصف بالمصدر مبالغة على حدّ قولهم زيد عدْل أي عادل، ويحتمل أن يريد بالفيض ما يفيض وهو راجع في المعنى للاحتمال الأول (أنواره) أي الذاتية له (متدفقة) أي جارية بقوة من تدفّق بالشيء إذا كثر صدوره منه كثرة بالغة (ولا شيء) في العالم بأسْره والوجود عن آخره (إلا وهو به) متعلق بمنوط (منوط) أي متعلق تعلق الفرع بأصله ونور العين بها فهو مادة وجوده وأصل تكوينه فالأنوار الكونية جميعًا مندرجة في حقيقته ومستودَعَة في عي ماهيته عليه الصلاة والسلام (إذ لولا الواسطة) أي في الوجود الذي هو النور

المحمدي الذي تكوَّنت الأكوان جميعًا منه (لذهبَ) أي اضمحلَّ (كما قيل) أي كما هو القول المتفق عليه عند أهل الظهر والباطن وأهل المعقول والمنقول جميعًا (الموسوط) أي الصادر عن تلك الواسطة ولم تَبْقَ له باقية لأن الواسطة منها استمداد الموسوط وتكوينه يوجد بوجودها وينعدم بانعدامها لأن الفرض أنه موسوط عن تلك الواسطة فوجود الموسوط يقتضي وجود الواسطة والعكس بالعكس (صلاة) هو اسم مصدر وإلا فمصدر صَلَى تصلية (تليق) بمقامه الرفيع وجنابه المنيع إذ هو الفاتح بك لما أغلق على غيره من معرفتك وهذا استغراق من الشيخ رضي الله عنه في شهود النور المحمدي في عين النور الأحدي ولذلك عدل عن الصلاة الواردة إلى صلاة تليق من الجناب الرفيع إلى الجناب المقتَضَب منه ولم يقنعه الوارد في ذلك لأنه مقام العوام واعترف على نفسه بالعجز عن تكييف الصلاة عليه لأنها الآن بالكلام القديم ولذلك قال: تليق بك منك إليه كما هو أهله وعلى هذا المنوال مبنى هذه التصلية من أولها إلى آخرها ولذلك قال واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سرّ حقيقتي (بك) وجودًا (منك) شهودًا (إليه) كرمًا وجودًا (كما هو أهله) في نفس الأمر عندك (أللَّهمَّ إنه سرّك) اللطيف الخفي في مظاهر الكائنات (الجامع) لنور جمالك المنبسط بك من عين ذاتك للدلالة عليك (الدّالّ) بجميع حقيقته ذاتًا وحالاً وهمَّة ومقالاً (عليك) في نفس جبروتك البارز منه ملكوتك المحيط بدوائر الملك جميعًا (وحجابك) أي وحجاب ذاتك الذي أسْدَلته عليك لفرط كبريائك وعظمة عزّك فلا يصل إلى معرفتك إلا مَن سبقت له العناية منك لكونك حَجَبْتَ نفسك بكشف الحجاب عنك فأنت في حال احتجابك أظهر من كل شيء (الأعظم) أي الذي ظهرت به قدرتك القاهرة وحكمتك الباهرة من حيث أبرزت نقطة الوحدة في تعدّد الأضداد وأظهرت تجليات القُرْب في قوالب البعاد فكنت الظاهر بالستور والباطن بالظهور وحقَّقت الحقيقة المحمدية في جميع ذلك فكان عليه السلام الحجاب الأعظم منك عليك والدليل السابق بنور هدايتك إليك فليس في إمكان التصوير أبدع مما كان في قدرة السميع البصير لإحاطتها بجميع دوائر الإمكان وزيادة وذلك كله قد وقع وكان (القائم) منك (لك) بك إليك (بين يديك) أي بين يدي شهودك فلا يمكن شهودك إلا لمن تمكّن في المظهر المحمدي عليه السلام بأن يتحقق بأوصاف العبودية التي كَمَنَت فيها أنوار الربوبية فالتمكّن في الحرية على قدر التمكّن في العبودية لأن العبودية طلسم الحرية، والحرية سرّ العبودية الكامِن فيها، فكل مَن تحقَّق بالعبودية بأن صارت له طبيعة تحقّق بالحرية قطعًا والله تعَالى أعْلم (أللَّهمَّ ألحِقني) به فإنه انتسب إليك نسبة لم ينتسبها أحد قبله لأنه أعرف الخليقة بالله (بنسبه) أي الحسِّي والمعنوي حتى أكون مشمولاً لحقيقته النورية

شُهُودًا فلا أنفكّ عن دائرته حتى لا يغيب عني طَرْفَةَ عَيْن كما هو حال القطب معه عليه الصلاة والسلام (وحقِّقني بحسبه) الحسب ما يُعَدُّ من المفاخر بلا تكلّف والتحقّق الاتِّصاف به حتى يصير كالغريزة بسبب ذوقه وشربه والريِّ منه، ومعناه حَلِّني بحِليته الوصفية وحقِّقني بها تحقيقًا ذوقيًّا وإن لم أبلغ درجته في ذلك عليه السلام كما هو كذلك في نفس الأمر وجودًا فأسلم بذلك من الجهل به كما سلَّمتني من الجهل بك كما هي عادتك مع أهل النهاية في التحقيق فإذا أبقيتهم بك بعد فنائهم فيك أبقيتهم في أشرف المظاهر الذي هو المظهر المحمدي وحلَّيتهم بحليته وَلاَحَتْ عليهم أنوار شهوده في وجودك (وعرِّفني) أي بسبب ما تقدَّم (إيّاه) عليه الصلاة والسلام (معرفة) على سبيل الإجمال وإلا فمعرفته عليه الصلاة والسلام على سبيل التفصيل لا تمكن إلا لله سبحانه وتعالى ولذلك قال: (أسلِم بها) أي بتلك المعرفة الإجمالية (من موارد) جمع مورد وهو موضع الورود وموارد الجهل به عليه السلام كثيرة بعضها أدنى من بعض كما أن موارد معرفته عليه الصلاة والسلام كثيرة بعضها أعلى من بعض (الجهل) به عليه الصلاة والسلام والمعرفة التي تقع بها السلامة من موارد الجهل به هي التي تكون على سبيل الفناء فيه لأن الفناء فيه بقاء بالله في أشرف المظاهر وذلك عند أهل الخصوصية أعلى المقامات وأسنى المراتب لأن الفناء فيه عليه السلام يدلّ على كمال النهاية، ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: (حُبِّب إليَّ من الدنيا ثلاث: الجلوس بين يديك، وإنفاق مالي عليك، وكثرة الصلاة عليك)، وقالت زوجته رضي الله عنه لابنتها عائشة رضي الله عنها أُم المؤمنين: اشكري رسول الله، وقال سيِّدنا عمر رضي الله عنه عند موته عليه السلام: والله لأضربنَّ بهذا السيف مَن يقول: إن رسول الله (ص) قد مات، أو كما قال، ولذلك لا يغيب عن أهل النهاية أبدًا مع شهودهم للحق سبحانه وتعالى: (وأكرع بها) أي أشرب بفم سرِّي (من) عَيْنِ نور (موارد الفضل) وموارد الفضل شهود الحق سبحانه إذ لا ينال إلا بالفضل المحض العاري عن الأسباب الموصِلَة إليه بشهادة كل مَن شاهده سبحانه، والمجاهدة إنما تُوصِل الإنسان لأن يتأهَّل لحمل سرّ الشهود لا غير وإلا فنفس الشهود لا ينال إلا بالفضل الخالص الذي لا يمتري فيه أحد لأنه ليس إلا محض الإحسان ولا ينال بسبب أبدًا ويرحم الله مَن قال:

قد كنت أحسب أن وَصْلَك يُشتَرَى	بنفائس الأموال والأرباح
وظننت جهْلاً أن حبّك هيِّن	تفنى عليه كرائم الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتخصّ مَن	تختاره بلطائف الأمناح

فعلمت أنك لا تُنال بحيلة	فلويت رأسي تحت طيِّ جناحي
وجعلت في عشّ الغرام إقامتي	فيه غدويَ دائمًا ورَواحي

من موارد جمع مورد وهو محل الورود، الفضل الذي هو سبب الدخول لحضرتك إذ هي لا تُنال بالأسباب ولا تدخل بالإكتساب إذ غاية الاكتساب الوقوف بالباب وأما الدخول فليس إلا بكرم العزيز الوهَّاب (واحملني على سبيله) أي اسلك بي مسلكه الذي سلكته به في الوصول إليك وهو مسلك سرّ العناية منك وتقدّم السابقة لديك (إلى حضرتك) أي مقام الحضور معك بلا مَعِيَّة أي لأنه ليس معك أحد حتى تكون معه وإنما المعِيَّة معه حُكْم الصَّوْن بحيث يمزج الكل بالكل كما حملته هو مؤيّدًا منك بما سبق له من الفضل عندك بك فكنت السالك به إليك والدليل له عليك فأغْنيته بلا تعب وأعطيته بلا سبب وأكرمته بما تَنْبُوا عنه وجوه الطلاب (حملاً) مصدر نوعي (محفوفًا) أي مشمولاً (بنصرتك) لأن المحفوف بنصرتك في السير إليك لا تقطعه عنك خَطَاطِيفُ العوائق لكمال اقتدارك على دفعها عنه بشهود أنوار عظمتك الماحقة لكل ما تقع عليه فما عسى أن يقف على عين بصيرته إذا أرادت النظر إليك والوقوف معك لا مع شيء سواك (واقذف) أي ارمِ (بي) بسبب تغطية وصفي بوصفك ونعتي بنعتك حتى أكون نورًا من أنوارك مندرجًا في دائرة الاتحاد (على الباطل) الذي هو وَهْمُ الفَرْق في عَيْنِ الجَمْع عند أهل الفناء في الله وَوَهْمُ الجَمْعِ فِي عَيْن الفَرْق عند أهل البقاء بالله إذ لا وَهْم في مرآة العارف أبدًا لأن المترقِّي من مقام الفرق لمقام الجمع في بدايته وإن زال فرقه بقي غبش وهمه حتى يرسخ والمرتقي من الفناء في الله إلى مقام البقاء وإن زال فناؤه بقي غبشه على مرآة سرّه حتى يرسخ فيه، فالبقاء إذًا فناء في فناء، أو نقول فناء عن فناء، أو نقول: حياة بعد موت، أو بعث بعد وفاة، فالبقاء سير في الأثلا ولكن مصحوب أنوار البروز من عين الحقيقة (فأدمغه) أي أُصيب دماغه أي أقتله وأُزيله عن عَيْنِ الجمع فلا أرى فرقًا وأُزيله عن عين الفرق فلا أرى جمعًا بل أكون جمعًا وفرقًا جميعًا (وَزُجَّ بي) أي أدخلني، ومنه قول أبي الطيب:

أنحلني الحب فلو زُجَّ بي	في مُقلَة نائم لم ينتبه

(في بحار الأحدية) مبالغة في الوحدة وهي تقتضي محو السّوى وعلى جهة التسمية التي طريقها الاستناد إلى الحقيقة وإضافة بِحار إليها من إضافة المشبّه به إلى المشبه بعد حذف أداة التشبيه على حدّ قول الشاعر:

والريح تعبث بالغصون وقد جَرَى	ذهب الأصيل على لُجَيْنِ الماء

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين أي الفضة، ومعناه والله أعلم أي أدخلني في الأحدية التي هي كالبحار في تمويجها بأمواج الاقتدار الكامنة في مظاهر الفرق حتى أكون ممزوجًا بنقطة التفريد ناظرًا بعين الوحدة لتلوين الجمال الذاتي على بساط التجريد واقفًا مع الذات غائبًا عن الأسباب والآلات وهو جذب محض (وانشلني) أي أخرجني بسبب ذلك الزجّ في بحار الأحدية (من أوحال) جمع وحل وهو ما يعوق الإنسان عن السير مستقيمًا إلى غره من طين ونحوه، استعير لما يعوق عن التفريد من مظاهر (التوحيد) التوحيد الدّالّ على الفرق باقتضاء الموَحِّد والموَحَّد بالفتح ووجود العبودية المضادّة للرّبوبية من حيث الحكمة التي أوقفت فيها كثيرًا مما يظن القرب من حيث وجود البُعْد ويعتقد الاتصال من حيث كُمُون الطَّرد وهو سلوك محض (وأغرقني في عين بحر الوحدة) أي بعد أن تزجّ بي في بحار الأحدية التي هي تجريد عن الأغيار وغيبة عن شهود الآثار وذلك جمع بلا فرق وحياة بلا موت ولطافة بلا كثافة وحرية بلا عبودية وقدرة بلا حكمة ووترية بلا شفعية وأوّلية بلا آخرية وظهور بلا بطون ومعنى بلا حسّ ودخول لبحر الحقيقة بلا غرق ومحصول ذلك الولاية الناقصة وبسبب ذلك أكون مخرجًا من أوحال التوحيد التي تقتضي سلب الولاية جملة من حيث إنها فرق بلا جمع وموت بلا حياة، أسألك أن تُغرِقني في عين بحر الوحدة الجامعة لشهود الربوبية في الضدّ الذي هو العبودية ولوجود الشفعية في عين شهود الوترية فأكون برزخ الأمرين ناظرًا للعَيْن في البَيْن وأحصل على جمع الجمع الذي هو البقاء في الفناء وتلك الولاية الكاملة (حتى لا أرى) بعين البصيرة التي هي محل سمعها لكونها ترى من حيث تسمع كما تسمع من حيث ترى ولذلك أمكن منها شهود مَن هو في كل جهة (ولا أسمع) بسمع البصيرة الذي هو محل رؤيتها لكونها تسمع من حيث ترى كما ترى من حيث تسمع (ولا أجد) في ظهور التكوين إلا وجود التلوين بوجد الباطن في الظاهر والأول في الآخر (ولا أحسّ) مبالغة في الشهود بغَلَبَة الباطن على الظاهر حتى أجد في الحسّ ما في المعنى بقوة الشهود وغلبة الوجْد على الوجود (إلا بها) ومعنى الكلام والله أعلم أنه طلب من الله الغرق في شهود عين الوحدة حتى تَكْسُوَ ظاهره وباطنه فلا يرى إلا بها ولا يسمع إلا بها ولا يجد في وجدان الباطن إلا بها ولا يحسّ في الظاهر إلا بها فهو بها ولها في حاليه ظاهرًا وباطنًا وقد قال في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصِر به ويده التي يبطش بها ورِجله التي يمشي بها» أو كما قال: (واجعل الحجاب الأعظم) أي عالم الكثافة الذي هو عالم الظهور المستمدّ من عين الصفات الموسوم بالحقيقة المحمدية، وذلك لأن بشريَّته (ص) روحانية سواه بل هي حياة روحانية

سواه من الخلق وانظر لوقوف جبريل عليه السلام دون مقام وقف فيه الرسول ببشريَّته (حياة روحي) لأن حياة الروح بالشهود والغيبة عن البعض غيبة عن الكل لأن حياة الروح بتمام شهودها ولا يتم شهودها للحقيقة إلا برؤيتها لفرق الأشباح في جمع الأرواح فهي من غير حجاب محجوبة ميتة ومع وجوده موصولة حيّة ولذلك كانت أرواح العوامّ بعد الخروج عن الأجسام في البرزخ ليست ممحّضة للدنيا ولا للآخرة، وكانت أرواح الخاصة في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل معلّقة تحت العرش وذلك ليتم تنعّمها بحبيبها في عالم الأشباح المقتضي كمال الربوبية بظهور الاتحاد في عجائب الأضداد المستمدّة من عالم الصفات التي هي في الآخرة أشملُ حُسْنًا وأوفر في التنعّم بشهودها نصيبًا، فالعوامّ بعد موتهم طَوَتهم الذات فهم بعد موتهم في بطون وخفاء لظهورهم في هذه الدار بوجودهم، والخاصة بعد موتهم نشرتهم الصفات فهم بعد موتهم في ظهور وسناء لبطونهم في هذه الدار بفنائهم عن وجودهم في شهودهم في الدارين، فقد طلب الشيخ شهود الفرق في الجمع الذي هو حياة الروح وتجلّيها في عالم الصفات (وروحه سرّ حقيقتي وحقيقة جامع عوالمي) أي وروح ذاته التي بَعُدَت لشرف أنوارها على أرواح الكل فلا تجتمع روحه مع روح أحد حتى يرتقي غيره عن مقام الروحانية بكثرة التصفية بالارتقاء في مقام النور الأصلي حتى يصل لمقام السر وحينئذ يقع الاجتماع معه عليه السلام ولكن يكون شبه اجتماع الأشعة بالأنوار لا اجتماع الأنوار بالأنوار لأنه عليه السلام لا يلحقه أحد أبدًا لأنه أول المظاهر الكونية فإليه اندفع النور اللطيف أول مرة ثم جعلت المظاهر تندفع منه عالم الذر فمن فوقه ومن دونه فليس وراء النور المحمدي إلا النور الأصلي فهو ناظر لعالم الجبروت بالرسوخ فيه ولذلك استطاع أن يرى ربّه بعين رأسه وكان من قاب قوسين أو أدنى ولم تنهدم بنيته لأنه عليه السلام لم يَزل في عالمه الأصلي ولم يظهر للوجود إلا خيَاله فتوهّم مَن لا خِبرة له به ظهورَ ذاتِه وليس كذلك، ولذلك قَوِيَ أصحابه على رؤيته ولم يَقْوَ على ذلك سواهم (بتحقيق الحق الأول) المجرَّد عن عوارض الأشكال والحُجُب بما هو في التحقيق مَحْض خيال (يا أول) في آخريته بلا أوَّلية لتنزيهك عن آخريّة شيء عنك إذ ليس معك إلا أنت (يا آخر) في أوَّليّته بلا آخرية لتنزيهك عن تقدّم شيء عنك تكون بعده لانفرادك بالوجود يا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحادث مع مَن له وصف القِدَم (يا ظاهر) في بطونه لأنه إنما ظهر بذاته لذاته في بطونه بذاته عن ذاته إذ ليس معه شيء يظهر له أو يبطن عنه فهو ظاهر لذاته في بطونها عن ذاته (يا باطن) في ظهوره لأنه إنما بطن بذاته عن ذاته في ظهوره بذاته لذاته لانفراده بالوجود في ظهوره وبطونه فهو الظاهر لذاته في بطونها

والباطن عن ذاته في ظهورها فهو هو ليس معه إلا هو تلطّف في الظهور بالبطون من شدة الظهور بالحكمة حتى قيل إنه سواه وليس معه سواه من شدة تلطّفه في الظهور وتلطّف في البطون بالظهور من شدة البطون بالقدرة حتى رَقَّ معناه عن مدارك الأفهام حتى بَقِيَتْ متحيرة من وراء سرادق العظَمة والكبرياء عاجزة عن الإدراك في الحسّ والمعنى وفي جميع الأحوال والعجز عن الإدراك إدراك ولكن حكمة القادر اقتضت الأول والآخر والباطن والظاهر (اسمع) يا سيدي (ندائي) سماع القبول وأجِبه إجابة بلوغ المقصد منك والمأمول (بما) أي بكرمك الواسع الذي (سمعت به) سماع إجابة ورِضى حيث أبقيته عليه السلام في بقائه وبعد فنائه فكان النداء منك وبك وإليك (نداء عبْدك) ونبيِّك وشرَّفته باسم العبد الذي يقتضي جريانه على مختارك له الذي اخترته لجميع عبادك وهو إقامة العبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فكل مَن جرى عليها فهو جارٍ على مختار الله له لا على مختاره لنفسه (زكرياء) حين بَثَّ بين يَدَيْ ربوبيتك شكواه وأظهر فاقته لك ووهَن قواه ولم يكن شقيًّا بدعائك حتى كان دعاؤه بإذْنك ورِضاك (وانصرني بك) أي قولي على فناء دوائر الحسّ التي هي ظلال شمس الحقيقة حتى نصير شمسها (لك) لأن محصول الأمور منك ابتداء وبك دوامًا وإليك انتهاء.

قال سيدي محمد بن العربي الدلائي رضي الله عنه وهو تلميذ الشيخ الحراق رضي الله عنه وهو الذي قَيَّدَ شرح شيخه للصلاة المشيشية، قال مقيّده عفا الله عنه إلى هنا انتهى شرح الشيخ رضي الله عنه، ثم ظهر لي بعد أن استَخرْتُ الله تعالى أن أُتَمِّم الفائدة بشرح هذه الكلمات الباقيات إذ الشيء الكامل أولى من المبْتور فَحَاذَيْتُها بإشارة خَفِيَّة وعبارة لطيفة متطفِّلاً على أهل الخير وأقحمْتُ نفسي خلال هذين الإمامين أعني المصنِّف والشارح رضي الله عنهما عسى الله تعالى أن يفيض عليها من مَدَدهما وبركاتهما ما يرقِّينا به إلى مراتب السعادة ويكرمنا من فضله بالحُسنى والزيادة، فأقول وبالله أستعين قوله: (وأيدني بك لك) طلب من الله سبحانه وتعالى التأييد بالله لله في بقائه ليكون منصورًا محفوظًا في جميع حركاته وسكناته حتى يكون أخذه بالله لله وتركه كذلك، والتأييد كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: عبارة عن تقوية البصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج فكأنه جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشيء في حقيقته وللرشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعِثة إلى جهة السعادة وللتَّسْديد الذي مرجعه للقدرة على توجيه الحركات إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه، وقال: ويقرب من التأييد الجامع لما ذكر العصمة، وقال شيخنا رضي الله عنه في حكمه: (فالمؤيد لا يغيب بالنِّعَم ولا يُفتَن بالألم

واذكر أيوب وسليمان عليهما الصلاة والسلام) فإذا كان هذا حدّ التأييد ونتيجته فجدير أن يطلبه العارِف الواصل لتكمل به نهايته وتحسُن به سيرته وسريرته، وقد قال مولانا سبحانه لنبيِّه عليه الصلاة والسلام وهو أعرف الخلق بالله وأكرمهم عليه: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}[(174)] أيَّدك بنصره حقيقة وبالمؤمنين شريعة، أيَّدك بنصره باطنًا وبالمؤنين ظاهرًا، أيَّدك بنصره بمعنى وبالمؤمنين حِسًّا والله تعالى أعلم، وطلب هذا الإمام رضي الله عنه أن يصرفه الله في الأكوان تصرف المؤيّد المنصور يأخذ من كل شيء ولا يأخذه شيء لأنه لله لا لشيء دونه وهكذا شأن الراسخين الكاملين، وقد حقَّق الله رجاءه فيه فأيّده إليه بالانقطاع إليه باطنًا حتى أنه لم يركن إلى شيء من الدنيا أبدًا وأيّده بتلميذه أبي الحسن رضي الله عنه الذي تفرَّعت عنه هذه الطريقة وصارت تُنسَب إليه وصار فيها إمامًا مشهورًا كل ذلك ببركة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه (واجمع بيني وبينك) جمع السلامة من شهود السّوى والاستقامة إلى السبيل السّوي وهذا منه رضي الله عنه طلب لجَمْعِ الجَمْعِ إذ الجمع في مقام البقاء عبارة عن شهود الله في كل شيء بدليل بيني وبينك فهو مثبت لوجود نفسه من حيث إثبات الله لها وقد قال فيما سلف: وأغرقني في عين بحر الوحدة... الخ. فكل ما ذكر من ثمَّ إلى هنا كله كلام في البقاء بعد الفناء، وأما الكلام على الفناء فقط فهو قوله وزجّ بي في بِحار الأحدية فراجعه إن شئت وانظر ما قاله شيخنا هناك رضي الله عنه، وإنما طلب جَمْعَ الجَمْعَ ليكون مجموعًا في فرقه مفروقًا في جمعه فيعطي كل ذي حق حقه وذلك الكمال ثم أكد هذا الجمع بقوله: (وحُل بيني وبين غيرك) لأن الأشياء كامنة في أضدادها فمَن أدخله الله حضرة قدسه فقد طهَّره من دائرة حسّه حتى ينتهي إلى الله صرفًا، {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[(175)]، وكذالك قال رضي الله عنه بعد هذا التحصيل والانتهاء: {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى *}[(176)] (ألله ألله ألله) كرَّر هذا الاسم الشريف ثلاثًا ليشرب فم سرّه صَفْوَ ماء هذا الاسم الشريف وليلوّح عليه من معانيه نور السرّ اللطيف ويتمكن من باطنه تمكّنًا مستقيمًا ليس فيه اعوجاج ولا تحريف، وقد قال البخاري: باب مَن كرَّر الحديث ثلاثًا ليحفظ، ولينبِّه على أن الفناءات ثلاث: فناء في الأفعال، وفناء في الصفات وفناء في الذات، أو الأولى تحصيل لمقام الإسلام والثانية تقرير لمقام الإيمان والثالثة شهود لمقام الإحسان، أو الأولى سَيْر إلى الله والثانية فناء في الله والثالثة بقاء بالله والله أعلم، ثم لما هاجر بروحانيته من مكة بشريّته في هجرة مجاهدته إلى مدينة مشاهدته ناداه مُنادي الوِصال ببشارته: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(177)]، فالعارف إذا رسخ في فنائه وشهوده رُدَّ إلى دائرة البقاء مُبَشّرًا بالفتح واللقاء فرحًا مسرورًا ومؤيّدًا منصورًا. كما ورد أن

مولانا رسول الله (ص) لما هاجر من مكة قال: «أللَّهمَّ إنك أخرجتني من أحبّ البِقاع إليَّ فأنزِلني في أحبّ البقاع إليك»، أو كما قال عليه السلام فنزلت عليه هذه الآية: «{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ} (3) »، فكان من نتيجة أمره (ص) لما كانت هجرته بالله ومن الله وإلى الله أنب رَدَّه الله إلى مكة عام الفتح مؤيَّدًا منصورًا. وقد أَكْمَل الله عليه نعمه وأكمل دينه وأعلى كلمته وأظهر شريعته ولله عاقِبَة الأمور، ولما كان العارِف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره ولا غِنى له عن فضل مولاه قال: { ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(178)]، فطلب من رحمة الله الخاصة التي يفيضها عن خاطة خلقه ولذلك أسندها إلى المواهب الصرفة بقوله: { د ذ } [(179)] فطلب من الله المدَد بدون واسِطة ولا اكتساب ولا تفعّل ولا أسباب إذ الواصل لم يَبْقَ بينه وبين الله حجاب، أو نقول لما آوى إلى كهف الكوْن عند الله صرفًا قال مثل مَقالة أهْل الكهف حين انقطعوا إلى الله صرفًا كما أخبر الحق عنهم بقوله: (1) {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا} إلى آخر الآية، فكان من أمرهم أن أراحهم الله من تعب الدنيا وأدخَلهم دائرة النوم الذي هو راحة حِسًّا وكما أراحهم بالنوم حِسًّا من الأكدار، كذلك أراحَ أرواحهم معنى من ملاحظة الأغيار، وقد قال عليه السلام: (راحة المؤمن عند ربّه) . فالعارف لا يطلب من الله إلا قربه وشدّه الأدب معه. وقال شيخنا رضي الله عنه في حكمه: (واطلب منه التأييد في المراد والتحصّن من موجبات البعاد) . وقال ابن عطاء رضي الله عنه: مطلب العارفين من ربهم الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية إذ الأدب بقدر الاقتراب والحق لا نهاية له فأدب العارف لا نهاية له، ولذلك قال عليه السلام: (أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه) ، كل ذلك لما يلوح عليهم من عظمة الله وجلاله وجماله وعزّه وكماله ولذلك لما عاين هذا الإمام رضي الله عنه من عظمة الله ما أورثه العجز عن الإدراك اعترف بتقصيره بين يدي مولاه ولم يسعه إلا التسبيح والتنزيه فقال: { ن ه و ى يً 180 ٌَ 181 ٍُ ّْ 182 }[(180)]. فاعلم أنه لا يعرف الله إلا الله، ولا يبلغ كُنْهَ وصفه الواصفون ولا يقدر قدره العابدون ولا العارفون ولا يحيطون به علمًا، {وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ}[(181)]، ولما حقّق الله رجاءه وإكمال مقصوده في هذه الصلاة الشريفة والوسيلة المنِيفة ختم بهذه الآية لِما ورد من الختم بها في كل كلام عجيب ودعاء مُصيب وهي قوله تعالى: { ن ه و ى ي 180 ٌَ 181 ٍُ ّْ 182 } (2) .

&#5؛ ترجمة سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه العارف بالله سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، وُلِد في 1160 أو 1161 هجرية في قرية الخميس الواقعة في الطريق بين طنجة

وتطوان، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم وعندما جوّده وأتقنه وحفظ عدة مُتُون علمية التحق لطلب العلم بالقصر الكبير حيث بقي مدة من سنتين ثم رحل لتطوان فتابع دراسته على كبار علمائها ثم رحل لفاس عاصمة المغرب في العلوم الإسلامية في ذلك الإبّان فتابع دراسته العليا بها ثم عاد إلى تطوان حيث قام بتدريس علوم الشريعة وانجذب إلى سلوك طريق القوم فقرر أن يكرّس نفسه وحياته لخدمة الطريقة والحقيقة وتتلمذ على الشيخ الفرد الصمداني سيدي محمد البوزيدي، أشهر تلامذة الإمام مولاي العربي الدرقاوي مؤسِّس الطريقة الدرقاوية.

قال سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه: (ولما رجعت إلى فاس المرة الثالثة لزيارة الأشياخ الذين أخذت عنهم العلم الظاهر جُزت في رجوعي على بني زروال لملاقاة الشيخ مولاي العربي وسيدي محمد البوزيدي رضي الله عنهما، فلما قَدِمت عليهما فَرِحا بي فرحًا شديدًا ونظَرَا إليّ نظرة تغنّي فلقيت أولاً سيدي محمد رضي الله عنه فقال لي بمجرد لقيته: جعلك الله كالجُنَيد يتبعك أربع عشرة مائة مرقعة، أو قال لي: تكون كالجنيد لا أدري أيّهما قال، ثم ذهب بي إلى مولاي العربي فلما زُرته قال لي: جعلك الله كالجيلاني، فقال له سيدي محمد: أنا قلت له كالجنيد، فقال: يجمع بينهما إن شاء الله، فوجدت لدعائهما بركة عظيمة وبركة كبيرة) . ثم لما قَدِم لبلاده انقلبت أحواله ووجد في نفسه قوة عظيمة لم يكن يحسّ بها من قبل ثم صار شيخه سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه يرسل إليه أن أقدِم إلينا فإن حاجتك عندنا لكنه لم يقدر له القدوم عليه حتى قَدِم سيدي البوزيدي لتطوان فلقَّنه الوِرْد وسلّم له سيدي أحمد نفسه وقال له: أنا بين يديك افعل بي ما شئت، فقال: تبارك الله عليك ثم التفت إلى بعض أصحابه فقال لهم: سيدي أحمد مُتَّصف بالزّهد والورع والتوكّل والصبر والحلم والرِّضى والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم حتى عدَّ نحو اثني عشر مقامًا، فقال له سيدي ابن عجيبة: يا سيدي هذا هو التصوف، فقال هذا تصوّف الظاهر وبقي تصوّف الباطن ستعرفه إن شاء الله. ثم جعل سيدي أحمد يزور شيخه ويتردَّد إليه تارة بغمارة وتارة ببني زروال حتى فتح الله عليه بالفتح الكبير.

خدمة المشايخ وصحبتهم هي سبب الظفر بالسر الأكبر وما نال أحد مرتبة من مراتب الولاية إلا بالصحبة والخدمة، وهكذا فقد بنى سيدي أحمد دارًا لشيخهة وقام بتكاليف تزويج شيخه حيث قال: (فجهَّزنا له أنا وأخي بمائة وأربعين مثقالاً وصحفة من القمح وثور وما يقيم ذلك، فلما قَدِمنا بها وأردنا الانصراف رفع يديه مع مَن حضر من الفقراء فقال: بارك الله فيكم وفي ذريّتكم وأولاد أولادك ومَن تعلّق بكم إلى يوم

القيامة، وكنت سمعت هاتِفًا حين كنّا نشتري له الكسوة يقول: اصبروا فدعوة منه تخدم عليكم وعلى أولادكم، فكانت تلك الدعوة التي ذكرنا. ثم بنينا العين في دار شيخه ببني زروال. ثم بنينا المسجد الذي ببني زروال أنا وأخي، خدمنا فيه بأنفسنا وأموالنا وحملنا الخشب من غمارة على عواتق إخواننا. ثم بنينا ضريح سيدي يوسف الدرقاوي. ثم لم يزل يرسل إليَّ وإلى أخي في حوائجه ومآرب داره فنقوم بها بحول الله وقوّته، فجل زاويته قائم بنا والحمد لله).

مناقب سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه عظيمة، فمن ذلك شهادة شيخه له بالخلافة عنه في حياته وبعد مماته وذلك أنه لما شرح قصيدة شيخه الرائية وأرسل له الشرح فرح به فرحًا شديدًا فقال: لو سألنا الله تعالى يوم القيامة عن سيدي أحمد لقلنا له إنه يحبنا، ثم قال لمن حضر: سيدي أحمد هو خليفتي حيًّا وميتًا.

قال سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه: (وسمعت منه مرة أخرى ببني زروال مع حضور جمع كبير من فقراء المشارقة وأخي معهم، فقال لمن حضر في كلام يعظِّمني فيه: والله لو كان الغزالي حيًّا لحطّ رأسه لسيدي أحمد، أُشهِدكم أنه خليفتي حيًّا وميتًا.اهـ. جزاهم الله عنّا أحسن جزائه و{ خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع } [(182)]:

ما كنت أهلاً فهم رأوني

لذاك أهلاً فصرت أهلا)

وقال: (والحمد لله ممَّن جدَّد الله بنا الدين في هذه المائة، قال عليه السلام: «يبعث الله على رأس كل مائة سنة مَن يجدِّد لأُمتي أمر دينها». وقد شهد لنا بذلك أشياخنا فقد سمعت من شيخنا البوزيدي الحسني رضي الله عنه حين قَدِمنا عليه لزيارته في العام الأول قال: والله حتى يجدِّد الله بكم الدين المحمدي.اهـ. وكتب إليَّ شيخه مولاي العربي رضي الله عنه زمان الوباء ما نصّه بعد كلام: نطلب الله تعالى ألا تموت حتى تكون داعيًا إلى الله ينتفع بك أهل المشرق والمغرب).

ترك سيدي ابن عجيبة رضي الله عنه كتبًا نفيسة راقية منها:

. شرح تصلية الشيخ ابن عربي الحاتمي.

. شرح تصلية القطب ابن مشيش.

. شرح الحزب الكبير للإمام الشاذلي.

. شرح الهمزية والبُردة للبوصيري.

. شرح الحِكَم العطائية.

. شرح الوظيفة الزروقية.

. شرح خمرية ابن الفارض التي قال في أولها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

. شرح قصيدة الرفاعي التي أولها:

يا مَن تعاظم حتى رَقَّ معناه

. شرح الأبيات الثلاثة التي أولها:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر

. شرح المباحث الأصلية.

. شرح نونية الششتري في أربعة كراريس صغار.

. شرح بعض مقطوعات الششتري.

. شرح المنفرجة لابن النحوي.

. شرح تائية الجعيدي في كرّاس صغير.

. شرح قصيدة شيخه الرائية في طريق السلوك.

. شرح تائية شيخه في الخَمْرة الأزلية وما يوصل إليْها في ثمانية كراريس صغار أو سبع.

. شرح آخر عليها فيه اثنا عشر كرّاسًا ونصف صغار.

. قصائد وتوشيحات في فن الخمرة الأزلية وما يرجع إليها جمعت في ديوان مستغل بعضها في تفسير الملك والملكوت، وبعضها في شأن النفس والعقل والقلب والروح والسر وما يتعلق بذلك.

.كتاب صغير في الخمرة الأزلية.

.كتاب في حقائق التصوف فيه ثلاثة كراريس.

. شرح الأجرومية جمع فيه بين النحو والتصوّف عبارة وإشارة كصناعة التفسير.

. شرح فاتحة الكتاب بشرحين بل ثلاثة: أحدهما صغير فيه نحو كرّاستين، والآخر كبير فيه نيِّف وعشرون كرّاسًا صغيرة، وآخر صغير جدًّا فيه نحو ورقتين.

. تفسير كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربع مجلدات كبيرة جمع فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، سمّاه البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.

. تأليف في القراءات العشر مشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحد منها.

. شرح أسماء الله الحسنى.

. تأليف في الأذكار النبوية عند الأحوال المختلفة.

. تأليف في أربعين حديث في الأصول والفروع والدقائق.

. حاشية مختصرة على الجامع الصغير للسيوطي.

. تأليف في علم النيّة.

.كتاب في الطلاسيم التي حجبت عن التوحيد الخاص.

.كتاب في ذمّ الغيبة ومدح العزلة والصمت.

.كتاب في القضاء والقدر ألّفه في زمن الوباء.

ولسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه أحزاب: حزب الحفظ والتحصّن، وحزب العزّ والنصر، وحزب الفتح.

توفي رضي الله عنه بقرية بوسلامة الغمارية بقرب دار شيخه البوزيدي رضي الله عنه وذلك يَوم الأربعاء سابع شوّال عام 1224 هجرية في حياة شيخه البوزيدي وشيخ شيخه مولاي العرْبي الدرقاوي رضي الله عنهما، وبهذه القرية دفن ثم نقل بأمر من شيخه لقبيلة أنجرة لقرية الزميج التي تبعد عن مدينة طنجة بحوالي 20 كيلومتر، ولا يزال ضريحه يُزار للتبرّك والدعاء عنده، وتحتفل الطريقة العجيبية بموسمه في 14 شتنبر من كل عام.

هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (الفهرسة) لسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه &#5؛ قصيدة دالية في الحضرة النبوية حاذى بها سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه التصلية المشيشية

وصل إله العرش في كل لمحة	على عنصر الوجود سرّ محمد
تقدّم كل الكون نور بهائه	فكان إلى الرحمن أول عابد
قد انشقّت الأسرار من سرّ سرّه	فأبدى لنا سرّ الإله الممجد

ومن نوره الأسنى قد انفلقت لنا	معاني صفات الذات من نور أحمد
وفي سما قلبها الصحي قد ارتقت	شموس حقائق الإله الموحّد
وكل علوم قد تقادم عهدها	تنزّلت في قلب الحبيب محمد
فأعجز كل الخلق بحر كماله	وكيف يُحاط البحر بالغَرْف باليد
تلاشت فُهُوم الخلق في بحر سرّه	فلا سابق يدري حقيقة أحمد
ولا لاحق كل تضاءل فهمه	وكيف ينال الشمس مَن هو عن بُعد
رياض بساتين المعارف بهجت	بزهر جمال من شريعة أحمد
كذاك بحار الجبروت تدفقت	بأنواره في كل غيب ومشهد
ولا شيء من كون تجلّى بظاهر	ولا باطن إلا ونيط بأحمد
توسط في الأشياء نور بهائه	فلولا وساطة النبي محمد
لكان على الأصل الموسوط من الجفا	ولم يرَ في الكونين نور محمد
عليه من الله العظيم صلاته	تليق بقدره الرفيع الممجَّد
توصلها أيدي الكرامة والجبا	ينال بها رفعًا يجلّ عن الحدّ
تكون به أهلاً كما هو أهله	فأعظِم به قدرًا من العزّ والمجد
فلا سر إلا من معادن سرّه	ولا علم إلا من بحار محمد
لقد جمع الأسرار سرّ كماله	وكل البها والحُسْن في ذات أحمد
فقد نبع الأسرار من بحر سرّه	ودلَّ على السرّ العظيم الموحَّد
أتى بكتاب لا تُحاط علومه	عجائبه تربو عن الحصر والعدَّ
تُحاكي معانيه بحارًا زواخرًا	وتزهو على الدّرّ اليواقيت في العقد
لقد خصّنا الإله معشر أمة	بأشرف عزٍّ من كرامة أحمد
رسولاً كريمًا هيِّنًا متبجلاً	حميدًا عظيمًا في السيادة والمجد
حبيبًا مشفّعًا وزيرًا مقرَّبًا	يوصل حضرة الشهود إلى العبد
حجابًا عظيمًا واقفًا متأدّبًا	يردّ عن الإلحاد والزيغ والبُعْد

فيا ربّ بالهادي الشفيع محمد	لحوقًا بنسب الحبيب محمد
بتحقيق حسبه الذي هو عنصر	لكل كمال بالمفاخر مسند
وعرّفني إياه بمعرفة غدت	تسلِّمني وِرْد الجهالة والبُعْد
ونكرع منها من موارد فضلكم	ونروى من التسنيم أعظم مورد
على نهجه احملني لحضرتك التي	إليها يأوي أُولوا البصائر والأيد
فحُقَّ بذاك الحمل نصرتك التي	تخصّ بها أهل العناية والودّ
على الباطل اقذف بي فندمغ كل ما	يُزاد على الفرد العليِّ من الضدِّ
وفي أبحر من الحقائق زجّ بي	حقائق أهل الذوق والسرّ والوجد
ومن أوحال التوحيد فانشلني إنها	عقائد أهل الزيغ والجهل والبُعد
وفي عين بحر الذات أغرقني إنه	محل شهود الحق في كل مشهد
إلى أن يصير الكل مني فانيًا	في كل معاني الذات من شدة الوجد
فحينئذ نرى ونسمع واجِدًا	به يقع الإحساس في غيبة العبد
حياتي فاجعل في شهود وسَاطة	لنور حجابك العظيم الممجَّد
ونور إله سرّي حقيقة مشهدا	حقيقته العليا مواضع مقصد
بتحقيق حق أول متأصِّل	قديم بلا شكل هناك ولا حدّ
هو الأول والآخر مع ظاهر	وباطن كل شيء في وحدة الفرد
فيا أول اجعلني في أول سابق	إلى حضرة القدّوس في خير مقعد
ويا آخر اختم لي بخير سعادة	تضمّ إلى روح الوصال المؤبّد
ويا ظاهر حَسِّن ظواهري التي	بتهذيبها يسري المدد إلى العبد
ويا باطن زيِّن بتحقيق نعمة	الشهود بواطني بجمع مؤبّد
ندائي ما سمع يا سميع لمن دعا	سماع أبي يحيى الحصور الممجد
وبالنصر منك يا نصير تحفني	وأيِّد أموري بالهداية والرشد
وفي حضرة التقديس تجمع بيننا	وبين شهود للجمال المؤبَّد

وحل بيننا وبين غيرك إنه	حجاب من الوهم للمبعد للعبد
ألله بالتكرار أذكر داعيًا	بحرف نداء للقريب الموحّد
ثلاثًا ترقي الروح في كل مرة	إلى أن تخوض الجبروت في مشهد
فمَن فرض القرآن أخبر أنه	يردّك يا روحي لجمع مؤبّد
فيا ربّ آتِ من لدنك برحمة	تعمّ الأنام في مغيب ومشهد
وهيِّء لنا رشدًا عظيمًا من أمرنا	يكون سبيل الوصل للعليّ الفرد
وصَلِّ وسلِّم دائمًا متواصلاً	على نخبة الأكوان سرّ محمد
مع الرضى عن كل الصحابة جملة	ومَن هو بالنور المحمدي مقتد

&#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارِف بالله الكبير سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه المتوفَّى عام 1224 هجرية نحمدك يا مَن تجلَّى لقلوب أوليائه بكمال جماله وبهائه فتنزّهت في رِياض مَلَكُوته الأفكار، ونشكرك يا مَن تولَّى أسرار أنبيائه وأصفيائه فخاضت في بحار جبروته الأسرار، ونصلِّي ونسلِّم على بذرة الوجود ومطلع شمس السعود سيِّدنا ومولانا محمد الذي مِنْ سِرِّ ناسوته انشقَّت الأسرار ومن لاهوت صِفاته انفلقت الأنوار، صلاة وسلامًا يليقان بما لهُ من عظيم جاه ومقدار، ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبْرار وأهل بيته الأطهار.وبعد فهذا شرح لطيف على تصلية القطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله بذكره وأفاض علينا من سيب فيضه آمين نَدَبَني إليه شيخنا العارف الربّاني قدوة السائرين ومُرَبِّي الواصلين سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني فأجبته إلى ذلك رجاء التحقيق بمحبته والشرب من فيض مدده، ولنقدِّم بين يدي الكلام ترجمة الشيخ وذِكْر شيء من كلامه. أما ترجمته فهو الشيخ الإمام العارف الواصف الوليّ الكبير والقطب الشهير شمس زمانه وفريد عصره وأوانه سيِّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش بالميم وربما قيل بالباء، وإبدال الباء بالميم لغة مازنية، ومعناه الخادم الخفيف الحاذق اللبيب بن أبي بَكْر بن علي بن حُرْمَة بن عيسى بن سلام بن مِزْوار ومعناه بلغة البربر بكر أبيه ويستعمل في رئيس القوم بن علي بن حَيْدَرَة وهو في الأصل اسم الأسد بن محمد بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنَّى بن الحسن السبط بن علي كرَّم الله وجهه رضي الله عنهم أجمعين، توفي رضي الله عنه شهيدًا عام 622 هجرية أو فيما بعده بقليل.

قال ابن خلدون: قَتَله في جبل العلم قوم بعثهم لقتله ابن أبي الطواجين الكتامي الساحر المدّعي النبوّة وبسبب هذه الدعوى زحفت إليه عساكر سبتة وكان عند بني سعيد فقتل، ثم قلت: أخبرني مَنْ أَثِقُ به من بني سعيد أنه قتله شاب منهم وذلك أن الظالم كان فاسقًا يَتَعَمَّد بنات الناس كرهًا فَتَزَيَّى شاب بِزيِّ النساء فلما اختلط به في خلوته قتله لأن الظالم كان أراد أن يدخل بأُخته فتزيَّى بزيّ النساء وأُهْدِيَ له على أنه بنت فقتله بخنجر.

كانت وفاة القطب ابن مشيش عام 625 هـ على قول ابْن خلدون، ودُفِن رضي الله عنه في قمة الجبل المسمى بالعَلم. قال في الميراث: وآثاره هنا كثيرة من مغارة للخلوة والعبادة، ومسجده جدرانه قصيرة، ومَوْضع لارتقاب الفَجْر، وتحت ضريحه بنحو المِيلِ عَيْن كان يتوضأ فيها ومقتله فوقها بقريب، يقال: إنه توضأ فيها عند الفجر وقَصَدَ الصعود لمحلِّ العبادة وارتقاب الفجر فقتلوه هناك، ومن الشائع أنه أُلْقِي عليهم الضباب الكثيف ودُفِعوا إلى شواهق الجبال فَتَرَدَّوْا منها في مهاوي سحيقة فَمُزِّقوا كل ممزق ولم يَرْجِع منهم مُخْبِر، وتحت هذه العيْن بمسافة أخرى رسوم داره التي كان يسكنها، قلت: وقد وصلتها وصلَّيت في أثر مسجده قرْب العَيْن التي يُسَمُّونها عين القشور عن يمينها ولا ساكن هناك اليوم وإنما العمران في سفح الجبل دائرًا به في مداشر وعُمْران يسكنها أهل هذا النسب الشريف ومعهم غيرهم، وكان له من الأولاد أربعة: محمد وأحمد وعبد الصمد وعَلاَّل، ومن بني ولده محمد: بنو عبد الوهاب وطائفة يسمّون الرحمونيين بقرب شفشاون، ومن ولده علاّل أولاد الفِجْفج منهم فرقة بمراكش.

ولمولانا عبد السلام أخوان: موسى ويملاح، ومن بني موسى الشفشاويّون القاطنون بفاس، ومن بني يملاح سيدي عبد الله بن إبراهيم نزيل وزان. ولمولانا عبد السلام من الأعمام ستة: يونس وعلي وملهى وميمون والفتوح والحاج، ومن أولاد يونس أولاد بن ريسون وأولاد ابن رَحْمُون وأولاد مَرْصُو.

من المنقول عن سيدي عبد الله الغزواني رضي الله عنه: أن روضة مولانا عبد السلام مشتَملة على ثلاث قبور: الوسط منهم هو قبر الشيخ، والذي خَلْفَ ظهره قبر ولده سيدي محمد، والذي بين يديه قبْر خديمه بن خدّامة رضي الله عنهم. يُرْوى أن الشيخ كان يومًا بإزاء خَلْوته يَتْلو القرآن ومعه تلميذُه الشيخ أبو الحسن الشاذلي حتى وصل سورة الأنعام إلى قوله تعالى: {وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا}[(183)]، فَوَرَدَ عليه وارِد إلهي اقتَطعه عن حسّه واستغرق فيه مدة فلما أفاقَ رفع يده إلى السماء

داعيًا فكان من دعائه (أللَّهمَّ مَنْ سبق له الشفاء منك فلا يَصِلْ إليَّ وَمَنْ وَصَلَ إليَّ أكون له شفيعًا يوم القيامة، أللَّهمَّ لا تَبْعَثْ لنا مَنْ حَكَمْتَ بشقائه) .

وأما علو قدره وجلالة منصبه فذلك أمر شهير وقد تغلغل في علوم القوم التي مدارُها علم التحقيق بأخلاق النبي (ص) فنال من ذلك الحظ الأوفر، وطريقه طريق الغِنَى الأكبر، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: (دخلت العراق واجتمعت بالشيخ الصالح بن الفتح فما رأيتُ مثله، وكنت أطلب القطب فقال لي بعض الأولياء: تطلب القطب وهو ببلادك ارجع إلى بلادك تَجِدْهُ، فرجعت إلى المغرب إلى أن اجتمعت بأُستاذي رضي الله عنه) . وقال أيضًا: (كنت يومًا بين يدي أُستاذي فقلت في نفسي: لَيْتَ شِعْرِي هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال ولد الشيخ يا أبا الحسن ليس الشأن مَن يَعْلم إنما الشأن مَن يكون عَيْن الاسم، فقال الشيخ: أصَابَ وتَفَرَّسَ فيك ولدي يا أبا الحسن). وقيل: كان الولد المذكور من ثلاث سنين، وقال أيضًا: كنت في سياحتي في بداية أمري حصل لي تردّد هل ألزَم البراري والقِفار لأتفرّغ للطاعة والأذكار أو أرجع إلى المدن لصحبة العلماء والأخيار فوُصِفَ لي، ولي هناك وكان برأس جبل فصعدت إليه ليلاً وقلت في نفسي لا أدخل عليه في هذا الوقت فسمعته وهو يقول: (مَنْ دَخَلَ المغارة؟ أللَّهمَّ إن قومًا سألوك أن تُسَخِّرَ لهم خلقك فسخَّرت لهم خلقك فرضوا بذلك منك، أللَّهمَّ وإني أسألك اعوجاج الخلق عليَّ حتى لا يكون مَنْجَا إلا إليك) فَالْتَفَتُّ إلى نفسي وَقلت: يا نفسي انظري من أيّ بحر يغترف هذا الشيخ؟ فلما أصبحت دخلت عليه فارتعبت من هيبته فقلت: يا سيدي كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرِّضى والتسليم كما تشكو أنت من حَرِّ التدبير والاختيار فقلت: أما شكواي من حرّ التدبير والاختيار فقد ذُقته وإني الآن فيه، وأما شكواك من برد الرِّضى والتسليم فما ذُقتهما، فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله، فقلت: يا سيدي سمعتك البارحة تقول: أللَّهمَّ إن قومًا... الخ. فتبسَّم ثم قال: يا بني عِوَض أن تقول سَخِّرْ لي خَلْقَك، قُلْ: يا ربّ كُنْ لي أترى إذا كان لك أَيَفُوتُك شيء؟ فما هذه الجبانة؟

وأما كلامه في الحقائق والوصايا فقال رضي الله عنه في بعض كلامه: (الْزَم الطهارة من الشكوك كلما أَحْدَثْتَ تَطَهَّرْتَ ومَن تدنّس الدنيا كلما مِلْتَ إلى شهوة أصْلَحْتَ بالتوجّه ما أفسدت بالوهم، أو كِدْتَ، وعليك بمحبة الله غعلى التوقير والنّزاهة وأَدْمِنِ الشرب بكأسها مع السكر كلما أَفَقْتَ أو تَيَقَّظتَ شربت حتى يكون سكرك وصحوك به وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشرب، والشرب والكأسُ بما يَبْدُو لك من نور جمالِهِ وقُدْسِ كمال جلاله، ولعلّي أُحَدِّثُ مَن لا يعرف المحبة ولا الشرب ولا الكأس ولا السُّكْر ولا

الصَّحو) ، فقال له القائل: أَجَلْ وكم مِنْ غريق في الشيء لا يعرف بغرقه فَعَرِّفْنِي ونبِّهْنِي على ما أنا به جاهل أو ما مَرَّ علي وأنا عنه غافل قلت: لك نَعَمْ المحبة أَخْذَةٌ من الله، قُلْتُ: (مَنْ أَحبَّ بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله، وشُرْبُ المحَبَّة: مَزْجُ الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال، وَيَتَّسِعُ فيه النظر لمن شاء الله عزَّ وجلّ، والشرب: سقي القلوب والأوصاف والعروق من هذا الشراب، ويكون الشرب بالتدريب بعدالتدريب والتهذيب بعد التهذيب فيُسقى كلٌّ على قدره، فمنهم مَن يُسْقى بغير واسطة والله يتولى ذلك ومنهم مَن يُسْقَى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقَرَّبين، فمنهم مَن يسكر بشود الكأس ولو لم يَذُقْ بعد شيئًا فما ظنك بَعْدُ بالذّوق وبَعْدُ بالشرب وبَعْدُ بالريّ وبعدُ بالسُّكْر وبعدُ بالمشروب، ثم الصَّحْو بعد ذلك على مَقادِر شَتَّى كالسُّكْر أيضًا كذلك، والكأس: معرفة الحق يُغْرَفُ بها من ذلك الشراب الطَّهور المحْض الصافي لمن شاء من عباده المخلصين من خَلْقه فتارة: يَشْهَد الشراب بذلك الكأس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها عِلْمِيَّة، فالصورة حظّ الأبدان والنفوس، والمعْنوية حظّ القلوب والعقول، والعلمية حظّ الأرواح والأسرار، فَيَا لَهُ مِنْ شراب ما أَعْذَبَهُ فطوبى لمن شرب منه ودام لم يُقْطَعْ عنه نسأل الله من فَضله ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، وقد تجتمع جماعة من المحِبِّين فَيُسْقَوْنَ مِنْ كأس واحدة وقد يُسقَوْن من كؤوس كثيرة، وقد تختلف الأشربة بحسب الكؤوس، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة وءن شرب منه الجَمُّ الغفير من الأحبَّة). قلْتُ: وقد شرحت هذا الكلام في شرحنا لخمرية ابن الفارض.

من وصاياه رضي الله عنه لتلميذه أبي الحسن قال له: (ألله ألله والناس نَزِّهْ لسانك عن ذِكْرِهِم وقلبك عن التَّماثل من قِبَلِهِمْ وقُلْ: أللَّهمَّ ارحمني مِنْ ذِكْرِهِم ونَجِّنِي مِنْ شَرِّهِمْ واغْنِنِي بخيرك عن خيرهم وتولَّني بالخصوصية من بينهم إنك على كل شيء قدير) . وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: أوصاني حبيبي، أي أُستاذي مولانا عبد السلام فقال: (يا أبا الحسن لا تَنْقُلْ قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تَأْمَن غالبًا من معصية الله، ولا تَصْحَبْ إلا مَن تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفي لنفسك إلا مَن تزداد به يقينًا وقليل مَا هُمْ) . وقال أيضًا: أوصاني أُستاذي فقال: (لا تَصْحَبْ مَن يُؤْثِر نفسه عليك فإنه سئيم ولا مَن يُؤْثِرَكَ على نفسه فإنه قَلَّ ما يدوم، واصْحَبْ مَنْ إذا ذُكِرَ ذُكِرَ الله فإنه يُغْنِي به إذا شُهِد وينوبُ عنه إذا فُقِد، ذِكْرُه نورُ القلب ومشاهدته مفتاح الغيوب). وقال أيضًا رضي الله عنه: (يا أبا

الحسن اهْرَبْ مِنْ خَيْرِ الناس أَكْثَرَ مِنْ أنْ تَهْرَبَ مِنْ شَرِّهِمْ فإن خَيْرَهُمْ يصيبك في قلبك وشَرَّهُمْ يصيبك في بَدَنِك ولأَنْ تُصَابَ في بدنك خَيْرٌ مِنْ أن تُصَابَ في قلبك، وَلَعَدُوٌّ تَصِلُ به إلى ربك خَيْرٌ مِنْ حبيب يقطعك عَنْ ربك). وقال أيضًا: سألت أُستاذي رضي الله عنه عن قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وبَشِّروا ولا تُنَفِّرُوا)، فقال رضي الله عنه: (دَلُّوهُمْ على الله ولا تدلّوهم على غيره، فإن مَنْ دَلَّكَ على الدّنيا فقد غشَّك، ومَن دَلَّكَ على العمل فقد أتعبَك، ومَن دَلَّكَ على الله فقد نصحك). وقال أيضًا: فقد سألني أُستاذي فقال: يا أبا الحسن بماذا تَلقَى الله؟ فقلت: بِفَقْرِي. فقال: لَئِنْ لقيتَ الله بفقرك لَتَلْقَيَنَّهُ بالضمّ الأعظم وإنما يُلْقَى الله به سبحانه لا بشيء سواه). وقال رجل لمولانا عبد السلام: يا سيدي وَظِّفْ عليَّ وظائف وأوْرادًا أَعْمَلُ بها فقال له: أَرَسُولٌ أنا؟ الفرائض مشهورة والمحرَّمات معلومة فَكُنْ للفرائض حافظًا وللمعاصي رافضًا واحفظ نفسك من حبّ الدنيا وحبّ النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات واقْنَعْ بما قَسَّمَ الله لك، إذا أخرج لك مخرج الرِّضى فَكُنْ فيه شاكرًا، وإذا أخرج لك مخرج السَّخط فَكُنْ عليه صابرًا، وحُبُّ الله قُطْبٌ تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وحَصْرُ ذلك كله في أربع: الورع وحُسْنُ النِّيَّة وإخلاص العمل ومَحَبَّة العلم، ولا تَتِمُّ هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح.

أخذ رضي الله عنه عن شيخه أبي محمد سيي عبد الرحمن المدَني الملقَّب بالزَّيّات لِسُكْنَاهُ بحارة الزيّاتين، وكان الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش في صغره انقطع للعبادة في مغرة بجبل العَلَم بعد أن أدركه الجذب وهو ابن سبع سنين فدخل عليه بعد مدة رجل عليه سِيْما أهل الخير والصَّلاح فقال: (أنا شيخك الذي كنت نُمِدّك من وقت الجذب إلى الآن، ووَصَفَ له ما وَصَلَ إليك علي يَدَيْه من المنازلات والمعارف وَفَصَّلَ له ذلك مَقامًا مقامفا وحالاً حالاً وعَيَّنَ لكل حال زمنه). ثم سُئِل رضي الله عنه بعد ذلك: هل كان يأتيك أو كنت تأتيه؟ فقال: كُلٌّ قد كان، فقيل له: أطَيًّا لمسافة المكان أو سفرًا؟ فقال: طيًّا.

أخذ سيدي المدني عَنْ عارف وقته القطب تقيّ الدين الفُقَيْر وهو من أرض العراق وهو عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين عن القطب تاج الدين عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزويني عن القطب أبي إسحق إبراهيم البصري عن القطب أبي القاسم أحمد المرْوَاني عن القطب أبي محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب محمد فتح السعود عن القطب سعيد الغزواني عن القطب أبي محمد جابر عن أول الأقطاب سيّدنا الحسن عن أبيه سيّدنا عليّ بن أبي طالب عن سيد الأوّلين والآخرين

سيِّدنا ومولانا محمد (ص)، ويَتَّصِل نَسَبُنا بهذا الشيخ من طريق شيخنا العارف البوزيدي الحسني عن شيخه العارف مولاي العربي الدرْقاوي الحسني عن شيخه العارف سيدي علي العمراني الحسني عن شيخه العارف سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله عن سيدي قاسم الخصاصي عن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي وعن سيدي محمد بن عبد الله الكبير والد سيدي أحمد، وهما عن القطب سيدي يوسف الفاسي عن العارف سيدي عبد الرحمن المجذوب عن سيدي علي المنهاجي المشهور بالدّوار عن شيخه سيدي إبراهيم أفحام عن سيدي أحمد زرّوق عن شيخه أحمد بن عقبة الحضرمي عن سيدي يحيى القادري عن القطب سيدي علي بن وَفا عن والده سيدي محمد بحر الصفا عن سيدي داود الباخلي عن سيدي أحمد بن عطاء الله عن القطب سيدي أبي العباس المرسي عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي عن القطب الكبير العارف الشهير صاحب التصلية الذي قال في أولها (أللَّهمَّ) أي يا ألله حُذِفَت الياء إزالة للبُعْد الذي تدلّ عليه وعُوِّضَت عنها الميم دلالة على الجَمْع ولذلك قال الحسن: مَنْ قال: أللَّهمَّ، كأنما دعى الله بأسمائه كلها لأن الميم تدلّ على الجمع لهم (صَلِّ) أي تَرَحَّمْ وتعطَّفْ (على) سيِّدنا ومولانا محمد (مَنْ) أي الذي (مِنْهُ) أي من نوره الذي هو بذرة الوجود والسبب في كل موجود، ويحتمل أن تكون مَنْ تعْليلية أي من أجله (ص) (انشقَّت) أي لاَحَتْ وَظَهَرَتْ أو نَبَعَتْ وانْفَجَرَتْ (الأسرار) أي أسرار الذات العالية وقد كانت قبل ظهور نورِهِ محجوبة باطنية تجَلَّى فيها الحق تعالى باسمه الباطن، فلما أراد أن يتجلَّى باسمه الظاهر أظهر قبضةً مِنْ نوره فقال: كوني محمدًا، فمن تلك القبضة المحمدية تكوَّنت الأكوان من العرش إلى الفَرْش، فما ظهرت أسرار الذات إلا من تلك القبضة النورانية فظاهِرُها ذات وباطنها صفات، وبتلك الصفات وقع التكثيف والتصوير والتمييز والتشكيل والتحيير وإلى ذلك أشار بقوله: (وانفلقت) أي مِنْ نوره (ص)، انفلقت: أي انفصلت وظهرت (الأنوار) أي أنوار الصفات وأنوارها أي آثارها التي ظهرت على ظاهر التجليات من تكثيف وتلطيف وتقييد وتخصيص وتشكيل وتمييز وإعزاز وإذلال وخفض ورفع وقبض وبسط وغير ذلك من اختلاف الآثار وانتقالات الأطوار، فهذه كلها من آثار الصفات الأزلية التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة، والصفات لا تفارق الموصوف لكن لما كانت الصفات لطيفة لا تُدْرَك أظهرت نفسها في المحسوسات والذات عيْن الصفات، والصفات عين الذات أي محلها واحد فحيث تجلَّت الذات تجلَّت الصفات، وحيث ظهرت الصفات ظهرت الذات، فَعَبَّرُوا عن هذا الكلام بالاتحاد والعيْن، وأهل الفَرْق وهم أهل الحجاب لا يشهدون إلا

الصفات أي أثرها وهم محجوبون عن شهود الذات، وأهل الجَمْع وهم أهل الجَذْب والفناء لا يشهدون إلا الذات ويغيبون عن أثر الصفات، وأهل البقاء وهم أهل الكمال يشهدون الذات في الصفات والجَمْع في الفَرْق لا يحجبهم جَمْعُهُمْ عن فَرْقِهم ولا فرقهم عن جمعهم يعطون كل ذي حق حقه ويوفون كل ذي قسط قسطه، فكلام الشيخ رضي الله عنه من باب الترقِّي فانشقاق الأسرار لأهل الفناء في الذات وهم أهل الجذب والسُّكْر وانفلاق الأنوار لأهل البقاء وهو الرجوع إلى شهود الأثر بالله وهم أهل السلوك بعد الجذب والفناء.

يحتمل أن يريد بقوله: منه انشقّت الأسرار أي أسرار الجبروت، ومنه انفلقت الأنوار أي أنوار الملكوت، أو تقول: منه انشقَّت الأسرار أي أسرار الحقيقة، وانفلقت الأنوار أي أنوار الشريعة، أو تقول: منه انشقّت الأسرار أي أسرار الإحسان، وانفلقت الأنوار أي أنوار الإيمان والإسلام، أو تقول: منه انشقَّت الأسرار أي أسرار عالِمِ الغيب، وانفلقت الأنوار أي أنوار عالم الشهادة، أو تقول: منه انشقَّت الأسرار أي أسرار القدرة، وانفلقت الأنوار أي أنوار الحكمة.

يحتمل أن يكون كلامه من باب التَّدَلِّي فيكون قَدَّمَ أولاً مقام أهل الإحسان من أهل الشهود والعيان ثم نزل إلى مقام أهل الدليل والبرهان وهم أهل شهود أثر الصفات قبل شهود الذات فيكون قوله: انشقّت الأسرار لأهل الفناء في الذات وانفلقت الأنوار لأهل الفناء في الصفات قبل الفناء في الذات فإن عامّة المتوجِّهين يبتدؤون بشهود الأثر ثم يرتقون إلى شهود المؤثِر بالشريعة ثم بالحقيقة، وبالإسلام والإيمان ثم بالإحسان، وبعَالم الشهادة ثم عالم الَيْب، وبالحكمة ثم القدرة، فيكون أوّلاً في توحيد الأفعال: لا فاعل إلا الله وهو نهاية الصالحين ثم في توحيد الصفات: لا حَيَّ ولا قادر ولا مُريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلِّم إلا الله ثم في توحيد الذات: لا موجود إلا الله، ثم يزيدون إلى مقام البقاء وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

ويفنى ثم يفنى ثم يفنى	فكان فناؤه عَيْن البقاءِ

ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: طريقنا ليس فيها إلا فناءانِ؛ فناء الأفعال وفناء الذات. وأما فناء الصفات فهو مطوي في فناء الذات وهو كما قال رضي الله عنه: لأن طريق الشاذلية مختصرة صاحبها أول قدم يضعه في مقام الإحسان فيفنى أولاً في الاسم ثم في الذات فنهاية الصالحين بداية العارفين، وكلامنا كله مع مَنْ وجد شيخ التربية، وأما مَن لم يَجِدْ فلا كلام معه إذ لا سِرَّ له.

تنبيه:

إنما خصَّ تجلِّي الذات بالأسرار وتجلِّي الصفات بالأنوار لأن تجلِّي الذات لا يدركه إلا الخواصّ أو خواصّ الخواص ومن شأن السِّرِّ أن لا يدركه إلا الأفراد بخلاف تجلِّي الصفات وهو الأثر فيدركه الخاص والعامّ كما أن النور كذلك لا يخفى على أحد، وإنما خصَّ أيضًا السِّرّ بالشّقّ والنور بالفلق لأن الشقّ يكون أولاً ثم يقع الفلق ثانيًا، تقول: انشقَّ الإناء إذا لم ينفصل فإذا انفصل تقول: انفلق، كذلك انشقاق الأسرار يكون أولاً لأهل الفناء وانفلاق الأنوار يكون ثانيًا لأهل البقاء بعد الفناء.

اعلم أن الأنوار الحسِّيَّة ثلاثة: نور النجوم ونور القمر ونور الشمس. والأنوار المعنوية كذلك: نور الإسلام كنور النجوم ونور الإيمان كنور القمر ونور الإحسان كنور الشمس، أو تقول: نور الفناء في الأفعال كنور النجوم ونور الفناء في الصفات كنور القمر ونور الفناء في الذات كنور الشمس، فأول ما يُكْشَفُ للمُريد نور ضعيف كنور النجوم فتراه يسقط ويقوم لخفاء الطريق تختفي ثم يبدو له قمر التوحيد فيَقِل عَثاره ثم تطلع علي شمس العِرْفَان فلا يخفى عليه مكان، وفي هذا يقول المجذوب رضي الله عنه:

طَلع النهار على الأقمار	ولا يَبْقَى إلا ربِّي
النَّاسْ زَارَتْ مُحَمَّدْ	وَأَنَا سكَنْ لي في قَلبي
وقال أيضًا:	طَلَعَ النهار على قلبي
حتى نظرته بعَينِيا	وقال آخر:
إنَّ شَمْسَ النهار تغرب ليلاً	وشموسَ القلوب ليست تَغِيبُ

وقُلْتُ في قصيدتي الرائية في سِرِّ الرّوح:

لطيفة نُورٍ في كثافةِ ظُلْمَةٍ	ولكِنَّ بَدْرَ التَّامِّ في لَيْلَهِ يَجْرِي
فَإِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ النَّهار تَغَيَّبَتْ	غَيَاهِبُ لَيْلٍ عَنْ سَمَا قَلْبِكَ الدُّرِّي
ألا إِنَّ شَمْسَ الحِسِّ يَغْرُبُ لَيْلُها	وليْسَ لِشَمْسِ الحَقِّ مِنْ أُفُلٍ يَجْرِي

واعلم أن هذه الأنوار التي انفلقت من نوره عليه السلام انْحَجَبَتْ بِسِرِّ الحِكمة في حال ظهورها إذ لا بُدَّ لِلْحَسْنَاءِ مِنْ نِقابٍ وللشمس من سحاب فاحتجبت بلا حجاب ولله دَرُّ القائل:

وما احتجبت إلا برفع حجابها	ومن عجب أن الظهور تَسَتَّر

والناس في مشاهدتها على ثلاثة أقسَام:

قِسْم يشهدونها بعد مُشاهدة الأكوان وهم أهل الجَذْب والفناء من أهل مقام الإحسان وإليه أشار بعضهم بقوله: (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله)، وقال الشيخ مولانا عبد السلام لتلميذه أبي الحسن: (حَدِّدْ بَصَرَ الإيمان تَجِدِ الله تعالى في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وتحت كل شيء وقريبًا من كل شيء ومحيطًا بكل شيء. بِقُرْبٍ هُوَ وَصْفُهُ وبِإِحَاطَةٍ هي نَعْتُهُ، وَعْدَّ عن الظَرْفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب في المسافات وعن الدَّور بالمخلوقات، وَامْحَقِ الكُلَّ بِوَصْفِهِ الأول والآخر والظاهر والباطن، وَهُوَ هُوَ هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان). ثم قال رضي الله عنه: (وفيه) أي في سَمَا قَلْبِه الصافي (ارْتَقَت) أي ارتفعت وأشرقت شُمُوسُ (الحقائق) العِرْفانية والأسرار الربَّانية والعلوم اللدنية، شَبَّه قلبَه عليه الصلاة والسلام بسماء صاحية أشرقت فيها شموس كثيرة فامتلأت بالأنوار ولذلك جمع الحقيقة وإن كانت في الأصل واحدة لأنه عليه الصلاة والسلام اجتمع فيه من الحقائق ما افْتَرَقَ في غيره، فكان باطنه عليه الصلاة والسلام مغمورًا بأنوار الحقائق وظاهره معمورًا بأنوار الشرائع فكان عليه الصلاة والسلام أعطاه الله القوة من الجِهَتَيْن: ظاهره معمورًا بالشرائع وباطنه معمورًا بالحقائق ولا يكون هذا إلا له عليه الصلاة والسلام أو لِمَنْ كان على قدمه (ص) مِمَّنْ أَهَّلَهُ الله للاقتداء به ويكون هذا بَعْدَ التمكين، ولقد سمعت شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: لا تجتمع مجاهدة ومشاهدة إلا في رجل واحد على قدمه (ص). واعترض قول الشيخ اليوسي في بعض أدعيته: وَزَيِّن الظاهر بالمجاهدة وزيِّن الباطن بالمشاهدة، إذ لا مجاهدة في الظاهر قبل مشاهدة الباطن كما تقدّم، وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه: الوليّ الكامل هو الذي يكون ظاهره معمُورًا بالشرائع وباطنه مَعمورًا بالحقائق. قلت: هذا قليل وعلى تقدير وُقُوعِهِ تكون عبادة الله معمولاً فيها بالقدرة فلا مجاهدة له فيها البتَّة، والغالب على أهل الباطن خفاء أعمالهم لأنها قلبية بَيْن فِكْرَة ونَظْرَة وشهود وعِبْرَة، لا يزيدون على الفرائض إلا ما تَيَسَّر ثم يستغرقون في الفكرة والنظرة التي هي أفضل العبادات ساعة منها تَفْضُلُ عبادة سنة كما في الحديث، وفي رواية سَبْعين سنة والجمع بينهما أن الأول في فكرة أهل الحجاب، والثاني في فِكْرَة أهل العِرْفان وفيه قال الشاعر: (كُلُّ وَقْتٍ مِنْ حبيبي قَدْرُهُ كَأَلْفِ حجَّة) أي سنة. وقال أبو العباس المرسي

رضي الله عنه: (أوقاتنا كلها ليلة القدر). وقال سيدي ابن عَطاء الله رضي الله عنه في الحِكَم: (قَوْم أقامَهُمُ الله لخدمته وقوم اختصَّهم بمحبته {كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا *}[(184)]). فأهل المحبة هم أهْل الفِكْرة وأهل الخدمة هم أهل العبَادة الظاهرة، أو تقول: أهل المحبة هم أهل العبادة القلبية وأهل الخدمة هم أهل العبادة الخارجية، أو تقول: أهل المحبة هم أهل العبادة المعنوية وأهل الخدمة هم أهل العبادة الحسِّيَّة، والحاصِلُ أن عمل الشريعة لا بُدَّ له أن يعتبر الحقيقة، والحقيقة لا بدَّ أن تعتبر الشريعة إلا ما لا بُدَّ منه، ومَن قال خلاف هذا فهو جاهل بعلم الباطن، وقد رأيت في قوت القلوب لأبي طالب المكِّي رضي الله عنه أن بعض العارفين قال له المَلَك الذي يكتب أعماله: يا سيدي فَرِّحْنَا بشيء منْ أعمالك أي ظَهِّرْهُ لنا نتقرَّب به إلى ربِّنا، فقال له: أما يكفيك الصلوات الخمس، وانظر قول الحلاّج رضي الله عنه:

قلوب العارفين لها عيون	تَرَى ما لا يُرَى للناظرين
وألْسِنَةٌ بأسرار تناجي	تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش	إلى ملكوت ربّ العالمين

وقد ذَيَّلْنَاهُ بِبَيْتَيْن أُخرَيين فقلت:

وأفئدة تهيم بعشق وَجْدٍ	إلى جبروت ذي حَقٍّ يقينا
فَإِنْ أرَدْتَ دَرْكَ ذي المعاني	فَبَذْلُ رُوحِكَ قَلِيلٌ فينا

فهذه عبادة العارفين المحَقِّقين باطنية خَفِيَّة، ولذلك اختلفوا عن كثيرٍ منَ الناس فلا يَعْرِفُهم إلا مَنْ أرادَ الله أنْ يُعَرِّفَهُمْ به، ثم أشار رضي الله عنه إلى العلم الظاهر الذي علم عليه السلام فقال: (وتنزَّلت) في قلبه عليه السلام بالوحي والإلهام (علوم آدم) عليه السلام، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[(185)] أي ألْهَمَهُ الله، وَألْقَى في فِطْرَته معرفة الأشياء كلها ولغات الألْسُن كلها مِنْ عربية وسِرْيانية وغيرهما مما تكلم به أولاده، وكذلك نبيِّنا عليه الصلاة والسلام عَلَّمَهُ الله أسماء الأشياء ومُسَمَّياتها وزادَ معرفة خواصّها ومنافعها وكان عليه السلام يعرف لغات العرب والعجم وغيرهما فكان يخاطب كل قوم بِلُغَتهم ويكتب إليهم بِعُرْف كلامهم وقد أطلعه الله تعالى على علوم المتقدِّمين وشرائعهم الدَّارِسة وأخبارهم الماضية وعلم ما يكون في أمته من الأحداث والوقائع وما يَلْقَوْنَ من المصائب والفجائع وخَصَّه الله بأسرار لم يَطِّلِعْ عليه أحد من

خلق الله، وكان عليه الصلاة والسلام يخصّ قومًا بأسرار لم يفشها لغيرهم حتى قال الفاروق رضي الله عنه: كنت أدخل على النبي (ص) ومعه الصِّدِّيق رضي الله عنه وهما يتكلمان في علم السِّرِّ وفي علم التوحيد فأكون بينهما كالزِّنجي لا أعرف ما يقولان. قال سيدي عبد الوارث في شرح المباحث: كانا أول مرة يتكلمان في علم السِّرِّ فإذا دخل عمر رضي الله عنه أَمْسَكَا ثم أشركاه في المذاكرة فإذا دخل عثمان رضي الله عنه أمسكوا ثم أشركوه في المذاكرة فإذا دخل عليٌّ رضي الله عنه أمسكوا ثم أشركوه في المذَاكرة، وقال غيره: كان عليّ رضي الله عنه يَفْهَم تلك الأسرار قبل أن يُشرِكوه في المذاكرة والله أعلم، وهذه الأسرار ليست من علم الظاهر وإنما هي من علم الباطن فحَقها أن تُذْكَر عند قوله: (وفيه ارتقت الحقائق) لكن انْجَرَّ الكلام إليها في هذا الموضوع فالأمر قريب إذ أن علم الباطن لا يتحقق إلا بعد العلم الظاهر وهو ما يتعلق بإصلاح الجوارح الظاهرة، فالعلوم ثلاثة: علم يتعلق بإصلاح الظاهر ويُسَمَّى علم الشريعة وعلم الحكمة، وعلم يتعلق بإصلاح الباطن ويسمى علم التصوّف وعلم الطريقة وهما كَسْبِيَّان، وعلم موهوب ويسمى علم الحقيقة وهو الثمرة والغاية فكل علم لا يُبَلِّغُ صاحبه لعلم الحقيقة فهو ناقص، إذ ثمرة العلم العمل، وثمرة العمل الحال، وثمرة الحال الذوق والوجدان وهو نهاية العِرْفان. ولا بدَّ من شيخ مُرَبِّي ينقل المريد من علم الشريعة إلى علم الطريقة مع تحقيق الشريعة وإلا بَقِيَ في أحدهما على الدوام.

الشريعة تُصْلِحُ الظواهر والطريقة تُصلِح الضمائر والحقيقة تُصلِح السرائر، أو تقول: الشريعة أنْ تَعْبُدَهُ والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده، أو تقول: الشريعة للطالبين والطريقة للسائرين والحقيقة للواصِلِين، أو تقول: الشريعة لطالِب الأُجور والطريقة لطالب الحضور والحقيقة لِرَفْعِ السُّتور، أو تقول: الشريعة للعوامّ والطريقة للخواصّ والحقيقة لخواصّ الخواصّ. مَرْجِعُ الشريعة إلى امتثال الأمر واجتناب النهي، ومرجع الطريقة إلى تخلية وتحلية، فالتخلِّي التطهير من الرذائل والتحلِّي الاتِّصاف بالفضائل، وإن شئت قلت: التخلية هي التَّنَزُّه عن أخلاق البهائم والشياطين والتحلية التخلّق بأخلاق الرَّوْحانيين، فأخلاق البهائم: الاهتمام بالأكل والشرب والنكاح، وأخلاق الشياطين: الحسد والكِبْر والخديعة والغش والغضب والحدّة والقلق والشحّ والفظاظة والقسوة وحبّ الجاه والمال والرِّياسة وغَيْرُ ذلك مما لا يُحْصَى حتى قال بعضهم: (للنفس من النقائص ما لله من الكمالات) والله أعلم.

وأخلاق الروحانيين: سلامة الصدر وسخاوة النفس وحُسْن الخُلُق والتواضع والحِلْم والتأنِّي والسَّكينة والطمأنينة والشفقة والرحمة والسهولة والليونة وغير ذلك من الكمالات، فمَن جمع هذه العلوم فهو النجم

الثاقب ومَن اكْتَفَى بأحدها فهو ناقص وساقط، فَمَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ فهو فاسق إذ لا يخلو من مُنازَعَة المقادير واعتراضه على الواحد القهّار، ومَن تحقَّق ولم يتشرَّع فهو زنديق بإبطاله الأحكام وتعطيل الحكمة، ومَن جمع بينهما فقد تحقَّق لقيامه بالقدرة مع الأدب والحكمة، وفي التحقيق ما ثَمَّ إلا الحقيقة إذ لا فاعل إلا الله ولا موجود سواه غَيْرَ أن ما يبرز من عُنْصُر القدرة إن كان موافقًا للحكمة سُمِّيَ شريعة وطاعة، ويسمَّى أيضًا حقيقة نورانية وإن كان مخالفًا سُمِّي معصِية ويسمى أيضًا حقيقة ظلمانية، فالكل منه وإليه، قال تعالى وهو أصدق القائلين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}[(186)]، وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[(187)]، وقال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}[(188)]، وقال سبحانه: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}[(189)]. فالحقيقة عَيْنُ الشريعة، والشريعة عَيْنُ الحقيقة إذ كلٌّ منهما مأمور بهما ولله دَرُّ القائل في مدح النبي (ص) حيث قال:

يا زَيْن الخلائقِ يا عَيْنَ الحقيقهْ	حقَّقت الحقائق وكانَتْ وثيقهْ

فالإنسان كله باطنه قدرة وظاهره حكمة، فإن بَرَزَ من القدرة ما يوافق الحكمة كان حقيقة نورانية وكانت علامة على سعادة العبد، وإن برز من القدرة ما يخالف الحكمة كان حقيقة ظلمانية وكان علامة على عقوبة العبد إلا أن يَظْهر حِلْمُهُ وبالله التوفيق.

وحيث اجتمع في نبيِّنا عليه الصلاة والسلام الحقائق وعلم التشريع وعلوم الأوّلين والآخرين عَجَزَ الناس عن معرفته ولذلك قال: (فأعجز الخلائق) أي صَيَّرَهُم عاجزين عن فَهْمِه فوجب الإذعان والانقياد لحُكمه كما انقادت الملائكة بالسجود حيث عجزت عن إدراك علمه، وقد قالت الصحابة رضي الله عنهم لما رأوا الغنم سجدت له في قصة البستان: يا رسول الله نحن أحقّ بالسجود لك منها، فقال (ص): «لو كان أحد سَجَدَ لأحَد، أو لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». فالسجود إنما يكون لله، وأما آدم فكان قبلة والمقصود بالسجود هو الله الذي أمر به، ثم قَرَّرَ العجز المتقدّم وبَيَّنَه بقوله: (وله) أي وعَنْهُ (تضاءلت) أي تقاصَرَتْ وتَصَاغَرَتْ أو تلاشَتْ واضْمَحَلَّت (الفهوم) جَمْعُ فَهْم أي فهوم العباد فلم يقدر أحد أن يفهم ما خصَّه الله به من الأسرار الإلهية والمواهب الباطنية لأنهم لم يروا إلا خياله الظاهر، وأما الباطن فلم يعلمه إلا خالقه الذي خصَّه الله به وفي بَعْض الأحاديث (والله ما عرفني حقًّا غَيْر ربّي) ولله درّ البوصيري حيث قال:

وكيف يُدْرِكُ في الدنيا حَقِيقَتَهُ	قوم نِيام تَسَلَّوْا عنه بالحُلُم

ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: (فلم يدركه هنا) مَعْشَر الخلائق (سابق) عليه في مظهره الشخصي (ولا لاحق) بعد وجوده الحِسِّي بل كلهم كَلَّتْ فُهومُهم وتقاصرت علومهم عن الإحاطة بالحقيقة المحمدية، ويحتمل بالسابق مَنْ سَبَقَ في زَمانه عليه الصلاة والسلام كالصحابة رضي الله عنهم وباللاحق مَن أتى بعدهم إذ كلهم سواء في العجز عن إدراكه (ص) ولذلك قال أُوَيسُ القرني: (والله ما رأى أصحاب محمد مِن محمد (ص) إلا قشرة الظاهر، وأما الباطن فلم يعرفه أحد فقيل له: ولو ابن أبي قحافة؟ قال: ولو ابن أبي قحافة). والمراد نفي الإحاطة بمعرفة سِرِّه عليه الصلاة والسلام، وأما إدراك البعض فلهم في ذلك نصيب على قدر تفاوتهم في معرفة الله. وكذلك الأولياء رضي الله عنهم فمنهم مَن يُدْرِك شيئًا من سِرِّه عليه السلام، ومنهم مَن يدرك روحه، ومنهم مَن يدرك عقله، ومنهم مَن يدرك نفسه عليه الصلاة والسلام، فأهل الرسوخ والتمكين يدركون سِرَّه عليه الصلاة والسلام ولا يغيب عنهم طرفة عين كأبي العباس المرسي وأمثاله، وأهل الشهود والعيان مِنَ السائرين يدركون روحه عليه الصلاة والسلام، وأهل المراقبة من أهل الاستشراف يدركون عقله عليه الصلاة والسلام، وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان إنما يدركون نَفْسَه ومظهره الشخصي فيرونه مُحَيَّرًا في صورته التي كان عليها (ص) في الدنيا مَنَامًا أو يقظة على قَدْر فنائهم فيه (ص) وهم على مراتب، وأما تمثيل بعضهم له كالخرُّوبي ومَن تبعه لهذا الحديث بالصحابة رضي الله عنهم فَلَعَلَّ ذلك كان في زمانه عليه الصلاة والسلام والله أعلم، وقد سمعت شيخ شيوخنا مولاي العربي يقول: (لَقِيَني عَالِمان من علماء فاس بمسجد القرويين فقالا لي: كيف يقول أبو العباس المرسي: «ما غَابَ عني رسول الله (ص) طرفة عَيْن» كيف يكون ذلك؟ فقال رضي الله عنه: قلْتُ لهم يا هؤلاء: أولئك السادة كانت أفكارهم في عالم الملكوت وهو عالم الأرواح وفيه أرواح الأنبياء وغيرهم ولم تكن أفكارهم في عالم الأشباح وهو عالم المِلْك، قال: ثم قلت لهم: وهل تدرون أين هو عالم الأرواح؟ عالم الأرواح هو حيث عالم الأشباح، ثم قُمْتُ عنهم). قلت: المحل واحد وإنما تختلف النظرة فأهل البصيرة لا يَرَوْنَ إلا الملكوت وهو عالم الأرواح، وأهل البَصَر لا يرون إلا المِلْك وهو عالم الأشباح وقد أشار إلى ذلك الشيخ بقوله: (فرِياض) جَمْعُ رَوْض وهل محل النّزهة لاشتماله على نُوّار وأزهار ومياه وخُضرة (الملكوت) هو في اصطلاح الصوفية ما يُدْرَكُ بالبصيرة والعلم كما أن المِلْك ما يُدرَك بالبَصَر والوَهْم، أو تقول الملكوت مَدْرَك أهل الجمع والمِلْك مَدْرَك أهل الفَرْق، أو تقول: المِلْك ما ظهر والملكوت ما بَطَن، فالملكوت مَدْرَك أهل الشهود والعيان والمِلْك مظهر أهل الدليل والبرهان (بِزَهْرِ) جَمْع زهرة وهي النّوار التي تفتحُ في زمان الربيع (جمالِه) (ص) (مونقة)

أي مُعجبَة، ورياض الملكوت من إضافة المشبَّهِ به لِلْمُشَبَّه: شَبَّهَ الملكوت الذي هو محل نزهة العارفين برِياض مشتملة على أزهار ونُوَّار وخُضْرَة وجمال لا يتمّ جمالها ولا يظهر نُوارها إلا باتّباع الشريعة المحمدية وإلا كانت حقيقة ظلمانية، فَالْكَوْن الذي هو المِلْك كُلُّه ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه فصار كُلُّهُ نورًا ومَن لم يُدرك نور الحق فيه صار في حقه ظلمة وكان مُلْكًا ولا يُمْكِنُ أن يظهر الحق فيه إلا بالسلوك على الشريعة المحمديّة على يد شيخ عارف بدقائقها وحقائقها الظاهرة والباطنة وإلا بَقِيَ مع ظلمة الأكوان وسجن الأوهام (وحِياض) جمع حَوْض وهو محل اجتماع الماء كالسَّهْريج (الجبروت) وهو ما يُدْرَك بالعقل والفهم أو بالبصيرة والعلم لكن في ثانِي حَالٍ أي بعد معرفة الملكوت.

الحاصل أن المِلْك والملكوت والجبروت مَحَلُّها واحد وهو الوجود الأصلي والفَرْعي لكن تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقِّي في المعرفة، فَمَنْ نَظَرَ إلى الكون ورآه كونًا مستقلاً بنفسه قائمًا بقدرة الله ولم يُكْشَفْ له عن رُؤْيَةِ صانِعِهِ فيه سُمِّيَ في حقه مُلْكًا، لظهور تَصَرُّفِ القدرة فيه ووجوده وهما لا حقيقة لهما عند المحقِّقين، وكان صاحب هذه الرؤية محجوبًا لوقوفه مع الوَهْم، وَمَنْ فَتَحَ الله بصيرته ونَفَذَ إلى شُهود المكَوِّنِ في الكون أو قَبْلَهُ سُمِّي في حقه ملكوتًا وكان صاحب هذه الرؤية عارِفًا مفتوحًا عليه، فإن نفذت بصيرته إلى شهود أَصْلِ الأصول والفروع وهي العظمة الأزلية اللطيفة قَبْل أن تَتَجَلَّى وتُعْرَفَ وقد أشار إلَيْها ابن الفارض بقوله:

صَفَاءٌ ولا مَاءٌ ولُطْفٌ ولا هَوَى	وَنُورٌ ولا نَارٌ وَرُوحٌ ولا جِسْمُ
تَقَدَّمَ كُلَّ الكائنات حديثُها	قديمًا ولا شَكْلٌ هناك ولا رَسْمُ
وقَامَتْ بها الأشياءُ ثَمَّ لحِكْمَةٍ	بها احْتَجبتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لا له فَهْمُ

سُمِّيَ ذلك جبروتًا، ومَن نظر إلى نفوذ الرحمة السابقة في الأشياء كلها وهي نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد سُمِّيَ ذلك رَحَمُوتًا، فصارت العوالم أربعة: مُلْكًا ومَلَكوتًا وجَبَروتًا ورَحَموتًا. وقد نظمت قصيدة تليق هنا وهذا بعضٌ منها فقلت:

إذا حُبِسَتْ نَفْسٌ في سجن الهوى الذي	تَقَيَّدَ به العقلُ في قَهْر قَبْضَةِ
وأشغلها حسّ الأواني لحكمة	فلم تَرَ إلا الكونَ في كل وِجْهَة
فذلك عَيْنُ المِلْك بالحسّ حاصل	وناظِرُهُ المحْجُوبُ في سُحْب ظلمة

وإن نَفَذَتْ رُوحُ المقَدَّس سِرُّهُ	إلى دَرْك سِرِّ الذاتِ خَلْفَ الأَنِيَّةِ
ونَعْنِي به سِرَّ المعاني التي سَرَت	في كل الأواني عند أهل الحقيقة
فَذَا ملكوتُ الله يسمى لِوُسْعِهِ	وعَارِفه يحظى بِفَتْحِ بصيرة
وإن سَبَحَتْ بَحْرَ اللطافة والصَّفا	وأصل الأُصول والفروع بفكرة
فذا جبروت ليس يدركه الفتى	ولكن يخوض منه في طَرَفِ لُجَّةِ

والعوالم إن حَقَّقْتَها خمسة: مُلْكًا وملكوتًا وجبروتًا ولاَهُوتًا ورَحموتًا بإضافة الفروع إلى الأصول وفي ذلك يقول القائل:

وإنْ أُلْحِقَتْ كُلُّ الفروعِ بأصلها	وخاضت بحارَ الجَمْعِ في كل لحظة
فذاك الذي يُسْمَى بلاهوتِ سِرِّهِ	وعارِفُهُ حَقًّا يُهنَّأْ بمِكْنَةِ
وإن نظرت أصل الإيجادِ برَحْمَةٍ	وَجَرْيَهَا في الأشياء طُرًّا بنعْمة
فقل رحموت فيه يدريه عارف	تخلَّق باسم الحق في كل نسبة

والتحقيق: أن مَن دَخل عالم التكوين، ما ظهر مِنْ حِسِّهِ يسمّى مُلْكًا، وما بطن من أسرار المعاني يسمى ملكوتًا، وما لم يَدْخُلْ عالم التكوين من الأسرار الباقية على أصلها يسمى جبروتًا ولا يَفهم هذا إلا مَن دخل مقام الإحسان وخاض بحر المعاني وإلا فَحَسْبُهُ التَّسليم لأَرْبَابه، واعلم أن شهود عالم الملكوت يحجب عن شهود عالم المُلْك، وشهود عالم الجبروت يحجب عن شهود عالم الملكوت، وكل مَن ترقّى إلى مقام غَابَ عَمَّا قَبْلَه إلا الرحموت فيمكن شهوده مع العوالم كلها والله تعالى أعلم، والحاصل أن بَحْرَ الجبروت فَيَّاضٌ بأنوار الملكوت وأنوار الملكوت أصْلُها القبضة النورانية المحمدية، فكل مَنْ بَرَزَ من الجبروت فالنور المحمدي واسطة فيه وأصل فيه وهذا معنى قوله: (وحِياض الجبروت بِفَيْضِ أنواره) (ص) (مُتَدفِّقة) أي مُنْصَبَّة بقوة، فالتدفّق هو الانْصِبَاب بشدة شيئًا فشيئًا. شَبَّهَ بَحْرَ الجبروت بحِياض مملوءة بماء الغيب تنصبّ إلى عالم الشهادة شيئًا فشيئًا على حسب الإرادة والمشيئة، ولما كان نبيّنا (ص) هو سَبَبٌ في إبراز تلك الأنوار أُضِيفَتْ إليه (ص) إضافةَ المسَبِّبِ إلى السبب وإن كان الكل جبروتيًّا لاهوتيًّا لأن مَنْ لم يشكر الواسطة لم يشكر الموسوط ومَن لم يشكر الناس لم يشكر الله، فأهل الجَذْب والفناء يغيبون عن الواسطة فلا يشهدون إلا الجبروت، وأهل البقاء لِكمالهم يشهدون الواسطة والموسوط ويُعْطون كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه ولا

يحجبهم فَرْقُهم عن جَمْعِهِمْ ولا جَمْعُهُمْ عن فرقهم نفعنا الله بهِم وخرطنا في سلكهم آمين، وإنما اختار التشبّه بالحِياض ولم يشبّه بالبحار مُنَاسَبَةً للرِّياض لأنه لما شبّه الملكوت بالرِّياض ناسب أن يُشَبِّهَ الجبروت بالحِياض إذ لا يقوم الرِّياض إلا بالحياض كما لا يقوم الملكوت إلا بالجبروت بل هو عنه كما تقدم لكن السالك يترقّى به إلى الجبروت فوجب إثباته ثم محْوُه. الأكوان ثابتة بإثباته مَمْحُوَّة بأحَدِيَّة ذاتِه، وإلى إثبات واسطته (ص) أشار بقوله: (ولا شيء) من الكائنات (إلا وهو به منوط) أي متعلّق ومتصل اتصال الموسوط بالواسطة فكل مَنْ بَرَزَ من عالم الغيب فنبيّنا ومولانا محمد (ص) واسطة فيه كما وَرَدَ في بعض الأخبار (لولا محمد ما خلقت عرشًا ولا كرسيًّا ولا سماء ولا أرضًا ولا جنة ولا نارًا) . وفي بُرْدَةِ البوصيري: لولاه لم تُخْرَجِ الدنيا من العدم، ثم ذكر علّة تعلّق الأشياء به (ص) فقال: (إذ لولا الواسطة) الذي هو نبيّنا (ص) (لذهب كما قيل الموسوط) أي لولا توسّطه (ص) بين الله وخَلْقِه لذَهب الموسُوط الذي هو الكون أي لبقي على ما كان عليه من العدم فإذْ تعليلية والموسوط: فاعل لَذَهَبَ، والجملة: كما قيل معترضة بين الفعل والفاعل لأجل القافية إذ لو قدَّم على المجرور لاخْتَلَّ الوزْنُ بالطاء، والتقدير: إنما تعلَّقت الأشياء به (ص) لأنه واسطة ولولا الواسطة لذهب الموسوط كما هو قول مشهور، ثم ذَكَرَ معمُول قوله (ص) وهو المِصْدر النَّوْعي فقال: (صلاةً) أي صَلِّ صلاة عظيمة كاملة (تَلِيقُ) أي بعظمتك وكمالك وهذه الصلاة لا يَعْلَم قدْرها إلا الله سبحانه وتعالى وتكون هذه الصلاة وَاصِلَةً (بك منك إليك) بلا واسطة أحدٍ من خَلْقِك ولا شك أن الهدايا والتحف التي تصل إلى الوزراء بلا واسطةٍ بل مِنْ يَدِ المِلكِ إلى الوزيرِ أعظمُ وأتَمُّ ممَّن تصل على يد الوسائط، ثم ذكر علَّة تعظيم هذه الصلاة فقال: (كما هو أهله) أي لِأَجْلِ ما هو مستحقه (ص) من التعظيم والإجلال فالكاف تعليلية كقوله تعالى: {وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ}[(190)] ثم ذكر وَجْهَ اسْتحقاقه (ص) لهذه الكرامة فقال: (أللَّهمَّ) لَيْسَتْ للدعاء وإنما هي مبالغة في الإقرار كقوله في الجواب: أللَّهمَّ نَعَمْ مبالغة في تمكين الجواب في ذِهْنِ السَّامع فكأنه قال: أُقِرُّ وأتحقَّق أنه (ص) (سِرُّك) الخفي الذي اخْتَصَصْتَ بمعرفته أو سِرّك الذي أوْدَعْتَهُ في هذا الكَوْن إذ هو عليه الصلاة والسلام سِرُّ الأسرار ومَنْبَعُ الأنوار ومنه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار (الجامع) لِمَا افْتَرَقَ فِي غَيْره فكانت روحانيته (ص) جامعةً لأوصاف الكمالات وبشريّته جامعةً لأنواع المحاسن وشريعتُهُ جامعةً لجميع الشرائع وكتابُهُ جامعًا لسائِرِ الكتب، وهو أيضًا يَجْمَعُ النَّاسَ على الله ويدلّهم على الجمع ويحذّرهم مِنَ الفَرْق (الدَّالُّ عليك) بأقواله وأفعاله وأحواله (ص) فكانت خطبه ومواعظه تَرِقُّ منها القلوب وتَذْرِفُ منها العُيُون وما بُعِثَ عليه

السلام إلاَّ دَالاًّ على الله ومُعَرِّفًا به تعالى فما تَرَكَ شيئًا يجْمع العِباد على الله إلا دَلهَّمْ عليه وَعَرَّفَهُمْ به ولا رأى شيئًا يقطع عن الله إلا حَذَّرَ العباد منه لَمْ يَأْلُ جُهْدًا في نُصح العباد وَهَدْيهم إلى طريق الرَّشاد فجزَاه الله عنّا أحسنَ ما جَزَى رسولاً عن قومه ونبيًّا عن أُمّته وبعد أن كان عليه الصلاة والسلام دَالاًّ على الله كان حَاجِبًا مِنْ حُجُب الحضرة لا يدخُلها أحد إلا على يَدَيْه فلذلك قال: (وحجابك) الذي يَتَوَسَّطُ بينك وين الداخلين إلى حضرتك فكل مَنْ دَخَل على يَدَيْه عليْه السلام وعَظَّمَهُ واتَّبَعَ سُنَّتَهُ أدخله الحضرة على نَعْتِ الهَيْبَة والوقار والأدب فَاسْتَقَرَّ فية الحضرة على الدوام وكُلُّ مَنْ دخل مِنْ غَيْرِ بَابِهِ (ص) طُرِدَ وعُوقِبَ وفي ذلك يقول القائل:

وأنت بَابُ اللهِ أَيُّ امْرِىءٍ	أتاهُ مِنْ غَيْرِ بَابِك لا يَدْخُلُ

وأيضًا هو (ص) حجاب الأرواح عن الهلاك إذ مِنْ شَأْنِ الروح أن تتطلع الخوض فيما لا تقدر عليه من بحر الجبروت فكلما هَمَّتْ بالخوض فيه زَاجَرَها عليه السلام وعَاقَلَها بعِقال الشرائع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «تفكَّروا في آياته ولا تَتَفَكَّرُوا في ماهيّة ذاته» إذ كُنْهُ الربوبية محجوب عن العقول فلا سبيل إلى إدراكه، ولا شك أن الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام حُجُبٌ لقومهم ولكن المصطفى (ص) هو أعظم منهم كما قال الشيخ رضي الله عنه ثم وَصَفَهُ بشدّة القُرْب والأدب فقال: (الأعظم القائم لك بين يديك) أدبًا وتعظيمًا وواسطة بينك وبين خَلْقك وتُرْجُمانًا في تبليغ أحكامك ثم شرع في الدعاء باللَّحْقِ به يكون على قدمه وهو أعظم الولاية فقال: (أللّهمَّ أَلحِقْني بنسبه) الطيني والديني، وَأَرَادَ دَوَامَهُ على متابعته عليه السلام وإلا فلا ينفع النسب مع عدم الأدب (وحَقِّقْنِي) أي خَلِّقْنِي (بحسبه) أي بِخُلُقِه. الحسبُ وهو ما يفتخرُ به الإنسان من مكارم الأخلاق، وأراد رضي الله عنه أن يكون على قدمه (ص) فإن الأولياء رضي الله عنهم منهم مَن يكون نُوحِيًّا ومنهم مَن يكون إبراهيميًّا ومنهم مَن يكون مُوسَوِيًّا ومنهم مَن يكون عِيسَوِيًّا ومنهم مَن يكون محمديًّا وهو أعظمهم لِجَمْعِهِ مَا افْتَرَقَ في غيره، وقد حَقَّقَ الله رجاءه وأجابَ دُعاءه فقد تغلغل رضي الله عنه في علوم القوم التي مَدَارها على التخلّق بأخلاق الرحمن ونال من ذل الحظ الأوفر وقد تقدَّم في ترجمته من كلامه ما يُحَقِّقُ ذلك نفعنا الله بمحبته آمين، وإنما عَبَّر بالتحقيق دون التخلّق لأن التخلّق يكون مجاهدة وَكَسْبًا والتحقّق يكون غريزة وتَمَلُّكًا، ثم طلب معرفته عليه السلام المعرفة الخاصة فقال: (وعرِّفني إيّاه) طلب معرفته عليه السلام قبل أن يطلب معرفة الله لأنه الواسطة فلا يدخل على الله إلا مِنْ بَابِهِ لأن مَنْ عَرَفَهُ عليه اللام المعرفة الخاصّة بَادَرَ إلى خدمته ومحبته فَيُدْخله على ربّه بنفسه أو بشيخ يَهْديه

إليه، وأتى الشيخ رضي الله عنه بضمير النبي (ص) مُنْفَصِلاً وإن كان الاتصال أرجح عند النحاة أدبًا مع النبي (ص) إذ لو قال: وعَرِّفْنِيه كما هو الأرجح لَكَانَ ضميره عليه السلام مُتَّصِلاً بضمير الشيخ فيفوته الأدب إذ المصطفى ينبغي أن يكون غيره متصلاً به لا هو متصلاً بغيره فما أحسن أدبه وأدقّ نظره، ثم ذكر نتيجة المعرفة به عليه السلام فقال: (معرفة) كاملة (أَسْلَمُ بها) أي بِسَبَبِها (من موارد الجهل) أي من الوقوع في شيءٍ من الجهل أيُّ جهل كَانَ فالوُرُودُ هو الشرب والموْرِد وهو محَل الشرب ويُجْمَعُ على مَوَارد شَبَّهَرضي الله عنه الجهل بِمَاءٍ قبيح وسأل الله تعالى أن يُسَلِّمَه بمعرفته عليه الصلاة والسلام من الوُقوع في مَشْرَبه أو في القُرْب منه وهو الشُّرْبُ من موارد العلم النافع، ثم ذكر ضِدَّهُ فقال: (وأَكْرَعُ) أي أشرب على فمي من غير واسطة، فَالكَرْع هو الشربُ على الفم بفعل المتعطِّش اللهفان (بها) أي بتلك المعرفة (مِنْ مَوَارِدِ) جَمْع مَوْرد وهو محل الشرب أي بتلك المعرفة مِنْ مَنَاهِلِ (الفَضْل) التي هي العلوم اللدنية والأسرار الربَّانية التي تكون بالفضل والمِنَّة لا بالكسْب والخدمة، ولا شك أن مَنْ عرفه وقام بواجب حقه لا بُدَّ له أن يَنْهَلَ مِنْ مَنَاهِله وَيَرِدَ من موارده ويأخذ قسطه من العلوم التي عَلِمَها عليه السَّلام بالوحي أو بالإلهام لأن مَنْ عَمِل بما يَعْلَم أورثه الله عِلْمَ مَا لَمْ يعْلَم. شَبَّه الشيخ رضي الله عنه العلم اللدنيّ بأبْحُر عذبة يَرِدُ الناس منها وطلب من الله أن يشربَ منها بِلاَ واسطة غير واسطته عليه السَّلام حتى تمتلىء عروقه وأضلاعه وأَوْصَالُهُ إذ القناعة من الله حرمان والعلم لا حَدَّ له حتى يُشْبَعَ منه {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[(191)]، ثم طلب السلوك إلى حضرة القُدْس وَمَحَلِّ الأُنْس فقال: (واحملني على سبيله) أي طريقه الأقوم (إلى حَضْرَتِك) أي إلى العُكُوف في مشاهدة جمال حضرتك. أراد رضي الله عنه أن يكون في سَيْرِهِ مَحْمُولاً على كَاهِلِ السُّنَّة المحمدية لا حاملاً مَتْعُوبًا لأن مَنْ حَمَلَتْهُ العناية الرَّبَّانية قطع في ساعة واحدة ما لا يقطعه غيره في سِنِينَ وهو لا يشعر، وليس مَن كان محبوبًا كَمَنْ كان مُحِبًّا ولا مَن كان مجذوبًا كَمَن كان سَالِكًا { س ش ص ض ط ظ ع غ [}[(192)]. لَوْ كُنْتَ لا تَصِلُ إليه إلا بَعْدَ مَحْوِ مساوئِك وقَطع دعاوِيك لا تَصِلُ إليه أبدًا ولكن إذا أراد أن يُوَصِّلَكَ إليه غَطَّى وَصْفَك بوصفه ونَعْتَكَ بنعته فَوَصَّلَكَ بِمَا مِنْهُ إليك لا بما مِنْكَ إليه. الحَضْرَةُ هي حُضور القلب مع الرَّبِّ أو حضور الرُّوح أو السِّرِّ مع الحق، فهي إذًا على ثلاثة أقسام: حضرة القلب للطالبين وحضرة الروح للسائرين وحضرة الأسرار للواصلين، أو تقول حضرة القلوب لأهل المراقبة وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة وحضرة الأسرار لأهل المكالمة، أو تقول حضرة القلوب لأهل البُرْهان وحضرة الأرواح لأهل العيان وحضرة الأسرار لأهل التمكين، والحَاصِلُ أن المريد ما دام محجوبًا على شهود نَفْسِهِ

وهو يجاهد في حضور قلبه مع ربّه فهو في حضرة القلوب، وإذا افتتح عليه غَابَ بشهود رَبِّه عن شهود نَفْسِه أو تقول غَابَ بِجَمْعِهِ في فَرْقِهِ فهو في حضرة الأرواح، وإذا تَمَكَّنَ ورجع إلى البقاء بحيث لا يحجب جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه فهو في حضرة الأسرار، وحكمة ذلك أن الروح ما دَامَتْ مُنْهَمِكَةً في الغَفْلة سُمِّيَتْ نَفْسًا ولم تدخل الحضرة قطّ فإذا تيقظت أو استقامَتْ وجعلت تجاهد نفسها في الحضور سُمِّيَتْ قَلْبًا لِتَقَلُّبها من الغفلة إلى الحضرة ومن الحضرة إلى الغَفْلة أو لتقلّبها من الطاعة إلى المعصية ومن المعصية إلى الطاعة، وإذا وَصَلَتْ إلى مقام الإحسان وفُتِحَ عَليهَا في مَقام العِرْفان سُمِّيَتْ رُوحًا لِرَاحَتِها من تعب الحجاب ودخولها مع الأحباب، وإذا تأدّبت وتهذبت وجُلِيَت عيْن بصيرتها من غَبَشِ الحِسِّ سُمِّيَتْ سِرًّا لخفائها عن مدارك العقول أو لخفاء صاحِبِها عن فَهْمِ الناس إذ لا يعرف حقيقة الوليّ إلا مولاه الكبير العليّ أو مَنْ دَخَلَ معه في الولاية، فَأُضِيفَت الحضرة إلى الروح مع اختلاف تسميتها باختلاف تطوّرها وترقِّيها فقيل: حضرة القلوب ما دامت قلبًا ثم حضرة الأرواح ما دامت روحًا ثم حضرة الأسرار ما دامت سِرًّا ولما كان الحَمْلُ إلى الحضرة لا يَكْمُل إلا إذا صَحِبَتْه النصرة سأل ذلك الشيخ فقال: (حَمْلاً محفوفًا بنصرتك) أي يكون ذلك الحمل مُدَوَّرًا بِنُصْرَتِك أي حُفَّتْ به النُّصرة من كل جانب، ولا ك أن العبد إذا صَحبته النصرة والمعرفة في سَيْرِهِ بلغ القصد والمأمول وَرَتَعَ في أقرب سَاعَة في حضرة الوصول ولله دَرُّ القائل:

إذا كان عَوْنُ اللهِ لِلْمَرْءِ قَاصِرًا	تَيَسَّرَ له مِنْ كُلِّ عَوْنٍ مُرَادُهُ
وإنْ لم يَكُنْ عَوْنٌ من الله للفتى	فأكثَرُ ما يَجْنِي عليه اجتهادُهُ

ثم ذكر ثمرة الوصول وهي الغَيْبَة عن السِّوَى فقال: (واقْذِفْ) أي ارْمِ (بِي على الباطِلِ) وهو ما سوى الحق تعالى، وفي الحديث «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالها الشاعر كَلِمَةُ لَبِيد: ألا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا الله بَاطِلُ». شَبَّه السِّوى الذي هو الباطل بحيوان له دمَاغ فإذا أُصِيبَ دماغُه مات ولذلك قال: (فَأَدْمَغَهُ) أي فَأَصْبُبْ دماغه فَيَتَشَتَّتُ ويَضْمَحِلّ وإذا زهق الباطل جاء الحق وَقُلْ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، { ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ }[(193)]، ولا شك أن ما سِوَى الله تعالى مفقود عند المحقّقين: أَبَى المحَقِّقون أن يشهدوا مع الله غَيْره إذ مُحَالٌ أن تشهده وتشهد معه غيره. ما حجبك عن الحق وجود موجود معه إذ لا شيء معه وإنما حَجَبَكَ تَوَهُّمُ موجودٍ معه.

مُذْ عَرَفْتُ الإلهَ لَمْ أَرَ غَيْرًا	وكذا الغَيْرُ عندنا ممنوعُ
مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِراقًا	فأنا اليوم وَاصِلٌ مَجْموعُ

وإذا ذهب عن القلب شهود السِّوى غَرَقَ في بحار الوحدة ولذلك قال: (وَزُجَّ بي) أَيْ أَدْخِلْني (في بحار الأحدية) فالزَّجُّ في اللغة هو الإدْخَال، قال الشاعر:

أَنْحَلَنِي الحُبُّ فَلَوْ زُجَّ بِي	في مُقْلَةِ نائم لم يَنْتَبِهْ
كَأَنَّ لي فيما مضى خَتْمٌ	والآن لَوْ شِئْتُ تَمَنْطَقْتُ بِهْ

والأحدية مبالغة في الوحدة أي أدخلني في بحار أحدية ذاتِك وصفاتِك وأفعَالِك ولذلك عَبَّرَ بِالجَمْع إذ كل بحر مستقل بنفسه فمَن غَرق في بحر توحيد الذات غاب عن نفسه وعن شُهود السِّوَى وبقي بوجود ربّه، ومَن غرق في بحر توحيد الصفات غاب عن صفةِ نفسه وصفة غيره وبَقي بصفات ربّه، ومَن غرق في بحر توحيد الأفعال غاب عَن فِعْلِه وفِعْلِ غيره وخرج من تدبيره واختياره إذ لا يُدَبِّر الإنسان ما يَفْعَل غَيْرُه، وإنما عَبَّر بالأحدية التي هي أبلغ من الوحدانية لأن المراد هنا من التوحيد ما كان ذَوْقًا وحالاً ومقامًا لا ما كان عِلْمًا واعتقادًا إذ ذلك من شأن أهل الحجاب أهل الدليل والبرهان، وفي هذا المقام قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه:

يَا قَرْئِينْ عِلْمْ التَّوْحِيْد	هُنَا البُحُورْ إلِّي تِغِبي
هذا مَقَامْ أَهْلْ التَّجْرِيْد	الوَاقْفِينْ مَعَ رَبِّي

إذ لا يخوض هذه البحور إلا أهل التجريد والحضور وأما مَن تنشب ظاهره بكثرة الأسباب فلا يطمع أن يفتح له هذه الأبواب وقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: (معرفة المتَسَبِّب لا تَقْرُبُ من معرفة المتجرِّد)، وقال أيضًا: (المتَجَرِّد الناقص أفضل من المتسبب الكامل) يعني المتهذِّب إذ المتسبب لا يخلو باطنه من تكدير وسمعت شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: (فِكْرَةُ المتجرِّد أَمْنَعُ من فكرة المتسبِّب) أي أَصْفَى وأَبْلَغُ لأنها ناشئة عن الصفاء إذ صفاء الباطن مِنْ صفاء الظاهر وتكدير الباطن من تكدير الظاهر وهذا كُلُّه في حق السائرين، وأما الواصلون المتمَكِّنون فلا كلام عليهم إذ أمرُهم كله بالله وعليه يُحْمَلُ حَالُ الصحابة رضي الله عنهم إذ كان فيهم المتسبِّبون كالصِّدِّيق والفاروق وغيرهما والإجماع على تفضيلهما فَيُحْمَلُ ذلك على أنه كان بَعْدَ كَمَالِ حالِهِمْ، وأيضًا: مُشاهدتُهم لنور

النبوءة مَنَعَتْهُمْ مِنَ الرُّكون إلى شيء سواه فنَظرة واحدة من الرسول (ص) تُخرجُه مِن عوالمِه وعوائدِه في ساعة واحدة والله ذو الفضل العظِيم، ولما كان راكبُ البحر على خطر إما أن يَسْلَمَ وإمّا أن يَغْرَق طَلب النجاة من الغرق في بحر الأوهام أو في بحر الشكوك والخواطر أو في بحر الزندقة والإلحاد، فقال: (وانْشُلْنِي) أي خَلِّصْني وأنقذني (مِنْ أوْحال) جَمْع وَحْل وهو الخَضْخاض أي سلِّمني من وغيض (التوحيد) من إضافة المشبّه به إلى المشبه أي أنقذني من توحيد كالخَضْخاض بأن يصحبه تكدير وتخليط إما برؤية السِّوَى معه وهو توحيد العوامّ وهو مكدر بالأوهام والشكوك والخواطر، وإما باعتقاد الحلول والاتحاد فإن بعض الجَهَلَة اعتقدوا السِّوَى وادّعوا حُلول الأُلوهية فيه وهو مذهب النصارى، وبعضهم ادَّعى وجود السِّوَى لكن اتّحَد وامتزج مع الأُلوهية وهو كفر حرام. يا عجبًا كيف يَظهرُ الوجود في العدم أم كيف يثبت الحادث مَعَ مَنْ له وَصْفُ القِدَم.

أهل التحقيق لم يثبتوا مع الحق سواه ورأوا الكل منه وإليه، فالكل دون الله إن حَقَّقْتَهُ عَدَمٌ على التفصيل والإجمال وإلى ذلك أشار القائل بقوله:

مَنْ لا وُجُودَ لذاتِهِ مِنْ ذَاتِه	فَوُجُودُهُ لَوْلاَهُ عَيْنُ مُحَالِ
فَإِنْ لَمْ تذق ما ذاقه الرجال	فَحُطَّ رأسَكَ لأقدام الرِّجالِ
حتى يسقوك من التوحيد خمرة صافية	زُلَلِ وإلا فَسَلِّمْ لأهلِ الكمالِ

وقد شبَّهوا راكب بحر التوحيد براكب البحر الحسِّي فإن كان صاحب السفينة رئيسًا ماهرًا آوى به إلى جَبَل السُّنَّة المحمدية فكان من الناجحين الناجين وإن كان صاحب السفينة جاهِلاً بالبحر آوى إلى جَبَل عَقْلِهِ وَحَدْسِهِ فَالْتَطَمَتْ به الأمواج فكان من المغرَقين، ولما طلبَ النجاة من الغرق في بحر التخليط طَلَبَ الغَرَقَ في بَحْر الصفاء وهي الوحْدَة الحقيقية فقال: (وأغرقني في عَيْن) أي في حقيقة (بحر الوحدة) أي في وَسَط بَحْر الوحدة والمراد أي يغيبَ في شهود الذات وحْدها فيكون مُنْهَمِكًا في الحقيقة غائبًا في وجوده بِوُجُود مشهوده كما قال الجُنَيد رضي الله عنه:

وُجُودي أن أغيبَ عن الوجودِ	بِما يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ

وإنْ غَابَ في الحقِّ كان أَمْرُهُ كله به لا بنفسه ولذلك قال: (حتى لا أرى) إلا بالذات العَلِيَّة (ولا أسمع) إلا بها ومنها كما قال الششتري:

ومن اللهِ أَسْمَع	أنا بالله أَنْطِقْ

وكما قال في الحديث القدسي: «فإذا أَحببته كُنْتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصِر به ويده التي يبطش بها ورِجله التي يمشي بها». وفي رواية أخرى «فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ» وإلى تمامه أشار الشيخ بقوله: (ولا أجِدَ) في باطني من فرح أو حزن أو قبض أو بسط أو غيرُ ذلك من الوُجْدانيات الباطنية (ولا أحِسَّ) مِنْ حَرٍّ أو بَرْد أو ليونة أو حروشة أو غير ذلك من المحسوسات الظاهرة (إلا بها) أي بِعَيْنِ بَحْر الوَحْدة وعَبَّرَ بها عن الذات العالية فيكون فعله كله بالله ومن الله وإلى الله وهذا هو المعَبَّرُ عنه بمقام الفناء، ويمكن أن يُريدَ بِعَيْنِ بَحْر الوحدة مظهرَ الإنسان فبحر الوَحْدَة هو البحر المحيط كما قال الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}[(194)] وعَيْنُ ذلك البحر هو وجود الإنسان لأنه جَوْهرة الصَّدَف ولُبُّ الكائنات فإذا عرف الله فيه وغرق في بحره فقد عرف الله في غيره: مَنْ عرف نفسه عرف ربّه فَتَأَمَّلْ ثم رجع إلى مقام الفناء فقال: (واجعل الحجاب الأعظم) وهو النبي (ص) وقد تقدَّم مِنْ قَوْلِهِ: (وحجابك الأعظم) أي واجعل شهودَك الحجاب الأعظم (حياة روحي) أي سبب حياتها لأن مَنْ غرق في بحر الوحدة وأنكر الواسطة وأثبت الحكمة وأبطل الشريعة فَتَزَنْدَق وألْحَدَ وماتت روحه، وَمَنْ أقَرَّ الواسطة وأثبت الحكمة حَيِيَتْ روحه وبقيت مُنَعَّمة في حضرة الشهود على نَعْتِ الهَيْبَةِ والأدب مع المالِك المعبود فيكون باطنه يشاهد القدرة وظاهره يشاهد الحكمة أو تقول بَاطنه حرية وظاهرة عبودية أو تقول باطنه جَذْب وظاهره سلوك أو تقول باطنه حقيقة وظاهره شريعة فهو الذي تكون روحُه حيّة باقية لا تفنى ولا تبيد حتى تَرِد يوم المزيد، واعلم أن إنكار الواسطة قد يطرق بعض المريدين عند اسْتِشرافهم على الفناء في الذات وعند الجذبة الأولى لكن لا يدوم ذلك إلا لِمَنْ ليس له شيخ أو خرج عنه قبل التَّرشيد، وأما ما دام في حضانة الشيخ فلا بُدَّ أن يُخْرِجَه إلى البقاء كما يخرج فصل الشتاء بدخول فصل الربيع وفصل الربيع بدخول فصْل الصيف وهكذا، والمراد بالواسطة: القبضة النورانية التي تكثَّفت وبَرزَتْ من الجبروت وسُمِّيَتْ محمَّدًا (ص) فَمَنْ أَلْحَقَها بأصْلِها ولم ينظر إلى حكمة إظهارها أَنْكَر الواسطة وكان ناقصًا أو ساقطًا، ومَنْ نَظَر إلى حِكْمَةِ إظهارها وأنها ثابتَة بإثباته مَمْحُوَّة بأحديَّة ذاته أقَرَّها بالله وأقام بحقوقها وهي أحكام الشريعة فلا بُدَّ مِنْ إثْباتها وُجودًا والغيبة عنها شهودًا، والواسطة مِنْ عَيْن المَوْسوط فَمَنْ وَقَفَ مع الواسطة وحُجِب عن الموسوط كان جاهلاً بالله غير عارف به، ومَن حُجِبَ بالواسطة عن الموسوط فإن كان مجذوبًا غائبًا كان ناقصًا وإن كان صَاحِيًا كان ساقطًا، ومَنْ جَمَعَ بينهما كان محقّقًا كاملاً وبالله التوفيق، ولما طَلَب حياة روحِه بشهود ظاهرِ الحجاب

الأعظم وهو النبي (ص) طلب تَصفيتها حتى تَنْقَلِبَ سِرًّا بشهود باطنه عليه السلام وهو روحهُ فقال: (وروحَه سِرَّ حقيقتي) أي واجعل شهودَ روحِه سَببَ سرّ حقيقتي أي سببَ انقلابِ روحي سِرًّا، فحقيقة الإنسان هي روحه، والحاصل أن النَّظر إلى ظاهره عليه الصلاة والسلام يُفيد تحقيق الشريعة وهو سبب حياة الروح، والنظر إلى باطنه عليه السلام يُفيد تحقيق الطريقة وبها تكون تصْفية الروح حتى تكون سِرًّا بعد أن كانت نَفْسًا ثم عقلاً ثم قلحبًا ثم رُوحًا فإذا تهذبت صارت سِرًّا، وأما النظر إلى جُمْلَتِه عليه الصلاة واللام يعني ظاهره وباطنه فيفيد تحْقيق الحقيقة وبها يكون تصفية السِّرّ وإليه أشار بقوله: (وحقيقته جامِعَ عَوَالِمِي) أي واجْعَلْ شهودَ حقيقته كلِّها بِظاهرها وباطنها يجمع عوالمي الباطنية وهو العلم والفهم والفِكْر والعقل والنَّظَر والاعتبار فتكون عوالمي كلها منحصرة في الحقيقة المحمدية وهي القبضة الجبروتية أو المظهر الجبروتي مع النظر إلى الجبرُوت الأصلي كما يأتي بَعْدَها، والحاصل أن ظاهره عليه السلام مُلحك وباطنه مَلكُوت والجمع بينهما جبروت فَطَلَبَ أولاً النظر إلى مُلْكِ ظاهره عليه السلام لِتَحْقِيقِ شريعته وطلب ثانيًا النظر إلى مَلَكُوتِ باطِنِهِ عليه السلام لتحقيق طريقته فتكون سُلَّمًا لإشراقِ نُورِ حقيقتِهِ وطلب ثالثًا النظر إلى جبروت جُمْلتِهِ عليه السلام لتكمل حقيقته وإن شئت قُلْتَ: طلب أولاً بقوله: (واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي) الاقتداءَ بظاهره إذ هو سَبَبٌ لحياةِ الرّوح حِسًّا ومعنى وهو محل التشريع فيكون كلام الشيخ حينئذ على حَذْفِ مُضَافَيْن أي واجعل شهودَ ظاهرِ الحجاب الأعظم لكن إذا أُطْلِقَ الكلام إنما ينصرف إلى الظاهر فلا يحتاج إلى تقدير المِضَافِ الثاني وَطَلَبَ ثانيًا بقوله: (وروحه سرّ حقيقتي) الاقتداء بباطنه عليه السلام وهو مَحَلُّ تصفية الروح إذ كل مَنْ نظر إلى باطنه عليه الصلاة والسلام ورأى ما كان عليه مِنْ كمال الأخلاق انْجَرَّ إلى الاقتداء به عليه السلام وهو عمل الطريقة وطَلَبَ ثالثًا بقوله: (وحقيقَتَهُ جَامِعَ عوالمي) الجمْعَ بين الاقتداء بالظاهر والباطن وبذلك تَتَنَوَّرُ الحقيقة ويظهر سِرُّها أو تقول طلب أولاً تحقيق مقام الإسلام بشهود ظاهره عليه السلام وطلب ثانيًا تحقيق مَقام الإيمان بشهود باطنه عليه السلام وطلب ثالثًا تحقيق مقام الإحسان بشهود حقيقته عليه السلام، أو تقول طلب أولاً شهوده عليه السلام مِنْ جهة مُلْكِهِ وثانيًا شهودَه من جهة ملكوته وثالثًا شهوده من جهة جبروته وهذا أحسن إن شاء الله لأن الشيخ رضي الله عنه لما طَلَبَ الرجوعَ إلى البقاء، بشهود الواسطة، طلب أن يكون رجوعه إليها بِشهود مُلْكِها وملكوتها وجبروتها ولذلك ضَمَّ جبروت الواسطة إلى جبروت الموسوط فقال: (بِتَحْقيق الحَقِّ الأَوَّل) الباء للتعدية والحق الأول هو الشهود السابق في عالم الأرواح يوم {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}[(195)] أي حَقِّقْه الآن حتى أستحضره

وأستعين به على دوام الشهود، أو البَاءُ للمَعِيَّة والحق الأول هو شهود الربوبية والاستغراق في الوحدانية، أو البَاءُ للقَسَم والحق الأول هو الله تعالى إذ هو السَّابق على كل حقّ ومنه كان كل حق، وأعود إلى المعنى: بتحقيق أي مع تحقيق الحق الأول وهو الجبروت الأصْلي فالبَاءُ بمعنى مَعَ كقوله تعالى: {وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ}[(196)] أي معه، فَطَلَبَ أن تكون عوالمه منصرفة إلى جبَروت الواسطة مع النظر إلى جبروت الموسوط الذي هو الأصل وهو الحق الأول، والفَرْقُ بين جبروت الواسطة وجبروت الأصل أن جبروت الواسطة محجوب بالحكمة مغطى برداء العِزّ والقهرية فظاهره حكمة وباطنه قدرة، فَمَنْ ضَمَّ جبروت الفَرْع إلى جبروت الأصل مطلقًا من غير مراعاةِ الحكمة ورداء القهرية وَقَعَ في الزندقة لإبطاله الأحكام والحكمة وخَرْقِهِ رداء العزّة والقهرية، ومَنْ ضَمَّها مع مُرَاعاة الحكمة ورداء الكبرياء والعزّة كان إمامًا كاملاً جامِعًا يصلح للتربية والترقية جعلناالله منهم بِمَنِّهِ (يا أول) قَبْلَ كل شيء (يا آخر) بَعْدَ كل شيء (يا ظاهر) فَوْقَ كل شيء (يا باطن) دُونَ كل شيء، هكذا فَسَّرَه النبي (ص) في حديث أَخْرَجَهُ مالك في الموطأ ولفظه (أللَّهمَّ أنت الأول فليس قبحلك شيء وأنت الآخر فليس بَعْدَك شيء وأنتَ الظاهر فليس فَوْقَك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقْضِ عني الدَّين) فَعَبَّر بالأوّلية عن القِدَم وبالآخِرية عَن البقاء وبالظهور عن التجلّي وبالبطون عن الحجاب بالحكمة وراءَ القهرية، فهو ظاهر في بطونه بَاطِنٌ في ظهوره فاسْمُه الظاهر يَمْحُو ظهورَ السِّوى ويبطنه إذ لا ظاهِر معه سبحانه وتعالى، واسمه الباطن يقتضي ظهور تجلياته ليَكُونَ باطنفا بالنسبة إلى حِسِّها الظاهر فَلَوْ بَقِيَ على ما كانَ عليه من البُطون ما عُرِفَ ولا عُبِد، وفي الحِكَمِ العطائية: أظْهَرَ كُلَّ شيء بأنه الباطن وطَوَى كل شيء بأنه الظاهر، وقال في آخر المناجاة: كيف تَخْفَى وأنت الظاهر أم كيف تغيبُ وأنت الرقيب الحاضر. الحَاصِلُ أن الحَصْرَ في قوله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}[(197)] يقتضي انفراده بالظهور دون غيره لأن التقدير: هو الأول هو الآخر هو الظاهر هو الباطن دون غيره، فَكُلُّ ما ظَهَرَ فَهُوَ هُوَ وكل ما بدن فهو هو، أو تقول هو ظاهر كل ما بطنَ وباطن كل ما ظهر من الأُلوهية إذ لا شيء معه، أو تقول: هو الظاهر مِنْ جهة التعريف والباطن من جهة التكثيف إذ أن كُنْهَ الرّبوبية لا يُكَيَّف، أو تقول: ظاهر بقدرته باطن بحِكمته أي سبب حكمته فقد أظْهَرَ الحكمة وأبْطَنَ القدرة وإليه أشار بعض العارفين بقوله:

لَقَدْ ظَهَرَتْ فلا تَخْفَى عَلَى أحَدٍ	إلا على أَكْمَهٍ لا يُبْصِرُ القَمَرَ
لَكِنْ بَطَنَتْ بما أَظْهَرَتْ مُحْتَجِبًا	وكَيْف يُبْصر مَنْ بالعِزَّة اسْتَتَرَ

اعلم أن الحكمة عَيْنُ القدرة، والقدرة عين الحكمة إذ الفاعل واحد وسأذكر لك شيئًا من بحر القدرة وشيئًا من بحر الحكمة لِيَظْهَرَ لك الفرق بينهما مع اتّحادهما مَحَلاًّ فنقول وبالله التوفيق:

بَحْرُ القدرة بحر زَاخِر وَأمْرُه قاهر، ليس له أول ولا آخر، يُظهِر ويبطن ويحرك ويسكن ويقبض ويدفع ويعطي ويمنع ويخفض ويَرفع، بيَدِهِ مقادير الأمور وعلى قُطْب دَائرته الأفلاك تدور، أصْل الفروع وفروع الأصول وإليه ينتهي الوصول، تطير إليه قلوب المشتاقين وتعوم في طرف لجّتِه أرواح السائرين وتخوض في بحر لُجصتِهِ أسرار الواصلين، ولا تعرف كُنْهَ عظمته قلوبُ العارفين، غايةُ مُنْتَهاها الدَّهش والحَيْرة ثم العُكُوف في الحضرة.

وأما بَحْر الحكمة فهو أيضًا بحر زَاخِر وأَمْرُهُ ظاهر، يُظْهِرُ الأسباب ويُسْدِلُ الحجاب، يَرْبِط الأحكامَ بِالعِلَل ويُقَرِّرُ الشرائع والمِلَل، يُغَطِّي ما يَبْرُزُ مِنْ عُنْصُرِ القدرة بردائه ويَسْتُر ما يَبْدُو مِنْ أسرار الربوبية بِعِزِّ كبْريائِه، يُنَوِّرُ الطريقة ويصون الحقيقة، يُظهِر العبودية ويُبطِن الحرية، مَنْ وَقَفَ معه كان مَحْجوبًا ومَنْ نفد منه إلى بحر القدرة كان واصِلاً مجذوبًا ومَن نظر إليهما معًا كان كاملاً محبوبًا وبالعناية مصحوبًا.

اعلم أن القدرة والحكمة، كلُّ واحدة تنادي على صَاحِبَتِها بلسان حالِها. أما القدرة فتقول للحِكمة : أنت تحت قهري ومشيئتي لا تَفْعَلِي إلا ما أشاء ولا يَصْدُر منْكِ إلا ما أُريد، فإن أردت خِلافي ردَّتك وإن سبقتني أدْركتك.

وتقول الحكمة للقدرة: أنتِ تحت حُكْمي وعند أَمْري ونَهْيي فإن عصيني أدَّبْتك وربما قَتَلتك.

فإن برزت القدرة موافقة للحكمة كان ذلك علامة الجمال عاجِلاً أو آجلاً، وإن برزت القدرة مخالفة للحكمة كان علامة الجلال عاجِلاً أو آجلاً لأن الحكمة مَنُوطُ الشريعة والقدرة مَحَلُّ الحقيقة، فإذا خالفت الحقيقةُ الشريعةَ كان معصية، والإنسان دائر بين قدرة وحكمة كما هو دائر بين حَقيقة وشريعة والله تعالى أعلم، ثم ذكر الشيخ مطلوبَه بالنداء فقال: (اسْمَعْ نِدائي) سماع قبول أيْ أَجِبْ دعائي (بما سَمِعْتَ) أي بالوَجْه الذي سمعت (به نداء عبدك زكرياء) وهو سُرْعَة الإجابة على وَجْه خَرْقِ العادة فقد وهب له ولدًا مِنْ صُلْبِه مع يَأس أهْلِه وكِبَرِ سِنِّه وفيه إشارة لطلب الوارث الرُّوحاني فَكَأَنَّ الشيخ خَاف أن يَنْقَطِع الانتفاع به بعد موتِه حيث لم يترك وارثًا لِسِرِّه فأجاب الله دعاءه بأبي الحسن الشاذلي فأخذ سِرَّهُ ونَشَرَه في المشرق والمغرب فقد انتشرت الطَّريقة الشاذلية انتشار الشمس في أُفق السماء وكثرت أتباعها شرقًا وغربًا كل ذلك في صَحِيفة الشيخ رضي الله عنه والمرْءُ في ميزانه أَتْبَاعُه، فَاقْدُر بِذَا قَدْرَ النبي محمد (ص)، ثم كَمَّلَ مطلوبه فقال: (وانصرني) أي قَوِّني وأَعِنِّي في الظاهر بلا واسطة شيء لأكون عبدًا خالصًا لك لأن النصر إذا كان

بواسطة رُبَّمَا تَمِيلُ النفس إلى محبة الواسطة فَتُحْجَبُ عن الموسوط بخلاف ما إذا كان بلا واسطة أو غائبًا عنها كان عَبْدًا حقيقيًّا لِانْحِصَار المحبة في الناصِر الحقيقي (وأَيِّدْني) أي قَوِّنِي في الباطن (بك) لا برؤية غيرك (لك) أي لأكون عبدًا خالصًا لك، فَتَقَرَّرَ أن النصر في الظاهر والتأييد في الباطن بِرَفْعِ الحجاب ومُوَافَقَة الصواب. وقيل: النصر والتأييد مُتَرَادِفانِ والجَمْع بينهما تَفَنُّن في العبارة والتحقيق: الأوّل، ويُوافق النصر: الهداية ويوَافق التأييد: التوفيق، والحاصل أن النصر والهداية والتأييد والتوفيق محلها القلوب لكن النصر والهداية يظهر أثرهما على الجوارح الظاهرة فتهدي إلى الطهارة والاستقامة وتقوى على المواظبة على العِبادة، والتأييد والتوفيق يظهر أثرهما على العوالم الباطنية فتتخلَّى عن الرذائل وتتحلّى بأنواع الفضائل التي هي مكارم الأخلاق والرِّضى والتسليم والمحبة والمعرفة وغير ذلك مما تقدَّم ذِكره والله تعالى أعلم، ثم ذكر ثمرة النصر والتأييد وهو الجمع على الله والغَيْبَة عَمَّا سواهُ على سبيل الاستغراق والدوام فقال: (واجْمَعْ بَيْني وبَيْنك) طَلَبَ دوامَه واتِّصاله وإلا فالجَمْع حاصِلٌ له فهو كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}[(198)]، والجَمْع هو شهود الربوبية متصلة على الدوام والفَرْق هو شهود العبودية منفصلة على الدوام، أو تقول الجمع هو شهود القدرة وحدها والفرق هو شهود الحكمة وحدها، فأهل الجذب والفناء لا يشهدون إلا الجَمْع وأهل السُّلوك قبل رفع الحجاب لا يشهدون إلا الفرق وأهل البقاء يشهدون الجمع في عَيْن الفرق، والفرق في عَيْن الجمع فهم مَجْمُوعون في فَرْقِهِمْ مَفْرُوقون في جَمْعِهِم لا يحجبهم جَمْعهم عن فرقهم ولا فرقهم عن جمعهم رضي الله عنهم، ولما طلب الجَمْع على الدوام طَلَبَ نَفْيَ ضِدِّهِ وهو الفَرْق فقال: (وحُلْ بيني وبين غيرك) شهودُ غَيْرك هو الغفلة عن المعرفة وإلا فَلاَ غَيْرَ، فَكَأَنَّهُ طَلَبَ الحَيْلُولَةَ بَيْنَهُ وبين الغَفلة التي تُثْبِتُ الغَيْرِيَّة أو الحيلولة بينه وبين الوَهْم إذ هو الذي يثبت الغيرية ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه كثيرًا ما يقول: (والله ما حَجَبَ النَّاسَ عن الله إلا الوَهْم، والوَهْم أَمْرٌ عَدَمِيٌّ لا حقيقة له) يَعْني أنهم تَوَهَّمُوا وجود السِّوَى ولا وجود لِلسِّوَى (ألله ألله ألله) هذا التحقيق لِلْجَمْعِ الذي طلب وحذف النداء لدلالته على البُعْد ولا بُعْدَ مع الجمع وكَرَّرَ (ألله) ثلاث مرات على عَدَدِ العوالم الثلاثة: المُلْك والملكوت والجبروت فَكُلّ مرة يَفْنِي بها عَالَمًا ويَرْتَقي إلى آخر حتى يستقر بالثالثة في عالم الجبروت فإذا قال الله أَوّلاً أَفْنَى عَالَم المُلْك وإذا قالها ثانيًا أَفْنَى عالم المَلَكوت وإذا قالها ثالثًا خاضَ الجبروت واسْتَقَرَّ فيه وسمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: (إذا قال الإنسان ألله قَصَمَ به الكَوْنَ كله إذا تَلَقَّاهُ من الشيخ) والقصم هو الهلاك والذهاب، وكان شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه يقول: (مَا ظَنَّ أَحَدٌ أن الكوْن يذوب إذا

ذُكِرَ اسم الله عليه) قُلْتُ: وما قاله الشيخان رضي الله عنهما صحيح فإذا قلت: ألله وتوجّهت بقلبك إلى الكون من العرش إلى الفرش ذَابَ وتلاشى ولم يَبْقَ له أثر فجزاهما الله عَنَّا خيرًا، ويُؤْخَذُ من تكرار الشيخ لهذا الاسم العظيم جواز تكرار هذا اللفظ والاقتصار عليه في الذِّكْر وهو التحقيق خِلافَ ما ذكر الحطاب عن عزِّ الدين بن عبد السلام ولَعَلَّه قبل أن يلتقي بالشيخ، وفي المسألة ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقًا في البداية والنهاية والمنع مطلقًا والتفصيل يجوز في النهاية ولا يجوز في البداية، والمشهور الأول. قال سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه في لطائف المنن: (وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يَحُضُّ عليه كثيرًا ويقول: هو سلطان الأسماء). وقال اليوسي رضي الله عنه: (ثمرة هذا الاسم معرفة الذات) وقد تَوَلَّهَ أبو الحسن النّوري فبقي أيامًا يقول ألله ألله لا يفتر ولا يأكل ولا يشرب فَذَكَرَ ذلك لِلْجُنَيْد فقال له: إن كنت تقوله بنَفْسِك فأنت مُشرِك وإن كنت تقوله باا فَلَسْتَ أنت القائل فما هذ التَّوَلّه؟ فسكت أبو الحسن النوري وقال للجنيد: نِعْمَ الطبيب أنْتَ لما كان الجمع الحقيقي الذي تصحبه النَّضْرة والسُّرور ولا تَعْتَرِيه غَفْلة ولا فتور إنما تكون بَعْد البَعْث والنشور تَلاَ عَلَى رُوحِهِ هذه الآية على مَذْهَب تفسير أهل الإشارة تَسْلِيَةً لها فقال: ({إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(199)]) أي إن الذي فَرَضَ عليك أحكام القرآن والعمل به لَرَادُّكَ إلى معاد عظيم فتتصل بمحبوبك على الدوام وأما دار الدنيا فهي دَارُ أهْوال ومَنْزِل فِرْقة وانتقال، لا تَسْتَغْرِبْ وقوعَ الأكْدَار ما دُمْتَ في هذه الدار فإنما أبْرَزَتْ ما هو مُسْتَحَقٌّ وَصْفَهَا وواجب نَعْتها، ثم ذكر دعاء أهل الكهف تَشْبِيهًا بِهِمْ في التَّبَتُّلِ والانقطاعِ إلى الله والفَرار مِمَّا سواه فقال: ({ ح خ }[(200)]) أي أعْطِنَا وَامْنَحْنا ({مِنْ لَدُنْكَ} (2)) أي مِنْ مُسْتَبْطَن أُمُورك لأنَّ لَدُنْ تدلّ على الاتصال والقرب أكثر مِنْ عِنْدَ، أي هَبْ لنا مِنْ خزائِن فَضْلِك ({ ر } (2)) عظيمَة تَضُمُّنا وتوحّشنا مِنْ غَيْرك ({ ز } (2)) أي واجْعَلْ ({لَنَا مِنْ أَمْرِنَا} (2)) كُلِّهِ ({ ض } (2)) أي صوابًا، والمعنى وَاجْعَلْ أَمْرَنا كله رشدًا وصوابًا لموافقته لِمَحَابِّك ومَرْضَاتك، وهذا يُسَمَّى عند أهل البيانِ: التجريد، ومعناه أنهم إذا بالغوا في الشيء جَرَّدوا منه نوعًا آخر مِنْ جِنْسِهِ كَقَوْلِك: لَقِيتُ مِنْ زَيْدٍ أَسَدًا مبالغة في شجاعته وقولك: لي مِنْ فلانٍ صديق حميم، وَمِنْهُ قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ}[(201)] وكأنه أراد أن يكون أمره كله رشدًا حتى كَأَنَّهُ جَرَّدَ منه رشدًا آخر والله تعالى أعلم.

وهذا آخر التصلية في النُّسَخ العتيقة وزادَ بعضهم {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا *}[(202)] وفي الآية ما يَدُلُّ على تَعظيم أمْرِ الصلاة على رَسول الله (ص)

حيث بَدَأَ الحق سبحانه وتعالى بِنَفْسِه وثَنَّى بملائكة قُدْسِهِ وثَلَّث بالمؤمنين من جِنِّهِ وإنْسِهِ فهو أعظم من الأمر بالسُّجود لآدم عليه السلام (إن الله يَرْحَم آدم فَاسْجُدوا له) وفي الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، فوائد كثيرة ولها ثمرات عديدة ذَكَرَها ابن فرْحون وغيره فلا نُطيل بذِكرها، فلا ينبغي للفقير أن يُهْمِل نفسه منها فإن كان سائرًا خَتَم ذِكْرَهُ بها وبَدَأ بها... وإن كَانَ مُتَمَكِّنًا اسْتَغْرَقَ أوقاته فيها بالفِكْرَة ثم امْتَثَل أمْرَ الخالق فقال: (صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّمَ تسليمًا) وفي وجوب الصلاة على النبيّ (ص) ونَدْبها خِلاف المشهور، والمشهور أنها واجبة مَرَّة في العُمر ثم يبقى الاسْتِحْبَاب فلا يهمل نفسه منها إلا محروم، ثم خَتَم بذكر وَرَدَ عن سيِّدنا عليّ رضي الله عنه أنه قال: (مَنْ أراد أن يَكْتَال بالمِكْيال الأَوْفَى فَلْيَكُنْ آخِرَ دعائه: ({ ن هـ و ى يً 180 ةٍ َ 181 ةُ ِ ّ ْ 182 } [(203)]) أي تَنْزِيهًا لِرَبِّك ربّ العزّة عمّا يصفونه به الكَفَرَة من المشركين والولد، وفيه إشارة إلى عِزِّهِ ونَصْرِهِ عليه السلام لأن ربّ العزّة لا بُدَّ أن يُعِزَّ عبده المخْتَصَّ به، وسلم أي طيب وتحية وإكرام على المرسَلين المختارين لِسِرِّ وَحْيِهِ والحمد لله ربّ العالمين على نصر أحبَّائه وجنوده جعلنا الله من جُنْده المنصور أهل الخيرة والسرور آمين وسلم على المرسَلين والحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسَلين وعلى آله وصحبه وسَلَّم.

&#5؛ ترجمة سيدي محمد المعطي بن الصالح رضي الله عنه هو أبو عبد الله محمد المعطي بن الصالح بن المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن محمد الشرقي رضي الله عنهم. نشأ وترعرع وتعلَّم في زاوية والده وهي يومئذ تعجّ بالعلم والعلماء، كما كان والده يصحبه معه في أسفاره ويعرضه على متصوّفة وأشياخ العصر التماسًا لنفحاتهم إلى أن صارت سيرته مستقيمة وسريرته طاهرة وأسراره جليلة جسيمة.

وقد اشتغل تحت رعاية والده بالتفقّه في جميع العلوم حفظًا وفهمًا، فقرأ النحو والتوحيد والفقه على أبيه وعمّه سيدي محمد بن المعطي، والأصول والبيان والمنطق على الفقيه أحمد بن ذكور الفاسي، وعلم التصريف واللغة والحساب على الفقيه محمد بن الطيب الفلالي، والحديث والتفسير والسير على الفقيه العافية الصومعي، وقرأ الطب على الفقيه عبد القادر بن شقرون، والتصوف على سيدي أحمد بن محمد السريفي بإذن من أبيه، وما دخل في طريق القوم حتى تفقّه وقرأ هذه العلوم وعلومًا أخرى رقيقة فائقة جليلة دقيقة رائقة.

وقد ظهرت أبعاد تأثير وسطه ونتائج تكوينه المتكامل ومدى استعداده للاكتساب والتشرّب بثقافة وعلوم العصر في مؤلَّفه الضخم (ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج) والذي بلغت أجزاؤه ستين

سفرًا، وقد شهد له معاصروه من المغاربة والمشارقة بالتفوّق والنبوغ والإبداع. قال عنه محمد عبد الحَيّ الكتاني: (الإمام العارف الكبير، فخر المغرب، أبو الذخائر محمد المعطي بن الصالح الشرقي صاحب كتاب الذخيرة في السيرة النبوية، وهي من أعظم الكتب التي فاق بها المغاربة على غيرهم... بإنشاء بديع وبلاغة فائقة...).

وقد ترجمت حياته الصوفية خلاصة ما أنتجته أُسرته من علم وحلم وصلاح وزُهْد بحيث مثل إرثها الصوفي وتمثّله، ولا شك أن هذا يذكّرنا بأُسَر مغربية مشابهة توارثت العلم والصَّلاح عبر أحقاب وأجيال مثل الأُسرة الفاسية والأُسرة القادرية... وكوَّنت صوامع شامخة تحتضن العلم والدين وتصونه وتذود عنه.

ترك سيدي محمد المعطي رضي الله عنه تآليف منها:

. الأحزاب.

. ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج.

أعطى الشيخ سيدي محمد المعطي بن الصالح لطريقته المعطاوية كل مقوّماتها، فقد وضع لأصحابه ومُرِيديه أحزابًا جديدة خاصة بهم أمرهم بقراءتها دون سواها على نسق أحزاب الشاذلي، وكان عددها سبعة أحْزاب بعدد أيام الأسبوع، وما عرف منها خمسة وهي:

البسملة . اللطيف والفرج . النصر والتأييد . الاستعطافات النورانية . الفتح والنور.

إلا أن الحزب الذي شاعت قراءته في الزاوية في عهده على الأقل هو «حزب الفتح والنور»، وقد ألَّفه بأصل الطبوع الملحونة والأسجاع الفائقة الموزونة موضوعًا على طريقة الأجِلَّة من الأولياء مثل الشيخ الشهير الحسن الشاذلي والإمام الكبير السهروردي والسيد الجليل مولانا عبد القادر الجيلاني.

هذه الأحزاب كان قد ألَّفها رضي الله عنه زمن الفتن والكوارث، تقرّبًا إلى الله وزلفى حتى يدفع أذى العباد عن بعضهم البعض، ويكشف غضبه، وينشر رحمته وعفوه.

كتاب الذخيرة يظهر أن الشيخ محمد المعطي عندنا ألَّف أول سفْر من أسْفار الذخيرة لم يكن يطمح إلى أن يلحقه بتآليف أخرى في نفس المعنى إلا أن رجوعه إلى المؤلَّفات التي سبَقته في هذا الإطار جعلته يوسِّع مواضيعها شيئًا فشيئًا حتى بلغت حوالي ستين مجلدًا، دافِعه الأساسي في ذلك كما قال: (لما رأيت ما في الصلاة على النبي (ص) من الفضائل والخيرات والبشائر والأنوار الشوارق ولوائح المسَرَّات... ووقفت على ما في كتب القوم من غرر الصلوات ونفائس التحيّات... حرَّكني حامِل الحبّ الذي لا يُرَدّ وِرده وجذبني

عامِل الشوق الذي لا يكتم شاهِده أن أُدلي دلوي بين المحِبِّين المادِحين... وأرسم شكلي في توقيعات المحبوبين المقَرَّبين... وذلك لأن المورد العذب كثير الازدحام...).

ذهب البعض إلى أن الشيخ المعْطي ألَّف أسْفاره في السيرة النبوية كما يظهر ذلك من عناوين بعضها مثل: المولد النبوي ـ الإسراء والمِعراج ـ سيرته وشمائله ـ وفاته... إلا أنه توسّع في ذلك فتحدَّث عن الصحابة الأربعة العشرة، وأوصاف الأولياء والصالحين، وكذا شرف العلم وأهله، وأخبار الآخرة، وفي الزيارة والحج... بيد أن معلوماته حول هذه المواضيع جاءت طافِحة بالأمداح النبوية وأنواع الصلوات عليه والثَّناء على فضله وفضائله، والتعلّق بأهذابه والتشوق إلى زيارته ورؤيته بقلب وقالب المحِبّ الذي لا يملّ ولا يكِلّ ولا يفتر عن ذِكره وتِعداد مناقبه والتمتّع والتلذّذ بذِكر أوصافه وسجاياه، مما جعل بعضهم يصفه بأنه «امتزجت فيه محبة النبي (ص) بلحمه وعظمه وشعره وعروقه ودمه» مُخَلِّلاً ذلك بشروح لآيات قرآنية وأحاديث نبوية ومُضيفًا إليها من لطائف التحميدات والتمجيدات ونفائس التسميات والتقديسات، رقائق الأدعيات المستَجابة والمناجاة، ودقائق الإشارات والعبارات وأنواع الاستعطافات والاستغفارات.

قال سيدي محمد المعطي رضي الله عنه (فاستخرجت هذه اليواقيت اللطيفة التي لم يوجد لها نظير في الشكل والمثال... التي لم يضاهيها أحد من أهل اللطائف والرَّقائق).

وظاهرة التجاوز هاته نتأكد منها من خلال موقفه من أحزاب الشاذلي التي كانت تقرأ بالزاوية، فقد أشار على أصحابه وتلامذته ومُريديه بقراءة أحزابه بدلاً منها... بل إنه ما ترك في ذخيرته نموذجًا من نماذج الأدعية والاستغفارات والصلوات والابتهالات والأمداح النبوية التي وجدها عند سابِقِيه إلا وألَّف ونسج على مِنوالها وتجاوزها كمًّا وكَيْفًا... لقد أقرَّ المعاصِرون له ومَن جاؤوا بعده من كبار العلماء بتفوُّقه وإبداعه ونبوغه، فخصّوه بالمديح والإعجاب والتقريظ سواء منهم المغاربة أو المشارقة، إذ شاع وذاع تداول أسفارها في مختلف البلاد العربية بما في ذلك مكة والمدينة وبيت المقدس، كما أصبح للذخيرة سند في روايتها وقراءتها فاعتبر هذا المؤلَّف من لدن المغاربة من أعظم الكتب التي فاق بها المغاربة على غيرهم.

توفي الشيخ محمد المعطي بن الصالح عام 1180 هـ/ 1766 م ليتولَّى شؤون الزاوية الشرقاوية من بعده نجله سيدي العربي بن المعطي، وقد اختصَّ بترجمة سيدي محمد المعطي تلميذه وكاتِبه سيدي محمد بن عبد الكريم العبدوني في مؤلَّفه (يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ محمد المعطي).

هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (الزاوية الشرقاوية) للسيد أحمد بوكاري &#5؛ مزج الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي محمد المعطي بن الصالح رضي الله عنه المتوفى عام 1180 هجرية (أللَّهمَّ صَلِّ) وسلِّم (على) سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد حياةِ الأرواح الروحانية والجثمانية ومَظْهَرِ عُلومِ الذات المقدسة الفَرْدَانِيَّة الذي (منه انشقَّت الأسرار) الربَّانية (وانفلقت الأنوار) الصَّمْدانِيَّة (وفيه ارتقت الحقائق) العِرْفانِيَّة وسُوَرُ الآياتِ الفُرْقَانِيَّة (وتنزّلت علوم آدم) التي عَرَفَ بها أَسماءَ المسَمَّيَات كُلَّها وانْكَشَفَتْ له حقائقَها النُّورانية (فَأعجز الخلائق) لِمَا لاَحَ على باطِنِه مِنَ الشَّوَارِقِ والأنوار الرَّحْمَانية (وله تضاءلت الفهوم) والكُشوفات العِيانيّة ودقائقُ رقائقِ الحِكَمِ الإلهية (فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق) لِعُلُوِّ درجته عن الأمْلاكِ المقَدَّسَةِ والخَليقةِ الإنسانية (فرِياض الملكوت) الأسْنَى (بزهر جماله مونقة وحِياض الجبروت) الأَسْمَى (بفيض أنواره متدفِّقة) وأرْجاءُ الملْكِ الأَزْهى بِسَنَا كَمالِهِ مُضِيئَةٌ مُشْرِقَة، وخُدَّامُ الحُجُبِ والسُّرَادِقَاتِ لِهَيْبَةِ جلاله المحمَّدي خاضعة مُطْرقَة، وخَوَاصُّ المقَرَّبِين بباب كَرَمِهِ الأحمديّ سائلة متملِّقة، وأعيان المملكة الرُّوحانية بواسطةِ سيادتِه المصْطَفَوِيَّة لاَئِذَةٌ متعلقة (ولا شيء إلا وهو به مَنوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله) في كَمَالِ نبوّته وخالِصِ عبوديّته، وكما أنت أهْلُه في جلال ربوبيتك وعظيم أُلوهيّتك (أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع) الهادي بك إليك وبَدْرُكَ الطَّالعُ (الدَّالُّ) بنورك (عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك) وحبيبك الأكرم المخصوصُ بكل خير هو لديك وصراطُك الأقوم الدّاعي الخلق بإذْنِك إليك (أللَّهمَّ ألحِقني بنسبه) الشريف (وحقِّقني بحسبه) المنيف (وعرِّفني إياه معرفة) خاصّة تَعرَّفت بها إليه أعيان أحِبَّائِك الخاصة (أسلم بها من موارد الجهل) المكَدِّرِ سَرائِرِ القُلُوب (وأكرع بها من موارد الفضل) المفَاضِ مِنْ حَضَراتِ الغُيوب (واحملني على سبيله) الأقوم (إلى حضْرتك) السَّنِيَّة (حملاً محفوفًا بنصرتك) المؤْلويَّة مُؤيَّدًا بحكمتك الإلهية مَلْحُوظًا بِعَيْنِ عِنَايَتك ونَظْرَتِك الجمالية. أللَّهمَّ إنك تعلم أن لا وصْلَةَ بَيْني وَبَيْنَكَ إلا عِنايَتُهُ وسِرُّهُ، ولا شفيعَ لي عندك إلا جاهُهُ وقَدْرُهُ، ولا قُرْبَةَ لي لديك إلا طاعتُهُ وبِرُّهُ، ولا دَليلَ لي عليك إلا هو لا غَيْرُهُ، ولا حِمايَةَ لي في الدنيا والآخِرة إلا عِزُّهُ وفَخْرُهُ، وأسألك اللَّهمَّ بجاهه عندك وقَدْرِهِ وعنايته لديك وسِرِّهِ وعِزَّتِهِ بك وفَخْرِهِ أنْ تُنْزِلَ عَلَيَّ مِنْ خَزائِنِ رَحْمَتِك ما أرتقي به إلى حضرتك ومِنْ أنوار مشاهدتك ما تَكْشِفُ لي به عن حقائق معرفتك، وَقَابِلِ أللَّهمَّ بأنوار ذاتك صَفَاءَ مِرْآةِ سِرِّي وبأسرار تجلِّياتِك عوالِمَ فِكْرِي، أَفِضْ عَلَيَّ من بحور عوارفك ومعارفك مَا يَطْمَئِنُّ به قلبي وينشرح به صدري (وأغرقني في عين بحر الوحدة) واجْعَلْنِي ثَابِتَ اليقين فيك والمودَّة، وغَيِّبْنِي

في نورك حتى يَعُمَّ سائِرَ عوالمي النور، وأكونَ قائمًا بِسِرِّ إمداد الخلق في عالم الخفاء والظهور، يا أللهُ يا رحمن يا رحيم يا غفور، يا حميد يا مجيد يا عَلِيّ يا شكور، يا باقي يا وارِث يا رشيد يا صبور، يا مَنْ له الخلق والأمْرُ وبيده تصاريف الأمور، يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. أللَّهمَّ افْتَحْ لي خزائنَ الأسرار الملكوتية، وأَفِضْ على هَيْكلي بحورَ الأنوار الرحموتية، وَسَخِّرْ لي عوالمَ الأرواح الجبروتية، واخْرِقْ بِهِمَّتِي أَسْتَارَ السُّرادقات الرغبوتية، واكْشِفْ لباطني علومَ الإشارات الغيبية، واللطائفِ اللاهوتية، وأشْرِقْ شَمْسِي في سماء مَطالِعِ الأنوار القدسية، وأَفْرِدْ وِجْهَتِي إلى سُنَّتِكَ النَّقِيَّة وطاعتِك المَرْضِيَّة، وأفْنِنِي بك عني حتى أَتَحَقَّقَ لك بخالص العبودية، وأعْتَرِفَ لك بِتَقْدِيسِ الأحدية وكمالِ الربوبية، وأكْرِمْني أللَّهمَّ بشهود أنوار قُدْسِكَ، وأيِّدني بِظُهُور جَمَالِ أُنْسِك، حتى أَتَقَلَّبَ في سُبُحاتِ معارفِ أسمائك تَقَلُّبًا يُطْلِعُني على دَارَةِ وُجُودِكَ في عالم شُهُودي، لأُشاهد ما أَوْدَعْتَهُ مِنْ سَرَيَانِ سِرِّ قُدْسِكَ في شَوَاهِدِ اللاَّهُوتِ والنَّاسوت، وعَرِّفْني معرفة تَامَّةً، وعَلِّمْني حِكْمَةً عامة، حتى لا يَبْقَى مَعْلُومٌ أَطْلَعْتَ عليه أوليائك وأصفيائك مِن أهل المحادثة والكشوفات إلا وأطَّلِعُ على دقائقِ رقائِقِه المُنْبَسِطَةِ في الموجودات، وَأَرْفَعْ عني بهما ظُلْمَةَ الإكْرَاهِ المانِعَةَ مِنْ إدْراك حقائق الآيات، وصَرِّفْني بِهِمَا في عالَمِ القلوب والأرواح العُلْوِيات والسُّفليات إنك أنت المحِبُّ والمحبوب والطَّالِبُ والمطْلوب، يا مُقَلِّبَ القلوب، ويا كاشِفَ الكُرُوب، ويا علاَّم الغيوب، يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين.

&#5؛ مزج آخر لسيدي محمد المعطي بن الصالح رضي الله عنه (أللَّهمَّ صَلِّ على) سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيِّدنا محمد رَغْبَةِ الأرواح الروحانية وغَايَةِ مُنَاهَا، وبُغْيَةِ الأشْخاصِ النُّورانية ورياضِ مُشْتَهَاهَا، وَتَرْجُمَانِ لِسَانِ العُلومِ الغَيْبِيَّةِ وأساسِ مَبْناها، وَلُبَانَةِ الضمائر القلبية ومَحَلِّ مَثْوَاهَا، ونَسْجِ المحبة الإلهية ولُحْمَةِ سَدَاها، الذي (منه انشقَّت الأسرار) الربَّانيةُ وَكَشَفَتْ لِسِيَادَتِهِ المحمدية غِطاهَا (وانفلقت الأنوار) الأحمديةُ وَلاَحَتْ عليه بَوَارِقُ سِيمَاهَا (وفيه ارتقت الحقائق) المَوْلَوِيَّةُ فَفَاضَتْ عليه بُحُور نَداها (و) فيه (تنزَّلت علوم آدم) النبوية (فأعجز الخلائق) مَبْدَاها وَمُنْتَهاها (وله تضاءلت الفُهُوم) النُّورَانِيَّةُ فَحَارَتْ في دَرْكِ حقائقه وَقَصُرَتْ عَنْ فَهْمِ مَعَانِيهِ خُطَاها (فلم يُدْرِكْ) دَرَجَتَهُ (منّا سابق ولا لاحق) لأِجْلِ ما خَصَّهُ اللهُ به من المراتب والمقامات التي لا يَبْلُغُ أَحَدٌ شَرَفَهَا وَعُلاها (فرِياض الملكوت بزهر جماله مونقة) ومِنْ طِيبِهِ طَابَ عَرْفُها وعَابِقُ ريح شذاها (وحِياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة) خُصُوصِيَّةٌ اخْتَصَّهُ اللهُ بها وَمَنَحَهُ إيَّاها (ولا شيء إلا وهو به منوط) لأنه حَبْلُ اللهِ الموَصِّلُ إلى أَعَالِي الدَّرجاتِ السَّنِيَّةِ أَقْصَاهَا وَأَدْناها والبَرْزَخُ

الجَامِعُ لِمَعانِي عُلومِ الذَّاتِ وأَسْمَاءِ المسَمَّيَاتِ وبِوُجُودِهِ قامتِ الأشياء وَكَمُلَ أَمْرُها وَتَمَّ مَعْناها (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) حِكْمَةٌ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِحَها بِيَدِهِ وعلى لِسانِهِ أَجْرَاهَا (صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله) وكما أَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَ فأنتَ أَعْلَمُ بِكُنْهِ حَقِيقَتِهِ التي سَتَرْتَهَا عَنْ عُيُونِ العقول وهَدَيْتَ الخَلاَئِقَ بِهُدَاهَا (أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع الدَّالّ عليك) حيث لا دَلِيل إلا هُو (وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك) في منزلة لا يُدْرَكُ شَأْوُهَا ولا يُضاهَا، فَمَنْ تَعَدَّاهُ أَحْرَقَتْهُ أَنْوَارُ سُبُحَاتِك ومَحَتْ أَثَرَهُ بِلَوامِعِ سَنَاها (أللَّهمَّ ألحِقني بنسبه) الطيني (وحقِّقني بحسبه) الديني حتى أكونَ مِمَّن اصطفيتهم لِحَضْرَتِهِ وجَعَلْتَ أنوارَ نُبُوءَتِهِ تُشْرِقُ على عوالِمِهِمْ وَتَغْشَاهَا (وعرِّفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل) فَأَرْتَعُ في رِياضِ مَواهِبها وأَقْطِفُ جَناها، واحْرُسْنِي بِعَيْنِ لُطْفِك وحمايَتك حتى لا تَطْرُقَنِي عَوارِضُ الشكوك والأوهام ولا تَسْتَفِزُّنِي لَوَامِعُ بُرُوقِها وعَواصِفُ هَواها (واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفًا بنصرتك) مَلْحُوظًا بِنظْرَتِك، يَمْنَعُنِي مِنْ كُلِّ آفَةٍ تَتَّقِيهَا أربابُ الأحوال وتَخْشاها (واقذف بي على البَاطل فأدمغه) بأنوار علومك التي تَبْهَرُ العقولَ وتَجْلُو مِرْآةَ البَصَائِرِ بِنُورِ ضِيَاها (وزج بي في بحار الأحدية) وأَلْبِسْنِي خِلَعَ المعرفةِ الدَّائِمَةِ السَّرْمَدِيَّةِ التي هي أعلى دَرَجَةٍ وَأَسْمَاها (وانشلني من أوحال التوحيد) وَفُكَّ رَقَبَتِي مِنْ أَسْرِ التقليد، وَقَلِّدْنِي بِسَيْفِ الشريعة والحقيقة وَنَوِّرْ قَلْبِي بأنوارِ العوارف القُدْسِيَّةِ الشَّافِيَةِ القلوبَ مِنْ عَمَاها (وأغرقني في عين بحر الوحدة) السَّنِيَّةِ العَلِيَّة وَأَغْنِنِي بك عَنْ غَرَضِي وعن ملاحظة الأغيار التي تَشْغَلُ البَواطِنَ وَتُكَدِّرُهَا بِهَواها (حتى لا أرى) في الوجود سواك (ولا أسمع) إلا خِطَابَكَ ونِدَاك (ولا أجد ولا أحسّ إلا) بما يُشْرِقُ على هَيْكَلِي مِنْ أَنْوارِكَ السُّبُّوحِيَّةِ التي تُنَوِّرُ السَّرائرَ بِضَوْءِ شعاعِها وَلَوائِحِ سَنَاها (واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي) وعِلْمَهُ الأَقْدَسَ نَقْشَ لَوْحِي (وروحه سرّ حقيقتي) التي بها تَتَنَعَّشُ الأرواحُ الرُّوحِيةُ وتَتَقَوَّى بِقُوَاها (وحقيقة جامع عوالمي) الحِسِّيَّة والمعنوية ومَنَارَ مَعَالِمِي الدَّالَّةِ على طريقِ الوُصول إليك في صُعودها ومَرْقَاها (بتحقيق الحق الأول) وَسِرِّ الكتابِ المنَزَّلِ الذي مِنْ جَواهِرِ حِكْمَتِهِ تُقْتَبَسُ الفَوائِدُ العِلْمِيَّةُ العَمَلِيَّةُ وتَتَخَلَّصُ النفوسُ مِنْ رُعُونَتِها وشَوَائِبِ دَعْوَاها (يا أول) قبْلَ كل شيء (يا آخر) بَعْدَ كل شيء (يا ظاهر) في كل شيء (يا باطن) في كل شيء، أَنْتَ القَرِيبُ المجيب، الشَّاهِدُ الرَّقيب، العَالِمُ بما توسوس به النفوسُ في سِرِّها ونَجْوَاها (اسمع ندائي بما سمعت به نداءَ عبدك زكرياءَ) ونَجِّنِي كما نَجَّيْتَ نوحًا من الطوفان وجَعَلْتَهُ تَاجَ الأنبياء وسِرَاجَ الأصفياء، واشْفِنِي بما شَفَيْتَ به أيوب من بلائه وعَظَّمْتَ جَاهَهُ على سائِرِ الأولياء والأتقياء ومَنَحْتَهُ سُرُورَ نَفْسِهِ وَبُشْرَاهَا (وانصرني بك لك وأيِّدني

بك لك) وَاجْعَلْنِي خَالِصَ العبودية، قَائِمًا بحق الربوبية، عَامِلاً بِمُقْتَضى الشريعة المحمدية التي مَنْ تَمَسَّكَ بها نال عندك أعلى درجةٍ وأَسْنَاهَا (واجمع بيني وبينك) في مقعد صدق على أشرف حالة تُحِبُّها وتَصْطَفِيها لِمَنِ اخْتَرْتَ مِنْ خَواصِّ عبادك الصالحين وتَرْضَاها (وحل بيني وبين غيرك) وَاشْغَلْ كلَّ شاغِلٍ يَشْغَلُنِي عَنْكَ بِنَفْسِهِ واقْهَرْهُ بِقَهْرَمانِ أسمائك التي تَخْضَعُ له رِقَابُ الجبابرة ولا تَحُومُ حَوْلَ حِمَاهَا، وَلاَحِظْنِي بِعَيْنِ اللطف والعناية، وامْنَحْنِي دَرَجَةَ السِّرِّ والولاية، وَرَقِّنِي إلى أرفع درجة في منازل القُرْبِ وأعْلاها (ألله ألله ألله) الجَاذِبُ أرواحَ المحِبِّين إلى أقصى غاية مُرادِها مِنْهُ وَمُناها، المنَزِّهُ أرواحَ العاشقين في بساتينَ معارِفِه القدسيَّةِ وأزاهِرِ رُبَاها ({إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(204)]) أي إن الذي فرض عليك القرآن في مظاهر الجلال والجمال لرادّك إلى معاد الوصول والاتصال، أو تقول إن الذي فرض عليك القرآن في مقام البسط والكمال لرادّك إلى معاد الأُنْس والإدلال، أو تقول إن الذي فرض عليك القرآن في معارج الصعود والارتقاء لرادّك إلى معاد الحياة والبَقاء، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مشاهد المحبة والاصطفا لرادك إلى معاد الصدق والوَفا، أو تقول إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الاشتياق إليه والحبّ لرادّك إلى معاد الاجتباء والدنوّ والقُرْب، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في حضرة المحادثة والمواصلة لرادّك إلى معاد الإحسان والمعاملة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام المشاهدة والتَّعيين لرادّك إلى معاد الإخلاص واليقين، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام السيادة والتشريف لرادّك إلى معاد الشُّهْرة والتعريف، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في حضرة السعادة والبُشرَى لرادّك إلى معاد الهداية والتوفيق واليُسْرى، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في حضرة القربة والزُّلْفى لرادّك إلى معاد الرحمة والرأفة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الإجلال والحُرْمة لرادّك إلى معاد المجَاهدة وَالخدمة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام السر والحكمة لرادّك إلى معاد النبوءة والعصمة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الفضل والمِنَّة لرادّك إلى معاد العمل بالكتاب والسُّنَّة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الحظوة والجاه لرادّك إلى معاد التوكّل والغِنى بالله، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الشَّوَارق والأنْوار لرادّك إلى معاد المواهب والأسرار، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الجلالة والتعظيم لرادّك إلى معاد التفويض والتسليم، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن وخاطبك بكلامِه القديم لرادّك إلى التنزيه والبراءة من كل وصف ذميم، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام السياسة والتحكيم لرادّك إلى معاد الخلافة والتعظيم، أو تقول: إن الذي فرض عليك

القرآن في مقام القبول والرِّضا لرادّك إلى معاد الضّحى: الآية 5]{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى *}، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الجَمْع والفرق لرادّك إلى معاد التبليغ والأمانة وقول الحق، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلبك لرادّك إلى معاد الخشوع والخضوع والتذلّل والمراقبة لربك، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في حضرة العزّ والتمكين لرادّك إلى معاد النصر القريب والفتح المبين، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام الجمال والنور والبَهَا لرادّك إلى معاد حظائر العرش ومَقاصِرِ سدرة المنتهى، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن ليلة القدر في مكة أُم القرأ لرادّك إلى معاد التلقيات والتنزّلات والآيات الكبْرى، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام عَامَلك فيه بكل خير وهو لديك لرادّك إلى معاد خرج منه بروحك الطيِّبة إليه، أو تقول: إن الذي فرضَ عليك القرآن في مقامٍ كان لك منزلاً ومَزارًا لرادّك إلى معاد أراك فيه ذاته العَلِيَّة جهارًا، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أفاض فيه على ذاتك علومًا وأسرارًا لرادّك إلى معاد خرق لك فيه حُجُبًا وأستارًا، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام ألقى عليك فيه هيبةً ووقارًا لرادّك إلى معاد أشرق فيه على قلبك لوائحَ وأنوارًا، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام قبلت حاشية بساطك فيه ملائكة الوحي والإلهام لرادّك إلى معاد أحجمت عنه فُحُول الأنبياء وأكابر الملائكة العِظام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقامٍ كنت تحبّه ويحبّك وكلَّمك فيه الضبّ مع أصحابك الأعلام لرادّك إلى معادٍ سمعت فيه صرير الأقلام وفارقك فيه جبريل عليه السلام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام بايعتك فيه الأرواح بين الحطيم وزمزم والركن والمقام لرادّك إلى معاد تَبَرَّكَتْ بِمَمْشاك فيه عرائس الفراديس ومقْصورات الخيام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام بايَعَتْكَ فيه الأرواح كنت فيه صاحب الموكب والعلم لرادّك إلى معاد شرَّفك فيه والخلق في ظلمة العدم، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام كنت تتهجَّد فيه بالليل والناس نِيام لرادّك إلى معاد خاطبك فيه مُشافَهَة وَأَعْلا بذلك رتبتك على جميع الأنبياء والرُّسُل الكِرام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقامٍ شرعت فيه الشرائع وبيّنت فيه مناهج الأحكام لرادّك إلى معادٍ سألت فيه التخفيف لأُمتك فأعطاك ما سألتَ وشفَّعك فيهم من هول الموقف والحشر يوم الزِّحام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام نور قلبك فيه بنور الإيمان والإسلام لرادّك إلى معاد ألبَسَك فيه حُلَل الانقياد إلى الطاعة والاستسلام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقامٍ تعلقتِ الوحوش فيه بأذيالك وسَبَّحَ في كفِّك الحَصَا والطعام لرادّك إلى معادٍ خَلَعَ

عليك فيه خلع العزّ والمهابة والبرور والاحترام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقامٍ جعلك فيه قدوة الأنام ولَبِنَة التمام لرادّك إلى معاد أَنَّسَ فيه منقبض روعتك وبلَّغك غاية القصد والمرام، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام صرَّفَك فيه في مَمْلَكَتِهِ وَجَعَل بيدك مفاتح القلوب لرادّك إلى معاد كشفَ لك فيه الغِطا وفَتَحَ لك خزائن الغيوب، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقامٍ أيَّدَكَ فيه بجَواهِرِ الوَحْي وفواتح العلم الموهوب لرادَّك إلى معاد جعلكَ فيه حبيبًا ومحبوبًا وكيمياء كنز السّرّ المطلوب، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه فاتحة الكتاب وسورة البقرة لرادَّك إلى معاد أتحفك فيه بالتُّحَف الحفيلة والمواهب المعتبرة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة آل عمران والنساء والمائدة لرادّك إلى معاد أثْلَجَ فيه صدرك بكل معْنى لطيف وحكمة وفائدة، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الأنعام والأعراف والأنفال لرادّك إلى معادٍ لاحَظَك فيه بِعَيْن الرأفة والرحمة وأفاضَ عليك بُحُور الفضل والنَّوال، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة التوبة ويونس وهود لرادّك إلى معاد قابَلك فيه بالرِّضى وأنجز لك المطالب والوعود، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة يوسف والرعد لرادّك إلى معاد أنَّسَك فيه بالمناجاة وأذْهَبَ عنك وحشة البَيْن والفَقْد، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة إبراهيم والحجر لرادّك إلى معاد طَهَّر فيه قلبك من شوائب الرِّياء والحسد والكِبْر، أو تقول إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة النحل والإسْراء لرادّك إلى معاد أكرمك فيه بكرامَتِهِ وَرَفَعَ قدرك دنيا وأخرى، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الكهف ومريم لرادّك إلى معاد أطلعك فيه على علوم الحقائق وغوامض السرّ المكتَتَم، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة طه والأنبياء لرادّك إلى معاد اقتبست فيه من نورك أكابر الأصفياء والأتقياء، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الحج والمؤمنون لرادّك إلى معاد سجد لعزّتك فيه المقَرَّبون والمهيمون، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة النور والفرقان لرادّك إلى معاد أَضْحَيتَ فيه مرآة الشهود والعيان، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الشعراء والنمل لرادّك إلى معاد تَفَضَّلَ عليك فيه بالمشاهدة والقُرْب والوصول، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة القصص والعنكبوت لرادّك إلى معاد أرَاك فيه سَنا الجبروت والرحموت، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليه فيه

سورة الرّوم ولُقمان لرادّك إلى معاد خصّصت فيه بالآيات الكُبْرى والمنازل الحِسان، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة السجدة والأحزاب لرادَّك إلى معاد كشف لك فيه الحجاب وَرَفَعَ لك عن وَجْهِهِ النِّقاب، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة سبأ وفاطر لرادّك إلى معاد نصرك فيه بالرعب وقلَّدك بسيف عزّه القاهر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة يس واليقطين لرادّك إلى معاد سجدت لك فيه الأرواح الروحانية وآدم بين الماء والطين، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة ص والزّمر لرادّك إلى معاد ابتهج بنور طلعتك وصرت فيه كالياقوت بين الحجر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك سورة المؤمن وفُصِّلَتْ لرادّك إلى معاد كملت بك قواعد الإسلام وحُصِّلت، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الشورى والزخرف والدخان لرادّك إلى معاد ظفرت فيه بِنَيْلِ الأماني والسّرور والتهانْ، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الجاثية والأحقاف والقتال لرادّك إلى معاد أنت فيه رحمة للأباعد والأقارب والعِيال والسّوال، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الفتح والحُجُرات وق لرادّك إلى معاد اعترفت لك فيه رؤساء الأكابر بكمالِ العَدْلِ والإنصاف، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الذاريات والطّور والنجم والقمر لرادّك إلى معاد أَقَرَّتْ فيه برسالتك النَّواطق والجوامد وأجاب دعاءَك الشجر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الرحمن والواقعة والحديد لرادّك إلى معاد أُرسِلْتَ فيه رحمة للخاصَّة والعامّة والرقيب والبعيد، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة المجادلة والحشر والامتحان لرادّك إلى معاد أقامك فيه مقام الخصوصية وقَرَن اسمك مع اسمه في الإقامة والآذان، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الصَّفّ والجمعة والمنافقون لرادّك إلى معاد اقتَدتْ بإمامتك فيه الأملاك والأنبياء والأولياء والصالحون، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة التغابن والطلاق والتحريم لرادّك إلى معاد أكرمك فيه مولاك بالمخاطبة والمحادثة والتكليم، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الملْك والقلم والحاقّة والمعارج لرادّك إلى معاد سلكت فيه أحسن المسالك وأوضح المناهج، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة نوح والجنّ والمزَّمِّل والمدَّثِّر لرادّك إلى معاد بُعِثْتَ فيه بالشرع الموسّع والدين الميَسّر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة

القيامة والإنسان والمرسَلات لرادّك إلى معاد الفتوحات والإلهامات والتنزّلات، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة النَّبَأ والنازعات وعبس والتكوير لرادّك إلى معاد البشائر واللوائِح والسِّرِّ والتَّنوير، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الانفطار والتطفيف والانشقاق والبروج لرادّك إلى معاد قَدِمْتَ فيه على ربك ليلة الإسراء والعروج، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الطارق والأعلى والغاشية والفجر لرادّك إلى معاد العناية والسيادة والمجَادَة والفخر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة البلد والشمس والليل والضحى لرادّك إلى معاد خُصِّصْتَ فيه بأفضلِ المناجاةِ وسِرٍّ {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *}[(205)]، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة ألم نشرح والتين والعلق والقدر لرادّك إلى معاد أُعطِيت فيه غاية التأييد والفتح والنصر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة البيِّنة والزلزلة والعادية والقارعة لرادّك إلى معاد تُوِّجَكَ فيه بتاج الأنوار الساطعة في مقام أنزل عليه فيه سورة التكاثر والعصر والهُمَزَة والفيل لرادَّك إلى معاد جمع لك فيه أسرار النبوءات والرسالات وعلومَ التنزيل، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة قريش والمسكين والكوثر لرادّك إلى معاد حملت فيه لواء العزّ المعقود وسُمِّيت بصاحب الجمل الأحمر والقضيب الأصفر، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الكافرون والنصر والمسد والإخلاص لرادّك إلى معاد المداناة والمصافات والخصوصية والاختصاص، أو تقول: إن الذي فرض عليك القرآن في مقام أنزل عليك فيه سورة الفلق والناس لرادّك إلى معاد رَحِمَ بك فيه العالم العلويّ والسُّفلي وسائر الأنواع والأجناس[(206)] { ا ب ة ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض 10 }[(207)]. وعامِلْنا بالحِفْظِ المنْجِي من الرَّدى، والذوق الموصِل إلى الاستغراق في بحر النَّدَى، واجْعَلْنا مِمَّنِ اهتدى بِهَدْيِ نبيِّك وَاقْتَدى، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهَدا، واحْرُسْنا مِنْ مُفْظِعاتِ الأمور ولا تُشْمِتْ بنا العِدَا، وأدْخِلْنا تحت جناح لُطْفِك، وانْظُرْ إلينا بِعَيْنِ حَنانَتِك وعَطْفِك، ولا تَهْتِكْ علينا رداءَ سِتْرِكَ أبدًا، يا ألله يا ألله يا ألله يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين.

&#5؛ ترجمة سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه قال الجبرتي هو الأُستاذ الأعظم قدوة السالكين وشيخ الطريقة والحقيقة وَمُرَبِّي المريدين الإمام المسلك الخلوتي، لما ارتحل إلى إسلامبول لبسَ فيها ثياب

الخُمُول ومكث فيها سنة لم يُؤذَن له بارتحال ولم يَدْرِ كيف الحال فلما كان آخر السنة قام ليلة فصَلَّى على عادته من التهجّد ثم جلس لقراءة الوِرْد السَّحري فأحبَّ أن تكون روحانية النبي (ص) في ذلك المجلس ثم روحانية خلفائه الأربعة والأئمة الأربعة والأقطاب الأربعة والملائكة الأربعة فبينما هو في أثنائه إذ دخل عليه رجل فشمَّر عن أذياله كأنه يتخطّى أُناسًا في المجْلس حتى انتهى إلى موضع فجلس فيه ثم لما تمَّ الوِرْد قام ذلك الرجل فسلَّم عليه ثم قال: ماذا صنعت يا مصطفى؟ فقال له: ما صنعت شيئًا، فقال له: ألم تَرَني أتَخَطَّ الناس؟ قال: بلى إنما وقع لي أني أحببت أن تكون روحانية مَن ذكرناهم حاضرة، فقال له: لم يتخلَّف أحد ممَّن أردت حضوره وما أتيتك إلا بدعوة والآن أُذِنَ لي في الرحيل وحصل الفتح والمدَد والرجل المذكور هو الوليّ الصوفيّ السيد محمد التافلاتي ومتى عبر السيد في كتبه بالوالد فهو السيد محمد المذكور، وقد رأى سيدي مصطفى البكري النبي (ص) وقال له: من أين لك هذا المدَد؟ فقال: منك يا رسول الله، فأشار أن نعم، ولَقِيَ الخَضِر عليه السلام ثلاث مرات، وعُرِضَت عليه قطبانية المشرق فلم يَرْضَها، وله مؤلَّفات نافعة كثيرة وقد أحيى الطريقة الخلوتية ولم يرَ أحد من عصره إلى الآن أحدًا من مشايخها نظيره.

وقال المرادي في سلك الدرر: مصطفى البكري الصِّدِّيقي الحنفي الدمشقي الأُستاذ الكبير والعارف الربَّاني الشهير، صاحب الكشف والواحد المعدود بألف، صاحب العوارف والمعارف، وُلِد بدمشق عام 1099 هجرية ونشأ يتيمًا واشتغل بطلب العلم وقرأ على مشاهير العلماء، ولازم الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي وقرأ عليه كتب التصوف لسيدي محيي الدين بن عربي الحاتمي وطرفًا من الفقه، وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي وسمعه مرة يقول: الجنيد لم يظفر طول عمره إلا بصاحب ونصف فقال له: وكم ظفرتم أنتم ممَّن يُوصَف بالتَّمام؟ فقال له: أنت إن شاء الله تعالى، ثم توفي الشيخ واجتمع تلاميذه عليه وجدَّدوا أخذ البيعة عنه فشاعَ خبره وذاعَ أمره وكثرت جماعته وانتشرت ألويته وسافر إلى بلاد كثيرة منها القسطنطينية وبلاد الروم والعراق وحلب والموصل وبلاد الشام ولبنان وبغداد والقدس ومصر والحجاز وفي كل هذه البلاد انتشرت عنه الطريق وعمَّ الإرشاد وزار مَن فيها من الأولياء أحياءً وأمواتًا وأقام في القدس مدة طويلة ولم يترك التأليف سفرًا وحضرًا.

ترك سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه مؤلَّفات عديدة نافعة:

. الروضات العرشية على الصلوات المشيشية.

. كروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني.

. فيض القدّوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام.

. اللمحات الرافعات غواشي التدهيش عن معاني صلوات ابن مشيش.

. الفيوضات البكرية على الصلوات البكرية لسيدي محمد البكري الكبير.

. المدد البكري على صلوات البكري صلوات أخرى غير السابقة لسيدي محمد البكري.

. الصلاة الهامعة بمحبة الخلفاء الجامعة.

. الهبات الأنورية على الصلوات الأكبرية لسيدي محيي الدين بن العربي.

. نيل نيل وفا على صلوات سيدي علي وفا.

اللمح الندية في الصلوات المهدية.

. الدّرّ الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق.

. النوافح القريبة الكاشفة عن خصائص الذات المهدية.

. الهدية الندية للأُمة المحمدية فيما جاء في فضل الذات المهدية.

. المنهل العذب السائغ لوراده في ذكر صلوات الطريق وأوراده.

. الدّرر المنتشرات في الحضرات العندية في الغرر المبشّرات بالذات العبدية المحمدية.

. اثنتا عشرة مقامة.

. اثنتا عشرة رحلة.

. سَبعة دواوين شعرية.

. ألفيّة في التصوّف.

. تسعة أراجيز في علوم الطريقة.

. شرح على الهمزية.

. شرح على قصيدة المنفرجة لأبي عبد الله النحوي.

. شرح على قصيدة الإمام أبي حامد الغزالي التي أولها:

الشدّة أودت بالمهَج

يا ربّ فعجّل بالفرج

. شرح على بيت من تائية ابن الفارض المسمَّى (رسالة رفع الستر والرّدا عن قول العارف أروم وقد طال المدى).

. الكوكب المحمي من اللمس بشرح قصيدة الجيلي سلاف تريك الشمس.

. المدام البكر في بعض أقسام الذكر.

. هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب.

. شرح على حزب الإمام الشعراني.

. شرح على ورد الوسائل.

. شرح على ورد الشيخ أحمد العسالي.

. الورد المسمى بالتوجّه الوافي والمنهل الصافي.

. أوراد الأيام السبعة ولياليها.

. الورد السحري الذي شاع وذاع وعَمَّت بركاته البِقاع، شرحه ثلاثة شروح أحدهما سمّاه الضياء الشمسي على الفتح القدسي في مجلدين ضخمين، والثاني رفيع المعاني سمّاه اللمح الندسي على الفتح القدسي، والثالث الذي لكشف أسراره باعث المنح الأنسي على الفتح القدسي.

. المطلب الروي على حزب الإمام النووي.

. الورد الأسنى في التوسّل بأسمائه الحسنى.

. ومن مؤلَّفاته السيوف الحداد في الردّ على أهل الزندقة والإلحاد، والفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب، وهذان التأليفان من أعجب العجاب لمن كشف له النقاب.

. تبريد وقيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو.

. مرهم الفؤاد الشجي في ذكر يسير من مآثر شيخنا الدكدكجي.

. الكوكب الثاقب فيما لشيخنا من المناقب.

. الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم.

. الفتح الطري الجني في بعض مآثر شيخنا عبد الغني.

. الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.

. عوارف الجواد التي لم يطرقهنّ طارق قد أبدع فيه وأغرب وجعله على ذكر حاله ووقائعه من ابتدائِه إلى انتهائه على طريقة الإجمال.

. الوصية الجنية للسالكين في طريق الخلوتية.

. النَّصيحة الجنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية.

. بلوغ المرَام في خلوتية الشام.

. الحواشي السَّنِيَّة على الوصايا الحلبية.

. نظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة.

. تشييد المكانة لمِن حفظ الأمانة.

. تسلية الأحزان وتصلية الأشجان.

. رشف قناني الصَّفَاني الكشف عن معاني التصوّف والمتصوّف والصَّفا.

. الثغر البسام فيمَن يجهل من نفسه المقام.

. الكأس الرائق في سبب اختلاف الطرائق.

. التواصي بالصبر والحق امتثالاً لأمر الحق.

. الوارد الطارق واللمح الفارق.

. الموارد البهية في الحِكَم الإلهية على الحروف المعجمة الشهيَّة.

. جمع الموارد من كل شارد.

. الكمالات الخواطر على الضمير والخاطر.

. الجواب الشافي واللباب الكافي.

. جريدة المآرب وخريدة كل سارب شارب.

. رسالة الصحبة.

. رسالة في روضة الوجود.

. شرح على رسالة سيدي الشيخ أرسلان.

. البسط التام في نظم رسالة السيوطي المِقدام.

. نظم أحاديث نبوية ومقدمة وأربعون حديثًا وخاتمة سَنِيَّة.
. الأربعون الموروثة الانتباه فيما يقال عند النوم والانتباه.
. برء الأسْقام في زمزم والمقام.
. لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال.
. بهجة الأذكياء في التوسّل بالمشهور من الأنبياء.
. الابتهالات السامية والدعوات النامية.
. التوسّلات المعظمة بالحروف المعجمة.
. الفيض الوافر والمدد السافر في ورود المسافر.
. سبيل النجاء والالتجاء في التوسّل بحروف الهجاء.
. ... الخ.

توفي رضي الله عنه ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام 1162 ودفن بالقرافة الكبرى خارج القاهرة وقبره ثَمَّ مشهور.

هذه الترجمة مُقتَبَسَة من كتاب (جامع كرامات الأولياء) لسيدي يوسف النبهاني رضي الله عنه شرح الصلاة المشيشية لسيدي مصطفى البكري رضي الله عنه المتوفَّ عام 1162 هجرية اسم هذا الشرح هو: اللمحات الدانقات للتدهيش على معاني صلوات ابن مشيش (أَللَّهمَّ) أي يا أَللهُ (صلِّ) أي أَثْنِ وشَرِّف وكرِّم (على مَن) أي الذي (منه) والضمير يرجع فيه إلى رسول الله (ص) بقرينة المقام أي من سرّه الأعظم ونور بدر كماله الأفخام (انشقّت) أي انفتحت عيون سماوات المعارف فاتَّضحت (الأسرار وانفلقت) صخرة برّ العوارف فبرأت (الأنوار وفيه) (ص) أي في حوز دائرة إحاطته الجامعة لكل شيء والممدّة لكل شيء بحسَب ما تعطيه حقائق ذلك الشيء مما قُدِّر له في الأزل فقسم له في حضرة الغيب الذي لم يزل (ارتقت) أي عَلَت وغلت (الحقائق) فوقفت عند حدودها ووثقت لدوام شهودها وعلمت به الأمر علمها هو عليه ولم تزل ترتقي إلا ما لا نهاية له ولا غاية لديه وكان هو المرقي لها في عظيم تلك المراقي والمغَذِّي لها بغذاء الأمداد والساقي، في البحر الذي سارت به فلك سائر الموجودات وأقلعت وأرْسَت فيه سفن الموهومات والمقبولات والمشهودات (وتنزلت) منه إليه أو به عليه (علوم آدم) الأسْمائية (فأعجز الخلائق) فهم تلك الأسرار الربانية فكيف لو أبرز علومهُ الذاتية التي قد خصَّه بها عالم الجهر والخفية، فعلوم آدم عليه

السلام من حضرة قاب قوسين، وعلومه (ص) من حضرة أَوْ أَدْنىَ المختص بها بلا مَين (وله تضاءلت) أي تصاغرت (الفهوم) العرشية وتقاصرت عن العروج إلى سدنته العَلِيَّة العلوم الفرشية (فلم يدركه) على التحقيق الأَتمّ والتدقيق الأعم الذي للشكوك ماح وماحق (منا) معشر الكائنات (سابق) في الرتبة والوجود (ولا لاحق) فيهما (فرياض) جمع روضة (الملكوت) مشتق من المُلْك كالرهبوت من الرهبة وهو عبارة عن عالم الغيب المختص بالنفوس والأرواح في الاصطلاح (بزهر) نور بديع (جماله) الفائق (مونقة) أي مبتهجة (وحياض) جمع حوض (الجبروت) مشتق من الجبر وهو القهر فهو غير مهموز، ويصحّ أن يكون من جبرت الفقير أي أغْنيته (يفيض) أي بسبب فيض (أنواره) المحمدية (متدفقة) أي منصبَّة، والفيض في اللغة يطلق على نيل مصر أو نهر البصرة فكأن الأنوار المحمدية لما كان مددها طام وإسعافها وإسعادها عاتمّ ويأتي بلطف ورحمة ولين على قدر معلوم ومقياس مكين سُمِّي فيضًا ولو جاء الفيض النِّيلي والنَّيْلي بضد ذلك لضاقت به المسالك وهلك السالك فالعطا بقدر ما يربح هو العطا فإن الشيء إذا تراسم تجاوز عن رسمه وحده وصف بضدّه وهو (ص) على حدّ ما قال صاحب الوتريات:

جوادًا إذا أعطاك أغناك جُودُه

بِحَارُ النَّدَى في كفّه تتموَّج

(ولا) نافية للجنس (شيء) اسمها (إلا) أداة حصر (وهو) أي الشيء (به) (ص) (منوط) أي متعلق (إذ) تعليل (لولا الواسطة) العظمى وبلوغه في الوساطة للمقر الأعزّ الأحمى (لذهب) أي فني وانعدم (كما قيل) أي قاله بعض الأكابر السَّلف ذوي القدم الراسخ من القِدَم (الموسوط) أي المستند إلى الواسطة فإن الأسباب والوسائط لا تنكر ومَن أنكرها فلجهله أنكر، حيث لم يتعرَّف بمعروفها بل تنكر (صلاة) منصوبًا بِصَلِّ (تليق) أي تصلح أن يعلق المادح غاياتها لكمالها (بك) أي بعلِيِّ صفاتك أن تهدي تلك الصلاة الكاملة (منك) أي من حضرة قربك الخاص (إليه) أي إلى ذاته الشريفة المقدسة التي هيَ في بحر النور الكمالي الذاتي منغمسة (كما) للتشبيه أو التعليل وما مصدرية أو موصولة (هو) (ص) (أهله) أي مستحق له (أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع) لكل سر محيط بالأسرار جامع إذ هو (ص) خطيب ذلك المنبر وإمام ذلك الجامع فإذا كان على الحقيقة هو دون غيره (الدّالّ عليك) والموصل مَنْ سبقت له منك العناية ولحظته عيون الهداية والرعاية إليك، فكل دليل سواه فإنه يرشد ويدي لكن من وجه لا من كل وَجْه معروفة لسيدي بخلاف هذا السيد المالك فإنه كذلك لجمعيته لكل ما هنالك مما يحتاجه السالك في كل المسَالك

(وحجابك) أي الستر الحاجز من وصول المهالك (الأعظم) أي أعْظَم الحجب المانعة من العبور في مهامه المحاوق التي ظلامها حالك وهو الحجاب الأعظم الذي يحجب مَن رامَ الدخول من غَيْر بابه ويطرد مَن أمل أن يستقي من لبابه بغير كأس اقترابه وقد أشار سيدي محمد البكري رحمه الله تعالى لهذا بقوله:

وأنت باب الله أي امرىء	أتاه من غيرك لا يدخل

وهو الحجاب الأعظم المانع للنار يوم الهول الأكبر أن تتهجّم إذ تنطلق وتفرفر على أهل المحشر، والحاجز الأكبر من الوقوع في الضلال والأخذ بيد أمته في سائر المواقف ذات الأهوال، ولما وصَفه بأنه الحجاب الأعظم الذي لا أرقى منه ولا أعْلى ولا أفخم علمنا أن مقامه الرفيع هو سدرة المنتهى المقامات فلا تقدر العقول العَرشية أن تتصوّره في حال من الأحوال إذ هو السماء الذي ما طاولتها سماء، وكل مَن سَمَا فيسمّونه سماء، ورحم الله الإمام الأبوصيري حيث قال وأبدع في المقال:

كيف ترقى رقيك الأنبياء	يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في عُلاك وقد	حال سَنًا منك دونهم وسناء

ثم قال المؤلف رحمه الله مؤيّدًا كونه الحجاب الأعظم وجعله وصفًا مُبينًا لمقامه الأقدم (القائم) على الدوام قيامًا كليًّا لا يماثله قيام (لك بين يديك) وفاءً بحق العبودية وإقبالاً كاملاً منه عليك بكامل الجمعية، وإذا كان دائم القيام في حضرة القيّوم كلّ مَنْ عداه عن التقديم للإرتقاء المحقّق المعلوم (ألَّلهمَّ ألحقني) إلحاقًا تامًّا ظاهرًا وباطنًا (بنسبه) الديني والطيني (وحقّقني) تَحْقيقًا عامًّا (بحسبه) الغيبي والعيني (وعرِّفني إياه) بمشاهدة محيَّاه وشرب حميّاه (معرفة) مفعول مطلق خاصَّته أمتاز بها عن أقراني وأجتاز بمددها كل مقام سبحاني ربّاني (أسلم) أي أنجُو (بها) أي بتلك المعرفة الخاصة (من موارد) جمع مورد وهو موضع الوِرُود (الجهل) ضد العلم فلا آتيه في ذلك البَتَّة الذي من جملة ما يدعو إليه العجب والتِّيه (وأكرع) أي أتناول بفمي (بها) أي بسبب تلك المعرفة (من موارد الفضل) والفَضْل هو الخير وإنما قابل الجَهْل بالفضل دون مقابله وهو العلم لأنه أعمّ وأشمل (واحملني) أي اجعلني محمولاً (على) متن شريعته (وسبيله) لأكون ممَّن يسير به لا ممَّن سار فإن الأول مُصان والثاني متعرّض للأخطار مُوصِلاً ذلك الحمل (إلى حضرتك) الرفيعة المنار (حملاً) مفعُول مطلق (محفوفًا) أي مَحُوطًا مَهُوفًا (بنصرتك) أي بعنايتك لئلا تصل إليّ يد القواطع والموانع ولأصرف بها كل صارف يروم صرفي عنك بمعرفة ما للصَّرف من المَوَانع (واقذف) أي ارم (بي على الباطل) الذي هو ضدّ

الحق (فأدمغه) أي فأمحقه بنور حقيقة تذهب باطليّته تبدو من فيض اسمك الحق فأكون للحق فلا يقابلني باطل إلا زهق وانعدم واندرس وأُوهِي بناؤه وانهدم فأُكسى بفضلك نورًا محضًا ولديه علوم أبرزتها يد العناية فلم تحتج محضًا (وزُجَّ بي) أي ادفعني برفق ولطف (في بحار) جمع بحر مشاهدة (الأحدية) وهي عبارة عن تجلِّي ذاتي ليس للأسماء والصفات فيه ظهور ولا شيء من مؤثِّراتها، والأحدية منْسوبة إلى اسمه تعالى الأحد، وهذا الاسم ذاتي وصفته الأحدية وكل مَن تجلَّى عليه الحق سبحانه وتَعالى بهذا التجلِّي استغرقه في عين الجمع المعَبَّر عنه بتجريد التوحيد واستهلكه في بحار التفريد فعاد صرْفًا ممحوًّا مطموسًا وسرًّا خَفِيًّا لا مجهورًا به بَلْ مهموسًا فهذا حال أهل الوِصال وكل مَن حظي به فليلته ليلة القدر ويومه يومُ جمعة إلى آخر الدهر، كما أن مَن تجلَّى عليه الأحد وأفرد له عن كل أحد عادت سائر لياليه يقال فيها ليلة الأحد، وكل مَن اجتمع بمحبوبه فاز بوصلة مرغوبه ومطلوبه قليل في سائر أيامه يوم الجمعة لأن بلوغ الأُمنية قد حصلت بجمعة وأنشأ لهذا سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه حيث قال:

وكل الليالي ليلة القدر إن دَنَت	كما أن أيام اللقاء يوم جمعة

(وانشلني) بيد عناية قدسية ورعاية أُنسية (من أوحال) جمع وحل وهو الطين الرقيق والمراد بها الشُّبُهات العَارضة للسيار في سلوك مفاوز (التوحيد) الخاص بالأخيار لأسألك ذلك الطريق بدون تعويق (وأغرقني) فضلاً منك وجودًا كي لا أرى لي اسمًا ولا وجودًا (في عين) أي حقيقة (بحر الوحدة) المقدسة العَلِيَّة لأفنى عن ملاحظةِ السِّوى وعني بالكلية (حتى) إلى أن (لا أرى) بعين بصري وبصيرتي (ولا أسمع) بسمع علانيتي وسريرتي (ولا أجد) وجدًا ووجدانًا (ولا أحسّ) كشفًا ظاهرفا وإيقانًا (إلا بها) أي بالوحدة فأحظى بقرب الفَرَائض والنوافل، وأرتقي بموارد التجلِّي الأعلى عن كل وصف سافل (واجعل) بالجعل التخصيصي (الحجاب الأعظم) الذي وصفه تقدَّم (حياة روحي) فأدرك بمدده السبوحي وأركب سفينة النجاة بذلك المشهد النوحي، وأقول لنفسي إن لمْ تدركي ذلك فسَحِّي الدموع وَنوحي، فإن هذا المذاق الشهودي الأعلى يفوق للذات التي مذاقها يوصف بالأحلى، وإلى هذه الخمرة المعنوية الصرفة الحلال يشير مَن اتّسم بأشرف الخِلال بقوله شعرًا:

على نفسه فليبكِ مَن ضاع عمره	وليس له منها نصيب ولا سهم

(وروحه) أي واجعل روحه المحمدية الممدّة لسائر الأرواح مشهودة لي يا مناح يا فتّاح (سر حقيقتي) وباطن دقيقتي فتقوى على حمل الموارد، ويخفّ عليها حمل كل سرّ شارد، وتسطع أنوارها عليَّ، وتلمع بوارق

أسرارها لديَّ، وأُعاينها في مركزها العرشي، وأغترف منها في تَنْزيلها الفَرْشي، وترفع بيني وبينها الغواشي بهذا الجعل التأييدي، وتطلع أضواء شمسها الباهرة في المنزل الوريدي، فأعرف بهذا الأمداد ذاتي، وأفوز بإسعادي وإرشادي، ويستقر قدم صدق عبوديتي في مقعد الصدِّيقية، وأتنعَّم في ذلك المشهد بالاتّصاف بالأوصاف العبدية، فروحه المحمَّدية هي المِمِدَّة لسائر الحقائق على قَدر استعداد كل واحد من الخلائق، والذي يجعل ذلك هو سارٍ في الظلام الحالك، وآخر يدرك وهو عالم بما هنالك، وآخر يدركن بذوق عليّ، وآخر بما هو أعلى منه ما لا يَتناهى من المسالك والأذواق الرفيعة التي كم فيها لذَّة هالك، مما لم يخطر على بال الكُمَّل، فكيف ببال بال كبالي وبالك، (و) اجعَل (حقيقته) المحمدية التي هي حقيقة الحقائق وينبوع الرقائق ومجموع الدقائق (جامع عوالمي) الظاهرة والباطنة لتستمدّ منه كل ذرّة من ذرّات وجودي، فيسمو بهذا الاستمداد شهودي وأعرف نفسي فأعرف مقصودي، وأُطلَق من حبسي وأُفَكّ من قيودي، إذ حقيقته (ص) دائرتها جمعت الأوائل والأواخر، وأحاطت بكل محاط مددًا واسعًا بغير حاجب ومانع وحائل، وأمدَّت كل شخص بما تقتضيه حقائقه وعوالمه فشقي مَن شقي وسَعِد الذي لجنابه مستند ومائل، فكلّ مَن أرشد ودعى فعن واسطته وعن فيضه متكلّم وقائل (بتحقيق) أي أقسم عليك وأتوسّل لديك في إجابة دعائي وقبول طلبي ورجائي بسرّ تحقيق (الق الأول) الذي هو القلم الأعلى والدرة البيضاء والعقل الأول والنور المقدَّم الذي عليه المعَوَّل المخاطَب: لوْلاك لَمَا خلقت الأفلاك، والمعنى أُقسم عليك بثبوت الحق الموصوف بالأوّلية التي ليس لها ابتداء، والأُخروية التي لا تنعت بالانتهاء، فيكونُ القَسَم به على بابه لأنه لا يقسم على الحق بغير صفات قدس جَنابه، ويصحّ القَسَم عليه تعالى بحبيبه الأقدم، على قول بعض مَن ارتقى وتقدَّم، ويقال جوابًا لمن منع القَسَم أنا أُقسم وأُريد التوسّل، وإذا أردت أن تدرك من تحقيق هذا المبحث مُناك فراجِع الروضات العرشية تجده هناك (يا أول) فلا أول لأوّليَّته (يا آخر) فلا آخر لآخريّته (يا ظاهر) فلا يخفى من حيث ما إلينا منه (يا باطن) فلا يدرك من حيث الذات والكُنْه (اسمع) أي تقبَّل واستجِب (نِدائي) فإنك أنت السميع القريب المجيب (بما) أي بالستر الذي (سمعت) أي قبلت واستجبت (به) الضمير راجع للسر (نداء) أي ابتهال وتضرّع (عبدك) المضاف إليك إضافة تشريف وتخصيص وتقريب وتنصيص (زكرياء) عليه السلام بْن برخيا من ولد سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام، وقيل: زكريا بن آزر، فعرض المؤلِّف رضي الله عنه بطلب الوارث الكامل ليكون لمقامه حافِظًا وحارسًا ولأسراره حامِلاً فرزق الذُّرِّيَّة الصالحة من صُلبه والآخر الناجحة الفالحة من وَلد قلبه (وانصرني بك) أي بمَددك

الأشمال (لك) أي لنصرة دينك الأكمل مع الفتح التامّ والمغفرة لجميع الآثام وهذا هو النصر العزيز الصادر من حضرة اسمه المهيمن والعزيز (وأيِّدني) أي قوِّني وسدِّدني (بك) أي بطولك وحَولك (لك) أي لأجل تسكين جأش مَنْ هَدَّ أركانه عظيمُ سطوة هولك لأكون وارثًا كاملاً محمَّديًّا وهادِيًا إلى صرَاط السبيل الاعتدالي مهديًّا (واجمع) يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه (بيني وبينك) في مقعد صدق عند نبيِّك لأُوافيه حقه، أُوفيه فأفوز بجمعية ظاهري وباطني عليك، بمدده يرفع كثيف أسرار ويوفِّقني دائمًا بين يديك وأحظى بالأمان والأماني والعَطاء الكاشف للغِطاء النفساني فإنّ مَن حصلت له حصل له كل شيء، ومن فُتْتَه فاته كل شيء (وحل بيني وبين غيرك) حتى لا أرى الأغيار، ما رأيت شيئًا إلا الله بترادف الأنوار، وأغيب بشهود بديع الجمال الرفيع المنار، عن ذوائب العَلائق وغرائب الملا والخلا الموجبة لرؤية الأستار، لتكون سماوات روحانياتي صاحية، وشموس حقائقي ورقائقي ضاحية، ويفتح لي باب الارتقاء، إلى منازل اللقاء والبقاء، ويجمع الشَّمل المشتت بالأحباب، ويزول التلهّف بالوصل والشك والارتياب، ولما سمع سيدي عبد السلام قدّس الله سرّه العزيز قول الحق جلَّ ثناؤه {قُلِ اللَّهُ}[(208)] قال (ألله) ثم نادته حقائق {وَاذْكُرُوا اللَّهَ}[(209)] فقال: (ألله) ثم هتف به هواتف {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ}[(210)] فقال: (ألله) ، فالمبتدىء إذا قال: ألله يلاحظ لا معبود سواه، والمتوسط لا مقصود إلا إيّاه، والمنتهي لا مشهود ولا موجود إلا قدس علاه، فالصادق إذا قال بخالص الطَّوِيَّة: ألله فتح له باب من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فيخلص بهذا العروج والولوج في الغيب، وإذا قال ثانيًا: ألله وهو أواه فتح له باب من عالم الغيب إلى غيبه وفتق من تقوق حبيبه، وإذا قال ثالثًا: ألله فتح له باب إلى غيب غيب الغيب المقدس واستقام بناؤه الذي على حضور الحضور في حضرة نور النور مؤسس، ثم إن المؤلّف رحمهالله أشار بآية ({إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(211)]) إلى أن الرجوع إلى الخلق لا يكون إلا بعناية من الحق، كما أن السير إليه لا يكون إلا بالجذبات التي تُدنِي الطالب وتُبقِيه في ترقِّيه لديه، وكل مَن رجع لحظ نفساني فهو هادِم لِما له باني، ولهذا ختم بآية ({ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض } [(212)]) فإن غيرك لا يقدر على ذلك أبدًا، بل أنت القادر لا سواك الفيَّاض على العباد سرمدًا، فنسألك ألَلّهمَّ بحبيبك الذي منحتنا به الاهتدا، وسائر إخواننا من النبيِّين والمرسَلين أئمة الاقتداء وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والسعداء والشهدا، أن تمنّ علينا بالقُرْب المنجِي من الرَّدى، والشراب الموصِل للانغماس في بحار الندى،

وأن لا تُشمِت بنا الأعدا، وأن تجعلنا ممَّن اهتدى وهدى، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما حاد حَدا، وعلى أتباعه وأحزابه ما صباح فلاح بَدَا، والحمد لله ختمًا وابتدا.

&#5؛ شرح آخر للعارف بالله الكبير سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه المتوفَّى عام 1162 هجرية اسم هذا الشرح هو: الروضات العرشية في الكلام على الصلوات البشيشية

وربّنا الفتّاح العليم: الحمد لله ربّ العالمين، حمد العامِلِين والعالَمين، حمدًا نكون به من المنعّمين، وعلى النفوس بالتزكية مُنْعِمِين، بِحَوْلِ ذي الحَوْل وقوّة ذي الطَّوْلِ المتين، لنسلك الطريق الواضح المبين، والصلاة والسلام على مَن جعل الله في صلاتِنا عليه صِلاتِنا، وفي تحيّاتنا عليه بقاءَنا وحياتَنا، إذ عنه كان الظهور وبسببه، وقد اتصل والحمد لله نَسَبُنا بِنَسَبِهِ وسَبَبُنَا بِسَبَبِه، فَبَقاؤُنا عن استمداده وإمداده، وحياتُنا الظاهرة والباطنة بواسطة إسعافه وإسعاده، فهو محمدنا المحمود وأحمدنا المقصود ومِعراجُنا الأقوم ومنهاجُنا الأفخم، وسِراجنا الأنور وتاجُنا الأفخر، ونورنا الأسنى ودستورنا الأدنى، الذي دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، بَحْرُ السّرّ الفجّاج وبرّ البر الوهّاج، الباب الأعلى واللُّباب الأغلى، مَظهر الحقائق ومُظْهِر الرقائق، مَشرعُ الشريعة والطريقة والحقيقة، ومُشَرِّعٌ أظهر كل لطيفة ودقيقة، سيدٌ سَادَ به كل ذي سيادة، وَزَادٌ زَادَ به نِيلُ النِّيلِ وتَمَّتِ الزيادة، عروس الحضرات وطروس النظرات، إمام كل إمام ومِقْدامٌ به عُرِفَ الوَرَا والأَمام، سِرُّ السّرّ الجامع الدّالّ عليه، وحِجابه الأعظم القائم له بين يديه، مفتاحٌ ظهر به سِرُّ الغيوب، ومِصباح طُهر من شرّ العيوب، برزخٌ كلِّيّ للسّرّ جامع، ونورٌ إلهيّ بالبرّ هامِعٌ[(213)]، مركز نقطة دائرة الوجود وسرّ حيطتها الشامخ، قُبَّة أرين الشهود ودُر خطّتها الشامخ، أمين الأسرار المطلسمة، وخدير[(214)] الأنوار المجموعة المقسّمة، كنز سرّ الأحدية، ورمز بِرّ الواحدية، مَنْ أَلْبَسْتَهُ أشرفَ حُلَّة[(215)]، وخصَّصته وجعلته للمَكرُمات جُلّة، ومنحتَه خُلَّة هي أعظم خُلَّة، ولم تجعل له إلى أحد خَلَّه، صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الذين كَشَفوا به عن وجوه المعاني، وارشفوا بعد كَشْفهم الطالِبَ العَانِي، وعلى التابعين وتابِعِيهم إلى يوم القيامة، ما تدرّع صبٌّ بِدِرْعِ الاقتداء حتى بلغ دار السلامة، وسلّم تسليمًا، وعَظّم تعظيمًا.

وبَعد... فيقول أفقر الأنام، وأفقر الخُدَّام، مصطفى بنُ كمال الدين الصدِّيقي نسبًا، الخلوتي الحنفي مذهبًا ومشربًا، قد ورد عليَّ كتاب جسيم نفيس، بعد عصر يوم الخميس، الثاني أو الحادي عشر شهر شعبان المبارك الغُرّة والآخِر، الحاوي بنسبته لسيد البشر أعظم المفاخر، الذي هو من شهور ألف ومائة وأربعة

وثلاثين من مُحِبٍّ وَدُود كدود، في صَلاحه كدود، حبُّه رابي، مشروبه صافٍ محققٌ ومشروبُ غيره كالشراب السَّرابي، أعني به صديقنا الشيخ عبد الله بن أحمد الشاذلي الشرابي، كان الله له وأفناه به عنه، وحَقَّقَهُ بشهوده وَفَكَّ قيوده مَنًّا منه، يتضمن طلب شرح الصلوات النبوية المنسوبة لابن مشيش الداني، من حضرات التهاني، وقد اعتنى بشرحها سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الهمام، والعارف الكامل المِقدام، فأحببت أن أُرسل إليه شرحه، ثم حُبِّبَ إليَّ أن أسرح سرحه، وأجتني من رِياضه الزاهرة، وأقتني بدائع غياضه الباهرة، وأضمّ إلى ذلك فوائد شرائد، تعود على مَن اعتدَّ بها بالعوائد، وصرت أقدم رجلاً وأُؤخر أخرى، لِعِلْمي أن عدم التقدم بي أحرى، إذ لست من أهل الميدان وفرسانه، وأبطاله المعدودين للشدائد المِدْلَهِمَّة المظلمة وشجعانه، غير أني مُعترِف بالقُصُور، مُغْتَرِف من بحر أهل المعالي والقصور، ثم إني استخرتُ الله واستجرت بجنابه من الخطأ والخطل والميل، ولُذْتُ وعُذتُ به من شهود القوة والحِيَل، وسمَّيتُ ما أكتبُه بالروضات العرشية في الكلام على الصلوات البشيشية، فالخروبي هو الشَّارح إذ هو الذي فتح هذا الباب، وأنا السَّارح في بستانه ألتقط منه الثياب، وحيث قلت: قال الشارح[(216)]: فهو المراد لأني لم أقف لغيره على شرح يشفي الفؤاد، وها أنا أشرع في المقصود، ومنه سبحانه أستمدّ عوائد الجُود، فأقول: اعلم أيها الأخ فتح الله منك الأسماع، ليحسُن لديك الاستماع، وخلَّصك من القيود المانعة القاطعة، وأشهدك عجائب الوجود التي أنوارها ساطعة، أن مؤلّف هذه الصلوات النبوية هو الأستاذ الكبير، والملاذُ الخبير، أبو محمد عبد السلام بن مشيش بالميم، وقيل: بالباء الموحّدة من تحت، مشرقيّ الأصل مغربيّ الوطن، فإنه ذكِيّ الفِطَن، والنَّسب الطاهر من بني الحسن، وهذا الإمام غنيٌّ عن التعريف إذ هو كنار على عَلَم، بَعُدَ صِيتُه في الآفاق فاستنارت به الظُّلَم، شهدت له بالكمال رجال وأيّ رجال، وعُدَّ من الأبطال، فما على الواصف له إن أَوْجَزَ أو أطال، أخذ الطريق عن أكابر منهم الشيخ عبد الرحمن المديني، ثم واحدًا بعد واحد إلى الإمام الحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين، وأخذ عنه أكابر أفراد، وسادة أمجاد، منهم الإمام الهُمام، والعارِف المِقدام، أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه، ومما يدلّك على علوّ شأن منشىء هذه الصلوات أخذُ مثل هذا الأستاذ عنه وتلقِّيه منه فإنه معدود من كُمَّل أفراد هذه الأُمَّة، الذين بهم استنار وجْه الدهر وانكشفت الغُمَّة، فيا له من سيد مَن اسْتند إليه نجى، ومَن اتّبع أثره بلغ به من ربّه ما رَجَى.

قال المؤلِّف (أللَّهمَّ) بمعنى يا ألله حُذِف منه حرف النداء وعُوِّض عنه بالميم للتعظيم والتفخيم هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون: أصله يا ألله أمّ بخير فكثر استعماله فحذفت الهمزة تخفيفًا وتركت الميم مفتوحة، ولا يقال: يا أللَّهمَّ لئلا يُجْمَع بيْن البَدَل والمبدَل منه وسمع في الشعر وأنكره الزجَّاج. قال سيدي محمد بن أمد الفاسي شارح الدلائل: قال الإقليشي: قال الإمام أبو ممد البَطْلَيُوسي يعني ابن السيد فيما قرأت عليه ومعْنى هذا أي ومعنى قول النضر بن شميل أنّ الميم في كلام العرب تكون من علامات الجمع ألا ترى أنك تقول عليه للواحد وعليهم للجمع فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدَّالَّة على الجمع في قولك: ضربوا وقاموا، فلما كانت كذلك زِيدَت في آخر اسم الله تعالى لِتُشْعِرَ وتوذنَ بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء الله تعالى كلها، فإذا قال الداعي: أللَّهمَّ كأنه قال: يا ألله الذي له الأسماء الحسنى، قال: ولأجل استغراقه أيضًا لجميع أسماء الله تعالى وصفاته لا يجوز أن يُوصَف لأنه قد اجتمعت فيه وهو حجة لما قال سيبويه. انتهى. يعني في منعِه وصفَه ولأجل ما تضمَّنه هذا اللفظ من عظيم الثَّناء يُوثَر ويُرغبُ في التوجّه به في الدعاء، وقيل فيه: إنه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئل به أعطى.

صَلِّ: أي أثْنِ أو شرِّف أو كرِّم أو عظِّم، أي اجعل رحمتك المقرونة بتعظيمك، وقد اختلف في معنى الصلاة فقيل: معناها الرحمة والرضوان من الله ومن الملائكة الاستغفار ومن الأُمِّيين الدعاء، وقيل: صلاته مغفرته، وقيل: رحمته المقرونة بالتعظيم، وقيل: تشريفه وتكرمته على أنبيائه ورحمتُه على مَنْ دونهم. قال شارح الدلائل: قال الحليمي في الشعب: معنى الصلاة على النبي (ص) تعظيمُه فمعنى قولنا: أللَّهمَّ صَلِّ على محمد أي عظِّم محمدًا والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذِكرِه وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الآخرة بإجزال مَثوبته وتشفِّيه في أُمَّته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: {صَلُّوا عَلَيْهِ}[(217)] ادعو ربكم بالصلاة عليه. انتهى. قيل: ولا يُعَكِّرُ عليه عطف آله وأزواجه وذريَّته عليه فإنه لا يمتنع أن يُدعى لهم بالتعظيم إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به. انتهى. لا سِيَّما وهم منسوبون إليه (ص) والدعاء لهم واقع بالتَّبع له، وقال أبو العالية: صلاة الله على نبيِّه ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة عليه الدعاء. قال ابن حجر: وهذا أولى الأقوال فيكون معْنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيهرم طلبُ ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلبُ أصل الصلاة، وقيل: إن المراد بالصلاة الاعتناء بشأن المصَلَّى عليه وإرادة الخير له وهو الذي ارتضاه الغزالي واستحسنه الزركشي في شرح جمع الجوامع لأنه قدرٌ مشترك، وصلاة العبد المأمورُ بها الدعاء بلفظ الصلاة خُصَّ الأنبياء بذلك تعظيمًا

لهم، ثم الصلاة تستعمل اسمًا وهي هذه التي اختُلِف في معناها وتكون بمعنى المصدر الذي هو صدورها ولهذا غايَرا في الصِّحاح والقاموس بينهما فقالا: الصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحُسْنُ الثَّناء من الله على رسوله وعبادةٌ فيها ركوع وسجود واسم يُوضَع موضع المصدر يُقال: صلَّى صلاة لا تصلية دَعى. انتهى بلفظ القاموس. ثم قال: والأمرُ في الآية حَمَلَهُ العلماء على الوجوب أي في آية {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ}[(218)]... وحكى الحافظ أبو عمر بن عبد البَرّ عليه الإجماع، وشَذَا ابن جرير الطبري فحَمَله على الاستحباب، وادَّعى الإجماع على ذلك القاضي عِياض وغيره، ولعلَّه أراد ما زاد على الواحدة وإلاَّ فقد خالف الإجماع لأن الإجماع منعقد على وجوبها في الجملة. انتهى. ولعلَّه أراد بالاستحباب مطلق الطلب الصادق بالوجوب والندب والله أعلم. ثم اختلف في ذلك الوجوب على تسعة أقوال ثم سرد الأقوال وذكر المواطن التي تُستَحَبّ الصلاة فيها عليه كيومِ الجمعة وليلتها والسبت والأحد والخميس وغير ذلك، ثم قال: وقال الكُواشي وطريق الأدب والاحتياط أن يُصَلَّى على النبي (ص) كلما ذُكِر. انتهى. ثم إنما يُصَلَّى على النبي (ص) بنيَّة القُرْبَة والاحتساب وقصدِ التعظيم (ص) بنيَّةِ القُرْبَة والاحتساب وقصدِ التعظيم ورجاءِ الثواب ولهذا كره العلماء الصلاة عليه في سبعة مواضع وهي الجماع وحاجةُ الإنسان وشُهْرة المبيع والعَشرة والتعجّب والذبح والعُطاس على خلاف في الثلاثة الأخيرة، وذكر اليخ يوسف بن عمر الأكل بدلَ شُهْرة المبيع وزاد الرصاع ما يصدر من العوامّ في الأعراس وغيرها من اشتهار أفعالهم للنظر إليها بالصلاة على النبي (ص) مَع زيادة عدم الوقار والاحترام بل بِضَحِك ولعب ثم ذكر من المواضع التي نُهِي عن الصلاة عليه فيها الأماكنُ القدرة وأماكن النجاسة والله أعلم، وقال شارح الدلائل في حدائق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار (ص) الحديقة الخامسة في الثمرات التي يَجْتَنيها العبد بالصلاة على النبي (ص) والفوائد التي يكتسبها ويقتنيها ثم سَرْد اثنين وأربعين فائدة، ثم قال: ويأتي للمؤلف أن الصلاة على النبي (ص) تُكْسِب الأزواج والقصورَ أيضًا، ويَأتي في الحديث أنها تعدل عِتْق الرِّقاب. انتهى. وقال سيدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري رضي الله عنه في مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتّاح: واعلم أن الذِّكر على قسمين ذكر لا يتضمن المناجاة وذكر يتضمنها وهو أبلغُ وأشدّ تأثيرًا في قلب المبتدىء من الذِّكر الذي لا يتضمن المناجاة لأن المناجي يُشْعِر قلبه قُرْبَ مَن يُناجيه وذلك مما يؤثِّر في قلبه ويُلبِسه الخشية، فإن قوله: أللَّهمَّ صَلِّ ذِكرٌ ومُناجاةٌ لأنه يسأل الصلاة وذلك مُناجاةٌ ولا تكون إلا لحاضِرٍ أنت بين يديه ولعل سِرَّ مشروعيّة الصلاة على الأنبياء أن روح الإنسان ضعيفةٌ، لا تستعد لقبول الأنوار الإلهية فإذا استحكمت العلاقة بين روحه

وروح الأنبياء بالصلاة فالأنوار الفائضة من عالم الغيب على أرواحِ الأنبياء تنعكس على أرواح المِصَلِّين عليهم. انتهى. ومن الفوائد المأثورة عن أهل الخواص من الخواصّ وخواصّ الخواصّ أن مَن صلَّى على النبي (ص) كل ليلة ألف مرة كثرت رؤيته للنبي (ص) ومَن ذكر اسمه محمدًا كل ليلة اثنين وعشرين مرة كثرة رؤيته له (ص)، فإن قلت: لِمَ أجمع الأشياخ على تلقين المريدين ذكر لا إله إلا الله والله وهو وغير ذلك من الأسماء ولم يلقّنوا المريد الصلاة والتسليم على الحبيب العظيم قلنا: الجواب ما قاله الشعراني رضي الله عنه في مَدارج السالكين. ثم اعلم يا أخي أن مثالَ جِلاءِ ذكر الله لصدأ القلوب مثل الحصَى للنحاس المصدِّي ومثال جلاء غير الذِّكر من سائر القُرُبات مثال جلاء النحاس المصدِّي بالصابون فأين الجِلاء من الجلاء، فهذا سبب إجماع المشايخ المتقدِّمين والمتأخِّرين على أمر المريد بالذِّكر دون غيره وكان ذلك منهم نصحًا وتقريبًا للطريق على المريدين. انتهى. فإن قلت: الصلاة على النبي (ص) تُغْني عن المرشد وغيرُها ليس له هذا الحكم قلنا: نعم، لكن الذِّكر بلا إله إلاَّ الله مثلاً مع وجود المرشد يُكْشَفُ للمريد به في جمعة والصلاةُ بدونه يُكشف له بها لكن بعد سنة والمقصود سلوك الطريق الأقرب وهي مع وجوده إذا كانت عن أمره أقرب لأنه لا يأمر المريدَ إلا بما هو أنفع له ولهذا قيل: يُؤْمَرُ المريد المسرف على نفسه أولاً بالاستغفار ثم بالصلاة والتسليم على السيد المختار ثم يُلقَّن بعدهما الأذكار ليكون قد تنوَّر قلبُه وأشرق لبُّه فيستيقظ من سِنَة النوم وينصبغ بحليةِ القوم، والطرائق على عدد أنفاس الخلائق لكن طريق الاشتغال بذكر الله مع جمع الهَمِّ والقلب على الله وحُسْن الأدب في الالتجاء إلى الله وامتثال الأوامر واجتناب النواهي أقرب الطرق الموصِلة إلى الله تعالى.

على مَنْ: أي الذي.

مِنْهُ: أي من فرط ظهور أسراره في سائر أحواله وأطواره وأراد به السند الأعظم والسيد الأفخم لأنه هو الذي منه.

انشقَّت الأسرار: أي اتّضحت غُيُوبُها وانفتقت جيوبها، والأسرار جمع سرّ وهو في الاصطلاح لطيفةٌ مُودعةٌ في القالَب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة، وقال القشيري رضي الله عنه: وقالوا: ما السّرّ ما لك عليه إشرافٌ وسِرُّ السرّ ما لا اطّلاع عليه لغير الحق، وعند القوم على موجب مواضعتهم ومقتضى أحوالهم السرُّ ألطف من الروح والروح أشرف من القلب، ويقولون الأسرار مُعتَقة عن رقّ الأغيار وعن الآثار والأطلال، ويطلق لفظ السّرّ على ما يكن مَصونًا مكتومًا ما بين العبد

والحق تعالى في الأحوال ويحمل قولُ مَن قال: أسرارُنا بِكْرٌ لمْ يفضّها وَهْمُ واهِم، ويقولون صدور الأحرار قبورُ الأسرار، وقالوا: لوْ عَرَفَ سِرِّي زِرِّي لطَرَحْتُه. انتهى.

وانفلقت الأنوار: أي ومنه استبانت الأنوار جمع نور وهو الضياء، وفرَّق بعضهم بين الضياء والنور بأن الضياء ما أنار بالذات والنور ما أضاء بالعرض قال الله تعالى: { ش ص ض ط ظ ع غ }[(219)] فنورُ القمر مُستَفاد من نور الشمس عند المقابلة، وقال السيد الشريف في التعاريف والنور كيفية تُدركها الباصرة أوَّلاً وبواسطتها سائر المبصرات، وقال سيدي أحمد زروق: الأنوار والتجليات العِرفانية والوارِدات الإلهية التي ينكشِف بها الحق والباطل عند تجلِّيها فتكون مطايا القلوب إلى حضرة عالِم الغيوب ومطايا الأسرار إلى حضرة الملك الجبار. انتهى. وإنما كان اشتقاق الأسرار منه لأن ما من سرّ ظهر أو سيظهر إلا عن واسطته جَهِل ذلك من جهله وعَلِمَه مَن عَلِمَه، فهو سرّ الأسرار ونور الأنوار ولهذا كان انفلاقُها عنه وفي الحديث (أولُ ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء) وعنه (ص) يخاطب جابرًا رضي الله عنه أن الله تعالى خلق قبل الأشياء نُورَ نبيّك من نوره. قال شارح الدلائل: وأما اسمه (ص) نور فقال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ}[(220)]، قيل: محمد (ص)، وقيل: القرآن فهو (ص) نور الله الذي لا يُطفى ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولا يُشكِل على تفسيره بالنبي (ص) إفراد الضمير بعده في قوله: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ}[(221)] مع تغايُرهما وعطفهما بالواو دون أو لأنهما كالشيء الواحد وهدايةُ أحدهما عَيْنُ هداية الآخر، وقد صرَّح القرَّاء في تفسيره بجواز مثله جوازًا مطَّرِدًا وبه ورد القرآن في آيات كثيرة وقال الله تعالى: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ}[(222)] الآية، قال كعب وابن جبير وسهل بن عبد الله: المراد بالنور الثاني هو محمد (ص)، فقوله: {مَثَلُ نُورِهِ} (3) ، أي نور محمد (ص)، وحقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره. انتهى. وهو أصل الأصول ووصل الوصول والإمام المقدَّم على كل مَن تقدّم وإلى هذه الإشارة بقوله (ص): «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد»، وبقوله: «أنا سيد الناس يوم القيامة»، وبقوله: «أنا سيد العالمين»، وهو كما قال سيدي محمد البكري رضي الله عنه فثي صلواته النبوية: (عبد الله ونِعْمَ العبد الذي به كمال الكمال، وعابِد الله بالله بلا حول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال، الداعي إلى الله على صراط مستقيم، نبيّ الأنبياء ومُمِدّ الرُسُل عليه بالذات وعليهم منه أفضل الصلاة وأشرف التسليم)، فقوله: نبيّ الأنبياء يشير إلى أنهم نوّابه وخلفاؤه وهو الداعي على الحقيقة من الابتداء إلى الانتهاء. قال شارح الدلائل: قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعبه: فقد أعلمك رضي الله عنه ـ يعني أمير المؤمنين عليّ بن

أبي طالب رضي الله عنه . في عبارة طويلة له سردها أن النبي (ص) عُقِدت له النبوة قبل كل شيء وأنه دعى الخليقة عند خلق الأرواح وبدء الأنوار إلى الله تعالى كما دعاهم آخِرًا في خِلقة جسده آخر الزمان، ومن هذا المعنى قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} الآية إلى قوله تعالى: { 7 8 9 }[(223)] إلى آخر المعنى، فقد آمَن به الكل، فهو آدمُ الأرواح ويَعسُوبها كما أن آدم أبو الأجساد وسببُها، ثم قال: انظر إلى قوله عزَّ وجلَّ: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا *}[(224)] والعالمون هم جميع الخليقة فقد أنذر الخليقة أجمع وآمَنَ الكل به في الأوّلية والآخرية وانتقال النور في جميع العالم من صُلْب إلى صُلْب فافهم. انتهى. وقد تكلم الشيخ تقي الدين السبكي على هذا المعنى وقرّره ثم قال: وبهذا بانَ لنا معنى حديثين كان قد خَفيا عنّا، أحدهما قوله (ص): «بُعِثْتُ إلى الناس كافّة» كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبانَ أنه جميعُ الناس أولُهم وآخرُهم، والثاني قوله (ص): «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد»، كنا نظن أنه بالعِلْم فبانَ أنه زائد على ذلك. انتهى. قال: وقال الشيخ أبو عثمان الفرغاني فلم يكن داعٍ حقيقيٌّ من الابتداء إلى الانتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية التي هي أصل جميع الأنبياء وهم كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته، فكانت دعوتُهم من حيث جُزْئيتُهم عن خلافةٍ من كلهم لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوةَ الكل لجميع أجزائه إلى كليّته والإشارة إلى قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ}[(225)] والأنبياءُ والرُّسُل وجميع أُممهم وجميع المتقدِّمين والمتأخرين داخلون في كافّة الناس فكان هو داعيًا بالأصالة وجميع الأنبياء والرُّسُل يدعون إلى الحق عن تبعيّته (ص) فكانوا خُلفاءَه ونُوَّابَه في الدعوة. انتهى. وفي البردة:

وكل آيٍ أتى الرُّسُل الكرام بِها	فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها	يُظهرن أنوارها للناس في الظلم

والشيخ عبد الجليل هو السابق على كل هؤلاء. انتهى. وقال ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الهمزية عند قوله:

أنت مِصباح كل فضل فما تصدر	إلا عن ضوئك الأضواء

كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وإن تأخر وجودك عن جميع الأنبياء لأن نُورَ نُبُوّتك متقدِّم عليهم وعلى جميع المخلوقات وشاهدُه حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه يا رسول

أَخْبِرْنِي عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء، قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره فجعل ذلك النور يَدُورُ بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوْح ولا قلم ولا جنّة ولا نار ولا مَلَك ولا سماءٌ ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنّ ولا إنس فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول حَمَلَة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث نور أُنْسِهِمْ وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله الحديث، وصحَّ حديث «أولُ ما خلق الله تعالى القلم» وجاء بأسانيد متعددة أن الماء لم يُخْلَق شيء قبله ولا يُنافيان ما في الأول في نور نبيّنا لأن الأول فيه غيرة نِسْبِيَّةٌ وفيه حَقِيقيّة فلا تعارض، وفيه حديث عند ابن القطّان كنتُ نُورًا بين يدي ربِّي قَبْل خَلْق آدم بأربعة عشر ألفِ عام، وفي الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمعُ في جبهتِهِ فيغلِبُ على سائر نوره الحديث، وصحَّ حديث متى كُنْتَ أو كُتِبْتَ نبيًّا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد، وليس المراد من ذلك التقدير لأن غيره كذلك، بل الإشارة إلى كون روحه العَلِيَّة قد ثبت لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الأرواح إذ ورد أن الأرواح خُلِقَت قبل الأجساد بألفي عام، وفي حديث عبد الرزاق السابق تأييدٌ لِما قيل أنه تعالى لما خلق نور نبيّه (ص) أمره أن ينظر إلى نور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فَغَشِيهم من نوره ما أنْطقهم الله به وقالوا: يا ربّنا مَنْ غَشِيَنا نوره؟ فقال: هذا نور محمد بن عبد الله إنْ آمَنْتُمْ به جعلتكم أنبياء قالوا: آمَنَّا به وبنبوّته فقال الله تعالى: أشهَدُ عليكم، قالوا: نعم، فذلك قوله تعالى: { ' ( ) * + ، - . / 0 } إلى {مِنَ الشَّاهِدِينَ}[(226)]، وفي هذه الآية كما قال التقي السبكي من التنويه بقدرة العَلِيّ ما لا يخفى وفيها مع ذلك أنه على تقدير مجيئه يكون مُرسَلاً إليهم وإلى أُمَمِهِمْ فتكون رسالته عامّة لجميع الخلق فهو نبي الأنبياء ولذا كانوا كلهم يوم القيامة تحت لوائه (ص). انتهى. فما انشقَّت الأسرار إلا عن انشقاق قَمَرِ ظهوره ولا انفلقت الأنوار إلا عن انفلاق بَحْر رَفْعِ سُتوره إذ هو سرُّ حقيقة قَبْضة النور والدُّرَّة البَيْضَا، والفَيْضُ الأقدسي الكلِّي الذي فاضت منه الحقائق فَيضًا، وعنه ظهرت مراتب الوجود وانتظمت في هذه الأسلاك لأنه المخاطَب بقوله: (لولاك لولاك ما خلقتُ الأفلاك)، وقد حَقَّقَ سُلطانُ المحَقِّقين سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه المتين على أن كل ما برز من

الموجودات فَعَنْه، لظهور حقيقة منه في كتاب (عنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب) بعبارات رشيقة وإشارات رقيقة، فمَن أراد العثور على بدء الظهور، فلينظر هنالك، سالك أحسن المسالك. ولما كان سرّه السرّ الإلهي، ونوره النور الكلّي، كان هو السابق اللاحق، والنّور الأتمّ الذي للظلام ماحق، حتى إن جسده الشريفَ الصُّوريّ، المنيفَ اللطيف النوري، الذي حبُّه على الخلائق فرض، كان لا ظلّ له يقع على الأرض، لأنه نور وافٍ وافر، وظهور ساقٍ سافر، وهو النور الظاهر، بمظهرية اسمِه النور الباهر، فمَن أراد دخول حضرة النور، فليلتجِ لجنابه، وليقف وقفة الخاضع الذليل ببابه، ولْيَلْزَمْ باب اتّباعه، لكي يُعَدّ من أتباعه، فمَن اتبعه أحبّه الله وبصَّره، ومَن أحبّه كان سمعه وبصره، فَيُمْسِي نورًا بَحْتًا، وينحَتُ قوافي الأسرار نَحْتًا، فيكون داعيًا إلى الله على بصيرة، حيث صَفَت منه السريرة وصحَّت البصيرة، ولقد أودعت شرح الوِرْد المسمى بالضِّياء الشمسي على الفتح الفاسي قصيدة في هذا المعنى وطيب هذا المغنى وهي:

حضرةُ النورُ تُكْسِبُ الأنوارَا	وهو يَمْحُو من الفتى الأثارا
يدَّعي أهلها التحقّقَ فيها	وهي في العزّ والعُلا لا تُجاري
عَبْدُها عندها مقيمٌ يراها	حين تُجْلى عليه مِنَّا جِهارا
تتجلى فيها مِلاحُ المعاني	للمُعَاني حتى تُريه النهارا
فَيْضُهَا الأقدسيّ يُفْنِي الدّياجي	سُحْبُهُ في العَطا تَفُوقُ البحارا
فَارْمِ ثوب الظلام عنك لتُكْسَى	حُلَّة النور فالظهور أنارَا
واشهدِ النورَ يَفِدُ وفي كل شيء	عن جمالٍ له أَزاحَ الخِمَارا
وَخُذِ اللبّ ثم للقِشر فَاحْفَهُ	وَاحْتَسِ الكَأْس إنْ مُدِيرًا أدَارا
هذه حضرةُ الهَنى والتَّصابي	فادخلوها ثم اكْتُموا الأسرارا
وإذا ما دَخَلْتُمْ لِحِماهَا	نِلْتُمُ العزَّ والمنَى والفَخَارا
فاشكروا نعمة الإله عليكم	وأَفِيضُوا مِنْ مائِكُمْ مِدْرارا
وأطلِقوا للحصيْر في أرْضِ نَفْسٍ	ثم فُكُّوا مِنَّا قُيُودَ الأَسارى
ثم زَكُّوا أَمْوال ما نِلتموه	مِنْ نَوالٍ من منع ذلك حَذَارا
وصلاة على الحبيب التهامي	ما به المسْرِف الكئيبُ استجارا

وسلامٌ عليه في كل وقت	ما تبدَّا سرّ وسرّ توارى
وعلى آله وصحب كرام	قد محَى عنهم المنَى الأوزارا

واعلم أن كمال كل إنسان على قدر اتّصافه بالكمالات الإلهية فكلما عَظُمَ اتّصافُه عَظُمَ قدره، وتُمِّم بدره، وكان مظهرًا كاملاً، محمولاً حاملاً، ولا أعظم تعلّقًا وتحقّقًا وتخلّقًا بالأسماء الإلهية في أهل هذه النشأة الإنسانية من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، فكلما زاد زاد العلم والعينُ والحق، نَمَا اليقينُ وسَمَا ولصاحبه بالسابقين أَلْحَق، ولا بدَّ بعد كمال هذا الاتّصاف من غلبة اسم كامل على الكامل يكونُ حكمُه غالبًا عليه، ويُنْسَبُ إليه، وعلى قدر سعة هذا الاسم تكون سعة صاحبه فإن حيطة اسم الرّبّ والمِلِك فوق حيطة الرزّاق والغفَّار والقابض والباسط مثلاً، وحيطة اسم الرحمن أوسع منهما، فمَن كان الغالب عليه اسم الرحمن كان له على ممّا عداه ما خلا اسم الله فإنه أعظم حيطة منه ولذا كان اسمُ نبيِّنا (ص) الغالبَ عليه الله والاسمُ الأغلبُ على الخليل عليه الصلاة والسلام اسمَ الرحمن ولذا كان أرفع الأنبياء ما عدا نبيّنا (ص)، ومن هنا كان نبيِّنا (ص) أعظمَ الخلق وأرفَعَهم لرِفعَةِ حيطة اسمه الغالب عليه ورجوع سائر الأسماء إليه، فما انشقَّ سرٌّ إلا منه، ولا انفلق نور إلا عنه، لأنه الخليفة على كافّة الخليقة، ولا ظهر ما ظهر ولا بَطن ما بَطن إلا بواسطته، وإذا حَقَّقْت النظر، وكنت ممّن استبصر، عرفتَ من هنا تَفاوتَ مراتبِ الورثة في القرب وأفضلية الأزمان والأماكن وعلمتَ أن مَرجع ذلك إلى عِظم الاسم المتجلّى به على العبد والزمان والمكان، وعرفت سرّ الاختلاف والاتفاق فإن أثر تجلّي اسمه المعطي يُضادّ المانع، وسرّ التنازع الحاصل بين أهل القرب فإنه عن تنازع الأسماء والغلبةُ لمن حيطةُ اسمه أكبرُ أكثر، وقد تكون للثاني لسِرّ القضاء والقدر، والله يرزقنا وإيّاك حُسْن الفهم والتسلم، لنخلُصَ من ورطة الاعتراض الذميم. ثم قال رحمه الله تعالى.

وفيه: أي وفي أمداده (ص).

ارتقت: أي ارتفعت لانتسابها له واستمدادِها منه.

الحقائق: جمع حقيقة وهي من حَق إذا ثَبتَتْ وحقيقة كل شيء ذاته. قال في التعاريف حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف مثل الضاحك والكاتب مما يمكن تصوّر الإنسان بدونه، وقد يقال إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحقّقِهِ حقيقةٌ وباعتبار تَشَخُّصِهِ هُوِيَّة ومع قطع النظر عن ذلك ماهيّة. انتهى. إذ هي تابعة له والتابع يشرفخ على قدر شرفِ متبوعه مُستمدَّةٌ منه آخذةٌ عنه، وبذا ارْتَقَتْ من عالم العدم إلى عالم الوجود ومن عالم الغفلة والغيبة إلى عالم الحضور والشهود ومن عالم الحجاب إلى

عالم الاقتراب، فعمَّ إمداده، وطمّ إلى أعلى عِلِّيِّين إرشادُه، إذ هو الرحمة العامّة والنعمة التامَّة، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *}[(227)] فعمَّتْ رحمةُ إرساله الجاهلين والعالِمين، قال سيدي أبو العباس المرسي قدّس الله سرّه (جميعُ الأنبياء خُلِقوا من الرحمة ونبيّنا (ص) عَيْنُ الرحمة)، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *} (1) . انتهى. ولما كسَر المشركون رباعيته يوم أحد وجرحوا شفَته وشجّوا جبهته وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى سقط لشِقِّه في بعض الحُفَر والدم يسيل على وجهه كل ذلك في ذلك اليوم فَشَقَّ على أصحابه مشقَّةً شديدة وقالوا له: لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أُبعَث لَعَّانًا ولكن بُعِثْتُ داعيًا ورحمة، أللَّهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». قال ابن حجر: أي اغفر لهم هذا الشيءَ المخصوص لا مطلقًا وإلا لأسلموا كلهم ذكره ابن حِبان وإنما دَعَى عليهم يوم الخندق بأن الله يملأ بطونهم نارًا لأنهم شَغَلوه عن الصلاة الوُسطى فكان الدعاءُ لله لا لحظّ نفسه. انتهى. وحيثما كان رحمةً مُرسَلَةً ونعمة غيوثُها مُرْسَلة ارتقت فيه سائرُ الحقائق العُلْوية والسّفلية، وانفتَق به رَتْقُ الرقائق الفَرْضِيَّة والنَّقْلية، لأنه كشَفَ لها عن الأسرار، وأرْشَفَها خِمرَ العيان بعد رفع سِرِّ الخمّار، فألزمَها الحجّة، لَمَّا بَيَّنَ لها المحَبَّة، فَمَنْ أَمَّهُ وبه اقتدى، سعِدَ واهتدى، ومَن حَادَ عن سَوَاءِ طريقِه، حُجِبَ عن سَنا القُرْب وبَريقه، وهذا ارتقاءٌ خاصّ، خُصَّت به الخواص، وما قدّمناه من الارتقاء من عالم إلى آخر هو العام، الشامل للخواص والعوام، وأيضًا فإن الحقائق لما كان ظهورها عن ظهوره، وبُدُوُّ نورها عن بدُوّ نوره، ارتقت بنسبتها له في الأزل، لكن منها مَن استقام على ارتقائه، ومنها ما هَبَطَ ونزل، فكل حقيقة باعتبار أصل الفطرة راقيةٌ وصاحبها مُرْتَقِي، وباعتبار ما جرى به التقدير الأزلي إما سعيد أو شقيّ، ففي الحديث «كل ولود يولَد على الفطرة حتى يُعربَ عنه لسانُه فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه، ولما كان هو الباب الذي منه الوُلوج، والسُّلَّم الذي بواسطته العُرُوج، لم يَرْتَقِ مُرْتَقٍ إلا بترقِّيه، ولم يَتلقَّ مُتَلَقٍّ إلا عنه تلقِّيه، ولَمَا عرف الصديق ذلك، واغترَف من شراب هذه المسالك، قال لابنته الصِّدِّيقة عند نزول البراءة الوثيقة (اشكري رسول الله) فقالت: (والله لا أشكر إلا الله) دَلًّا على المقام الأكمل فَمالَتْ إلى مقام الجمع الأشمل لِغَيْبَتِها في ذلك المشْهَد عن هذا المقام الأوحد، وفي الحديث «مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله» لأن إنكارَ الوسائط، بالنسبة لِلْحُجُبِ الزُّجَاجِيَّة كالحائط، إذ هي لا ترتفع، وبدونها براقع الفؤاد لا ترتفع، فإن ظهور النور والسرّ المصون بِغَيْرِ مَظْهَرٍ لا يَكون، فهو البرزخ الثابت، الذي بأثمار الإمداد ثابت، ولو أمكن الوصول بدونها إلى الجميل الجليل، ما احتاج الحبيب لواسطَتِه جبريل، وكان له (ص) طريقان في التلقِّي؛ أحدهما في

الظاهر والثاني في الباطن فالأول عن جبريل عليه السلام، والثاني عن ربّه ذي الجلال والإكرام، فكان من هذا الطريق يُسابِق جبريل في القرآن فخاطبه الحق سبحانه بقوله: { ﷲ . } [(228)] الآية لأن فيها تخجيل الواسطة، فقال: «أدَّبني ربِّي فَأَحْسَنَ تأديبي»، فهو واسطة جبريل باطنًا وجبريل واسطتُه ظاهرًا. قال الجيلي رضي الله عنه في الإنسان الكامل في آخر الثالث والخمسين منه: ثم إن العقل الأول المنسوب إلى محمد (ص) خَلَقَ الله جبريل منه في الأزل وكان محمد (ص) أبًا لجبريل وأصلاً لجميع العالم، فاعلم إن كنت ممَّن يعلم، فديت مَن يعلم فديت مَن يعقل، ولهذا وقف جبريل في إسرائه وتقدَّم وحده، وسُمِّي العقل والروح الأمين لأنه خزانةُ علم الله وأمينُه، ويسمَّى بهذ الاسم جبريل من تسمية الفرع بأصله فافهم والله تعالى أعلم. انتهى. فالترقِّي ليس إلا عن إمداده والتلقِّي ليس إلا من إسعافه وإسعاده، فإنه (ص) ما قُرب مُقَرِّب إلى مَقَرّ قربه، وقد أقرَّ الكل بالعجز عن الدنوّ إلى مقام قُربه، فالأدنى لا تَلَقِّي له إلا عن الأعلى، فمَن علم ذلك كان صاحبَ كشف أغلى، فَعَلى قَدْر المسامَتة لحضرة التقريب، يكون الإمداد من الحبيب، فإن مَن دخل حضرة الإمداد، من الأفراد، أخْبَرَ أن قدم السيِّد الأكمل يراه فوق رأسِه فإذا سامَتَه مُسامتة تامّة كان من الكُمَّل لكمال استعداده، وتمامِ فَيْض إمداده، ومَن لم يُسامته كان له من المدِدِ على قدر قربه من القَدم المحمدي الشريف، الذي حصُلَ به التكميلُ لكل كامل والتشريف لكل شريف. قال الجيلي قدّس الله سرّه في كتابه لوامع البرق الموهِن في معنى (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلبُ عبدي المؤمن) الحضرة التاسعة والثلاثون حضرة التكميل: اعلم أيّدك الله تعالى أن العبد يعجز عن تحقّقه بمقام الكمال المطلق فيكاد أن يَفِرَّ لأنه يجد الطريق مُصمتًا لا مَنفَذ فيه فَيُجْلى عليه النبي (ص) بذلك الكمال الذي عجز هذا الوليّ عن التحقّق فيَصرف الوليُّ كلمةَ الحضرة إلى النبي (ص) ويشهَدُهُ في ذلك الكمال فيَقرب من قَابِلِيَّةٍ وفِيَّةٍ من قابليّة الوليّ فيقوى بواسطته على التحقّق بذلك الكمال فيكملُه النبي (ص) بأن يتصدَّق عليه بدوام بروز رقيقةٍ بعد رقيقة ليكمُل في كل مقام ويتقوّى به لِما يستحقّه من ذلك المقام، فالتكميل لكل كامل إنما يكون من الحضرة المحمدية عَلِمَ بذلك مَن عَلِمه وجَهِل ذلك مَن جهله. انتهى. واعلم أيها المريد، للمراد المريد، الطالبُ للمزيد، من كل أمر حميد، أنك إذا توجَّهت بكل كلك، وذلّ كلك، إلى باب مطلوبك الأعظم، ولُذْتَ بجنابه الأفخم، وكان توجّهك كليًّا، جَلِيًّا خَفِيًّا، عُدت بالأسرار مَطِيًّا، وبالأنوار غنيًّا، وسِرْت سيرًا سَوِيًّا، وكنت على حمل أعباء الولاية قويًّا، فإن الطالب عزيز والمطلوبَ أعزّ، فمَن أقبل ببعضه عليه صَعُب السلوك وعزَّ، فأجِب بكُلِّك داعيَ الحق الأكبر، فإن مَن سقط عليه فعلى الخبير سَقَط

بل على الأخبر، فالإقبالُ على الداعي بالكلِّيَّة، يُرقَى الطالبَ المقاماتِ العَلِيَّة، فكل مَن أجاب الحق إلى ما دعاه إليه، أجابه الحق لكل ما سأل وأقبل عليه، ولما كان الحبيب الأعظم أسْرَعَ مُجيبٍ أجابَ كمالَ الإجابة، رفع الحق مقداره، وأعلى مناره، وأجاب سؤاله وعمَّمَ الاستجابة، وكان بعضُ مَن يرى سرعة إجابة الحق لدعائه يقول: إن الله يحبّ محمدًا لا يدعوه إلا ويجيبه، فهكذا صِدق التوجّه الكلِّي، يورث الإجابة من الوليّ العليّ، فمَن رام دوام الترقِّي في المقامات العَلِيَّة، فليُقبِل على الذات المحمدية، فإن بها الترقِّي إلى حضرات المعرفة، والمنازل المشرِّفة المشْرقة، ومَن ادّعى الوصول، من غير باب الرسول، فهو جاهل بل جهول، وقع في فهمه مهُول. قال سيدي محمد البكري قدّس الله سرّه: المحكومُ بالجهل على كل مَن ادّعى معرفة الله مجرَّدة في نفس الأمر عن نفَسِه المحمَّدي، وإذا كانت الأسباب الدنيوية الخسيسة، يُحتاج فيها إلى وسائط ولا نِنْكِر ذلك فكيف بالأمور الأُخروية النفيسة، وطريقُ معرفة الله وحبّه والقُرْب منه، والتجرّد عن الشواغل الظاهرة والباطنة المبعدة عنه أعزّ الطرق وأسناها، وأبهرُها وأبهاها، فكيف تُسلك بدون واسطة ودليل، ومهامُه كثيرة والرِّجْلُ حافية والأمور خافية والخطر جليل.

قال العارف:

لا تسلكنَّ طريقًا لست تعرفه	بلا دليل فتهوى في مهاويها

فاتخاذ أدلّة العارفين بالطريق والوسائط، من أعظم الوسائل لا سيّما مَن كَمَل بناء الحائط، فإنه واسطةُ كل واسطةٍ مقدامٌ، وإمامٌ كل إمام في كل حال ومقام، فمَن أخذ عن واسطته وهو يشهد أنه مرآةٌ قابلةٌ للتَّلقِّي من الإمداد المحمدي، كان أخذُه عن واسطته عَيْنَ أخذه من الفيض المحمدي الأحمدي، وربّما شاهد النور الأحمدي عيانًا، وأخذ عنه بواسطة مَظْهَرِيَّة شيخه كشفًا وإيقانًا، كما وقع ذلك للجيلي الداني، وأمر بشهود ذلك الشِّبْلي مُرِيدَه الفاني[(229)]، فافهم سلك الله بنا وبك طريق السلامة، بجاه صاحب العمامة والغمامة ثم قال المؤلِّف رحمه الله تعالى:

وتنزَّلت علوم آدم: قال في المختار التنزّل النزول في مهلة. انتهى. والعلوم جمع علم. قال في المصباح المنير عَلَّمْتُه أُعَلِّمُه عِلمًا عرَّفته هكذا يفسِّرون العلم بالمعرفة وبالعكس لتقارب المعنيين وهو أن كل واحد لا يكون إلا بعد سبْق الجهل. قال الواحِدي: والعلم يكون معرفة لقوله تعالى: {لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[(230)]، وقد قيل في الفرق أن العلم يكون بالكسب والمعرفة بالجبِلَّة ولهذا تكون المعرفة في البهائم دون العلم، وفي التنزيل { ن ه و ى ي } [(231)] أي عَلِموا، قال زهير:

وأعلم علمَ اليوم والأمس قبلَه	ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِ

وقال الشيلي أيضًا: {لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} (2) يعرفهم، قال: فإن قلت: لا تطلق المعرفة على الله تعالى لأنها توهم سابقة الجهل قُلْتُ سابقة الجهل إنما تكون فيمن يصحّ عليه الجهل، وإذا كانت عِلِمَ بمعنى اليقين تعدَّت إلى مفعولين، وإذا كانت بمعنى عَرف تعدَّت إلى مفعول وقد تُزاد الباء في المفعول فيقال عَلِمت به وأعلمته الخبر وعلَّمته الفاتحة والصنعة وغير ذلك تعليمًا فتعلَّم ذلك، والأيام المعلومة، عشرُ ذي الحجة. انتهى. وقد قال السيد في التعاريف: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أخصّ من الثاني. انتهى. وقال ابن حجر رحمه الله عند قول الأبوصيري: (لَكَ ذَاتُ العلوم) جمع علم وهو هنا صفة ينجلي بها المذكور لمن قامت به انجلاءً تامًّا، أو الإدراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض، وحُدَّ بحدود أُخَر كلُّها مدخولة أيضًا، وترادفه المعرفة لكن لا يقال لله عارف لأنها تستدعي سَبْق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فَرَّق بينهما بعض المحقِّقين بأن اليقين خاص بما من شأنه أن يتطرّق إليه شك فلا يقال تيقَّنْتُ أن الواحد نصف الاثنين، وقال الراغب: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتِها يُقالُ عِلْم اليقين ولا يقال معرفة اليقين، وهو سكون النفس مع ثَبات الحكم حال كونها واصلة إليك على لسان المِلك أو بالإلقاء في الرَّوْع أو بخلق العلم الضروري أو بسماع الكلام النفسي. انتهى. واعلم أن أصول العلم على ما قاله بعض أهل الفُهُوم مائة ألف علم أو أكثر. وأما الفروع فلا تُحْصَر، وهي من حيث هي منقسمة إلى قسمين: علم دَرْسِي وعلم نفسي، والأول علم الطروس، والثاني علم الصدور المخروس، والأول سفيره الأفهام والثاني الإلهام، والأول كسبي والثاني وهبي، والأول طريقه الجِدّ والعَنا والثاني الغَيبة والفَنَا، والأول حُجَّة والثاني مَحَجَّة لقوله (ص): «العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم». كذا في الجامع الصغير، والأول لا يُستغنى فيه عن الوسائط الجمّة والثاني رُبَّما يُستغنى فيه عنها آخرًا بعد رفع الحُجُب المدلهمَّة، أو تَقِلُّ فيقول الذي قلَّت وسائطه حدَّثني قلبي عن ربّي، ويقول مَن استغنى عنها حدَّثني ربي أي بطريق الإلهام. قال أبو يزيد قدَّس الله سرّه: (أخذتم علمكم مَيتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيِّ الذي لا يموت). وأنشد سيدي عمر بن الفارض قدّس الله سرّه:

ولا تَكُ ممَّن طيَّشتْه طُروشُه	بحيث استقلَّت عقلَه واسْتَقَرَّتِ

فثمَّ وراء النقل علمٌ يدقّ عن	مدارك غايات العقولِ السليمةِ
تَلَقَّيْتُه مني وعَني أخذته	ونفسيَ كانت من عطايَ مُمِدَّتي

ثم العلم على قسمين من حيث أصل تقسيمه قديمٌ وحادث، فالقديم هو الصفة الكاشفة القديمة المتعلقة بالواجبات والجائزات والمستحيلات، والحادث هو ما أفاضه الحق وجَادَ به على عباده متنوّعًا متكثّرًا مجملاً ومفصلاً وما يُفيضُه عليهم دنيا وأخرى فإن فيض الحق لا ينقطع أبدًا، وهذا العلم وإن حصل منه عندنا ما حصل فنسبته إلينا مَجازية وإليه حقيقيّة لأنّا بالنظر لأنفسنا لا علم لنا وبالنظر لتعليمه كما قال تعالى: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}[(232)] الآية، قلنا: علم، ولما كان الأمر كذلك قال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[(233)]. وهذه العلوم منها ما هو من العلوم الشهوديّة، ومنها ما هو من العلوم الوجوديّة، ومنها حسِّيَّة ومعنوية، وشرعية وعقلية، وعَرْشية وفَرْشية، وجلالية وجمالية، ودنيوية وبرزخية، ونشرية، وحشرية، وأُخروية وكَثيبية، وفعلية، وأسمائية، وصفاتية، وذاتية وغيبية، وعَينية، وملكية، وجَبَروتية، ولاهوتية، وغير ذلك من العلوم التي لا تتناهى، وكل واحد من هذه العلوم له مراتب في ظهوره، وبُدُوّ نوره، ففي أول الظهور قبل المعاينة يسمّى علم يقين، وبعدها علم عين يقين، وبعد التحقّق، فيه والاطّلاع على ظواهره وخوافِيه يسمى علم حق اليقين، ومع كثرة العلوم وتشعّب الفهوم عند أهل الكشف وأهل الرسوم قال الله الحيّ القيّوم {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}[(234)] فانظر هذا الخطاب الذي عمَّ نظرًا جميلاً، وقول الخَضِر عليه السلام لموسى الكَليم عليه الصلاة والسلام ما أخذتُ أنا وأنت من علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمِنقاره من البحر، أو ما معناه تَنمَحِق دعاويك الباطلة وتنسحق مساويك الهاطلة. واعلم أن العلوم الربّانية والأسرار الرحمانية فَيْضُها عجيب وسرّها غريب لا تُدرَك إلا من طريق الذوق والوجدان، ولا تُعرَف إلا بعد المشاهدة والعيان، فقد يُفتح على العبد المعتَنى به في لحظة واحدة ما لو جَلَس يُقررُ فيه مدة عمره ما وفَّى به إذ فيضُ الحق سبحانه وتعالى لا يُقاس بغيره فإنه فيض واسعٌ من واسع عمَّ الأنام ببِرّه وخيره. قال سيدي محيي الدين قدَّس الله سرّه في كتابه روح القدس في مناصحة النفس: ولما رأيت الله تعالى قد فتح على قلبي بابَ الحكمة وأجرى فيه بحارَها وسبَحَ سرّي في سَبْحها حتى أني والله لأنْظُر إلى معظم البحر إذا اشتدت عليه الرياحُ الزعازعُ فَعَلاَ مَوْجُه وارتفع دَوِيُّهُ ثم أنظر إلى تموّج بحر الحِكَم في صَدْري فأجِدُ معظم ذلك البحر بما وصفناه من تلاطم الأمواج واشتداد الرياح ساكِنًا لا حَرَاكَ له عند تموّج بحر الحِكَم في صدري واصطفاقه لا سيما في مكة المشرَّفة فداخلني من ذلك رُعْبٌ شديدٌ وجزع عظيم شديد وخَوْفٌ

مُتلِف فعزَمت على قطع الميعاد وأن لا أقعد للناس فأُمرت بالقعود والنصيحة للخلق قَسْرًا وحَتْمًا لازمًا واجبًا فقعدت رفيع الكلام مُصلت الحُسام... الخ. وقال في فتوحاته المكية: وهذا الكتاب مع طوله وكثرة أبوابه وفصوله ما استوفينا فيه خاطِرًا واحدًا من خواطرنا في الطريق. انتهى. فإن في النفَس الواحد يَدخلُ قلبَ العارِف من الحِكَم والمعارف ما لا يدخل تحت عَدٍّ ولا حساب لأنه عن فيض الوهّاب، وحكى الشعراني رضي الله عنه عن نفسه أنه لما فتح الله عليه بواسطة شيخه سيدي علي الخواص بعد ما صحب أكابر قد عُدُّوا من الخناص، رأى قد انفتح في قلبه ثلاثون بابًا كل بابٍ منها مقدار ما بين السماء والأرض ورأى جميع الأبواب مملوءةً بالعلوم والمعارف داخلة إلى قلبه على الدوام. انتهى. بمعناه، فهذا هو الفيض الرباني والفتوح الرحماني وعنه ألَّف كتاب الجوهر المصون والسرّ المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم، ذكر فيها ثلاثة آلاف علم، وألف كتاب تنبيه الأغبيا على قطرة من علوم الأوليا ذكر فيه أحد عشر وسبعين ألف علم، وقال شيخ الطائفتين ومقدّم الطريقتين الإمام الجنيد البغدادي قدّس الله سرّه: العلم علمان علم العبودية وعلم الربوبية والبواقي هوس النفس، والعجب ممَّن دخل في هذه الطريقة وأراد أن يصل إلى الحقيقة وقد حصَّل من الاصطلاحات ما يَستخرجُ به المعاني من كلام الله تعالى وأحاديث رسول الله (ص) ثم لا يشتغل بذكر الله تعالى ومراقبته والإعراض عمّا سواه لتَنصَبّ إلى قلبه مياه العلوم اللّدنية التي لو عاش ألف سنة في تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا تشمّ منها رائحةً ولا يشاهد من آثارها وأنوارها لمعَةً. انتهى.

ولقد حكى لي شيخنا الشيخ عبد اللطيف الخلوتي رحمه الله تعالى قال: لما أدخلني شيخنا في الخلوة التسعينيّة كنت أرى الحقائق الإلهية واردة على القلب متزاحمة متراكمة بحيث لو جلستُ أُمْلي الذي يُفاض عليَّ لأكثر من واحد لعجزوا عن كتابته، وقد ترجمته في رسالة سمّيتها الكوكب الثاقب في بعض ما لشيخنا من المناقب، فالعلوم لا تُحصى إذ المواهب لا تُستَقصى والعثور على أُمهات هذه العلوم لا يكون إلا بالسلوك المعلوم لأن به تتنوَّر الأفهام وتزول الأوهام ويقع الإلهام ويرتفع الإبهام. قال الشعراني رضي الله عنه في مِننه فأول ما جمعني الله تعالى على سيدي علي المرصفي شيخ الطريق بالديار المصرية فلقَّنني الذِّكر وأخلاني ثم جمعني الله تعالى على الشيخ محمد الشناوي فلقنني الذِّكر وأشغلني بالله ولم يكن طريقه الخلوة ثم جمعني الله تعالى على عارِف الزمان الشيخ الكامل الراسخ الأُمِّي المحمدي سيدي على الخواص فأطلعني على حقائق ودقائق وأسرار ولم أُفارقه عشر سنين حتى مات فكان منه الذي كان وعلمتُ وتحقَّقت أن الإنسان ولو بلغ في العلم الغاية فلا بدّ له من شيخ في طريق العمل به كما وقع للإمام الغزالي والشيخ عز

الدين بن عبد السلام واليافعي وغيرهم فأقلّ فوائد الشيخ أن يختصر الطريق للمُريد وذلك أنه يوصل المريل إلى أن يصير يجعل أعماله كلها مقاصد امتثالاً لأمر الله بخلاف المريد وحده فإنه يتخذ أعماله كلها وسائل ثم يطلب الثمرة فلا يجد فينحلّ عزمه إلى آخر أمره. انتهى. وقال في الجواهر والدّرر كبريت أحمر: سألت شيخنا رضي الله عنه عن أعلى العلوم مَرْتَبة فقال: أعلاها العلم بالله تعالى وأعلى العلم بالله تعالى علم الكشف ويليه علم النظر وليس دون النظر علم إلهيٌّ أبدًا إنما هي عقائدُ في قلوب الخلق لا علوم، قال: وإيضاح ذلك أن علم الحق تعالى إذا تجلَّى لظاهر النفس وقع لها الإدراك بالحسّ في برزخ التمثيل فإن كان المتجلِّي له من علماء الشريعة زِيدَت له في ميزان الكلام وهكذا، لكن لا يعلم أن تلك الزيادة من تجلِّي علم الحق تعالى في القلب إلا العارفون فقط وأما غيرُ العارفين فَيَنْسِبُون الزيادة إلى أفكارهم إن أحسّوا بها فإن لم يُحِسّوا بها فهم أهل حجاب ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت، وسمعته رضي الله عنه يقول: مَن كان علمه مُستَفادًا من نقل فليس بعالِم إنما هو صاحب ظن إلا إن أسنَد إلى النصوص القطعية، قال: ومَن أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقينًا لا شك فيه فليردّ كل قول حفظه إلى قائله وينظر بعد ذلك فما بقي معه فهو علمه انتهى. وعلى هذا فطلب العلم بالله من أعظم القُرُبات وأفضل المثوبات وتاركه مَلوم وبِداء جهله مكلوم. قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: مَن لم يتغلغل في علمنا هذا مات مُصِرًّا على الكبائر وهو لا يشعر. انتهى. واعلم أن طريق الوصول إلى هذه العلوم المنيفة والمعارف الشريفة الاستقامةُ على متابعة قدم المصطفى والتخلّقُ بأخلاقه الكريمة وحُسْنُ الاقتفا. قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[(235)]، وقال: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}، وقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً}[(236)]. قال القاضي: أي هداية في قلوبكم تفرّقون ما بين الحق والباطل. انتهى. وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[(237)] ومَن أحبّه الله فتح الله الباب وأدخله حضرة الاقتراب وصَيَّره من الأحباب وكشف له الحجاب فرأى الغيب شهادة وصار له خرقُ العوائد عادة وأُفيضت على قلبه مياه الحقائق وانكشفت له البراقع عن وجوه الحقائق وعلَّمه الله من لدنه علمًا، وعرَّفه بنفسه فعرب ربّه وأدرك السرّ الأسْمَى، ودخل حضائر الأسما، فكان وارثَ آدم الصفيّ، وحارث سرٌّ سرٍّ خفيّ. قال الله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[(238)] فالعلوم المنسوبة له هي علوم الأسماء الإلهية التي أعجز الأنامَ دركُ أسراره الخفيّة، وما تنزّلت علوم آدم عليه السلام إلا بواسطة الرقيقة

المحمدية الكاشفة سِجْف الغمام فلهذا قال المؤلِّف رحمه الله تعالى وتنزّلت أي به ومنه علوم آدم وهو أبو البشر صلَّى الله تعالى عليه وعلى سائر أولاده من النبيِّين والمرسَلين وسلَّم تسليمًا إلى يوم الدين وأول الرُّسُل لِما في الحديث أول الرُّسُل آدم وآخرهم محمد، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول مَن خطَّ بالقلم إدريس رواه الحكيم عن أبي ذرّ. ولما كانت علومُه علومَ الأسماء لأن عنها كان بدْءُ الظهور وهو كان مبدأ ظهور هذا النوع الإنساني فناسبته علومُها. قال القاضي عند قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (5) إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح للتسلس، والتعليمُ فعلٌ يترتب عليه العلمُ غالبًا ولذلك يقال علّمه فلم يتعلّم، وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ، واشتقاقه من الأدَمَة بالفتح بمعنى الأسود أو من أديم الأرض لِما رُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه تعالى قَبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحَزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بَنوه أخيافًا أي مختلفين.

قلت: ولفظ الحديث أن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهلُ والحَزنُ والخبيث والطيب، وبين ذلك رواه أحمد والترمذي وأبو داود هم وغيرهم عن أبي موسى، قال: أوْ من الأدم أو من الأدمة بمعنى الأنفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامةً للشيء ودليلاً عليه يرفعه إلى الذِّهن من الألفاظ والصفات والأفعال، واستعمالُه عُرْفًا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبًا أو مفردًا مخبرًا عنه أو خبرًا أو رابطة بينهما، واصطلاحًا في المفرد الدّالّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، والمراد به في الآية إما الأول أو الثاني، وهو يستلزم الأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقّف على العلم بالمعاني والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوًى متباينة مستعدًّا لإدراك أنواع المدرَكات من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموضوعات، والهِمَّةُ معرفة ذواتِ الأشياء وخواصِّها وأسمائها وأطول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها. انتهى. وقال ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الهمزية: وأصلُه أأْدم لكنهم ليّنوا الثانية تخفيفًا وجعلوها في التصغير واوًا نظرًا لبدْئِها من الأدَمَة بالسكون أو الفتح أو من أديم الأرض كما صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما وَورد عن عليّ وابن مسعود رضي الله عنهما وأديم الأرض ظاهرُ وجهها والأدمة السُّمْرة وهو مراد مَن قال لونٌ يقارب السَّواد، ومَن قال يُشبه التراب، واستُشكل بما ورد من بديع جماله وأن يوسف عليه السلام كان على الثلث من جماله وقد يُجاب بأن الجمال لا يُنافي السُّمرة لأنها بين البياض والحُمْرة. قيل: اشتقاقه مما ذكر يريد أنه

عربي وبه صرَّح الجواليقي وغيره، وردَّ بأن توافق اللغتين غيرُ منكَر وبأنه لا دليل على أن الاشتقاق من خواصّ كلام العرب وأُجيب بأن الأصلَ عدمُ التوافق وبأن الوجه أن الاشتقاق خاصٌّ بكلام العرب فقد أطْبَقوا على أن التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق، وصحَّ خبرُ أن آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب أنه كان يتكلم بالسرياني. انتهى.

وقول المؤلِّف رحمه الله تعالى: (وتنزّلت علوم آد إنْ حَمَلْناهُ على ظاهر العادة في السابق بالظهور قدّرنا فيه أي تنزّلت فيه علوم أبيه فأعجز الخلائق كما أعجز أبوه الملائكة، وإن حملناه على حقيقة الأمر وباطنه قدّرنا به أو منه ويكون الضمير في أعجز راجع لآدم والمراد بالخلائق الملائكة وهذا أبلغ في التعظيم وذاك أظهر في التقسيم، قال الأبوصيري رحمه الله تعالى:

لك ذاتُ العلوم من عالِمِ الغيب	ومنها لآدم الأسماء

أي لك حقيقةُ العلوم لا لغيرك من عالِمِ الغيب وهو الله عليك، ومنها أي ومن العلوم بمعنى المعلومات لآدم الأسماء أي أسماؤها. قال ابن حجر رحمه الله تعالى: واحتاج النَّاظِم إلى هذا التفصيل مع العلم به مما قبله لأن آدم مَيَّزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التي علَّمها له وكانت سببًا لأمرهم بالسجود والخضوع له بعد استيلائهم عليه بِذَمِّهِ ومَدْحِهِم بقولهم: أتجعل فيها... الخ. فربما يتوهَّم أن هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبيِّنا (ص) إذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فردّ ذلك التوهّم ببيان أن آدم لم يحصل له من العلوم إلا مجرَّدُ العلم بأسمائها وأن الحاصل لنبيِّنا (ص) هو العلمُ بحقائقها ومُسَمَّياتها ولا ريب أن العلم بهذا أعلى وأجلّ من العلم بمجرد أسمائها لأنها إنما يؤتى بها لتبيين المسَمَّيات فهي المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة وشتان ما بينهما، ونظير ذلك أن المقصود من خلق آدم إنما هو خلق نبيّنا (ص) من صلبه فهو المقصود بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحقِّقين: إنما سجد الملائكة لأجل نور محمد (ص) الذي في جبينه، ثم ما سَلَكَه النَّاظِم من أن آدم إنما عُلِّم أي بإحدى الطرق السابقة آنفًا الأسماءَ فقط أي الألفاظ الموضوعة بإزاء الأعيان والمعاني هو الوارد عن ابن عباس وعليه فقيل: علّم الأسماء الموضوعة بكل لغة وعَلَّمَها لأولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوّي ما هو الأصح في الأصول من أن اللغات كلها توقيفية، وقيل: إنما عُلِّم لغةً واحدة لأن الحاجة لم تَدْعُ إلا إليها وأما بقية اللغات فَبِالوضع ويُقابِلِ ما سلكه النَّاظم قولان: أحدهما أنه إنما علم مدلولاتها لأن المزية في العلم إنما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة أسمائها كذا وكذا. قال بعض المحَقِّقين: وهذا وإن قَرُب من

المعنى فهو بعيد من اللفظ لأن قوله بأسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح في الأسماء فقط، ومعنى (ثم عرضهم) أي الأعيان لأنها التي تعرض دون الأسماء وإنما أُبرزت إليهم ليُخبَروا بأسمائها فلا تأييد فيه لكون المعلّم المسمّيات خلافًا لمن زعمه. ثانيها وهو الذي سلكه صاحب الكشاف أنه علم الأمرين معًا جمعًا بين مقتضى اللفظ والمعنى. انتهى.

وبين قوله: ارتقت وتنزَّلت جِنَاسُ التقابل فإنه لما رَقِيَ إلى أعْلى المراقي ارتقت به الحقائق، ثم نزل متدلِّيًا للإرشاد المغْنِي والمعِين فتنزَّلت عليه الرقائق.

فأعجز الخلائق: أي بها وبما جاءهم من البيِّنات وعن وصفه وعن معرفة كُنْه ذاته وكيف لا يُعجزهم وقد جمع علوم الأوّلين والآخرين إلى علمه، وأتى بالقرآن المعْجِز وجوامِع كَلِمه، وقد يكون الإعجاز بتنزّل علوم آدم وبَثّه لها في الخليقة، أو بكل ما تقدَّم من الأوصاف الشريفة الوثيقة. قال الأبوصيري في البُردة:

أعْيَى الورى فَهْمُ معناه فليس يرى	للقُرْب والبُعْد فيه غير منفحم

اعلم أن نبيَّنا (ص) لما كان مستوعبًا سائرَ الكمالات الظاهرة والباطنة وكان هيكله الظاهر لنا أصْل كل كمال حسِّي ظاهرٍ ومعناهُ الباطنُ أَصْلَ كل كمالٍ غيبي باطنٍ، وكان الكمال الظاهر عن فيض صورته الظاهرة والباطنُ عن فيض معانيه الباطنة عَجَزَ الواصفون عن وصف صفة من صفاته على الكمال وأقرّوا بعدم المعرفة له حقّ معرفته بما هو عليه من الجلال والجمال، ولأنه جامع لمحاسن الأخلاق لا على وصف التقييد بل على وصف الإطلاق، ولم تَكُنْ أخلاقه كَسْبِيَّة بل جِبِلِيَّة ضرورية، فما اتّصف مُتَّصف بصفة كمال على الكمال كاتِّصافه، ولا اغترف مُغْتَرِفٌ من بحر المعرفة كاغْترافه، فكل صفة من صفاته حَفَّها الحق بالوُسْع الإلهي، فلا تدخل تحت قَيْدِ حَصْرٍ ولا تَناهِي، ولما تخلَّق باسم الله تعالى الواسع وَسِعَ العالمين خلُقًا وخَلْقًا، وأدرك أسرار الكائنات على التفصيل حقًّا وخلقًا، فما وصفَ واصفٌ صفةً من صفاته فبلغ ثلث عُشرِها ولا أنصف، ولا مدحه مادح وبالغ إلا وقيل فيه ما أَنْصَف، ولو اعترف بالعجز والقصور، عن ارتقاء هذه المعاني والقصور، كان في فِعله مُصيبًا، ونال من معرفة ذلك نصيبًا، قال سيدي محمد البكري قدّس الله سرّه في صلواته النبوية: (مَنْ غايةُ المجد المجيد في الثناء عليه الاعترافُ بالعجز عن اكتِناه صفاته، ونهايةُ البليغ المبالغِ أن لا يصِل إلى مبَالِغ الحمد على مكارمه وهباته) وأنشد الأبوصيري رحمه الله تعالى في البردة قوله:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر	وأنه خير خلق الله كلهم

أي غاية علم الخلق فيه ما ذكر وثَمَّ ما لا تَصِل إليه أفهامهم، ولا تتعلق به أوهامهم، لأن العقول قاصرة غيرُ باصِرَة معقولة، وعُرى التحقّق في هذا المقام غير مشدودة بل محلولة، ومَن كُشِفَ له الحجاب، وارتفع عنه النقاب، رأى نورَ الحق ظاهرًا لا غيره، وزالت منه الغيرة عليه وثبَتَتْ فيه الحيرة، وشاهَدَ فناء الأشياء عند تجلِّيه، والمخافَةَ عند ظهوره وتولِّيه، لم يُدرك حقيقة شيء من الأشياء، لأن وجود الحق هو الثابت ووجودَها كالأفياء، وإلى هذا أشار الحاتمي قدّس الله سرّه بقوله:

ولست أدرك من شيء حقيقته	وكيف أُدْرِكُه وأنتم فيه

أي من حيث الإمداد العَليّ والإسعاد الجليّ، وإذا كان الأمر كذلك:

فكيف تُدرَك في الدنيا حقيقةُ مَنْ	لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم

وله تضاءلت الفهوم: قال في المصباح ضَؤُلَ الشيء بالهمز وَزْنَ قَرُب ضَؤُلَةً وضآلة فهو ضئيل مثل قريب أي صغير الجسم قليل اللحم وامرأة ضئيلة وتضاءل مثله. انتهى. والمعنى هنا أي تصاغرت وتقاصرت، والفهوم جمع فهم. قال في المصباح فَهِمتُه فهمًا من باب تَعِبَ وتسكينُ المصدر لُغَةٌ، وقيل: اسم للمصدر إذا عَلِمتَهُ. قال ابن فارس: هكذا قاله أهل اللغة وبعدي بالهمزة والتضعيف. انتهى. وإنما تضاءلت له الفهوم لأن روحه الشريفَة رُوحٌ قُدسِيَّة، والروح القدسية عندها فهم الأمور الكلية الخَفِيَّة كالأمور الجزئية الجَلِيَّة، فَتَتصاغَرُ الفُهُوم عند هذه الروح الزكية وإن كانت غويصة أبيّة، وهذا شأن بعض خُدَّامه وأتباعه المقْتَفين لآثاره والسالكين على ضوء شعاعه أنهم إذا سُئِلوا عن مسألة دقيقة غامضة أتاهم الجواب من فيض الوهّاب قبل تمام السؤال فيُجيبون من غير تعمّل رؤية وفكر أو اشتغال بال، بجواب سديد محرّر مفيد، فأين الفهم بالنسبة لأهل هذا الحال وأين هم من أكمل الخلق الذي به كَمُلَ الكمال، فإن أرواحهم إذا كانت قدسية فهي عن فيض مدد روحه الأقدسية، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}[(239)] فمَن كان معلِّم الحق تضاءلت له الفهوم، وحجّت لكعبة قلبه عرائسُ العلوم، كما جرى ذلك للمنلاجامي رحمه الله فإنه أخبر عن نفسه أن لا فضل لأحد عليه فيما ظهر منه من العلوم إلا والدُه فإنه قرأ عليه وُرَيقات في علم الكلام أي علم الصرف وجميعُ ما ظهر عنه بطريق الفيض الرباني والفتح الرحماني وهكذا وقع لسيدي محيي الدين قدّس الله سرّه. قال الشعراني رضي الله عنه في كتابه: (الجوهر المصون والسرّ المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم): ومنها أي من علوم الخلوة أن يُفْتح عليه أي على المختلي بما شاء من نواطق الأولياء كما وقع لأخي الشيخ أبي العباس الحُريثي والشيخ عمر البجائي فَفُتِحَ على الأول بناطقة الشيخ

عبد القادر الجيلي وفتح على الثاني بناطقة أبي الحسن الشاذلي وسيدي علي بن وفا ولم يكن يُعْمَد منهما قبل الخلوة شيء من ذلك وكانت خلوة أخي أبي العباس أربعين يومًا وخلوة الشيخ عمر البجائي سبعة أيام وكما أخبراني بذلك، وأكملُ منه بلغني أنه أعطى نواطقَ غالب الصوفية الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه وكانت خلوته ثلاثةَ أيام بلياليها في قبر مُندَرِس ثم خرج بهذه العلوم التي انتشرت عنه في أقطار الأرض وكان موقعًا عند بعض ملوك المغرب ولم يكن يُعهد منه علم واحد مما أبداه في كتبه قبل تلك الخلوة كما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة والشيخ مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس رضي الله عنه، وقال في كتابه الجواهر والدّرر وهو كتاب يحكي فيه على لسان الوارد: قال الوارد مَن كان الله يعلِّمه كيف يُدْرَك لعِلمِه قرار، وكيف يُومَرُ بالتقليد لبعض المجتهدين، وأين مَن هو في حضرة الحق ممَّن هو في حضرة أحكامه من وراء سبعين ألف حجابٍ على نفسه، وأين مَن يقول ورد عليَّ من الحق كذا وكذا ممَّن يقول: سمعتُ بعض الفقهاء يُفتي بكذا، وكان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه كثيرًا ما يقول للفقهاء: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت حين جهلتم أنه عن ربّكم وأخذنا نحن علمناة عن الحيّ الذي لا يموت بلا واسطة بل قلبُنا يحدّثنا عن ربّنا {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ *}[(240)]، وقد شاهدت من شيخنا الشيخ علي الخواص رضي الله عنه علومًا يعجز عن فهمها أكابر العلماء وكان أُمِّيًّا لم يعرف الخط ولم يجالس العلماء، وكذلك بلغنا عن سيدي محمد وفا وسيدي إسماعيل الأنبابي وسيدي إبراهيم المتبولي وعَطَاءُ الله واسع لا يتوقف على ما يتوقف عليه علم العلماء من معرفة العربية واللغة والأصول وغير ذلك، ومَن أراد تحقيق ما أنهيناه في حق الأولياء فلينظر في شرح المشاهد القدسيّة لسيِّدة العجم فـإنها ذكرت عن نفسها أنها لم تعرف الخط ولم تمارس العلوم وأنه ليس معها من العلوم إلا ما تعلمُه من الله، فمَن رآه ولم يقطع بما قلنا فهو أعمى القلب فإن فحول العلماء تعجز عن فهم موارد ألفاظه فضلاً عن معانيها، فالحمد لله الذي مَنَّ علينا بمحبة أوليائه حمدًا لا يُحصَى. انتهى. فهؤلاء السادة قد تضاءلت لهم الفُهُوم والعلوم حين أخذوها عن الحيّ القيّوم فكيف لا تتضاءل لمن هو مَنبعها ومَشْرَعُها وعنه ظهورها وللكاسات هو مُترِعها، وحيث كانت له الفُهُوم متضائلة فأصحابها كذلك قاصرةٌ عن فهم حقيقته، والوقوف على سرّ من أسرار رقيقته، ولقد جُلْتُ في هذا المقام مجالاً وأنشدت مُعرِبًا عنه ارتجالاً:

رأينا خَمر حُبِّهم حلالاً	لِذا طُفْنا على السّاقي جلالا
وعِفْنا غَيْرَهم لِما عرفنا	بأن الأمر للإِ◌لِىءَ إلا

وطَافَ مُدِير كأسِ القُرْب ليلاً	على الندمان إذ غفَل الكسالى
وقَدْ أَسْقَى الكَئِيبَ قديم كأس	يَفُوقُ بِفِعْلِهِ السحرَ الحلالا
فأسكره به فَصَحا لديه	وَمُذْ وَالاَهُ بِالإِمْدَادِ وَالا
وخفقه بِسرّ السرّ سِرًّا	وصَالَ عليه إذ يَبْغِي الوِصالا
وعرَّفه بأن الوصل منه	فتًى قد رامَه رَامَ المحَالا
تَعَالَى يا مُرِيدَ القُرْب فَادْنُو	لتشهدَ نُورَ نُور قد تَعَالى
وتَدري سرَّ أسرار المعالي	وشمسَ شموسها الراقي جَمَالا
إمامٌ سيد سندٌ سني	دَنَى كالقاب بل أدنى دَلالا
ولما الحبّ صيَّره حبيبًا	وكمّل من محاسنه الكمالا
وورَّثه علومًا ما حَوَاها	سِواه والسِّوى مَنًّا أنالا
تضاءلت الفهوم له وكلَّت	عقولُ القوم إذ راموا منالا
ومنه كل سرّ قد تبدّا	وعنه كل نور قد تلالا
وذلك نور أحمد الذي لم	نَجد في الكائنات له مِثالا
عليه الله صلَّى كل وقت	وسلَّمَ ما إليه القلبُ مالا
كذا آلٌ وأصحابٌ كِرامٌ	لقد جاؤوه ركبانًا رجالا

فلم يدركه: أي فلم يلحقه.

مِنَّا: معاشر المخلوقات.

سابق: أي متقدِّم في الظهور والمقام.

ولا لاحق: أي متأخِّر فيهما لأنه سيِّد الأوَّلين والآخرين، والمعنى أن الفُهُوم لما تقاصَرت وتصاغرت لحقها العجز فلذلك لم يُدركه أي لم يَلحقه على وجه الإحاطة ولو بصفة من صفاته منّا سابق ولا لاحق لأنّا لم ندرك منه إلا على قدر وُسْعنا وأين وُسْعه (ص) من وُسعنا ولهذا كان يُخاطب الناس على قدر عقولهم ويُظهِر لهم من جماله على قدر ما يطيقون شهوده. قال في شرح دلائل الخيرات وفي شفاء ابن سبع أنه كان (ص) يُضيء البيت المظلم من نوره ولكن لم يَظهر لذا تمام حُسْنه لأنه لو ظهر لنا حقيقةُ حُسْنه لَما طاقت

أعيننا رؤيته وكذلك لم يَظهر لنا عقلُه لأنه لا تحتمل قلوبنا ذلك وقد قال (ص): «إنني لأتكلم على قدر عقولكم». انتهى. وأشار إليه القرطبي والعَزْفي. وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعب الإيمان، وحسنُ يوسف عليه السلام وغيره جزء من حُسنه (ص) لأنه على صورة اسمه خُلق، ولولا أنه تبارك وتعالى ستر جمال صورة محمد (ص) بالهيبة والوقار وأعمى عنه آخرين لما استطاع أحد النظر إليه بهذه الأبصار الدنياوية الضعيفة، وقد وقعت لعائشة رضي الله تعالى عنها إبرةٌ في ظُلمَة في بيتها فرأتْها وأبصرتْها بنور ضياء وجه محمد (ص)، وفي الصحيح أن وجهه كمثل الشمي ومثل البدر على قدر ما يستطيعُ كل أحد أن ينظر إليه (ص)، ومنهم مَن لم يكن يملأ عينيه منه. انتهى. ولقد أحسن الأبوصيري رحمه الله حيث قال:

أعيي الورى فهمُ معناه فليس يرى	للقُرْب والبُعْد فيه غيرُ منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بُعد	صغيرة وتُكِلُّ الطرف من أُمم

وهذا مثل قوله أيضًا:

إنما مَثَّلُوا صفاتك للناس كما	مَثَّلَ النجومَ الماءُ

ولقد أشار لهذا المقام سيدي محمد البكري الهمام رضي الله عنه في صلواته النبوية بقوله: (مَن لا تدرك العقولُ الكاملةُ منه إلا مقدارَ ما تَقوم عليها به حُجَّتُه الباهرة، ولا تَعرف النفوسُ العرشية من حقيقته إلا ما يتعرَّف لها به من لوامِع أنواره الزاهرة)، وقد جرى قلمُ التقدير بكتابة هذه الأبيات الأبِيَّات حال التسطير وهي:

منكم قد انشقَّت لنا الأسرار	وبكم قد انفلقت هنا الأنوار
حتى حقائقُنا ارْتَقَت وتنزَّلت	أسماءُ آدم فيضُها أنوار
وبها لقد أعجزتُم كلَّ الورى	لما غَدَتْ كاساتُ تلك تُدار
ما مثلها مِسك تَضَوّع نشرُهُ	ما مثلُها في العالمين عُقار
ولكُم تضاءلت الفُهُومُ فليس يُدْرِكُ	شَأْوَهَا أحدٌ له مقدار
مِنْ سابق أو لاحق إذْ أنتم	أصلُ الجميع وحُسنُهُم فمُعَارُ
مَن مثلكم ملَك الوجود بأسره	وهْو الحِمى والحيّ وهْو الدار
مَن مثلكم جمعَ المحاسنَ كلها	وبما حوى كل البَرِيَّة حاروا

كُل الكمال فتحتَ طي ردائكم	مِن نشره قد حارت الأفكار
أوصافُكم عزّت لعِزّ جنابكم	ما شُقَّ في الغَبرا لهُنص غُيار
قد أذعنَتْ كل الأنام لفضلكم	وببابكم وقفتْ فجاءَ نِثار
يا سِرّ قبضةِ نوره والدرَّة	البَيْضَا ومَنْ بكماله تُخْتارُ
يا نورَ نورِ النور والسرّ الذي	ضُرِبَت عليه في الورى أسْتارُ
أنتم بحورُ غيوبِ غيبِ شهوده	وسِواكم الأحواض والأنهار
ظهرت شموسكم بأرض قلوبنا	فتنوَّرت وأتى لنا الإبصار
بجلالكم بجمالكم بكمالكم	حوموا بقربي تَنْمَحِي الآثار
فالقُرْب منكم ماءُ أُنْس يُشترى	بالروح والإبعادُ عنكم نار
ووصالكم هو جُنَّتي بل جَنَّتي	أرجو يَقَر لنا بتلك قرَار
يا سيِّدًا سادت به ساداتُنا	وقَد أُحْضِرَتْ بحضوره الحُضار
كن لي شفيعًا من ذنوب قَيدت	رجلي وعاقَتْنِي بها الأقدار
واشفع بجاهك لي عسى أنجو غدًا	مما جنيتُ وتُغْفَرُ الأوزار
صلَّى عليك الله منه مسلمًا	ما إن تبدًّا في الوجود نهار
وعلى جميع الآل والصحب الذي	جاءت بمدح صفاتهم أخبار
والتابعين لهم وتابعهم إلى	يوم اللقا ما اخضرَّت الأشجار
أو مصطفى البكريّ نادى والهًا	منكم قد انشقَّت لنا الأسرار

فرِياض المِلَكوت: الرِّياض جمع روضة. قال في المصباح والروضة الموضع المعجب بالزّهور يقال نزلنا أرضًا أريضة، قيل: سُمِّيت بذلك لاستِراضة المياه السائلة إليها أي لسكونها وأَرَاضَ الوادي واسْتَرَاضَ إذا استنقع فيه الماء واستَرَاض اتّسع وانبسط، ومنه يقال: افعل ما دامت النفوس مُستريضة، وجمع الرَّوْض رِيَاض وَرَوْضَات بسكون الواو للتخفيف وهُذيل تفتح على القياس. انتهى. والملكوت قال في المختار: والملكوت من المِلْك كالرَّهبوت من الرَّهبة، يُقال له: مَلَكُوت العراق وهو المِلْك والعزّ. انتهى. وهو في اصطلاح القوم

عبارة عن عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس ويقال له: عالِم الأنوار القدسية والأسرار الأُنسية وعالم الأرواح العلوية وعالم الأمر الإلهي وحضرة القدس.

بزهر: أي بنَور نور.

جماله: أي حُسنه الباهر الذي معناه تَناسُب الخِلقة، والمراد منه في الباطن الاتِّصافُ بالصفات العَلِيَّة والتعرِّي عن ملابس السِّمات الدنيَّة، فمَن جمع الله تعالى له بين الجمالين وكمَّله بهذين الكمالين كان مظهرَ اسمه تعالى الجميل والدليلَ الذي يجعل الذليلَ مُقَرَّبًا من الجليل، ولم تظهر هذه الصفة الجمالية على الكمال كظهورها في سيد العالِمين والعُمَّال، فإن يوسف الصِّدِّيق عليه الصلاة والسلام أُوتِيَ شَطْرَ الحُسْنِ ونبيِّنا كلّه على التمام من غير انقسام، قال الأبوصيري الهمام:

مُنَزَّه عن شريك في محاسنه	فجوهر الحُسْن فيه غير منقسم

لأنه (ص) كما قال:

فَهْو الذي تَمَّ معناهُ وصورتُه	ثم اصطفاه حبيبًا بارىء النَّسَمِ

قال ابن حجر رحمه الله تعالى فَتَبَيَّنَ أن حقيقة الحُسْن الكامل كَمُلَت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لأنه الذي تَمَّ معناه دون غيره ولو شُورِك لم يَتِمّ معناه. انتهى.

والمراد بعدم المشاركة أي في أصل الإتصاف والظهور لأنها التي توجب التقسيم المحظور، وأما الإفاضة على المظاهر الجمالية بعد كمال الاتّصاف فلا تُعَدّ تَقسيمًا عند أهل الإنصاف، فإنّا نعتقد أن كل جمال ظاهر فعن جماله الظاهر، وكل جمال باطن فعن جمال باطنه الباهر، فهو بحر الجمال الذي فاضت عن تَمَوُّجِهِ مظاهرُ الجمال المقيّد لأنه مرآة الجمال الإلهي المطلق الذي لا يتقيد، وكلما أفاضَ يُفاض عليه الإمداد ويتجدد، فلا يَقِلّ ماءُ بحر جماله ولا يتفرَّق ولا يتبدد، فإن ظهور الشمس على الكون لا يُنْقِصُ نورَها ولا يُخرِجُه عن دائرة الصون، وما أحسن قول سيدي عمر بن الفارض قدَّس الله سرّه في فائيّته:

لو أسمعوا يعقوبَ ذكر ملاحةِ	وجهه نَسِيَ الجمال اليوسفي

فإن الجمال المحمدي أصله ومَن رأى الأصل احتجب عن الفرع لأن فيه ما فيه وزيادة، لكن هنا أنساه مجرَّد السَّماع دون كشف القِناع فكيف لو ارتفعت الأستار وتشفَّعت الأوتار. وقد سُئِلْتُ عن معنى هذا البيت الذي هو كالمغتسل البارد، وأودعتُ الجواب في كتاب جمع الموارِدة من كل شارد، وقوله:

وعلى تَفَنُّنِ واصِفِيه بِحُسْنِهِ	يَفْنَى الزمانُ وفيه ما لم يُوصَفِ

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الشمائل: واعلم أن من تمام الإيمان به (ص) اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه (ص) وسرُّ ذلك أن المحاسن الظاهرةَ آياتٌ على المحاسن الباطنة والأخلاق الزكيَّة ويشير إليه قولُه (ص): «اطلبوا الخير مِن حِسان الوجوه» ولا أكمل منه (ص) بل ولا مُسَاوي له في هذا المدلو فكذلك في الدال ومن ثم نقل القرطبي عن بعضهم أنه لم يظهر تمامُ حُسْنه (ص) وإلا لَمَا طاقت أعين الصحابة رضي الله تعالى عنهم النظر إليه. انتهى. واعلم أن الجمال على أقسام شتّى لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا جمال ربّاني، وجمال إحساني، وجمال روحاني، وجمال جسماني، إيماني، فرقاني، قرآني، أفعالي، أسمائي، صفاتي، ذاتي، حُكمي، وَهْمي، عِلْمِي، عَمَلي، عيْني، غيبي، فرقي، جمعي، وحداني، وجداني، كلِّي، جزئي، كسبي، وَهْبي، جُمَلي، تفصيلي، عرشي، فَرْشي، جناني، برزخي، مقيد، مطلقْ، شهودي، وجودي، جُلُودي إلى غير ذلك مما يُكشَف للسالك في هذه المسالك بعد انمحاق ظلامه الحالك. وقد اجتمع جميع الجمال على وجه الشمول والعموم في السرّ المكتوم والأمر المختوم والدّرّ المِصون والجوهر المكنون، الحبيب الأعظم والطبيب الأفخم (ص) إذ هو الغيب الذي لا يُدْرَى، والحرف الذي لا يُقْرأ، على التفصيل والإجمال، لإحاطته بكل باب من أبواب الجمال والجلال، والكمال على الكمال. والكلام على تفصيل المقامات الجمالية ومِنصَّاتِها يطول فلنقتصر على ما أشرنا إليه فإن الإكثار إلى الإملال يؤول.

ولقد قلت في هذا المقام من النظام مُشيرًا أن المِكثِر في المدح مُقِل وإن أسْهَب، قاصر اليد عن الوفاء بما يستحقه الجناب العجيب الأعجب:

وصفُ الذي قد أطنب الإيجازُ	إذ وصفكم لا يعتريه مَجازُ
ولأنكم بحرُ الجمال وغيرُكم	لَمَّا نُقابِلُهم بِكُم أكْوازُ
حُزتم جميع الحُسْن غير منقسم	من أصلِه والكلّ منكم حازوا
أحرزتُم قصَب السباق فحُزتم	كلَّ الجمال وتُمِّمَ الأحرازُ
أعجزتم كلّ الورى عن دَرْكِكم	فتحيَّرت إذ جاءها الإعجاز
فُزْتم بكل حقيقة ودقيقة	ورقيقة والغير فيكم فازُوا

ورَقَّت بكم أطفالُ حضرة قُربكم	فتفرَّدوا عن غيرهم وانحازوا
وتَمَيَّزَتْ أتباعكم بتحجّل	وبغُرَّة حتى بذاك امتازوا
وجوائز التقريب منكم أوردت	وُرادكم حيّ الهنا إذ جازوا
فله الهَنا عبد لحكيم دَنا	وبحِّبكم قد جاءه الإعزازُ
يا سيّدًا مَلَكَ الجمال بأسره	أَنجِز وُعُودي شأنُك الإنجازُ
أنت الأصيل وما عداك فنائب	أنت الحقيقة والسّرى فمجازُ
كلَّ الجمال مَلَكْتَ بل ملكته	فالحُسْن عُصفور وأنت البازُ
مَن أمَّكم أضْحى غنيًّا مُوسِرًا	ما مَسَّه في قُرْبِكُمْ إعْوازُ
وفَقِيرُكُمْ ذَا مصطفى يَرجو بأن	تأتيه منكم حُلَّةٌ وطِرَازُ
كي يَرْتَقي كل يَستقِي كالحاتمي	وإلى سعيد ذلك الخرازُ
ثم الصلاة مع السلام عليك يا	خيْرَ الورى ما أورق الخبَّاز
والآل والأصحاب ما رمز بَدَا	بعد الخفا أو حُلَّتِ الألغازُ

مُونِقة: بِكَسْرِ النون اسم فاعل من آنَقَ كأعجبَ لزيادة حُسْنِهِ، والمعنى فرِياض الملكوت بسبب نور جماله زائدةُ الحُسْنِ مُعجِبة، ويصحّ أن تكون بفتح النون اسم مفعول أي هو الذي بزهر جمالِه حسَّنَها وأحكمَها، والأولى أولى. وقد شبَّه حضراتِ الملكوت بمواضعَ ذاتِ أنهار وأشجار تشبيهًا مضمَرًا في النفس ثم استعار لها ذِكْر الرِّياض ورشح بذِكر الزهر فتكون الاستعارة مَكنيَّة ترشيحيةً، وكذلك الاستعارة الآتية.

وحِياض: جمع حوض قال في المصباح: حوضُ الماء جمعُه أحواض وحِياض، وأصل حِياض الواو لكن قلبت ياي للكسرة التي قبلها مثل ثوب وأثواب وثياب. انتهى.

الجبروت: قال في التعاريف: الجبروت هو عند أبي طالب المكي عالَم العظمة يريد به عالَم الأسماء والصفات الإلهية وعند الأكثرين عالَم الأوسط وهو البرزخ المحيط بالأمْريَّات الجمَّة. انتهى. وقلنا في الألفيّة التي جعَلناها في التصوف في فصل الاصطلاحات:

والبرزخ المحيط جبروت	وعالم الغيوب ملكوت
والمِلْك هذا عالم الشهادة	يَنال مَن يكشفَهُ مراده

بفيض: أي بسبب فيض، والفيض في الاصطلاح على قسمين: فيض أقدس وفيض مقدّس. قال في التعاريف: الفيض الأقدس هو عبارة عن التجلّي الحُبِّي الذاتي الموجِب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العِلْمِيَّة كما قال: «كنتُ كنزًا مَخفِيًّا فأحببتُ أن أُعرَف» الحديث. والفيض المقدس عبارة عن التجليات الأسمائية الموجِبة الظهور بما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج، فالفيض المقدس مترتب على الفيض الأقدس، فبالأول تحصل الأعيان الثابتةُ واستعداداتُها الأصليةُ في العلم، وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها. انتهى. وقلت في الألفية:

والفيض مَبْدَاهُ التجلِّي الحُبِّي	لأنه من فضل جود ربِّي
وأقدسٌ عَلاَ على المقدس	وعنهما بدتْ جميع الأنفُس

أنواره: جمع نور ونوره (ص) هو المفاضُ عليه من النور بواسطة اسمه النور، فهو النور الكلي الجامع، الذي كان عند مدد الظهور الهامع، وله سجدت لظهوره في آدم الأملاك، ودارَت به الأفلاك، وبه الابتدا والنهاية، وإليه الرجوعُ في كل غاية.

متدفقة: أي متصبِّبة. قال في المختار: والتدفق التصبّب وجاء القوم دُفقة واحدة بضم الدار أي مرة واحدة. انتهى.

ولا شيء: لا نافيةٌ للجنس تعمل عَمَل إنَّ وتكون للنفي العام إذا دخلت على نَكِرة، وشيء اسمها، وخبرها محذوف تقديره موجود، وجملة وهو به مَنوط حالية. وشيء أنكر النكِرات كما أن الله أعرف المعارف. قال في المصباح: والشيء في اللغة عبارة عن كل موجود إمّا حِسًّا كالأجسام، وإما حُكمًا كالأقوال، نحو: قلت شيئًا، وجمعه أشياء غير مُنصَرِف، واختلف في علَّته اختلافًا كثيرًا والأقرب ما حُكِيَ عن الخليل أن وزنَه شيئاءُ وَزْنَ حمرا فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع فنقلت الأولى إلى أول الكلمة فبقيت أفعاء كما قلبوا أدؤُر فقالوا: ءادر وشبهه، ويَجْمعُ الأشياءَ أشاياء. انتهى.

إلا: أداة حصر.

وهو: أي الشيء.

به: (ص).

منوط: أي متعلق.

ولما ذكر رِياض الملكوت وحِياض الجبروت بِسببه زَادَ جمالُها وتدفق كمالُها ثم عطف بقوله: (ولا شيء) فدخل كل شيء ثم أثبت بحرف الاستثناء تعلقَ سائر الأشياء به ليُفهِم أن كل شيء لا ينفك عنه (ص) لأن أمدادَه ليس إلا منه أخَذَ في تعليل هذا التعلّق فقال رحمه الله تعالى:

إذ لولا الواسطة: الذي هو نبيّنا (ص) لأنه واسطة سائر الوسائط فهو هنا المراد على الحقيقة، وإذا أطلق اسم الواسطة لا ينصرف إلا له على الكمال والحقيقة ولغيره على المجاز.

لذَهَب: أي لَفنِيَ وانعدَم.

كما قيل: أي كما قاله بعض السادة.

الموسوط: الذي هو العالَمَ بما فيه فلولا تعلّق الأشياء واستنادُها واستمدادها منه وإمداده لها بواسطة وبدون واسطة لَمَا ثبتت بل فَنِيَت وزالَت في أسرعَ من لمح البصر فإن إمداده (ص) لها عيْنُ إمداد الحد إذ هو المتَلَقِّي منه والمتلقَّى عنه كما أن إمداده بالواسطة عَيْنُ إمداده بدونها. قال الشعراني رضي الله عنه في كتابه الجواهر والدّرر: وقال أي الوارد الأوتاد أربعة نوّاب للأوتاد الأربعة الحقيقية إدريس وإلياس وعيسى والخَضِر عليهم الصلاة والسلام والواحِدُ من إدريسَ وإلياس وعيسى والخَضِر هو القطب وبهذا الواحد يَحْفَظ الله الإيمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوّة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفيّ، وأكثر الناس لا يعرفون القطب والإمامين والوتد إلا النوّاب لا هؤلاء المرسَلين الذين ذكرناهم ولذلك يتطاول كل وليّ لنَيْل هذه المقامات وإذا أعطوها عرفوا عند ذلك أنهم نوّاب، فالقطب لا يموت أبدًا أي لا يُصعَق ولا تزال الرُّسُل موجودين في كل زمان فرد إلى يوم القيامة ولكن الله تعالى أخفى حكمهم وأظهره في الأتباع من الأولياء فاعلم ذلك. انتهى. وقوله فالقطب لا يموت أبدًا أي لا يُصعَق بمعنى لا يُغشى عليه عند النفخ لأنه أحد هؤلاء الأنبياء فكون ذلك لحكمة إلهية كالذين استثناهم الله أو لعلّه يشير بذلك إلى قطب الأقطاب الذي هو نبيِّنا (ص) فإنه لا يصعق كغيره، وإن صعق فصعقُه صوري كموتِه وخوفه، وإذا كان الكليم لا يصعق فالسيد الحبيب بذلك أحقّ فإن موسى عليه الصلاة والسلام قد شكَّ في أمره نبيِّنا (ص) هل حُوسِب بصعقته في الطور فلم يُصعَق أم بُعِث قبله، والحديث الوارد في ذلك قوله (ص): «لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه يُنْفَخُ في الصور {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ}[(241)] ثم نُفِخَ فيه أخرى فأكونُ أول مَن بُعِث فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحُوسِب بصعقته يوم الطور أن بُعِث قبلي ولا أقول إن أحدًا أفضلُ من يونس بن متَّى» رواه البخاري ومسلم. قال

سيِّدي محيي الدين رضي الله عنه في الباب 367 من فتوحاته اجتمعت روحي بروح موسى عليه السلام في بعض الوقائع التي وقعت لي فقلت له: يا نبيّ الله سألت الرؤية ورسول الله (ص) يقول: «إن أحدكم لا يرى ربّه حتى يموت، فقال موسى عليه السلام وكذلك كان فإني لما سألته الرؤية وأجابني خررتُ صعقًا فرأيته تعالى في صعقتي قلت له: موتًا، قال: موتًا، قلت له: فإن رسول الله (ص) شك في أمرك إذْ وجدك يوم القيامة متعلِّقًا بقائمة العرش وقال: لا أدْري أجُوزِي بصعقته أم كان ممَّن استثنى الله فقال عليه السلام: جازاني الله بصعقة الطور فلم أُصعَق عند النفخ، فما رأيت ربي حتى مُتُّ، فلما أَفَقْتُ علمت مَن رأيت ولذلك قلت: تُبْتُ إليك، فقلت: يا نبي الله إن الله دَلَّكَ على رؤية الجبل وذكر عن نفسه أنه تجلَّى للجبل فقال عليه السلام: صحيح ذلك لا يثبت لتجلِّيه تعالى شيء فلا بدّ من تغيّر الحال فكان الدكّ للجبل كالصعق لي فالذي دَكَّهُ أصعقني. انتهى. قال الشعراني رضي الله عنه بعدما نقل هذه الواقعة في الجواهر والدّرر الذي جمعه من كلام شيخه سيدي علي الخواص فقلت لشيخنا رضي الله عنه: فَلِمَ رجع موسى إلى صورته حين خرَّ صعقًا ولم يرجع الجبل بعد الدكّ إلى صورته فقال: إنما زالت عين الجبل لخلوّه عن الروح المدبّر له بخلاف موسى لم تزل صورتُه حين خرَّ صعقًا لكونه كان ذا روح فروحه مسَكتْ صورتَه على ما كان عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدكّ إلى كونه جبلاً لأنه لم يكن له روح تُمسِك صورته والله أعلم. انتهى، وحِكمة عدم صعقه أنه الواسطة في إمداد روحانية الموجودات جميعها فلو صُعِق كغيره انقطع عنها الإمداد. وقد استثنى الحق أشياء قد شاء عدمَ صعقها ولا بدَّ لها في وصول مدد البقاء من واسطة فإن الحق تعالى لا ينظر إلى خلقه إلا بواسطة الإنسان الكامل ولا أكمل منه (ص). قال الشعراني رحمه الله تعالى: سمعتُ شيخنا رضي الله عنه يقول: مُستَمَدّ جميع أرواح الأنبياء والأولياء من روح محمد (ص) إذ هو قطب الأقطاب أولاً وآخرًا إذ هو مُمِدّ لكل نبي ووليّ سابق عليه على حسب الظهور والزمان حال كونه في الغيب ومُمِدّ أيضًا لكل وليّ لاحق به فيُوَصله بذلك الأمداد إلى مرتبة كماله في حال كونه موجودًا في عالم الشهادة وفي حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ ودار الآخرة فإن أنواره (ص) غي منقطعة عن العالم مَن تقدَّمه ومَن لحقه لقوله (ص): «أول ما خلق الله تعالى نوري، وفي رواية أول ما خلق الله العقل، ومعناهما واحد فإن حقيقته (ص) تارة يُعبّر عنها بالعقل وتارة بالنور. انتهى.

قال شارح الدلائل: وأما اسمه (ص) وكيل فيحتمل أنه بمعنى كفيل وزعيم وعليه تفسير بعضهم بأنه كفيل وضَمين للمُطِيعين بالجنة ويحتمل أنه بمعنى الموكول والمفوّص إليه الأمر والقائم به ثم يحتمل مع ذلك أن

يكون إشارةٌ إلى تولِّيه التصريف في الكون على سبيل الخلافة والنيابة وذلك مما لا شك في ثبوته وحصوله للنبي (ص) على وجه أخصّ مما ثبت منه لغيره بتوليته (ص) والتبع له كيف وهو (ص) الخليفة الأكبر والواسطة في الدارين والرابطة للمخلوقين، ويحتمل أن يكون المرادُ التفويض إليه في الأحكام الشرعية فيحكم باجتهاده حسْبما ذكروا في خصائصه أنه يجوز أن يقال له احكُم بما تشاء فما حكمت به فهو صواب موافق لحُكمي على ما صحّحه الأكثرون في الأصول وليس ذلك لغيره. انتهى. قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}[(242)] أي ما تتوسّلون به إلى ثوابه فالزلفى القُرْبَة منه من فعل الطاعات وترك المعاصي مِنْ وَسَلَ إلى كذا إذا تقرَّب إليه، وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة {وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ} (1) بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة {تُفْلِحُونَ}[(243)] بالوصول إلى الله والفوز بكرامته. انتهى.

والوسيلة في اللغة والاصطلاح هو ما يُتَقَرَّب به إلى الغير والجمع وُسَل وَوَسَائل والمراد به كل مَن يُدنيك من الحق سبحانه وتعالى ويكون واسطة بينك وبين مطلوبك، وقد قال بعض العارفين: لولا الوسائط كُنَّا من البسائط جمع بسيطة. قال في التعاريف: البسيط على ثلاثة أقسام حقيقي وهو ما لا جزء له أصلاً كالباري تعالى، وعُرْفي وهو ما لا يكون مركّبًا من الأجسام المختلفة الطِّباع، وإضافي وهو ما يكون أجزاؤه أقل بالنسبة إلى الآخر، والبسيط أيضًا رُوحاني وجسماني، فالروحاني كالعقول والنفوس المجرَّدة، والجسماني كالعناصر. انتهى.

فقوله: كنّا من البسائط أي غير مركَّبين لكن بالوسائط تركّبنا وظهرت صُورنا على أتمّ نظام وكذلك وسائط التقريب لا بدّ لنا منهم وإن كان بعضُ الناس لا يكون أخذه عن واسطة بحسب الظاهر لكن لا بدّ له من واسطة من حيث الباطن كأهل الجذب لأن النفحات الربانية هي التي جذبتهم فهي الواسطة في جذبهم وتقريبهم والواسطةُ في كل ما وصل إليهم سيدُ الوسائط الذي مرجع الكل إليه. قال الشعراني رضي الله عنه في الميزان: أما سلوكك بغير شيخ فلا يَسلم غالبًا من الرياء والجدال والمزاحمة على الدنيا ولو بالقلب من غير لفظ، للا يوصلك إلى ذلك ولو شهد لك جميع أقرانك بالقطيعة فلا عبرة بها، وقد أشار إلى ذلك الشيخ محي الدين في الباب 73 من الفتوحات فقال مَن سلك الطريق بلا شيخ ولا وَرَع عمَّا حرم الله فلا وصول له إلى معرفة الله تعالى المعرفة المطلوبة عند القوم ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه الصلاة والسلام ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مَرمًى ولا مرقى بعد ذلك وهناك يطّلع كشفًا ويقينًا على

حضرة الأسماء الإلهية ويرى اتصال أقوال العلماء بحضرة الأسماء ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين لشهود اتّصال جميع أقوالهم بحضرة الأسماء والصفات، لا يخرجُ عن حضرتها قولٌ واحد من أقوالهم. انتهى. وقد أجمع الأشياخ على أن مَن لم يصحّ له نسب القوم فهو لقيط، وفعله وقوله تخبيط، فإن السر بغير دليل يوقع السيارَ في التهاويل، وقد أنشد سيدي عبد الكريم الجيلي قدّس الله سرّه في عينيته قوله:

وشمّر ولُذ بالأولياء فإنهم	لهم من كتاب الله تلك الوقائعُ
هم الذخر للملهوف والكنزُ للرّجا	ومنهم ينال الصَّبّ مَن هو طامع
بهم يهتدي للعين مَن ضلَّ في العمَى	بهم تجذب العشاق والرّبع شاسع
هم السول والمطلوب والقصد والمنى	واسْمُهُم للصبّ في الحب شافع
هم الناس فالزَم إن عرفت طريقهم	ففيهم لضرّ العالمين منافع

قال شيخنا الهمام الشيخ عبد الغني المقدام في شرحه على العينية: ثم أمرك أن تلوذ بجناب الأولياء رضي الله عنهم إذا ظفرت بهم وتخدمهم بالتقوى والإخلاص والمحبة والطاعة والاحترام على كل حال فإن بهم تنكشف لك حقائق الموجودات وتنحلّ لك كل المشكلات ويذهب عنك كل زيغ وجهل وضلال، وتُدْرِكَ بهم درجَةَ اليقين وتحصل على زيادة الدين، فالزم طريقتهم وَسِرْ على سيرهم إن عرفتهم وتفضل الله عليك بمعرفتهم، وإن أعْمى بصيرتَك عنهم فإيّاك أن تُنْكِرَهم لأنهم كثيرون في الأرض لا تَخْلو منهم بَلْدَةٌ من البلاد ولا قرية من القُرى في كل زمان على اختلافهم في السلوك والمعرفة الإلهية ولكن الغالب عليهم في هذه الأزمان الخفاء الضروري وعدمُ الظهور لفساد مقاصد أكثر الناس وخبث نيّاتهم وسوء ظنونهم بمَن عرفوه ومَن لم يعرفوه فلو ظهروا لجُحِدَتْ أحوالم وأنكرت أعمالهم ونُسِبُوا إلى ما هم بريئون منه ونبِذوا بكل قبيحة من كل مغرور في دينه ودنياه بعلمه أو بعمله من خواصّ هذا الزمان وعوامهم، ولكن الذي يتعيَّن عليك أيّها لاسالك إذا لم تظفَر بأولياء الله تعالى أن تُحسنَ عقيدتك في كل مَن تراه من الفقراء المواظِبين على التقوى بحسب قُدرتهم ولا تَحْتَقِرْ أحَدًا منهم فإن الجميع تحت تصاريف قدرة الحق تعالى، ولأجل عَيْنٍ أَلْفُ عَيْنٍ تُكْرَمُ. انتهى. وطريق مَن وَجد من قلبه إرادة صادقة للسلوك في طريق ملك الملوك ولم يجد مُسَلكًا بحسب الظاهر أن يلتجىء إلى الباطن في الظاهر، ويرفع إليه أمره ويَشْكُوَ له ضُرَّه ويتشفَّع عنده بأكرم الخلق عليه وأعظمهم قدرفا وجاهًا لديه، ويتوسّل بأسمائه وصفاته ورفْعَة ذاته أن يدلّه على مَن يدلّه عليه ويوصِّله

إلى مَن يوصّله إليه، وليحذر أن يُلقي نفسَه إلى كل مَن يلقاه من المتمَشْيخين لا سيما في هذا الزمان، الذي كثرت فيه الدعاوي واختلفت فيه أهل العرفان، بل يُكثر من الاستخارة ويَستعمل الاستشارة، فما خاب مَن استخار ولا ندم مَن استشار، إلى أن ينشرح صدره إلى أحد المعيّنين إما برؤية منامية أو دلالة أحد من رجال الغيب فيدخلَ على يقين ولهذا استحبَّ أهل طريقنا أمرَ المريد بالاستخارة التي بالمراد ناطقة، ليدخل المريد بهِمَّة عليَّة صادقة. قال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في شرح اليُوسُفِيَّة المشتملة على جملة وافية من آداب الصوفية: فإن المتمشيخ يُظهِر صورة بغير علم ولا تحقّق وهذا في هذا الزمان كثير فَقَلَّ أن ترى شيخًا في هذا الزمان عالِمًا بالشريعة وأسرارها فافهم فهُم من الشيخ كالمتنبي من النبي والمتطبّب من الطبيب فيكون الهلاك للأتباع أسرعَ شيء وما عند المريد علم بذلك فكيف التخلّص من ذلك، فهذا المريد إذا نظر فيما قلناه وقع في حيرة عظيمة لجهله بالعلم الموصل إلى الله، وليس إلا الشرع المنزل، ولكن نرجو إن شاء الله بل أقطعُ إذا صَدَقَ المريد في طلبه ربّه أن الله عزَّ وجلَّ يُوقِعُه على شيخ هو شيخُ حقيقةٍ على بصيرةٍ من الله وإن لم يوجد في الموضع الذي يكون فيه هذا المريد ويقعُ على متمشيخ فإن الله تعالى بِصِدْقِ المريد يفتح على هذا المتمشيخ بالفتح المطلوب في حق هذا المريد وتخليصِه فيكون الشيخ مجبورًا على الحق ويستفيد بسبب هذا المريد علومًا لم يَكُن يعرفُها وربما يكون له فيها المِهداةُ فينتفع الشيخ، وهذا ما أجمع عليه أهل الله سبحانه. انتهى. فالمدار على صدق المريد في الطلب، وحُسْن الانقياد والاعتقاد والأدب، فمَنْ وفَّقه الله لذلك، سهَّل له طريقًا إلى مَن يرشده أحسن المسالك، ويُعرِّفه بدسائس نفسه، ويَسقيه من شُرَيْبات أُنسه، ويُدخله حضراتِ قدسه، ويُصيِّره ابْنَ وَقته لا ابْنَ غَدِهِ وأَمْسِهِ، ولما كانت المعرفة واجبةً كان طلب الموَصل إليها واجب، فلا ينبغي أن يتعلَّل الطالب بلعلَّ وعسى فإن التعلّل حاجب، بل يُبادر في التوجّه إلى مولاه، الذي بكل جميل أوْلاه، ويسأله بخالص الطَّوِيَّة والنِّيَّة، أن يمهِّدَ له طريق المعرفة الخاصّة العَلِيَّة، ويوقعَه بمَن يكونُ ارتفاعُ حجابِه على يديه، ويرزقه حُسْنَ الإقبال والصدق إذا عَثَر به ووصل إليه، ويُلهِمه أن يؤمره على نَفسه الأمّارة، ليخلِّصَه من وَرطة الرئاسة وطلب الإمارة، ويخرج عن طاعتها، ويجتهدَ في مجاهدتها، فقد قال بعضُ السادة لأن يكون المريدُ تحت حكم هرّة خير له من أن يكون تحت حُكْم نفسه، وقال آخر: كل مَن لا شيخ له فالشيطان شيخه، وقد قلنا في الألفية:

ولُذ بساقي الحيّ حَيّ الراح	وكأسَه خذْ فَرحةً بالرَّاح
فإنّ مَن لم يَسْقِهِ الأبطال	من الرَّحيق ذلك البَطَّال

ومَن بنفسِه سَرى لقيطُ	ففعلُه وقولُه تخبيطُ
وكل مَن ليس له شيخ فَذا	شيطانه عليه من جهل هذا
وإنّ في التلقين والمبايعة	سِرًّا تُسَرّ فيه نفس طائعه
متى يُحرِّك المريدُ السلسة	تأتي إليه من رجاله الصِّله
ومَن بدون وُصلة يُحرك	ما نال شيئًا وعليه الدَّرَك
وفيهما سرّ ارتباط القلب	بآخَرٍ والصدقُ عنه يُنْبى
وباتحاد كل واحد هنا	لِلثَّانِ يدعوه بِحَق يا أنا
ليس لنا بُدٌّ من الوَسائط	لَوْلاهُمْ كنا من البسائط
طُرْق الهُدى لا تسلكنَّ فيها	بلا دليل قد دَرى خافيها
فربّما تقع في المهالكْ	إن لم تَسِرْ بِسَيْرِ سَارٍ سَالِكْ
وإن تسِر من غير ما دليل	وقعتَ في التشبيه والتعطيل
لم تتّخذ نهجَ المنى مقيلاً	فإنه قد أمَّ جَبْرَائيلا
كذا الكليم أمّ يا ذا الخِضْرا	وهو أعزّ منزِلاً وقدْرا
وذا زَمانٌ قد طاب الخِفَا	وهْو كما علمْتَه حيّ الصَّفا
وفيه أنوارُ أُولي الصدق اجتمعت	حتى رسومَهم من البِلى عَفَتْ
وكلّما أظلمتِ الأكوانُ	ضاء بنور ربّه الجَنانُ
فإن تجد مسلكًا فَهَيَّا	أو مَسلكًا نحو الصلاة حَيًّا
والنفسَ دع كترك أهل الغِرَّة	وادخُل ولو من تحت حُكمِ هِرَّة
فإنه خير من التَّفَلتِ	والقلبَ صُنْ في الحُب عن تَلفّتِ
وكن لمن ربّاك ذَاكِي الحَسَبِ	مُنتسِبًا واحفَظ حقوق النَّسبِ
ولعنهُ لمن إلى الغير انتسبْ	دونَ أبيه جاء فَاحْذَرِ العطب
واعرِف حقوق الوالِد النصوح	مَن قد حَباك منه بالفُتوح
واشكره مَن لم يشكُرن للناس	لم يشكرِ الحق وعهدًا نَاسِي

واعلم أيها الأخ خلَّد الله عليك الإنعام، وخلَّقك بصفات الكمال والجمال ونجّاك من صفات الأنعام، أن طريق القوم مَنْهَجٌ واضح، ونوره لضياء الغزالة فَاضح، مؤيد بالكتاب والسُّنَّة، فُتوحه من عين المِنَّة، فالجدّ والاجتهاد، سبب لصَقَال مِرآةِ الفؤاد، الذي مَنْ كُشِف له عن وُسْعِه قال في عشرِ عشر عشرة لا يحتاج واصفه إلى دليل، لأنه ظاهرٌ غَنِيٌّ عن التمثيل كما قيل:

وليس يصحّ في الأذهان شيء	إذا احتاج النهارُ إلى دليل

وهو الجناب المقدّس، واللباب الأقدس، والسر الذي لا يعبّر عن سرّه ولا يُشرَح، إلا بالإشارة والذَّوق لمن في واديه يسرح، كما قال مَن صَرَّحَ في مقالِه إذ طاب له المِسْرح:

وليس جناب القدس إلا لأهله	وما كل إنسان بوادِيه يَسرح

وهو المِسْلك الفائح، والعُرْف البائح، فاشتَمّ شذاه العاطر، وبالرُّوح في طلبه خاطِر، وكما قال العارف الذي سحاب فيضه ماطر:

وخاطر ببَذْل الروح في طلب المنى	فما فازَ باللذَّات إلا المخاطِرُ

وكيف يصحّ منك إذا كنت مزكومًا إنكارُ طِيب الحمى، وهو قد تضوّع نشره وانتشر في الأرض والسما. قال المقيم السائح، والضاحك النائح، والصامت الصائح، والكاتم البائح:

فإن كنت مزكومًا فليس بلائق	مقالُك إن المسك ليسَ بفائح

وقد أحسن القائل الساري، الفائق دُرّ كماله على الدَّراري:

وإذا كنت بالمناظر غِرًّا	ثم أبصرتَ حاذقًا لا تُماري
وإذا لم تَرَ الهلال فَسلِّم	لأُناس رأوه بالأبصار

فَجَرِّدْ سيف العزم، وتدرّع بدِرع الحزم، واركب جواب الهِمَّة، في قطع الطرق المدلهِمّة:

واتْبَع دليلَ الرَّكب في سيره	واعْدِلْ عن اللاحي متى لاحا
وارفق بنَفَسٍ منك فالرفق ذا	يأتي بأرواح لمن راحا

وقد حقَّ لمن فاته السَّيْر، في مناهج الخير، أن يُجْرِيَ الدموع دَمًا، ويُعرِضَ عن الملاح والدُّما، ويَقرعَ سنّ الندم، على سِن مضى وفيه لم يتقدم، وينصف من نفسه العارف، ويتَّصف بقول العارف من بحر المعارف:

على نفسه فَلْيَبْكِ مَنْ ضاع عُمره	وليس له منها نَصيبٌ ولا سَهْمُ

وَحُقَّ له أن يتأوّه، إذ يتفوّه، على سَكْرَةٍ منها ولو عُمْرَ ساعةٍ، ترى الدهر عبدًا طائعًا ولك الحُكْمُ. وإذا دبَّت فيك حَبَّة المحبّة، وشربت من صَهْبائِها ورن حَيّة ولدَغك عقربُ التّوق، ورَدَعَك رادِعُ الشوق، فَجُلْ في عالم فِكرك، على مرشدًا يرشدك لشُكرك، حالة سُكرك، ويعرِّفك بحقيقة نسيان ذكرك، من ذكرك، ويَحميك بسطوة حاله، ويدُلُّك على الله بحُسْن مَقاله، وقلنا في أوائل الألفيَّة:

وقبل كل قاطب الأُستاذا	فإن تجده نلتقي عياذا
فإنه حصنُ الفتى والبابُ	وعنده الأسرار واللَّباب
فاصدُق إذا لقيته دليلاً	وقُمْ لدى أعتابه ذَليلا
واصبر إذا رُمْتَ الجَميلا	صَبْرًا يكون عنده جميلا
وكلّ مَن لمْ يتخذ إمامًا	لم يكُ قطُّ سائرًا أماما
بل في السُّرى يَخْبِط خَبْطَ عَشْوَا	وقلبُه من نارِ جهلٍ يُشْوَى
وإن مَن يصعَد من غير دَرَجْ	يُخْشَى عليه في وقوعه العَرَجْ
لا بدَّ من شخص يُرِي شُخوصها	لشاخِصٍ ويوضعَن نصوصها

وقد جال جواد البيان، في ميدان شرح طريقة الأعيان، والتي لا بدَّ فيها من الواسطة والدليل لكل إنسان.

صلاة: منصوبٌ بِصَلِّ المتقدّم على أنه مفعول مطلق.

تليق: أي تصلُح وتُناسِبُ مقامَه الشريف.

بك: بجانبك لجنابه.

منك: فإنك العالِم بمقامه ومَرامِهِ.

إليه: أي وأوصل ثواب هذه الصلاة إليه.

كما: الكاف للتشبيه ويحتمل أن تكون للتعليل أي لأهليّته، وما مصدرية فالمشبّه به الصلاة بمعنى المصدر، أو مَوْصُولة فالمشبهُ الصلاة بمعنى المفعول.

هو أهله: أي مستحق له ومتأهِّل باختصاصه إياه لكرامته عليك.

أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع: فإنه جمع بين مَشهد الأسماء تحقّقًا وتخلّقًا، وبين مشهد الذات تعلّقًا ، وجمَع بين مشهد الخَلقيّة والحقّيّة في آنٍ بحيث لا تشغله مُشاهدة الخلق عن الحق وجمع كل ما تفرّق من الكمالات في

الأنبياء والمرسَلين، وزَادَ عليهم بما خصَّه به الحق المبين، وهو الذي جمع الله فيه كل ما في العالَم فهو الحقيق بقول القائل:

وليس على الله بمُستنكَر	أن يجمع العالَمَ في واحد

بل جمع فيه كل ما في العوالم، فقد قيل أنها ثمانية عشر ألف عالِم، وقيل أكثر واسطة إمدادها، ونقطة دائرة إسعادها وإرشادها. قال شارح الدلائل: وأما اسمه (ص) جامِع فلأنه) ص) الجامع لِما افترق في غيره من الأنبياء والرُّسُل عليهم الصلاة والسلام وكذا الأولياء والعلماء رضي الله عنهم، وكيْف لا وهم صُوَرُ تفصيلِه وخُلفاؤُه ومظاهر تعيّناته، فما منهم إلا وهو سابِح في نوره، ومُمْتَدٌّ من بحره، كلٌّ على حسب مقامه، وكل خير وبركة قَلَّتْ أو جَلَّتْ منه حَصَلَتْ، وبطلعته ظهرت، وعنه امتد الوجود كلّه كما امتدتِ الشجرة عن البذرة، وهو بذرة الوجود، وأقرب موجود، ويَعسُوب الأرواح وهو الروح الأعظم وآدم الأكبر، وهو ذو الكلمة الجامِعَة والرسالة المحيطة، وهو الجامع للخلق على الله، والجامعُ لشملهم بتأليفه بينهم وجمْع شتاتهم، والجامع لدوائر الخيرات، والرسالات والنبوّات، والحقائق العيانية، وأسرار التوحيد الربَّانية، وجوامع الغيوب الفردانية. انتهى. وإنما كان سرّه الجامعَ لأن اسمَه الذي غلب عليه الاسمُ الجامع المنطَوي تحت حيطتِه كلّ ما عداه من الأسماء، فله الهَيْمَنَةُ عليهما، فهو كالقلب في وُسعه سائر الأشياء لأنه وَسِعَ تَجَلِّي الحق ولم تسعه السموات والأرض، فهو صاحب الوسع الإلهي الذاتي، وسواه ليس له إلا الصفاتي، فَجَمَعَ الكمالات الحَقِّيَّة والخَلقية وقد استدار زمانه كهيئة يوم خَلَقَه الله، فإن قَوْسَيْ دائرة الوجود أحدهما ينسب للخلق والثاني للحق، قال الله تعالى: { £ $ % 8 × ' ( ) * 9 }[(244)]، وأو معناها هنا التفصيل كقوله تعالى: {دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا}[(245)] أي تارة كذا وتارة كذا، فهو (ص) تارة في مشهد القاب وتارة في مشهد أو أدنى، لكن مقامه الذي خُصَّ به أو أدنى، وتنزّله للمشهد القابي تَدَلِّي، فإن مقام أو أدنى لا يُدانيه أحدٌ على الكمال غيرُه صلَّى الله عليه، وقد قلنا في الألفيّة:

خَوخَة أو أدنى فهذي لا تُرى	مفتوحةٌ إلا لسيد الورى
على الكمال وسواهُ يَقْتَبس	من نوره ونورُه لا يَلتبِس

واستدارة الزمان عبارةٌ عن انعطاف دائرة الرتبة الأوَّلية على الآخرية وإحاطتِه بها وجمعيتِه لهما. قال الجيلي رضي الله عنه في الكمالات الإلهية: فرسول الله (ص) هو الذَّاتي الوجود وما سواه فصفاتي الوجود، وذلك

أن الله تعالى لما أراد أن يتجلَّى في العالم اقتضى كمالُه الذاتي أن يتجلى في أكمل موجود ذاتي فخلق محمدًا (ص) من نور ذاته لأن العالَم بأجمعه لا يسَعُ تجلِّيه الذاتي لأنهم مخلوقون من نور الصفات، فهو في العالم بمنزلةِ القلب الذي وَسِع الحق وإلى هذا أشار (ص) بقوله: «إن يس قلب القرآن، ويس اسمه» أراد بذلك أن النبي بيَّن القلوب والأرواح وسائِر العَوالِم الوجوديّة بمنزلة القلب من الهيكل وبقِيَّةُ الموجودات كالسماء والأرض الذي لم تسع الحق، قال الله تعالى على لسان نبيِّه (ص): (ما وَسِعَني أرضي ولا سمائي ووَسِعَني قلب عبدي المؤمن)، فالأنبياء والأولياء والملائكة وسائر المقَرَّبين من سائر الموجودات ليس عندهم وسع المعرفة الذاتية، ومحمد (ص) الذي هو قلب الوجود هو الذي عنده الوسع الذاتي للمعرفة الذاتية وإلى ذلك أشار (ص) بقوله: «لي وقت مع الله لا يسعُني في مَلَك مُقَرَّب ولا نبيّ مُرسَل» فجعلهم بمنزلة السماء والأرض، فالمِلَك من أهل السماء والنبي المرسَل من أهل الأرض، فكِلاهما لم يَسَعِ الحق بالذات ويسعانِ الحق بالصفات، وَوَسِعَةُ القلب الذي هو يس لأن القلب يَسَع من المعرفة الإلهية ما ضاقت عنه السموات والأرض، فوَسِعَ النبي (ص) تجلِّيه الذاتيُّ الذي ضاقت الموجوداتُ عن ذلك. قال: وهذه المسألة لَقَنَنِيها رسول الله (ص) بِحُجَجِها التي ذكرتُها في هذا المكان، وبعد أن أمليتُها في هذا الكتاب أشارَ إليَّ أني أذكرُ تلقينَه في هذا الموضع وأُسنِدُ ذلك إليه كما وصفته، {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[(246)]. انتهى. فَعلم بما أسلفنا أنه الجامع على الحقيقة وجمعيةُ غيرِه مَجازية نِسبيَّة.

الدَّالّ عليك: إذ هو الدليل الذي اتّضح به السبيل، فَمَحَى بنور وجوده ودعوتِه العامَّة ظلامَ الشِّرْك الدّاج، وأنار بطلعته التَّامَّة سائر الأملاك والأفلاك والأبراج، فهو المِنهاج الذي به الاقتداء، والسِّراج الذي به الاهتداء، والدليل الهادي إلى الصراط المستقيم، والدَّاعي إلى الله على بصيرة والطريقُ القَويم، سائق الأبرار إلى دار القرار، والهادي بِبَيَانِه إلى منازل الأخيار، دليل الخيرات، ومُقِيل العَثرات، فليس في الإدِلّاء وإن كثروا أصيل، وإنما هو نوّاب مُقتبَسون من الدّليل. قال الأبوصيري رحمه الله تعالى ورضي عنّا به:

دعى إلى الله فالمستَمسِكون به	مُستَمسِكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلِقِ	ولم يُدانوه في علمٍ ولا كرمِ
وكلهم من رسول الله مُلتَمِس	غَرْفًا من البحر أو رَشفًا من الدِّيَم
وواقِفون لديه عند حدّهم	من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ثم قال:

وكل آيٍ أتى الرُّسُل الكِرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها	يظهرن أنوارَها للناس في الظُّلَم

فالأدلاَّء كثيرون، قال العارف:

وفي كل شيء له آية	تدلّ على أنه واحد

وهو أعظم الأدلاَّء مرتبَة ودلالة، وقد دلَّ الدليل، على أنه أدلّ دليل، وأجلّ جليل، وأجمل خليل، وأعظم الأتباع أتباعُه لأنه أفخم المتبوعين، ولذا كانت العلماء من أُمته وَرَثَة الأنبياء. روى ابن عدي في الكامل عن عليّ رضي الله عنه مرفوعًا (العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وَوَرَثَتِي ووَرَثَةُ الأنبياء)، فالتابع يَشرف على قدر مَتبوعه، ألا تَرَى أن الكُبراء إذا دخلوا منازل العظماء دخل معهم أتباعهم فلا يُقال أنهم أرقى ممَّن لم يدخلوا لأنهم دخلوا تَبَعًا لا استقلالاً، فأولياء هذه الأُمة لما اقتبسوا من مِشكاته (ص) كانوا كأنبياء بني إسرائيل عِلمًا لا رُتبة، فوارثُه (ص) أوسع دائرة من وارث غيره لأن الموِرث الأكبر دائرته أكبر ولن يبلغَ وَلِيٌّ درجة نبيّ، ومَن قال إن الولاية أعظم من النبوّة فمُراده ولايةُ النبيّ نفسِه أعظم مِنْ نبوّته لأن الولاية لها وجه واحد إلى الحق والنبوّة لها وجهان؛ وجه للخلق، ووجه للحق، وما كان مُختصًّا بالحق فهو بالرِّفعَة أحق.

وحجابك الأعظم: الحجاب هو الستر. قال في المصباح: حجبه حَجْبًا من باب قَتَلَ مَنَعَهُ، ومنه قيل: الستر حجاب لأنه يمنع المشاهدة، وقيل: البوَّاب حاجب لأنه يمنع من الدخول، والأصل في الحجاب جِسْمٌ حائِلٌ بين جَسَدَيْن، وقد استعمل في المعاني فقيل: حجاب بين الإنسان ومُرادِهِ، والمعصيةُ حجاب بين العبد وربّه، وجمع الحجاب حُجُبٌ مثل كتاب وكُتُبٌ. انتهى. وهو في الاصطلاح كل ما سَتر مطلوبَك عن عينِك، وحجاب العزّة هو العمى والحَيرة، والمرادُ به هنا المانِعُ الحاجزُ عن انتهاك حُرُمات الجناب الإلهي بما جاء من البَيِّنات فأمَر ونَهى ووعد وأوعد وخفَّف وشدَّد، فكان الحجاب الأعظم بين التلقّي من الحق والإلقاء إلى الخلق، فلو زال هذا الحجاب لضلَّت الخلق ولم تهتدِ إلى الصواب، لأن ظهور الذات بدون براقع الأسماء والصفات لا يكون.

قال العارف الربّاني العفيف التلمساني:

حَجبتْها الصفاتُ والأسماءُ	أن تُرَى دُونَ بُرقع أسماءُ

فالمِظهرُ المحمدي الأكمل، هو بِرقُع جمالها الأشمل، فإن فَيضَ مجلى الذات العَلِيَّة لا يُنالُ إلا بواسطة مظهر كامل ولا أكمل منه لقَبول فُيُوضها الخَفيَّة الجَلِيَّة، وأنشد سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه:

ولم يَبدُ من شمس الوجود ونورها	على عالَم الأرواح شيءٌ سوى القُرصِ
وليسَتْ تُنالُ الذاتُ في غير مَظهر	ولو هلك الإنسان من شدة الحِرصِ

وقال رضي الله عنه في فتوحاته: إن الله لا ينظر إلى العالم إلاَّ بِبَصَرِ عبده الكامل فلا يَذهب العالم للمناسبة، فلو نظر إلى العالم ببصره لَأُحْرِقَ، فينظرُ الحق ببصر عبده الكامل المخلوق على الصورة، وهو عين الحجاب بين العالم وبين السُّبُحات. انتهى. وقال في عقله المستوفِز: اعلم أن لله سبعين حجابًا من نور وظلمة لو كشَفها لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما أدركه بصرهُ من خلقه، فلهذا نرى الحق من غير الوجه الذي يرانا، وإنما يقع الإحراق إذا وقعت الرؤية من وجه واحد وهو وقوع البصر منك على البصر، وقد أوجد الله في هذه الدار مثالاً لذلك فخلق دابّة تسمى الصِّل[(247)] إذا وقع بصرُ الإنسان عليها وبصرُها عليه على خط واحد فاجتمعت النظرتان مات الإنسان من ساعته. انتهى. فالحُجُب راجعة إلى العبد لأن الحق تعالى لا يحجبُه شيء إذ لو كان محجوبًا لكان مقهورًا، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}[(248)]، والحُجُب خلقُه فحجب الخلق بالخلق. قال صاحب الحِكَم قدّس الله سرّه: كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس مَعَهُ شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء، كيف يُتَصَوَّر أن يحجبه شيء ولولاه لَمَا كان وجود كل شيء. وقال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في كتاب الحُجُب: قلنا وإذا كان الحب هو أعلى المقامات والأحوال وأصلُها والسَّاري فيها وكل ما سواه فَرْعٌ عنه، فالأَوْلى أن تُرَد إليه جميع المقامات والأحوال، ومما يؤيد أنه الأمْرُ الجامعُ والأصْلُ الكلِّي كونُه مقام أصلِ الوجود وسندُه، ومبدأ العالَم ومُمِدّه، وهو محمد (ص) فاتخذه الله حبيبًا حين اتخذ غيره نَجِيًّا، وقد قال (ص): «أُوتيت جوامِع الكَلِم» ، فمن حقيقة هذا السيد تفرّعت الحقائق عُلوًّا وسُفلاً:

وما على الله بمستنكر	أن يجمع العالَمَ في واحد

فأعطى الله عزَّ وجلَّ أصلَ المقاماتِ، وهو المحبة أصل الموجودات، وهو محمد (ص)، وبالحُب كان الوجود المحدث وقد ورد في الكتب المنزَّلة قال الله تعالى: (كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتحببت إليهم بالنعم فبي عرفوني) فقد جاء بأحببتُ وتحبَّبت، فإذا تحققت أن المحبة هي الأصل وأنها أعلى ما يُوهَب من الحُلَى فلا يُوسِيَنَّك علوُّها عن طلبها فقد قيل:

لا يوسينك عن مجد تباعده	فإن للمجد تدريجًا وترتيبا
إن القناةَ التي شاهَدتَ رِفْعَتَها	تَنْمُو وتُنبت أُنبوبًا فأُنبوبا

هذا وإن اختصَّ بها سيد المرسَلين (ص) فما اختصَّ إلا بالكمال فيها، ولكل موجود منها شِرْب لكن تتفاوت المشارِب، ومع أنها أعلى المقامات فالوقوف حجاب عن المحجوب فما ظنك بما يتفرَّع منها، ولما كان الأمر على الترقِّي، والتداني إلى مقام التلقِّي، والتلقِّي لا بدَّ أن يكون الأعْلى حجابًا على الأنزل إذا كنت متدليًا، ولا بدَّ أن يكون الأنزل حجابًا على الأعلى إذا كنت متدانيًا، لكن الصاعد محكوم عليه والمتَدلِّي حاكم، فالكل في الحجاب، ومقام لا حجاب حجاب. ثم قال فَصْلٌ متمّم: اعلم أيّها المحِبّ كائنًا مَن كان أن الحُجُب التي بينك وبين محبوبك كائنًا مَن كان ليس شيئًا سِوى وقوفك مع الأشياء، لا الأشياء، كما يقولُ مَن لم يَذق طعمَ الحقائق وإنما وقعتَ مع الأشياء لِضعفِ الإدراك وهو عدمُ النفوذ، وهو المعَبَّر عنه بالحجاب، وهو عدمٌ والعدمُ لا شيء فلا حجابَ، ولو كانت الحُجُب صحيحة لكان مَن احتجَب عنك احتجبتَ عنه، ولا يعرف ما نذكره إلا مَن كان الحق سمعَه وبصرَه، وهو الذي يعرف ما نِعبِّر عنه بالحجاب. فاعلمْ أنك إذا تفرَّغت لأمْرٍ ما بالكليَّة فبالضرورة تقفُ معه وذلك الوقوف هو مُجابذُ الحاجِب لك، فَتَخَيَّلُ أن الوقوف معك حجبك وليس كذلك، فالوقوف مع الخلق حجابك عن الحق، والوقوف مع الحق حجابك عن الخلق، وهذا من باب التوسّع والإيناس لِما في الكتاب والسُّنَّة من ذِكْر الحُجُب النورانية والظلمانية، وعلى هذا التوسّع ثبتَت الحُجُب. واعلم أنه ورد كل مقام كان حجابٌ بالنسبة لِما دونه، وهكذا الذوق، وكل صاحب مرتبة فهو حجاب على مَن دونه لأن استمدادَهم منه، فإن كل رجل من الرجال المعيَّنين يستمدّ ممَّن هو أوسع دائرة منه، فيكون المستمَدّ حجابَ المستمِد، وجميعهم يستمد من القطب الغوث فهو حجابهُم، وهو يستمدّ من روحانية أحد الأنبياء الأربعة المتقدّم ذِكرهم، وهم يستمدّون من الحجاب الأعظم (ص)، وهو (ص) يستمدّ من حضرة الإطلاق، ويمدّ سائر نوّابه من جميع العوالم الغيبية والعينية بحسب ما يُطاق، فيمدّ كل أحد على قدر استعداده لا على قدر سَعَته واستمداده، فإنه

البحر الخضمّ الزاخر، الذي لا يُدرَك له أول من آخر، ومَن نظر بعين قلبه إلى بحر فيضِه العليّ، وبَرَّ بِرِّهِ الجليّ، وشاهد تَلقّي سائرَ الكائنات عنه، وأخْذها بالوسائط أو بدونها منه، اندهش قلبُه، وطاشَ لُبُّه، وأينعتْ محبته، واتَّسعت مودَّته، فإن القطبَ له ستة عشر عالَمًا إحاطيًّا، الدنيا والآخرةُ عالَم واحد منها، وهو يمدّها جميعَها ومَن فيها، ونبيّنا (ص) هو المِمِدّ له بهذا الإمداد التام، ومُسعِفه باستطاعة حمل أعباء هذا المقام، بتلقِّي كل بلاءٍ نزل، أو مدد تنزّل، ويُفرِّقُه على العوالم، بحسب ما يُطلِعُه الخبير العالِم، فيعطي كل ذي حق حقه، ويَنشُرُ مُطوى تلك الشقّة، فهو من رحمة الله تعالى بالعِباد، الساري حُكمُها أبد الآباد، وإمامه الأعظم ومِقدامُه الأفخم، هو الرحمة العامّة، والنعمة التامّة، فإن به ظهر النور، من خلف سَجْفِ[(249)] الظهور، وهو جفنُ عين سرّ الظهور الحُبِّي، الذي به اجتمَع النور القربي، فلولا وجودُ سيد البشر، لتفرَّق نور عين الظهور وانتشر، فالجفنُ الأعلى من حيث باطِنُه العالَم العُلوي، والجفن الأسفل من حيث ظاهره العالَم السُّفلي، فإن العينَ الباصرة إذا انقطع جَفْنُها تَفَرَّقَ نورُها ولم ترَ شيئًا إذ هو حجابُ العين المانعُ من وصول الأذى إليها، وهكذا حكمُ مَن جاء رحمة للعالمين، فإنه الحجاب الأعظم الذي رحم الله به الجاهلين والعالمين، لولاك لولاك، لما خلقت الأفلاك، فبسببه وُجِدَت الممالك والأملاك، وجاء النور فانمحتِ الأحْلاك، والحجبُ وإن كثرت جدًّا ولم يطق الحاصر لها عَدًّا فهو أعظمها حجابًا وأرفعها جَنابًا، ومن جُملة الحُجُب العظيمة والستارات الكريمة حجابُ الظهور التام بالنور العام. قال العارف السويّ المِقدام:

بالظّهور الصَّرف مُحتجبٌ	أنتَ هذا صحَّ في الخبر
أنتة فيهِم ظاهِرٌ وبهم	ولهم لولا بقاءُ الأثر
لو تلاشَت عنهمُ ظُلم	وانْمحَوْا عن عالَم الصّور
شَاهَدوا معناك منبسِطًا	ساريًا في سائرِ الفِطرِ
ودَروا أن الحجاب هم	عن شهود المنظر النَّضِر
وقضى يعقوبُ حاجَتَه	وانتهى زَيْدٌ إلى الوَطَرِ

وقال آخر:

وما احتَجَبَتْ إلا بِرَفْعِ حِجابَها	ومن عَجَبٍ أن الظهورَ تَستُّرُ

وأنشد بعض العارفين:

لقد ظَهرتَ فما تخفى على أحد	إلا على أكمهٍ لا يعرفُ القَمَرَ
ثم اسْتَتَرْتَ عن الأبصار يا صَمَدُ	وكيف يُعرف مَن بالعِزَّةِ اسْتَتَرَ

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه في لطائف المِنَن: فما احتجب الحق عن العباد إلا بعظيم ظهوره، ولا منعَ الأبصارَ أن تشهده إلا قهَّاريّةُ نوره، فَعظيمُ القرب هو الذي غَيَّبَ عنك شهودَ القُرْب. قال سيدي أبو الحسن قدّس الله سِرَّه حقيقة القرب أن تغيب في القرب لعِظم القرب، كمَن يشمّ رائحة مسك فلا يزال كلما دَنا منها تزايدَ ريحُها فلما دخل البيتَ الذي عو فيه انقطعت رائحته. انتهى.

وقال الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر: فإن قُلت إن الق تعالى أخبر أنه أقرب إلينا من حبل الوريد فإن كان بهذا القُرْب العظيم فَمَا المانع من رؤيته؟ فالجواب المانعُ من رؤيته شدة القرب كما قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ *}[(250)] أي لشدة قُرْبي. انتهى.

وقال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في كتاب الحجب: حجاب القربِ القربُ هو حجابٌ عن الذات لأن فيه مشاهدةَ بقاءِ الرسم ومَن بقي رسمه فلا مشاهدة له ومَن لا مُشاهدة له لا معرفة به بالذات كما قيل:

وفي القرب تبعيدي عن إدراك ذاته	وما لي سوى الذاتِ النزيهةِ مطلب

انتهى. ومنها الوِصال فهو حجاب عن مقام الانفصال الذي هو أعلى منه وحجاب عن الحق فإن مَنة شهد أنه واصل فهو في الفائت لا الحاصل، فإن الوِصال يقضي بفناء العبد وبقاء الحق، والانفصال عبارة عن بقاء العبد بعد الفناء بإبقاء الربّ، ومقام البقاء أعلى، فالوِصال يَحْجب المواصِل فلا يرى وَصْلاً ولا يشهد فصلاً ألا ترى الغريقَ في الماء لِشدة اتصاله بِعينيه إذا فتحهما لا يرى الماء. ومنها الشهود للواحد المشهود فإنه يُفْني المشاهِدَ بِما يَشهدُ في تلك المشاهِد، والحادثُ إذا تجلّى عليه الحق أفناه ولوجوده محَق، وفي الحديث ما تجلَّى الله لشيء إلا خضع، قال القشيري رحمه الله أي فَنِيَ. ومنها الغيبةُ والحضورُ، والتملِّي بعد رفع الستور، وكشفُ الحجاب، ووقوفُ المحِبّ بالباب، ورؤية الأحباب، إلى غير ذلك من الحُجُب الرافعة المقَرّبة الشافعة، فهي من جملة الأبواب وهي الستر والحجاب، وأعظم الحُجُب المدْنية من ربّ الأرباب سَيّدُ السادات والأقطاب فهو (ص) حجاب أبدًا لا يرتفع ونقاب على الوجه الجميل لا يَصِل بدونه الطالب ولا

يرتفع، فما ظهر ما ظهر للعالمين إلا من خلف حجابه، ولا شرب مَن شرب إلا بكاساته وأكوابه، قال البِكْري قدّس سرّه في صلواته النبوية: (مَن لا تُجْلَى أشعةُ الله لقلب إلا من مرآة سرّه هو النور المطلق، ولا تُتْلى مَزاميرُه على لسان إلا بِرَنَّاتِ ذِكره وهو الوتر الشفعي المحقّق)، وهو الباب الذي لا يُدْخَل إلا منه، واللباب الذي لا لُباب إلا عنه، قال البكري رضي الله عنه:

وأنت باب الله أي امرىء	أتاه من غيرك لا يدخل

ولا يَعْرِفُ كَشْفَ سرّ كونه الحجابَ الأعظمَ الأحمى، وأنه بابُ الأبوابِ والواسطة العظمى، إلا مَن عرّفه الله بذلك، وأنشقه عَرف ما هنالك، وإذا كانت الأولياء أرباب الرسوخ في المقام تجهل مراتب بعضها وَوِساطة مَنْ هو أرفعُ مرتبة في المقام، كما وقع لسيدي عبد الرحمن الطَّفْسُونجي وسيدي عبد القادر الجيلاني الهمام وقول الطفسونجي: لم أسمع بذكر الشيخ عبد القادر إلا في الأرض وأن لي أربعين سنة في دَرَكات باب القدرة فما رأيته ثَمَّ، وقول سيدي عبد القادر: قولوا له أنت في الدَّرَكات ومَن هو في الدَّرَكات لا يرى مَن هو في الحَضرة، ومَن هو في الحضرة لا يرى مَن هو في المخدع وأنا أدخل وأخرج من باب السر من حيث لا تراني بأمارة خرجتْ لك الخلعةُ الفلانية في الوقت الفلاني خلعةُ الرِّضى على يدَي وبإمارة خروج التشريف الفلاني في الليلة الفلانية تشريف الفتح على يدي وبإمارة أن خلع عليك في الدَّرَكات بمحضر اثني عشر ألف ولي خلعةُ الولاية وكانت فرجيَّةً خضراءَ طرازُها الإخلاص على يدي، فلم بلغته الرسالة قال: صدق الشيخ عبد القادر سلطان الوقت وصاحبُ التصريف. انتهى من البهجة مختصرًا، فكيف لا تُجهَل وساطة مَن هو في سرادقات غيب الغيب الذي لا يُدْرَك سرّه ولا يُلتقطُ لتموّج بحره [الهَتْورِدُر]، ولا يُقال كيف تَجْهَل الأولياءُ مراتبَ بعضهم وهم أهل الكشف العليّ والرشفِ الجليّ، فإن ما من كشفٍ عالٍ إلا وفوقه أعْلى ولا رشفٍ جليّ إلا وفوقه ما هو أجْلى، والأعْلى حجابٌ على الأدنى. قال الشعراني رضي الله عنه في الجواهر والدّرر: وسمعته رضي الله عنه يقول: الخلق على طبقات عامّة فقهاءُ ومتصوّفة وصوفية وعارِفون وكاملون ومُكمّلون وأقطاب فكل مَن كان في مرتبة من هذه المراتب أنكر ما وراءها ضرورة لعدم ذوقه له، فالفقيه ينكر على المتصوّف، والمتصوّف ينكر على الصوفية، والصوفية تنكر على العارفين وهكذا، والقطب لا ينكر على أحد لمروره على المراتب كلها، ومرادنا بالإنكار من حيث الفهمُ لا الإنكار من حيث الأحكام الشرعية التي صرَّحت بها الشريعة. انتهى. فكان صاحب المقام الأعلى حجابًا على الأدنى وهم

أيضًا لا يعلمون إلا ما علَّمهم الخبير العليم، ولا يستكشف الكامل لسلوكه صراطَ الأدب المستقيم، ثم قال المؤلِّف قدّس الله سرّه.

القائم لك بين يديك: قيامًا كليًّا لا يُعادِله قيام لاتّصافه بالعبودية المِحضَة على الكمال والتَّمام، فلا يقوم بين يَدي سيده أحد كقيامه، ولا تُضرَب في ذلك المقام على بساط الدنوّ الأعلى غيرُ خيامه، فكل أهل الحضرة بالنسبة إليه جلوس، وهو القائم بكمال التلقِّي من حضرة القدّوس، وهو سماء التجلّي وأرض التدلّي، وجبال التمكين وأودية السّرّ المكين، والسَّحاب الماطِر بماء التقريب، النازلُ على القلوب بكل سرٍّ عجيب، فالقائمون كثيرون، وكلهم في ظل هذا القائم يسيرون، لأنه المشار إليه في الحضرة العَلِيَّة الزّلفى، والمِعَوّل عليه في كل ما يظهر أو يخفى، فما أوْسَعَ جاهَهُ العريض، وما أعجزَ الخلق عن وصفه الإجمالي في النثر والقريض، وما أسعدَ مَن التجأ إليه، وجعل تعويله بعد الحق عليه، فإنه المِرآةُ المِجلُوَّة الكماليّة، التي ما شَذَّ عنها شيءٌ من المصنّفات الجلالية والجمالية، وهو القائم غدًا بين يدي ربّه للشفاعة خطيبًا، فيقالُ مِنبرُ القُرْب ضمّ خطيبًا، فيلبَس خَلعة الإكرام في ذلك المقام، ومن طيبة تضمّخ طيبًا. وقوله لك بين يديك أي لا لغيرك بين يدي قدرتك وسلطانك في حضرة تقريبك وامتنانك، فإن المراد باليد القوةُ والقدرةُ، قال الله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}[(251)]، وهذا من الفن المسمّى بالتورية والإيهام بأن يذكر لفظًا له معنيان بالاشتراك أو التواطىء أو الحقيقة والمجاز، أحدهما بعيد فيُقصعد ويُورَّى عنه بالقريب ليتوهَّمَه السامع من أول وَهْلة وتسمى في هذه الآية مُرَشَّحه فإنه يحتمل الجارِحة وهو المورَّى به، ورشّحه بذِكر البِناء، ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود كذا ذكره ابن حجر في شرح الهمزية ملخصًا، فلك الحمد يا ربّنا على ما أنعمتَ به علينا من النِّعَم العامَّة والخاصَّة الجسيمة وعلى ما تفضَّلت به من النِّعمة العظيمة حيث جعلتنا من أُمة سيد الأنام ومِصباح الظلام (ص) ما سَحَّ الغمام أو ناحَ الحمام. ولقَدْ جرى على اللسان أبياتٌ تناسبُ أن تذكر في هذا المقام وأن تجعل عليه كالسحابة على وجه الشمس البسَّام وهي:

هبَّت نُسَيمات الوِصال فهاتِ	كأسًا به سُكري من الميقات
وأدِره صِرْفًا ثم شَنِّف مسمعي	في ذكر مَن أهوى تطيبُ وفاتي
واكشِف لنا عن وجه سلمى إننا	بشهودها في جنة الجنَّات
وابسُط بِساط البَسط لي في جانب	عند انقباضِ الغير في الحانات

ولقد طربتُ إذِ الحبيب مُواجهي	بسَنا التداني من جميع جهاتي
كُشِف الحجاب فلا حجاب ولا غِطا	في سائر الخلوات والجَلوات
لا غيرَ يُشهد إذ سواه هالك	فيما مَضى والحالِ ثم الآتي
يا ساقيَ الندمانِ كأسًا مُترعا	عُدَّت به الأحياء في الأموات
يُدني الذي شطَّت ديارُ دُنُوْه	ويغيب منه الصَّبُّ بالسَّكرات
روِّق دِنانك واسْقِه أهلَ الوفا	ليَخْلُصوا من آفة الآفات
قومٌ لقد خَرَقوا حجاب نفوسهم	مُذ أشهدوا العجائب الآيات
ورَأَوْك عَيْن حِجابهم لكنهم	بِكَ شَاهَدُوا المحبوب في الآناتِ
وأريتَهم من خلفِ سِتْرك ما رَأَوا	فَبِكَ استطاعوا حملَ ذي الحُلاتِ
لو أنهم كُشِفوا بدُونك أُعدموا	حالاً بلا مَهَل ودون فَواتِ
لولاك ما طاقوا ظهورَ صِفاتِه	كيف الثباتُ لدى التجلّي الذاتي
أنت الحجابُ وأنت بَابُ دُنُوهم	في سائر الأوقاتِ والساعات
مَنْ ذا يُطيقُ ظهورَ نور جمالك	السامي أو لَمْحًا من اللَّمَحات
فَأبُو يَزيد مَاتَ تلميذٌ له	لما رَآه كيف غيبُ الذات
وهو الذي لما تطلَّب أن يرى	مِن نور ذاتِك سيدَ السادات
نزرًا يسيرًا ما استطاع لِلمْعَةٍ	منه وكادَ يذوبُ باللَّمعات
ثم ابتغى سِترًا فأُسدِل دونه	لولا الحجابُ لذابَ بِالنظرات
فَلِذا سُمِّيتُم بالحجاب الأعظم	الأحمى لأنّ بكم حياةَ حياتي
ثم الصلاةُ عليك يا خير الورى	ما لاحَ بَارِقُ حضرةِ الحَضرات
وكذا السلام مدى الدنيا يُهدى لكم	ما دام ذكرُ النفي والإثبات
والآل والأصحاب ثم وتابع ما	اهتزَّت الأحباب في الصلوات
أو قال يومًا مغرمٌ لوصالكم	هبَّتْ نُسَيمات الوِصال فَهاتِ

ثم قال المؤلِّف رحمه الله:

أللّهمَّ ألحِقْني بنَسَبِه: أي أَوصِل نسبي الظاهِر بنسبه أو يكون أراد به الباطن على ما سيأتي، والنسب قال في المختار: واحد الأنساب والنِّسبة بكسر النون وضمُّها مثله، ورجل نسَّابة أي عالِم بالأنساب والهاء مُبالغة في المدح، وفلان يناسب فلانًا فهو نسيبُه أي قريبُه، وبينهما مناسبة أي مُشاكَلَة، ونَسَبْتُ الرجلَ ذكرت نسبه، وبابُه نَصَر ونِسبتُه أيضًا بالكسر. انتهى. واعلم أن النسب على قسمين: جسماني وروحاني، والأول هو النازل، والثاني هو العالي الداني وهو الذي قرَّب سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وأَبْعَدَ أبا لهب وأبا طالب ولم ينفعهما النسب الجسماني، وإلى هذا أشار العارف الرَّبَّاني سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه ما سبَّح عارض بقوله:

نسبٌ أقرب في شرع الهوى	بيننا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبَوَيْ

فإن نسبَ الروح أدْنى وهو بيتُ الفُتوح، إذ هي أَلْصَقُ من الجسم بنا، وعليها استقام أمْرُ هذا البِنَا، وقد قُلْنا في الألفيَّة:

واعلم بأن النَّسب الرّوحاني	أقرب عندهم من الجسماني
إذْ رُوحُنا أَلْصَقُ مِنْ جِسْمٍ بِنا	وهي التي قام عَلَيْها ذَا البِنَا
ووالد الروح مقدّم على	والدِ جسم إذ مقامُه عَلا
لأنه يُصلِح منّا القَلْبَ	فلا نَرى بعد ثباتٍ قَلبا
سَاعٍ على عِمارة البواطِن	مُؤَدِّيَ الحقوقِ للمواطن
ووالِدُ الجِسْمِ يُرْبِي الجِسْم	فَلَمْ يكن يَمحُ اسمنا ورَسما
وأجمعوا أن الذي لا يُقْتَدى	في السر والجهر به لا يُهْتَدى
وكلّ مَن لم يَسْلُكَن بالجدّ	ولم يَدع كان أبي وجَدي
فَلَمْ يَجِيءْ منه بِذَا الطريق	شيءٌ ولا يَرى سَنَا البَرِيقِ

فقول المؤلِّف رضي الله عنه: أللّهمَّ ألحِقْني بنَسَبه، أي النّسب الباطن الذي هو نسب الحُب والإتباع، وهو الذي به الانتفاع والارتفاع، ونسب التقوى الذي به السالِكُ يَقوى، وفي الحديث يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة: اليوم أضَعُ نسَبَكم وأرْفَعُ نسبي أين المتَّقون، وعنه (ص): «لا فضل لعربي على عَجَمي ولا لِعَجَمي على عربي ولا لأَسْوَدَ على أبْيَضَ إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب» ، وعنه (ص): «إن الله

أذْهَبَ عنكم عَيْبَة الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس رجلان مؤمن تقي وفاجر شقي» . قال في المختار: العيب والعَيبة أيضًا والعاب بمعنى. انتهى. أو يكون أراد بقوله ألحقني بنسبه أي اجعلني مُضافًا إليه ومُلحَقًا به كالتحاق بَنيه بنسبه لأكون محبوبًا لديه محبّة الكلّ لجُزْئِه والأصلِ لِفَرْعِهِ، فيتكمل ظاهري بانْتِسابي لِظاهريّته، ويتكمَّل باطني بتحقّقي بِحَسَبِه المتَيَسّر لباطنيّته، فإن نسبَه أشرفُ الأنساب وحَسَبَهُ أشرفُ الأحساب، فمَن جمع الله له بين نسبِ جِسمانيته وحسبِ روحانيته فهو الكامل النِّسبة، الذي لم يفتخر بمجرد الانتساب لأبيه، فإن شرفَ الانتساب وإن كان نعمةً فالوقوف معه والاغترارُ به نقمة، وقلتُ في هذا المعنى سابقًا لمن تعنَّى وكان مَعناه:

إذا انتسبَ الأشرافُ نحو جدودهم	وقد قَنِعوا في ذلك النسبِ الأدْنى
فَخُذْ نَسبَ التقوى لتقوى بأخذه	على نيل ما ترجوه في المنزِل الأسْنى
ولا تغترِر فيما الجدود أتَتْ به	ولكن لهم كن تابعًا تُدْرِك الأَمْنَا
فمَن يَنْتَسب نحوَ الجدودِ ذوي الوَلا	ويَذكر ما نَالوه في الحَضرة الحَسْنا
ويَرْضَى بأفعال تُخَالِفُ فِعْلَهُمْ	وَحَالَهُمْ هذا هو الجاهل المِضْنى
فَخَلِّ الدَّعاوي بالجدود وغيرهم	من العلم والتقوى وما شاكَلَ المعنى
وجُدّ كما جدّوا بصِدقٍ وهِمَّة	لعلَّ إلى أحوالهم ساعةً تُدْن
فليس الفتى مَن يَدَّعي ذا بنفسه	ولكن مَن يُدعى له الحبّ قد أفنى
فَسَلْمَانُ مِنَّا وهو من فارسٍ وقد	تَفوَّق على الآباء بتوفيقها الأَبْنا
ولم ينتفع فيه أبو لهب كما	قد انتفع الأصحاب لما المنَى أَدْنَى
نعم إن للأنساب فَضْلَ مِزِيَّة	ولكنَّ مَن يَغْتَرّ فيها يَنَل حُزنا
وإني لأرجو بانتسابي لسيدي	أبي بكرٍ الصِّدِّيق سَاقِينا الدَّنا
شفاعتَه لي إنني أنا مذنبٌ	كثيرُ الخطايا نادِمًا قارِعًا سِنَّا
وإن كنت قد عقَّيتُ في كل حالة	فلم يرضَ يدعوني حياء له ابْنا
عساه بأن يرضى انتسابي لجاهه	وأنْ به يَرضى آلُه والوَرَى عَنَّا
وصَلِّ على مُجلي الصَّدا عَلِم الهُدى	وسلِّم عليه ما المتيَّمُ قد أثنى

وآل وأصحاب كرام وعِتْرَةٍ مَدَى	الدَّهر ما دارت كؤوس الرِّضى مَثْنى

ثم قال رضي الله عنه.

وحقّقني بحَسبه: وقوله: حقّقني، أي اجعلني مُتَيَقّنًا مُتَّصفًا بحَسَبه. قال في المختار: والحسب أيضًا ما يعدّه الإنسان من مفاخر آبائه، وقيل: حسبه دينه، وقيل: ماله، والرجل حسيب. قال ابن السِّكِّيت: الحسب والكرم يكونان بدون الآباء، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء، وقال في المِصباح: وقال في الأزهري: الحسب الشرف الثابت له ولآبائه، قال: وقوله عليه الصلاة والسلام تُنكَح المرأة على حسبها أحْوَجَ أهْلَ العلم إلى معرفة الحَسَب لأنه سما يُعتبر في مَهر المثل، فالحسب عدّ الفِعال له ولآبائه مأخوذ من الحِساب وهو عدّ المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حَسَبَ كل واحد مناقبه ومناقب آبائه، ومما يشهد لقول ابن السِّكّيت قولُ الشاعر:

ومَن كان ذا نَسْبٍ كريم ولم يكن	له حَسَبٌ كان اللئيمَ المذَمَّمَا

فَجَعَلَ الحَسَبَ فِعالَ الشخصِ مثل الشجاعة وحُسْن الخلق والجود، ومنه قولهم حَسَبُ المرء دينُه، وقولهم يُجْزَى المرْءُ على حَسَبِ عمله أي مقداره. انتهى. فالافتخار بالأعظُمِ الرَّمَم، يقال لصاحِبه عِظامي، أو بشرائف الأخلاق فيقال لصاحبه عِصامي، ومَن جمع بينهما فهو الجامع الذَّاهب، أسنى المذاهب، وقد قلنا في مطلع قصيدة معشّرة:

ما افتخار الفتى ببَالِي العِظامِ	يا عِصامي بل في الصفات العِظام

ومعنى قوله: حقّقني بحسبه، أي اجعلني متحقّقفا بصفاته الحميدة، لأتخلّق بتلك المآثر الشريفة المجيدة، فأحتظيَ بالقرب من جنابه، وأستقيَ من خالِصِ شرابه ، ولأكونَ وارثَ حاله المحمدي، وحارثَ مجالِه الأحمدي، فأفوزَ بنَيل ذلك، وأحوز أشرف المشالك.

وعرِّفني إياه: المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه ولو من بعض وجوهه، وإيَّا ضميرٌ منفصل، والهاءُ كالياءِ والكافِ حُروفٌ تُزاد لبيَان الغيبة والتكلّم والخطاب لا محل لها من الإعراب.

معرفة: منصوب على أنه مفعول مطلق مِنْ عَرِّفْني.

أسلم: أي أَنْجُو، وهو فعل مضارع، والفاعل الضمير المستتر مجزوم إن قصد به الجزاء، أو مرفوع إن جُعِل صفة لمعرفة أي معرفة مسلمة.

بها: أي بسببها.

من موارد: جمع مورد. قال في المصباح: والمورد مثل مسجِد موضع الوِرْد، وورَد زيد الماء فهو وارد وجماعةٌ وارِدَة ووُرَّاد ووَرَّد تسمية بالمصدر ووَرَدَ زيد علينا وُرُودًا حضر، ومنه ورد الكتاب على الاستعارة. انتهى.

الجهل: قال في المختار: الجهل ضدّ العلم، وقد جَهِل من باب فهِم وسلِم، وتجاهل أرى من نفسه ذلك وليس به، واستجهلهُ عَدَّهُ جاهلاً واستخفَّه أيضًا، والتجهيل النسبة إلى الجهل، والمجْهَلة بوزن المرتبة الأمر الذي يحمل على الجهل ومنه قولهم الولد مجْهَلَة، والمجهَلَة المفازة لا أعلام فيها. انتهى. والمعنى اجعلني عارفًا به (ص) معرفة أنجو بها من ورد موارد الجهل بجنابه الرفيع العالي، إذ الجهل داء ودواؤه المعرفة بالتعرّف من أهل المعالي، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[(252)]، وإذا عرَّفك الله بشرف مقامه الأمجد، وتفرّده في كل مقام أوحد، لزمْتَ طريق الأدب معه في كل حال، وسلكت منهاجه القَويم في الإقامة والتّرحال، واتبعت أثر قَدَمِهِ الشريف، وتمسكت بالعُرْوَة الوثقى من حُبّه المنيف، فأفْضَى بك الحب إلى منازل القُرْب، وأشْرَفْتَ بصدق الاتّباع على رفقة مقام الأتباع، وهناك ترى بعد هذا العُرُوج أن اسمك قد خُطَّ في تلك البُروج، وتُدْرِك بالكشف اليقيني البدء والنهاية، فيزول عنك الجهلُ والشك وهذه هي العلامة والآية، وتُرفَع عن عين قلبك غواشي الأسْتار، وتتحلَّى بصفة الكَتْم لتخلّقك باسمه السَّتَّار، ويجب عليك في هذا المقام أن لا تأمَن المكْرَ الإلهي، ولا تزهو بعلمك ولا تفتخر ولا تُباهي، فإن في غيب الذات الذي لا يُدرَك، ما يُوجِب الخوف والخشية ولو كَشَفَ ما كَشَفَ وأدرك ما أدرك، فإن المدْرَك عند أهل الكُشُوفات العَلِيَّة، هو ما تَعَيَّن في المرتبة العِلمية، وأما ما بطن في غيب الذات الأقدسية، فلا يُعْثَر عليه ولا يَصِل إليه أحد ولو بلغ أقصى المراتب السَّنِيَّة، ومن هنا قال السيد الأكمل (ص): «لا أُحصي ثناء عليك» . قال القونوي رضي الله عنه في شرح الفاتحة: أي لا أبْلُغ كل ما فيك فاعترفا بالعجز عن الاطّلاع على كل أمره، وقال سبحانه مُنَبِّهًا على ذلك: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}[(253)]، وقال: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}[(254)]، والقليل هذا شأنه فما ظنك بما ليس بعلم عند العُقلاء كلهم، ولذها نُهِيَ الناسُ عن الخوض في ذات الله وحُرِّضوا على حُسْن الظن به وسيّما في أواخر الأنفاس. ولما صَحَّ أن أقربَ الأشياءِ نسبةً إلى حقيقة الشيء روحُه وكان عيسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام روحَ الله ومن المقَرَّبين أيضًا بإخبار الله وإخبار أكبر رُسُله عنه ومع ذلك قال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}[(255)]، عَلِمْنا بهذا وسواه من الدلائل التي لا تُحصى كثرةً مما أومأنا إليه وسكتنا

عنه لوضوح الأمر وكونِه بَيِّنًا بنفسه أن الاطّلاع على ما في نفس الحق مُتعذّر، فالحاصل عندنا من المعرفة المستَفادة من إخباره سبحانه لنا عن نفسه هو بتقليدٍ منّا له، وكذا ما نشهده وندركه بقوة مِنْ قُوَانا الظاهرة والباطنة أو بالمجموع إنّما نحن مُقلّدون في ذلك لِقُوَانا ومشاعِرنا، وقُصَارى الأمر أي غايتُه وآخِرُهُ أن يكون الحق سَمْعنا وبَصَرَنا وعَقْلَنا فإن ذلك أيضًا لا يقضي بحصول المقصود لأن كينونيّته معنا وقيامَه بنا بدلاً عن أوصافنا إنما ذلك بِحَسَبِنا لا بحسبه كما بَيَّنَّا، ولو لم يكن الأمر كذلك لزم أن يكون كينونة الحق سمعَ عبده وبصَره وعقله باطنًا وظاهرًا على ما هو الحق عليه في نفسه فَيَرى العبدُ إذًا كل مبصَر، ويسمع كل مسموع سمعه الحق وأبصره ولزم أيضًا أن يَعقِل كل ما عقله الحق وعلى نحو ما عقَله. ومن جملة ذلك بل الأجلّ من ذلك عقلُه سبحانه ذاتَه على ما هي عليه ورُؤْيَتَهُ لها كذلك وسماعَه كلامَها وكلامَ سواها أيضًا، كذلك وهذا غير واقع لمن صحَّ له ما ذكرنا ولمن تحقَّق بأعلى المراتب وأشرف الدرجات فما الظن بمَن دونه، فإذًا لكلٍّ من الحيرة في الله وفيما شاء نصيبٌ، وتذكّر قوله: خَمْسٌ من الغيب لا يعلمهنَّ إلا الله، وقوله: {قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ}[(256)]، وقوله: {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ}[(257)]، وقوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[(258)]، وقوله: { ء ــ . ف ق ك ل م ن ه و ى ي ّ } [(259)] وغير ذلك مما يطول ذكره والله يقول الحق ويهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم. انتهى. ومَن عرفَ ما تقرَّر فَهِمَ مَنشَأ خَوفِ أهل الكمال، وفرطَ خشية أهل الجلال والجمال، الذين كُوشِفُوا بحقائق الأمور، بعد رفع السّتور، إذ لا يُدْرِك الحق على ما هو عليه وما استحق إلا الحقّ، ومَنْ أدرك أن ثَمَّ ما لا تُدْرَك فقد أدرك، ومن هنا قال جدّنا الأعْلى، الصديق الأكبر الأغْلى، قدّس الله سرّه الأنور الأجلى: (العجز عن دَرْك الإدراك إدْراك)، وقد ضمنت مقالة هذا الهمام، تبعًا لسيدي محيي الدين الإمام، والجبلي المِقدام، فقلت سابقًا:

العجز عن دَرَك الإدراك إدراك	فما لِمَنْ رَامَ غَيْرَ العَجْز إدراكُ
العبد يعجز عن إدراك جملته	فكيف يُدْرك مَنْ للكل مَلاَّكُ
مَنْ ذاته قد تعالت أن يُحاط بها	والعَقْلُ جَارَ وأملاكٌ وأفلاك
وكيف يُدْرِكُ مَنْ بِالحَدْثِ مُتَّصِفٌ	مَنْ قَدْ تَقَدَّسَ أن يُدركَه دَرَّاك
فَدَعْ وساوسَ أوهام الصُّدور وَقُلْ	العجز عن دَرَكِ الإدراك إدراك

وإذا كانت حقيقة النبي (ص) لا تُدرَك ولا تُعرَف حَقَّ المعرفة فكيف بحقيقة الحق، فما عَرَفَ أحدٌ الحق إلا على قدر ما تَعَرَّفَ له من المعرفة به فعرف الحقَّ بالحق على قدر العارِف لا المعروف، وإلى هذه الإشارة بقوله: (فتعرفتُ إليهم فَبِي عَرَفوني)، فقوله رضي الله عنه: (معرفة أسلم بها من موارد الجهل)، أي ولو من بعض وجوهه المحمدية التي مَن عَثر على وَجْهٍ منها سَلِمَ من المهالك وسلك المسالك الفرديّة، فإن الإحاطة بكل وجوهه على الكمال متعسِّرةٌ صعبةُ الارتقاء عسرةُ المنال بل هي لا محالَةَ عَيْنُ المحالِ عند مَن عَرَفَ سَعَةَ ذلك المجال.

وأكرع: معطوف على أسلم. قال في المختار: كَرَعَ الماءَ تَناوَلَهُ بِفِيهِ من موضعه من غير أن يشرب بكفَّيه ولا بإناء، وبابه خَضَعَ، وفيه لغة أخرى من باب فهم.

بها: أي بتلك المعرفة.

من موارد الفضل: الإلهي الذي لا يُوصَفُ بالتناهي، قال في المصباح الفضيلة والفضل الخير خلاف النقيصة والنقص. انتهى. قال تعالى: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}[(260)]، وفي الحديث «سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج» ، وقد شبَّه الجهل والفضل بأنهار وعيون يُستقى منها تشبيهًا مُضمرًا في النفس ثم استعار ذكر الموارد فتكونُ الاستعارة مَكنِيَّة، وذِكْرُ الكَرِعِ هنا ترشيح، وانظر ما أحسن قوله: (أسلم بها من موارد الجهل) وهي تَصدُقُ بكل وصف ذميم فإن الاتّصاف به جهلٌ بالنسبة للخُلق الكريم، وقوله) : وأكرع بها من موارد الفضل) فإنها تعمّ كلّ خُلُق عظيم، فكأنه طلب التَخَلِّي الكامل والتحَلي الشامل بواسطة معرفة السيد المعَظَّم (ص)، ولا يَسلَم العبد كمال السلامة ويكرع من الشراب الذي ليس فيه مَلامَة إلا إذا صار بلا واسطة يأخذ عنه بالمشافَهَة يتلقّى منه. حكى الشعراني رضي الله عنه أن سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه كان كثيرًا ما يقول لوالدته: رأيتُ النبي (ص) في المنام، فقالت له: الشأن أن تأخذ عنه يقظة مُشافهة، فوقع له ذلك فأخبرها به فقالت: الآن ابتدأت في مقام الرجولية أو ما معناه، وبهذا الأخذ الذي ليس فيه التباس يَقتبس السالكُ من مشكاته (ص) كمالَ الاقتباس، ومن هنا قال سيدي أبو العباس، وارث الشاذلي ذكي الأنفاس، رضي الله عنهما: (لو حُجِب عنِّي رسول الله (ص) طرفَةَ عين ما عُدِدْتُ من المسلمين)، أي الكاملين في رتبة الإسلام، فإن الأخذ عنه من هذا الطريق دخول لحضرة السلام من باب السلام حتى يصل دار السلام بسلام، وبهذه المعرفة تَثْبُت الأقدام ويصحّ الإقبال والإقدام.

واحملني على سبيله: أي اجعلني محمولاً على متن ظهر طريقه المحمدي، لأكون محمولاً لا حامَلاً فأهتدي، فإن المِحْمُول مُعان، ولنوره لَمَعَان، والحامل ربما امْتُهِن، وبِدَعْوَاهُ امْتُحِن، والحامل سائر، والمحمول طائر، إذ الأول سائر بنفسه، والثاني بجذبات قدسه، والحمل على قسمين: حمل كرامة وإعانة، وحمل خذلان وإهانة، فمن الأول قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً *}[(261)]، ومن الثاني قوله تعالى: { 19 لله. } [(262)]، قال القاضي تقلعهم، رُوِيَ أنهم دخلوا في الشِّعاب والحُفَر وتَمَسَّك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}[(263)] أُصولُ الشجر مُنقلِعٌ عن مغارِسِه ساقطٌ على الأرض، وقيل: شُبِّهوا بالأعْجاز لأن الريح طيَّرت رؤوسهم وطرحت أجسادَهم، وتذكيرُ مُنْقَعِرٍ للحَمْلِ على اللفظ، والتأنيث في قوله: {أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}[(264)] للمعنى. انتهى. ومِنْ جُملة حَمْلِ الكرامة الحملُ على سبيله القويم وصراطه المستقيم، ولكل واحد من أُمته حمل في سبيله على قدر طوقه، وصدقه في توقه وشوقه، فَحَمْلخ الأخيار فوق حمل الأبرار، وحَمْلُ الصديقين فوق حَمل المتّقين، إذ لكل قوم شِرْب معلوم وحَظ مقسوم، فمن المحمولين مَن يقطع المسافة المعنوية في سَنَتَيْن، ومنهم في جمعتين، ومنهم في لحظةٍ أو لحظتين، وهذا مصداق البوني الداني (مَنْ صَدَقَ مع الله في النَّفَس الأول وَصَل إليه في النَّفَسِ الثاني)، وإنما قال على سبيله ولم يقل على سبيلك مع أنه عينه لِيُثْبِتَ الواسطة التي لا ترتفع في مَشهد الكاملين المحمولين، وإن ارتفعت في منظر الحاملين، وأيضًا فإنة سبيله أشرفُ السُّبُل وأسناها، وأقربُها وأدناها قال الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}[(265)] فَنَسَبَ السبيل إليه، فاقتدى المؤلِّف بربِّه وأضافها إليها.

إلى حضرتك: أي مَنزل قُربك فلا أزال مُتَمَسِّكًا بذيل شريعته المرضية، مستمسكًا بطيبها الفاتِح للمشامّ القلبية، فإن مَن فارقها لَمْحَةَ بارقٍ، كان لمواطن القرب مُفارق، والحضرات الإلهية خمسة. قال في التعاريف الحضرات الخمسة الإلهية حضرة الغيب المطلق وعَالَمُها الأعيانُ الثابتة في الحضرة العِلميّة، وفي مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالَم المِلْك، وحضرة الغيب المضاف وهي تنقسم إلى ما يكون أقربَ من الغيب المطلق وعالمه عالم الأرواح الجبروتية والملكوتية أعْني عالَم العقول والنفوس المجرّدة، وإلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة وعالَمه عالَم المثال ويسمى بعالم الملكوت، والخامسة الجامعة للأربعة المذكورة وعالمها عالَمِ الإنسان الجامعُ لجميع العوالم وما فيها، فعالم المِلْك مظهر عالم الملكوت وهو العالم المِثالي المطلق، وهو

مظهر عالم الجبروت أي عالم المجرّدات، وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة، وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الوجدانية، وهو مظهر الحضرة الأحدية. انتهى.

حملاً: منصوب على أنه مفعول مطلق.

محفوفًا: صفةٌ لِحَمْلاً أي محوطًا ذلك الحمل.

بنصرتك: أي بمعونتك فإن الحمل ولو كان حَمْلَ كرامة وَخَلا عن المعونة لم يُبَلغ صاحبه دَارَ السلامة. وقد يقال إن العبد إذا كان مُشاهدًا أفعال الحق تُسمَّى الحضرة التي هو فيها حضرة الأفعال، وإذا كان مُشاهدًا أسماءه تعالى تسمى حضرة الأسماء، وإذا كان مشاهدًا صفاته تسمّى حضرة الصفات، وإذا كان مشهدُه الذات تُسمَّى حَضْرَة الذات، وما دام العبد ملاحظًا أنه بين يدي الحق سبحانه فهو في حضرة الله والجالسون فيها ليس للشيطان عليهم سلطان. قال سيدي عبد الوهاب الشعراني قدّس الله سرّه في مِننِه الوسطى: وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول كلّما قرب العبد من حضرة الله تعالى كلَّما كان إبليس له أشدَّ مُلازَمَة لعلمه بكثرة ضلال الناس إذا ضلَّت أئمتهم حين خرجوا من حضرة الله تعالى، وأن الجالسين في حضرة الله تعالى ليس له عليهم سبيل، فهو واقف على باب الحضرة ينتظر مَن يخرج منهم وهو غافل فيركَبُه كما يَركب الإنسانُ حمارَته ويتصرَّف فيه بما شاء حسب الإرادة الإلهية، فإن حصل للعبد حضور مع الله تعالى نزل إبليس لوقته أسرع من لمح البصر خوفَ أن يحترق، واعلم أن حضرة الله تعالى حيث أطلقت في لسان القوم فالمراد بها شهودُ العبد أنه بين يدي الله وأنه تعالى ناظرٌ إليه فما دام مُستصحبًا لهذا الشهود فهو في الحضرة، فإذا احتجب عنه هذا المشهد خَرَجَ في أسرعَ من لمح البصر، والناس في ذلك متفاوتون بحسب القسمة، فمنهم مَن لا يدخل الحضرة كما ذكرنا إلا في صلاته، ومنهم مَن يدخلها في غير صلاته نحو درجة، ومنهم مَن يدخلها في النهار درجتين وهكذا، وأكملهم مَن يمنّ الله تعالى عليه بهذا الشهود ليلاً ونهارًا إلا في أوقات يسامحُ الله تعالى فيها العبدَ، ومن هنا قال العارفون أن مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مَقدور البشر، وكان معروف الكرخي يقول لي منذ ثلاثين سنة في حضرة الله تعالى: ما خرجت منها، وكذلك كان يقول سيدي إبراهيم المتبولي: ولكنه قال لي سبعة عشر سنة في حضرة الله تعالى ما خرجت منها، ومرادهما ما عَدا الأوقات التي يسامح الخلق بها، وإلى هذا المقام الإشارة بقوله (ص): «لي وقت لا يسعني فيه غيرُ ربِّي» ، فنكَّر الوقتَ وهو يصدق بالوقت الطويل والقصير، وقد كان سهد بن عبد الله التستري يقول لي منذ ثلاثين سنة أُكلِّم الله والناس يظنون أنني

أُكلِّمهم، فإذا كان هذا حال بعض أفراد من خواصّ أُمته (ص) فكيف بصاحب المقام الأكبر وسيد أهل حضرة الله تعالى على الإطلاق. انتهى.

وقال في الجواهر والدرر: وسمعته يقول: حضرة الحق تعالى حضرة بَهْت فمَن ادّعى أنه حاضر فيها وعبث بيده أو ضحِك أو فرِح أو حزِن فليس هو فيها إنما هو رجل ملبّس عليه حالُه. انتهى، ثم قال المؤلِّف رحمه الله تعالى:

واقذف بي على الباطل فأدمغه: أي وارمِ بي على الباطل الذي هو ضدّ الحق فأدمغه أي فأمحَقَه، قال الله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ}[(266)]، قال القاضي رحمه الله تعالى فيمحقُه، وإنما استعار لذلك القذفَ وهو الرمي البعيد المستلزِم لصلابة المرمَى، والدَّمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يَشُقّ غِشاءَه المؤدِّي إلى زُهوق الروح تصويرًا لإبطاله به ومبالغة فيه. انتهى. أي اجعلني مَظْهَرًا حَقِّيًّا أدْمَغُ الباطل، أي أُبْطِلُه وأمْحَقُه فإن الباطل لا ثبات له مع الحق، قال الله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا *}[(267)]، أو اجعلني وَجْهًا من وجوهك الخاصة النوريّة التي إذا قذفتَ بها على ظلمة الباطل لم تُبْقِ له أثرًا، وهذا معنى كون أبي سعيد الخراز وجهًا من وجوه الحق أي لا يُواجهُه باطل إلا انمَحق بظهور نوره بنُ نه وارث بمورثه استحَقّ وبنسبته التحق، ووجه الشيء في الاصطلاح هو ما به الشيءُ حق إذ لا حقيقة لشيء إلا به تعالى وهو المشار إليه بقوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}[(268)] وهو عين الحق المقِيمُ للأشياء، فمَن رأى قيوميّة الحق لجميع الأشياء فهو الذي يرى وجه الحق في كل شيء كذا في التعاريف، ولما كان أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه نورًا مُحِقًّا للحق ومُبطِلاً للباطل وكان الشيطان ظلمة مثبِتًا للباطل لم يثبت عند لُقيه بل كان يَفرَق منه، ففي الحديث «إن الشيطان ليفْرَق منك يا عمر» ، وفي رواية «رأيت شياطين الإنس والجنّ فرّوا من عمر» ، وأبْدى للفِرار سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه حكمةً أخرى في مفتاح الجفر، فقال: وأما اسم عمر فهو ثلاثة أحرف كلها نُورانية ع م ر لكن الميم فيها سُفلى فإذا عَلِمْت ذلك فهمتَ شِدَّة الحِدَّة الموجودةَ في سيدنا عمر رضي الله عنه كونه لم يكن يقبل من السفليات شيئًا، وقوله (ص): «ما ترك الحقُّ لعمرَ من صديق» ، وقوله (ص): «لو سلكتَ فَجًّا لسَلَك الشيطان فجًّا غير فكّك يا عمر» . انتهى. ولما كان الحق هو الذي يُقذَف به على الباطل سأل المؤلِّف رحمه الله تعالى أن يجعله الحقُّ عيْنَ الحق الدامِغ أو بمنزلته، والحق الدامغ هو الثابت الذي لا يزولُ وصفُ حَقيّته كالدّين فكأنّه سأل الله تعالى أن يجعله ثابتًا في المقامات النورية، ماحِقًّا ماحِيًا للشُّبُهات

الظّلمية، متخلّقًا بالصفات الدينية، متخلِّفًا عن السِّمات الدَّنيَّة، ومَن كان كذلك فهو وارثُ المقام المحمدي في مَحْقِ كل ضلالة، ومَحْق ظلام كل جهالة، وصاحب هذا المقام هو الغوثُ الذي يُلْجَأ إليه في الكُرُوب، فَيَجْلِي غُيومَها ويُرَوِّق المشروب، وهو المسَمَّى بعد الله لأنه الجامعُ لِما تفرَّق فأُعطي الاسم الجامع، وقد قلنا في الألفية:

ولا يسمى القطبُ غوثًا إلاَّ	إذا غيومَ الغمِّ عنَّا أجلى
واسم به يَختصّ عبدُ الله	لجمعِهِ كل مقام زاهي

وقوله: (فأدمغه) منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية.

وزج بي: أي ادفعني برفق. قال في المختار: زَجَّ الشيء يزُجه دَفعَه برفق، يقال: كيف تَزْجي الأيامَ أي كيف تَدْفَعها، وتَزَجَّى بكذا اكتفى به، وأزجى الإبلَ ساقَها، والمزْجَى الشيء القليل، وبضاعة مزجاة قليلة، والريحُ تُزْجِي السحابَ، والبقرةُ تُزْجِي ولدها أي تَسُوقُه. انتهى.

في بحار الأحدية: وهي عبارة عن تَجَلَّى ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثِّراتها فيه ظهورٌ وهي باطنُ الوحدة ومرتبةٌ من مراتب الوجود، وما ثَمَّ أعلى منها على مَا مَشى عليه بعض أهل الشهود فإنها عنده عبارة عن مرتبة الإطلاق والذاتِ البحتِ أي الخالص، ومراتب الوجود قد جَعَلها الجيلي رضي الله عنه في كتابه مراتب الوجود أربعين مرتبة، وذكر منها الشيخ محمد الهندي في التحفة المرسَلَة سبعةً وكأنه جعلها أصول الأربعين فيرجعُ الباقي إليها، وجعل الجيلي رضي الله عنه مرتَبَةَ العَمَى فوق مرتبة الأحدية لأنه جَعَلَها بَاطِنَ الأحدية وهو اصطلاح ولا مَشاحَّة فيه، وعبارتُه في الكمالات الإلهية: اعلم أن أوَّل التنزّلات الذاتية من حيث الوجود والحِكَم لا من حيث الترتيب والعدد هو التنزّل المسَمَّى بالتجلِّي العَمَائي وإليه أشار بعض المحَقِّقين بالتجلي العَدَمي الذي لا يَتعلق به عِلم ولا يُطلقُ عليه اسمُ الوجود، وهذا التجلِّي هو باطن الأحدية، والأحدية هي اسم التنزّل الثاني وهو تَجَلٍّ وجودي ليس للأسماء والصفات فيها ظهور، وكان هذا التجلِّي ثانيًا لأنه وجودي والتجلِّي عدمي، والعدمُ هو السابق والوجود هو اللاحق، وإنما سُمِّي التجلِّي العمائي عدمًا لكون الاسم المختصّ بهذا التجلِّي معدومًا فلا يوجد في التعرّفات الإلهية له اسم، وسرّ ذلك لنكته لا يمكنُ شرحُها بخلاف الأحدية، والأحدية باطن الوحدة، والوحدة باطن الهُوِيَّة، والهُوِيَّة باطن الأنِيَّة، والأنِيَّة باطن الواحدية، والواحدية باطن الوحدانية، والوحدانية باطن الفَردية، والفردية باطن الفردانية، والفردانية باطن الأُلوهية، والأُلوهية باطن الرحمانية، والرحمانية باطن الرَّبيَّة، والرَّبِيَّة باطن الملْكية، والملْكية

باطن أئمة الأسماء السبعة النفسيّة، والأسماء النفسية باطن تجليات أسماء الجَلال، وتجليات أسماء الجلال هي باطن تجليات أسماء الجمال، وتجليات أسماء الجمال باطن تجليات أسماء الأفعال، وكل تَجَلٍّ من هذه التجليات أُنزل مما قبله. انتهى. وعقد لها بابًا في الإنسان الكامل فراجعه. وقد شبَّه المؤلِّف مقامات الأحدية وأسرارَها الفردية وتَمَوُّجَ علومها وتدفّق فُهومها ببحار زاخِرة الإمداد فاخرة الإسعاد، على طريق الاستعارة بالكناية، وأثبت الزج ترشيحًا.

وانشلني: أي أسرع نَزعي وإخراجي.

من أوحال: جمع وحَل وهو الطين الرقيق.

التوحيد: وهو على أقسام توحيد أفعال وتوحيد أسماء وتوحيد صفات وتوحيد ذات، وقد عقدنا لكل واحد من هذه التواحيد فصلاً في الألفية، وينقسم أيضًا إلى توحيد عوامّ وخواصّ، وخواصّ الخواصّ، فالأول الإتيان بكلمة الإخلاص، والثاني توحيد الخلق للحق بفناء الرسم والاسم في غبّ الإخلاص، والثالث توحيد الحق للحق يشهد ذلك أهل الاختصاص، وقد أجاب الهَرَوي رضي الله عنه في منازل السائرين سائلاً سأله عن توحيد الصوفية بهذه الأبيات وهي:

ما وَحَّدَ الواحدَ من واحد	إذ كلّ مَن وحّده جاحِدُ
توحيد مَن ينطق عن نعتِهِ	عاريةٌ أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيد	ونعت مَن ينعَتُه لاحِد

وقد شرحها سيدي أبو بكر الموصلي وسيدي يوسف العجمي وغيرهما بما يطول ذِكْرُه، وقال سيدي عمر قدّس الله سرّه:

ولو أنني وحّدت ألْحَدْتُ وانسلختُ	عَنْ آيِ جَمْعي مُشركًا بي صَنعتي

قال سيدي علي بن علوان الحموي رضي الله عنه في شرح التائية الفارضية: ولو أنني وَحَّدْتُ يعني جعلتُ نفسي مُوَحِّدًا لها، أَلْحَدْتُ مِلْتُ وزِغْت عن طريق حقِّها إذ الأمر كما قيل ما وحَّد الواحدَ من واحد إذ كل مَن وحَّده جاحد إلخ... وقيل في معنى ولو أنني وحَّدت أي نسبت إليها الهداية مثلاً أَلْحَدْتُ إذ القرآن جاء بأن { × ' ( ) * + ، }[(269)]، وهذا وإن كان قريبًا في التأويل حسنًا في التنزيل ولكنه دون ما أشرنا إليه في التحقيق ولكل طريق فريق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وقوله: وانسلختُ عن آيِ جَمْعي،

يعني خرجت عن آيات الجمع الكامل حال كوني مُشرِكًا بين صنعتي عن آيات الجمع الكامل حال كوني مُشركًا بين صنعتي إذ كل موجود هو صنعة الله، قال تعالى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[(270)]، وقال: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ *}[(271)]. انتهى. والكلام على التوحيد وتفريده وتجريده يستدعي إلى أمد طويل فَلْنَقْتَصِرْ على الوقوف بِوَحِيدِه، والمراد من أوحاله أي الهلكات التي في طريق الوصول إليه، وأما التوحيدُ نفسُه فإنه نجاة وطريق يدلّ عليه، ولكن في سبيل السّيار، مَهامهُ كثيرةٌ وأخطار، وعوارضُ وقواطعُ، ومسالكُ وَعْرَةٌ سيوفها قواطع، فإذا لم تحفّ المريدَ العنايةُ الأزليّة وتُدْرِكْه الجواذبُ الإلهية وتسيرُ به أيدي الرعاية وتَحْمِلْه على مَتْن ريح الهداية، وإلا ضَلَّ وتاهَ في تِيهِ الجهالة، وربما خلع العِذار وغرِق في بحر الضلالة فإن مهاوِيَ السلوك في طريق مَلِكِ الملوك كثيرة ومَخاوِفَهُ عَسِرَة خَطِرة لأنها مَناهِجُ خطيرَة، ومَنشأُ هذه الأوحال مقامُ الجمع الأول بعد الفرق لا الجمعُ الثاني الذي عليه المعَوّل، ولذا قال سيدي عدي الخواص لتلميذه سيدي عبد الوهاب الشعراني قدّس الله سرّهما: احذر مقام الجمع فإن شُبْهَته قويّةٌ. انتهى. وقال في الجواهر والدّرر: وقال: أي الواردُ ما ظهر القائلون بالحلول والاتحاد إلا من حضرة الجمع فإنها حضرةٌ تَزِلُّ فيها الأقدام، والشُّبْهةُ فيها قوية لا يقاومها دليل مُرَكَّب، فمَن دخلها ولم يكن له شيخ يُخافُ عليه التَّلفُ نسأل الله العافية. انتهى. غَيْرَ أن مَن أَسْعَه الله بإمْداده ويسَّر عليه طريقَ إرشاده وأظْفره بمُرْشِد يَسيرُ به في لَيْل تلك الهَلَكاتِ المتْلِفَة، وينشله من الوَحلات المختَلفة، ويُعرِّفه طريق القُرْب، ويُشرِّفه بعتيق الشرب، ويأخذه بيده عند عثرته، ويُنَشِّطه في فَتْرته، ويَبْسط له بساطَ التحقيق، ويَمُدّ له موائد التدقيق، ويسعى في كشف حِجابه ورفع نِقابه، حتى يدرك الأمر على ما هو عليه، فلا تصل أيدي الضلال إليه، ويَحْمِيه بحاله، ويدلّه على الأكمل بمقاله، فهذا الذي قد اعتنى الحق به وأراده، وقرَّب عليه مسافة التقريب وبلَّغه مراده، فإنه لا يسلك الطريق المجهول بغير دليل عارفٍ إلا جهول. قال العارف:

لا تسلكنَّ طريقًا لست تعرفه	بلا دليل فَتَهْوِي في مهاويه

وقلنا في أوائل الألفيَّة:

وبعد فاعلم أيّها المريد	حَباك من إفضاله المريد
أن طريقَ القوم يا مُعاني	أسرارُه مرموزَةُ المعاني
تَنْبُو عن الامتثال والأشراك	وَرُبَّما تُوقِع في الإشراك

صَبٌّ سَرَى من غير ما دليل	مُجَانِبًا للنص والدليل
لها الوليّ قد كساها عِزَّهْ	فلم ينلها غَيْرُ باغي عِزَّهْ
فَقِرّ بالعجز عن الإدراك	إن كنت ذا وَجْدٍ وذا إدراك
وإن تُرِدْها رُدْ لها بِحالٍ	وزِحْ بها شعر شعور حالي
ولا تَكن تطلبُها بالقالِ	وكن لكل ما عداها قَالِي

وكم هلك في هذه الأوحال هالك، لما لم تُسْعفْه العناية عند سلوكه في هذه المسالك، سِيَّمَا مَنْ يَدَّعي السلوك في هذه المسالك، وهو ليس بسالك، ويظن في نفسه أنه في النور وهو في الظلام الحالك، حتى أن كثيرًا من الواقِعِين في هذه المهالك، نَبَذُوا جانبَ الشريعة فوقعوا في مهامِهِ القطيعة، ظنًّا منهم أن الشريعة تُخالفُ الحقيقة وهو ليس كذلك وإنما هي هي عند السالك، وبسبب ظهور هذه الفُرْقَة المفارقة، التي لم تكن بين الهُدى والضلال فارقة، أَلَّفْنَا رسالة سَمَّيناها (السيوف الحِداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد) وحَذَّرْنا من صحبتهم في (النصيحة السَّنِيَّة في معرفة آداب كِسْوَةِ الخلوتية)، وقُلنا في الألفيَّة:

شريعةُ المختار فعلُ الأمر	وتركُ مَنْهيّ دوامَ العُمْر
وَفَقْسُ أمْرِ الحَق للخليقة	عند أُولي الحق هو الحقيقة
وقائلٌ بالفرق غيرُ منصِف	إلا إذا التعريفَ رَامَ فاعرفِ
فإنها سَلْبُك للآثار	عنك إذا شهِدت فعلَ الباري
فيك فلا حول ولا قوة لك	إلا به هذا شهودُ مَن سلك
والشرعُ حق وله حقيقة	فاتَّحَدَا وهذه رقيقة
ما ثَمَّ ما يخالف الشريعة	عند فتًى نفسٌ له مُطيعه
ولا تقُل باطنَها فربما	أوهَم بل قل هي هي تُكْفَى الظَّما
ومَن يُخالفْ فِعْلُه الشريعهْ	فذاك في مهامِهِ القطيعة
إذ كل مَن خالفها زنديقُ	وكل مَن خَالفها صَديق
وجاهل يفرّق ما بينهما	وليس يُمْكن انفكاكُ عنهما
شريعةٌ يا ذا بلا حقيقة	عاطلة إذ لم تكن وثيقه

حقيقةٌ بدونها فباطله	فافهم مِنِعْتَ مُزْنَ فَيْض هاطِله
ومَن غَدَا مسلوبَ الاختيارِ	فحُكمه تسليمه للباري
لا تَعْتَرِضْ في فِعْله عليه	إذ عقلُه خباة لديه
وإنما يعترض الباقي على	عقلٍ له وشرع طه قد قَلا
يقول ذا حقيقة ذريعة	كي يَنبِذَنَّ جانبَ الشريعه
فاحذر على دِينِك من ذِي القوم	ولا تصاحبهم ولو في النوم
وقد نَما في ذا الزمان شرّهم	حتى سَمَا في الناس جِدًّا ضرّهم
ولم يكن لهم هُنا مَنْ يَرْدَعُ	من أجلِ ذا الدين الحَنِفي وَدَّعوا
وعندنا في الشام منهم نَفَر	قلوب أهلِ الحق عنهم نَفَروا
طَالِعْ سيوفَنا الحِدادَ فيهم	كي تُمْسي مِنَّن رَبُّهُمْ يهديهم

ومن جملة الأوحال: الوقوف مع المقامات والأحوال، وشهود المكاشفات والأعمال، والاعتمادُ على شيء دون الكبير المتعال، ومنها القول بالوِصال، ونفي الخلقِية بالكلِّيَّة على كل حال، ومنها كشف الأستار عن وجوه الأسرار عند الأغيار أهل الجحود والإنكار، وقد ذكرنا وجوب الكتمان في رسالة (تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة)، ومنها قهر الأحوال للطالب حتى يعود مغلوبًا لا غالِب، وكل مَن غَلَبَتْهُ أحوالُه كان ناقص المقام لعدم قدرته على إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه على التَّمام، ومنها عدم رجوعه إلى البدايات ووقوفُه مع النهايات، ومنها المكر الموجِب لخلع العِذار، ومنها الغيبة عن الأسباب والآثار إلى غير ذلك من الوحلات التي لا تُحصَى عِدّة، ولذلك قيل: لا يمكن السلوك بدون الدليل لصعوبة هذه المراقي وحصولِ هذه الأوحال في السبيل، ومن جملة أوحال التوحيد شهودُ الموحّد توحيدَ الموحَّدِ المجيد، وأنشدوا:

راح الموحِّدُ والتنزيهُ حين فَنِي	وصفُ الموحّد والتوحيد بالأحد

توحيد العوامّ، في بحره العقل عام، فكيف بتوحيد الخواصّ، الذين خَلَصوا بغيبتهم عنهم من الأقفاص، فكيف بتوحيد أهل الكمال الذين شهدوا الجمال في الجلال، والجلالَ في الجمال، هناك يَتِيه العقل ويرجع القَهْقَرا، وإذا رامَ التقدّم رُد إلى وَرَا، وأنشد مَن شاهد حَيرة بالكل ودرا، وفَّقَهُ الشرع التوحيدي ولِمَعانيه في عوالمِهِ قَرَا:

لقد طُفْتُ في تلك المعاهِدِ كلها	وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالِمِ
فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائر	على ذَقَنٍ أو قارعًا سِنّ نادم

وأنشَدَ مَن شهد عقل العقول، وأن الواقف معها كمثلها معقول:

عِقالُ عقلك بالأوهام معقول	قد قلَّبَ القلبَ منك القالُ والقيلُ
تَهيم في فهمه الأوهام مِن وَلَهٍ	أفادهُ فيك معقُولٌ ومنقولُ
نَحَتَّ بالفكر معبودًا وقلت بِه	وَصَفْتَ عَقدًا بِكَفِّ الحق محلولُ
قد عشتُ مثلك دهرًا في مُكابدة	ولي فؤادٌ بهذا الدَّاء معلول

فأهل التوحيد التقليدي في وحلة التقليد غرقَى، لمْ يُنْشَلوا منها إلا بطلب التوحيد الدليلي إذ هو أرْقى، وأهل هذا في وَحْلة العقل والفِكر تائهون حَيارَى، لم يُنْشلوا منها إلا بالنور الكشفي فيرجعون بما شاهَدوا سُكارى، والسُّكْر وَحلَة وإلَه لا يُنْشَلون منها إلا بالعناية الإلهية والهداية الصمدية، وأهل التوحيد الشهودي، الفائزون بالنور الوُجودي، الذين عرفوا الحق بالحق، لا بعقلٍ قاصِرٍ وفكرٍ به ملحق، هم المخْلِصون المخْلَصون من الأوحال التوحيدية لانْمِحاقِ أوْهامِهِم بظهور الأنوار الفَرْدية، فرأوا الأمر كما هو عليه عَيانًا، وتحقَّقوا به في سِرِّهم كشفًا وإيقانًا، فطلب الشيخ رضي الله تعالى عنه أنْ يُسْلَك به مَسلَك هؤلاء السادة الأخيار، ويُكرِمَه باستنقاذه من وَحلات السَّيَّار.

وأغْرقني: أي اجعلني غريقًا.

في عين: أي حقيقة.

بحر الوحدة: الذاتية حتى أتطهّر من وسَخ الأوحال، وأكون ممَّن يثبتُ قدمُه، وعن منزل التمكين ما حال، واجعلني مُغْرَقًا في عين يم الحقيقة، حال كوني موثقًا بأحبال حدود الشريعة والطريقة، فلا يَبتَلّ وجودي بماء شُهودي، صِرْفَ[(272)] الحقيقة، عَرِيًّا عن شهود الخليقة، فأكونُ ممَّن حقّه اللّطف الإلهي الأسنى، فَنالَ به شهودَ صفاتِ المليحةِ الحَسْنا، وأغرِقني في بحر وجودها، عند فَنائي عن رُؤيتي بشهودها، لأَخْلُصَ مِنْ وَحَلات طلاقاتها وقيودها، ويَبْدُوَ لي بَدْرُ ظهورها في ليل سعودها، أو يقال أراد بأوحال التوحيد مقامات الفناء وهي تِسع ثم طلب إغراقه في حقيقة مقامات البقاء، إذ هو أعلى وأرْقَى، فإن مِن شهود الفناء ينشأ القولُ بمحو الرسم والاسم، ومَن شهد هذا المحوَ ومِنه دَنا، ربما وقع في تِيْه خَرق حجاب الشريعة

التي هي المنى، بخلاف صاحب البقاء فإنه جامِع فارق، لكل مقام وحال ووارِد طارِق، فصاحبه ذو تحقيق، وصاحب الفناء ذو تمزيق، والوحدة الذاتية في اصطلاح هذه الطائفة العَلِيَّة عبارة عن علمه تعالى بذاته وصفاته وبجميع الموجودات على وجه الإجمال من غير تمييز بعضها من بعض وهذه مرتبة اليقين الأول ولا يتوهّم أن الموجودات لها وجود في هذه المرتبة ولو وجودَ إجمال ولعدَمِ صحّته عقلاً وشرعًا، فإن السرير قبل تفصيله من الخشب لا وجود له في الخشب ولا وجود للخشب فيه، ويقال أنه مُجمل فيه لأنه يتفصَّل منه لا أنه يتفصَّل شيء من شيء بل يتفصَّل لا شيء من شيء ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهذه الرتبة المذكورة تُسمَّى مرتبة الوحدة المطلقة عن جميع القيود لعدم التفصيل فيها، وتسمّى الحقيقة المحمدية أيضًا لأنها مُجملُ ما تَفَصَّلَ ويتفصَّلُ منها جميعُ العوالِم المختلفة كذا في شرح التحفة المرسَلَة لشيخنا الشيخ عبد الغني مُلَخَّصًا. وقال الجيلي رضي الله عنه في كتاب المناظر منظرُ الوحدة: للوحدة منظرٌ يَجِلّ عن أن يُدركه المخلوق فليس فيه راحةٌ بوجه من الوجوه وفي هذا المشهد يَسْلُب الحق تعالى العالَم ما أَلْبَسَهم من حُلَل الدعاوى الكاذبية المشعِرَة بوُجود موجودٍ سواه، فإذا تعرَّت عن ذلك تجلَّت أنواره في الموجودات بغير حلول ولا مزج ولا شِبه ولا نقصٍ بل بحكم الوحدة الإلهية التي هو عليها منذ كان فيطّلع العبدُ على هذا المنظَر بعد أن تُسْلَبَ عنه عَبْدِيَّتُه ومَوجوديتُه فيكونُ ما لا يدخل في العبارة، فهو يُدرك بلا وجودِ إدراك، وهذا في العقل مُحال، وقد وجدناه ذَوقًا وعَيانًا وحقًّا وحقيقة {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[(273)]. عَافَةُ هذا المنظر في حق العبد انعدامُ الأسماءِ والصفاتِ عنده فلا يشهدها وهو حجاب. انتهى. والمعنى اجْعَلْنِي مُستَغرِقًا في شهود نفس الوحدة، والغَرَق في الاصطلاح له ثلاث درجات: الأولى: استغراق العلم في عين الحال، والثانية: استغراق الإشارة في الكشف، والثالثة: استغراق الشواهد في الجميع، ولكل درجة رجال، ولكل رجال مجال.

حتى: بمعنى إلى أو كي.

لا أرى: أي بعين بصيرتي وبصري.

ولا أسمع: أي بسمع الروح الباطن وسمع الجسم الظاهر.

ولا أجد: من الوجدان.

ولا أحسّ: من الإحساس أي لا أُدرك بالحواسّ الخمس.

إلا: أداةُ حصر.

بها: أي بالوحدة الذاتية المطلقة، ويُشير طلبُه إلى حديث قرب الفرائض والنوافل وهو قوله (ص) أن الله تعالى قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)، (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها). وفي رواية (وفؤادَه الذي يعقِل به ولسانه الذي يتكلم به). وفي أخرى (ومَن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا دعاني فأجبته وسألني فأعطيته ونصح لي فنصحتُ له، وإن من عبادي مَن لا يُصْلِح إيمانه إلا الغِنى ولو أفْقَرتُه لأفسده ذلك). وذكر مثل ذلك في الفقر والصحة والسَّقَم وقال: (إني أُدَبِّر عبادي لِعِلْمي بما في قلوبهم إني عليم خبير)، وقال الشيخ عبد الرحمن الفاسي في شرح الحزب الكبير قوله: والمحبة الجامعة ـ يعني السالبة ـ للتفرقة والبَينونة بما تقتضيه من المعِيَّة والوصلة واعْتَبِرْ بحديث التقرّب، وفي بعض رواياته (فإذا أحببته كنته). انتهى. قال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في الباب 68 المراد بِكُنْتُ سمعه وبصره.. الخ انكشاف الأمر لمن تقرَّب إليه تعالى بالنوافل لا أنه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرّب ثم كان، تعالى الله عن ذلك وعن العوارض الطارئة، قال: وهذه من عَزْوٌ المسائل الإلهية. انتهى.

وقال الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر: فإن قلت فَلِمَ ذكر تعالى في هذا الحديث الصور الحسِّيَّة من السمع والبصر ونحوها دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصوّر والوَهْم والعقل؟ فالجواب كما قال الشيخ ـ أي ابن عربي الحاتمي ـ في الباب 346 أنه تعالى ما ذكر الحواسّ الظاهرة إلا لكونها مُفتَقِرةً إلى الله تعالى لا غير بخلاف القوى الروحانية فإنها مُفتَقِرَة إلى الحواسّ والحق تعالى لا يُنزّل مَنزلة مَن يَفْتقر إلى غيره بخلاف مَن هو مُفتَقِر إلى الله تعالى وحده لا يشرِك به أحدًا، فقد بانَ لك أن الحواسّ الظاهرة أتمّ لأنها تَهَبُ القوى الروحانية ما تتصرّف فيه وما به تكون حياتُها العلمية والله أعلم. انتهى.

ولما كان المؤلِّف رضي الله تعالى عنه طلب استصحاب مقام الشهود الذاتي الذي هو نهايةُ مَرْمَى أبصار المحَقِّقين، فإن الغريق في النور لا يرى غيره أي اجعل شهودي دائمًا التعيّن الذاتي الأول الذي هو المطلَب الأقصى إذ عليه المعَوّل، وفي الحديث «أللّهمَّ اجعل في قلبي نورًا وفي لساني نورًا وفي بصري نورًا وفي سمعي نورًا وعن يميني نورًا وعن يساري نورًا ومن فوقي نورًا ومن تحتي نورًا ومن أمامي نورًا ومن خلفي نورًا واجعل لي في نَفْسي نورًا وأعظِم لي نورًا» ، فطلب (ص) أن يكون غريق النور، ومَن كان كذلك كان دائم

الحضور، مرفوع السُّتُور، يرى النور بالنور، ويسمع به ويَجد ويُحسّ كذلك، وإذا تحقَّق في هذ المشهَد السَّالك، عَلِم أن الكل به والمرجعَ إليه فمنه الظهور، وإليه تُرجَع الأمور، فغاب بسرّ الظهور عن إدراك النور، لأن بالنور الإدراك لا بغيره من البراقع والسُّتور، فيرى به المستَغرَق ويسمع ويجد ويحسّ فإذًا لا رؤيةَ ولا سماع عند مَن فهم حقائق الأمور، وهذا هو المشهد الذاتي الأعلى، والمقصدُ الأغلى، الذي أشار إليه العارِف الرَّبَّاني، سيدي عمر بن الفارض الدَّاني بقوله:

أرومُ وقد طال المدا منك نظرة	وكم من دماء دون مَرْمَايَ طُلَّتِ

وقد تكلمنا على هذا البيت في (رسالة رفع السّتر والرّدا، عن معنى قول العارف أروم وقد طال المدا) فافهم وإلاّ فتفهَّم، قال البكري قدَّس الله سرّه: فَتَفَهَّم تعلم وجاهِد تُشاهِد يا مُريدِي ومن مزيدي تعطى.

واجعل الحجاب الأعظم: الذي هو نبيّنا صلَّى الله تعالى عليه وسلِّم.

حياة روحي: أي صيّر هذا المشهَد مشهَدي على الدَّوام، فإن مَن شهد أن النبي (ص) حياةَ روحه أي أنه سرّ الحياة التي حَيُيتْ بها روحُه وعقلُه وكلُّه وتحقّق أن كل ما به من حياة وصفات ومَدد وفُتوح هو من إمداره وإسعاده كان مستمدًّا منه في كل نفس لأنه المِمِدّ للعالَم بكل ذلك، وكان مُتَلَقِّيًا منه وآخذًا عنه فينال من الإمداد المحمدي ما لا يَفِي ببيانه بَنانٌ فيهدي ويهتدي، ومَن شهد أنه حياة روحه شَهِد أنه حياة روح العوالم كلها لأنه (ص) روح الأرواح وسرّ الأسرار ونور الأنوار لأن به حياتَها وانشقاقَها وانفلاقها، فكان أصل الأصول ووصل الوصول وهو الوصول وبه الحصول، وإذا شهد المكاشفُ بطريق المنازَلَة والوجدان أنه روح رُوحِه عن يقين وعيان، ارتفعت الأستار، وانقشعت سُحبُه فَبَدَتْ أنواره، وزالت الوسائط ما بينه وبين روحه الشريفة، وصار يأخذ عنه حيث زالت الحُجُب الكثيفة، ومن هنا كان بعض السادة إذا عَسُرَت عليه مسألةٌ أدخَل رأسه في طَوْقِه ثم يُخرِجه ويقول: سألت عنها رسول الله (ص) فقال لي في معناها كذا وكذا، ويأتي بالعقد الفريد والجوهر النَّضيد، وكان هذا الإدخال من باب ستر الحال وإلا فالمكاشَف يسأل ويُجاب بدون إدخال واحتجاب، سيّما مَن كانت روحه الشريفة هي المشهودة المفيضةُ لروحه بالأسرار المنيفة، وأنشد البكري قدّس الله سرّه في سَرَيان نوره في الوجود وأنه مُطلق عن القيود والحدود قوله:

سكنَ المدينةَ جسمُه لكنه	مَلأ العوالم كلَّها إشراقُه

فقول المؤلِّف رضي الله عنه: (واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي) أي اكشِف لي عن ذلك وصَيِّره لي مشهدًا فإنه رُوحُ جسد الكونين، وعَيْنُ حياة الدارين، أو المعنى أحْيِني به حياة خاصّة يحصل لي بها الاتصال

الخاص بروحه الشريفة فَأَخْلُصَ من هذه الأقفاصِ وأُشاهِدَ سِرَّ كوْنه المادَّةَ الوجوديَّةَ للعالَمِ الكوني، وأنه الحياةُ السارية في جميع الكائنات أزَلاً وأبدًا فَأُحْيَى بهذا الشهود الكشفي اليقيني حياةَ الأبد، وأختصّ منه بميراث علمٍ وافرٍ يرفع الجهل والإلتباس، فأتحقّق عنده بقوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ}[(274)] وأمُرّ بسبب هذا المشهد على سائر المقامات وأحْيَى بنورها ثم أخرجَ عنها إلى حيث لا مقام، فأكون محمديّ الإرث على الكمال، يَثْرِبِيّ السير في كل حال. قال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في فتوحاته ولا يقال أن أحدًا من أهل هذه الطريقة أنه محمدي إلا لشخصَين؛ إما شخصٌ يختصّ بميراث علمٍ من حُكْمٍ لم يكن في شرعٍ قبله فيقال فيه محمدي، وإما شخص مع المقامات ثم خرج عنها إلى لا مقام كأبي يزيد وأمثالِه فهذا أيضًا يقال فيه محمدي، وما عدا هذين الشخصين فينسب إلى نبي من الأنبياء. انتهى.

وروحه سرّ حقيقتي: أي وأشهِدني أن روحَه الشريفةَ سرُّ حقيقتي لأن به قيامَها وانتظامَها، فإنه حقيقة الحقائق وعنه تكوَّنت سائرُ الخلائق لقوله: (أنا من الله والمؤمنون مني) ولأجله خُلِقت الأفلاك وانفتق رتقُ الأملاك. قال العارف الربَّاني أبو عبد الله محمد الدمرْداش قدّس الله سرّه في كتاب (معرفة حقيقة الحقائق) بعد كلام نفيس مُحْكمِ التأسيس: وفي التحقيق الأوضح أن حقيقة الحقائق هي رتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهي المسَمَّاة بحضرة الجمع وبأحدية الجمع وبمقام الجمع وبها تتمّ الدائرةُ، وهي أول مرتبة تعيَّنت في غيب الذات، وهي الحقيقة المحمدية بالأصالة عليه الصلاة والسلام، وهي أبطنُ الظهور، ومعدِنُ البطون. ولما كانت الحقائق إنما هي ظهوراتٌ وتعيّنات حصلت عن حقيقة الحقائق المسَمَّاة بالتعيّن الأول، وكان هذا المظهر الأكمل الأطهر أعني محمدًا (ص) سبيلاً لإظهارها في ظاهريّتها من كتم قُدْسِها ونور قِدَمِها، فظهرت تلك الحقيقة الجامعة المحمدية على ما هي عليه من غير تَبْديل ولا تغيير في ذاتها بل مُجَرَّدُ تَعَيّنٍ حصل للحقيقة المحمدية عند ظهورها بهذا المظهر الأكمل الأظهر، وأنشدوا:

حقيقةٌ ظهرتْ في الكونِ قُدرتُها	فأظهرت هذه الأكوانَ والحُجُبَ
تنكَّرت بعيون العالمين كما	تعرَّفت بقُلوب عُرّفٍ أُدَبَا
فالخلق كلهم أستار طلعتها	والأُمَرَا جَمْعُهُمْ كانوا لها نُقَبا
ما في التستّر بالأكوان من عجب	بل كَوْنُهَا عَيْنَهُمْ مِمَّا يُرى عَجَبا

فإن ارتقى أحد من الأنبياء والرُّسُل والأولياء والصالحين إلى تل المرتبة أعني أحديّة الجمع فهو بالتَّبَعِيَّة له عليه كل الصلاة وكل السلام لا بالأصالة، وبإمداده إيّاهم بحقيقته الأصلية الأزليّة عليه الصلاة والسلام، وأما الحقيقة الإنسانية الكمالية التي هي صورة معنوية للحضر الإلهية المسَمَّاة بحضرة المعاني وبالتعيّن الثاني فهي الإنسان الحقيقي المعَبَّر عنه بالعلَم الأكبر لأنه أصل العالم. ثم قال: فَصْلٌ الإنسان الكامل مَظهرٌ للأُلوهية والرُّبوبية من حيث ظهورُها وتصرّفها فيه، فصار الإنسان الكامل مَظهرًا للحقيقة الجامعة المسَمَّاة بحقيقة الحقائق من حيثُ جَمْعِيَّتُها للمبدأ والمِعاد وهي الحقيقة المحمدية فافهم واقْبَلْ ما جاء إليك من الدّرر والمعاني، ولهذا جاء في الزَّبور وفي غيره من الكتب الإلهية المنَزَّلة (ياابن آدم خلقتك لأجلي)، فكان جميعُ ما سوى الإنسان خُلِق للإنسان أعني الإنسان الحقيقي المتقدّمَ ذِكره، وهو منشأُها ومرجعها ومُنتهاها المشار إلى ذلك بقوله: {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى *}[(275)]، وهو حقيقة الحقائق ومَنشأُ الخلائق، وعلّة العِلَل ومبدأ الأُوَل، والأبُ الأول معنًى لا صورة. انتهى كلام الشيخ محمد دمرداش. ولقد حُكِيَ أن الشيخ محمد المذكور قال: عُرِضَت عليَّ المقامات مقامًا بعد مقام وكأنه لم يَرْضَ بها حتى عُرِض عليَّ المقام المحمدي فأطرقت خَجِلاً، ولقد أشرت إلى هذا العَرْض في القصيدة التي امتدحته بها وأودعتُها الحُلَّة النَّصرية في الرحلة المصرية ومَطْلَعُها:

أَتَبْغِي صِرْف إنْعَاشي	وصَرف الصارفِ الواشي
وقُربًا من حِمَى سلمى	بأُنْسٍ دون إيحاشِ
ومَحْوَ الغَير من عينٍ	بِما يُفْنِي لأَغْباشِ
وتُكسَى حلَّةَ التقوى	وتُعْطى خَيْرَ أرياشِ
فإن أَمَّلْتَ ذا بَادِرْ	ولا تصغي لطيّاش
وأمّ مُحمدًا مَن قد	دَعَوه بالدمرداش

إلى أن قلنا:

مَقاماتُ الوِلاَ عُرِضت	عليه نُورُها غَاشِي
ومنها اختار أسناها	فكان كمثل نبّاشِ
فصار محمديَّ السَّيْرِ	يَهْدي كل خِرباشِ

وصاحب المقام المحمدي آيَتُهُ (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا). قال سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه في معنى الآية أي أنه لا غاية لكم تقفون عندها في طريق المعرفة بالله، ومعلوم أن رجوعهم سَفَر لاقتناصهم عُلومًا لم ينالوها في عُرُوجهم، فَسَفَرُ المحمدي ورجوعُه من الحق إلى الحق من حضرته إلى حضرته فافهم. انتهى. ولسان حال الوارث المحمدي ينشد:

مشاربُ القَوْم شتى	من كُلها صار يَشرب

فلا يتقيّد بشرب دون آخر ولا بحال ولا مقام لِجمعه بين الجميع، ولا يزال في ارتقاء من مقام إلى آخر، وكلما خُلِعَت عليه خلعةُ كمالٍ وقف عندها حتى يظهر له النور المحمدي ويرفعه عن المقام الأول إلى الثاني، وهكذا في كل حال ومقام فلا وقوف إلا من حيثُ الاستيذانُ للأدب المعروف عند أهله، فإنهم الأقربون الذين هم أولى بالمعروف، ومحطّ رِحال سؤال المؤلِّف رضي الله عنه على طلب هذا المقام المحمدي الأكمل والمنزل الأشمل الذي هو نهاية مطلوب أهل التحقيق لأن ما ثَمَّ مقام أعلى منه عند التدقيق، غير أن أهله تتفاوت فيه أذواقهم وتختلف في الرِّفْعَة أشواقُهم وأتواقهم.

وحقيقته: أي واجعل حقيقته بالجَعل التخصيصي.

جامع عوالمي: وذَكَّرَ جامع لإضافته إلى المذكر أي وارفع بَراقِعَ سُتُوري عن شُهودي وحضوري لأراه (ص) بعين حقيقةِ حق اليقين جامعَ عوالمي الظاهرة والباطنة، واستعمَل الشيخ الترقِّي في الطلب فإنه أولاً سأل أن يجعل الحجاب الأعظم حياة روحِه ثم ترقّى فسأل بأن يشهد أن رُوحَه سرّ حقيقته، ثم ترقَّى فسأل بأن يشهد أن حقيقته جامعُ عوالمه الظاهرة والباطنة ليستغرقه الشهود ويُطْلَقَ من كل القيود، والإنسان الكامل في نفسه عالم كبير وإليه الإشارة بقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}[(276)] وبقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

وتحسِبُ أنك جُرْمٌ صغير	وفيك انْطَوى العالَمُ الأكبرُ

بل قد احتوى على عوالم كثيرة كبيرة، فإن القلب عالم واسع يَسَع كل شيء لأنه وَسِعَ تجلّي الحق الذي لم تَسَعْه السموات والأرض، فهو يُضاهي العرش العظيم لوُسعه كل شيء ولكن القلب أوسع منه. قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه في كتابه (مواقع النجوم) في الفَلَك القلبي: اعلم يا بُنَيَّ وفَّقنا الله وإيّاك أن القلبَ بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، فإن أزاغه كان بيتًا للشيطان ومحلاً للخُسْران وموضعَ نظر المطرود من رحمة الله ومعدنَ وسواسه وحضرةَ أمانيه ومَهبِط مَرَدَتِهِ وخزانة غروره، وإن أقامه

فذلك قلب المؤمن التقي الورع الذي قال فيه: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسِعَني قلبُ عبدي المؤمن) فقلبٌ يَسَعُ القديم كيف يُحِسُّ بالمحدث موجودًا وفي هذا المقام تحقق شيخ الشيوخ أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه حيث قال: لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة وُضعوا في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسَّ به ثم أطال في ذلك، والنفس عالم كبير لأنها تضاهي الكرسي، والمخيلة من الإنسان تضاهي اللوح، والعقل الكلي منه يضاهي القلم، فكما أن القلم يُثبِتُ في اللوح مقادير الوجود كذلك العقل يُثبت في المخيلة مقادير الأشياء، ويُضاهي العناصرَ بطبائعه، والسمواتِ السبعة وأفلاكها بقواه الروحانية. وقد ألَّف سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه كتابًا سمّاه (المُوَازِيَة) ذكر فيها مُضاهاة العالم الإنساني للعالم الكياني، فعلم م هذا أن الإنسان جامع لعوالم كثيرة فلهذا قال المؤلِّف رحمه الله تعالى (جامعَ عوالمي)، وإذا شَهِده المكاشف أنه جامعُ عوالمه رأى الكل فيه فيصيرُ عائمًا في بحر وجود المحمدي الذي لا تُدرَك خوافيه، وهناك يصحّ له كمال الاقتباس والأخذُ عنه بدون شك والتباس، ويُقامُ هذا المكاشف خليفةً على الخليقة لاستمساكه بالعُروة الوثقى وسلوكه على أكمل طريقة، وهذا الهمام هو الذي نسختْ أقلامُ إلهام الحقيقة المحمدية كتابَ تقريبه، ونفخت الأرواح الأحمدية في صُوَر تدريبه أرواحَ تهذيبه، فعادَ مرآةَ فيضِها الأقدسي الأزهر، وجامع سِرّها الأنسي فَقُل فيه الجامِعَ الأزهر، ومع إشراق أضواء الشموس السُّبُّوحية، على هذا الإمام وغَلَبَة الصفات الروحية، فيستحيل عليه القيامُ بالحقيقة المحمدية قيامًا يحيط بأسْرارها، ويستحوِذ على رفيع بديع أطوارها، وإنما يحيط التابع على قدر الاستعداد والقبول، لا على قدر سَعَةِ دائرة السيد الرسول، فتلك دائرةٌ لا يحيط بِكُنْهِها عارف، ولو ان من صافي شُرَيْبَاتِها غارف، وإذا كانت الحقيقة المحمدية والذات الأحمدية لا يَدري كُنْهَها وارثٌ كامل، ولا يُحيط بها مَحمولٌ ولا حامِلٌ، فكيف بالذات النَّزيهة العَلِيَّة الرفيعة، فلا يَعرف الحق بما هو عليه من الكمال إلا الحق، فما عرف اللهَ على الحقيقة إلا الله، ومن هنا كان سيدي ياقوت العرشي رضي الله عنه يقول: يا حَيْرة يا دهشَة يا حَرْفٌ لا يُقرأ، فما عرف أحد الحق من حيث ذاته على الكمال، وإنما يُعرَف من حيثُ الأسماءُ والصفاتُ وكنوزُ أسرار الذات لا الذات من حيث هي هي بكل وجوهها، ولذا قلنا في وِرْد السحر (إلهي عرِّفني حقائق أسمائك الحُسنى، وأطلِعني على رقائق دقائق معارفك الحَسنا، وأشهِدني خَفِيّ تجليات صفاتك، وكنوزَ أسرار ذاتك) ومَن قال من العارفين بإدراك تجلّي الإطلاق ذوقًا فمراده لذي الفناء لا حالِ البقاء، فما رأى إطلاق الحق إلا الحق. قال القونوي رضي الله عنه في شرح الفاتحة: ومن المتفق عليه أن حقيقتَه لا يُحيطُ بها علمُ أحد سواه لأنه لا يتعيَّن عليه حكمٌ مخصوص

ولا يتقيَّد بوصف ولا يتميز ولا يتعيّن ولا يتناهى، وما لا يتميز بوجه لا يُمكن تعقّله إذ العقل لا يحيط بما لا ينضبط، ولا يتحيَّز عنده، فإن تعيّن ولو بنسبة مّا من وجه مّا عُلِم بتعيينه من حيث ما تعيَّن به وبحسبه لا مطلقًا، وهذا القدر من المعرفة المتعلقة بهذا الغيب إنما هي معرفة إجمالية حاصِلة بالكشف الأجْلى والتعريف الإلهي الأعلى، الذي لا واسطة فيه غير نفس التجلّي المتعيّن من هذه الحضرة الغيبية الغير المتعيِّنة، وقد سبق التنبيه عليها وعلى كيفية حصولها... الخ. وعلى هذا يُحمَل جواب سيدي عمر بن الفارض لسيدي إبراهيم الجعبري رضي الله عنهما لِما قال له يا سيدي هل أحاط أحد بالله علمًا، قال: فنظر إليَّ نَظَرَ مُعَظِّم لي وقال: نعم إذا حيّطهم يحيطون يا إبراهيم وأنت منهم، إي إذا أراد أن يحيطهم أفْناهم عنهم وخلَّصهم منهم وأبقاهم به له فرأوا به فإذًا لا رؤية، وأنشدوا:

قلوبُ العارِفِين لها ذهابُ	إذا هي شاهَدت مَن لا تراه
وذا من أعجَب الأشياء فينا	نراه وما نراه إذْ نراه
دليلي إذ يقولُ رميتَ عبْدي	فلا تعجب فما الرَّامي سواه

والحاصل أن الذاتَ العَلِيَّةَ من حيثُ الكُنْهُ لا تُدرَكُ ولا تُعلَمُ ولا تُرى، ولا يُحاطُ بها لا دنيا ولا أخرى، ومَن قال بالإدراك فمراده من بعض الوجوه، وإذا كان الأنس بالله لا يمكن لعدم المناسبة فكيف بالإدراك والرؤية، ومَن قال بالأنس فمرادُه بما يُفيضُه الحق لا بالحق، وكان مرادنا بَسْط الكلام في هذا المقام لأنه مَزَلَّة الأقدام سيما على ضعفاء الأفهام، ولكن قصْدنا الاختصار.

بتحقيق الحق الأول: أي أُقسم عليك بسِرّ تحقيق الحق الأول أي بثباتِه لأنه من حَقّ الشيءُ إذا ثبتَ، وحققتُه تحقيقًا إذا جعلتَه ثابتًا، والمراد من الحق الأول النور المحمدي لأنه أولا شيء ثبت له وصف الأوّلية، ومن أسمائه (ص) حَق. قال شارح الدلائل: وأما اسمه (ص) حق، فقال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ}[(277)]، وقال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى}[(278)] إلى غير ذلك، ومعناه هنا ضدّ الباطل من حَق إذا ثبت أي هو الثابت الذي لا يتبدَّل لا يتغيَّر ولا يعلو عليه الباطل، والمتحقِّق صِدقُه وأمرُه، أو معنى كونه حقًّا أي ذا حق أي جاء بالحق للخلق من ربّه وهو ما جاء به من القرآن العظيم والدين المتين، وجُعِل عينَ الحق على هذا مُبالغة. انتهى. قال الجيلي قدّس الله سرّه في الكمالات الإلهية: وأما اسمه الحق فإنه (ص) كان متحقِّقًا بهذا الاسم مُتَّصفًا بالصفة الحَقِّيَّة، والدليل على ذلك قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ}[(279)] يعني محمدًا، وقال:

{ ء ـ . ف ق ك ل م ن ه و ى 5 } [(280)] يعني محمدًا ذكره القاضي عِياض رحمه الله تعالى في كتابه أي الشفا، وأيضًا فإن الله تعالى قال: { ؛ چ = عع ؟ ژ ء آ } [(281)]، وورد في الحديث من رواية جابر أن الله تعالى أول ما خلق روح محمد (ص)، ثم خلق منه العرش والكرسي والسماء والأرض وجميع الموجودات، والجمع بين هذه الآية وهذا الحديث أن يقال أنه (ص) هو الحق الذي خلق الله تعالى منه السموات والأرض، فهو (ص) الحق المخلوق. انتهى. وقد تكلم على هذا الحق المخلوق في الإنسان الكامل في الباب الحادي والخمسين منه فراجِعه. ومن أسمائه (ص) روح الحق، قال شارح الدلائل رحمه الله تعالى: وأما اسمه (ص) روح الحق فيحتمل أن يكون المراد بالحق الدين والإيمان، وهو (ص) روح الإيمان الذي قام به وجوده، فلولاه لم يكن له وجود ولا ظهور في الخلق، وهو أصله وعنصره وفيه قراره، ومنه يتفرَّق وينبعث إلى غيره، ويمدّ أهله، ويحتمل أن يكون الحق من أسمائه تعالى وإضافة الروح إليهة كما في حق عيسى عليه السلام في تسميته بروح الله، وهي إضافة مخلوق إلى خالق ومملوك إلى مالِك للتشريف، وروحه (ص) هو إنسان عين الأرواح وأبوها وأسّ وجودها وأول صادر عن الله عزَّ وجلَّ، وهو الروح الأعظم والخليفة الأكبر (ص)، وأيضًا هو (ص) روح الله الموضوع في الوجود الذي به قِوامه وثباته ولولاه لاضمحلَّ وذهب. انتهى. وهل يجوز أن يُقْسِم العبدُ على الله بغير صفاته؟ قال شارح الحزب الكبير عند قوله رضي الله عنه: أقسمت عليك ببسط يدك... الخ. جاء في بعض الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام علَّم الناس الدعاء فقال: اللَّهمَّ إني أُقسم عليك بنبيِّك محمد نبيّ الرحمة. قال عزّ الدين فإن صحَّ فينبغي أن يكون مقصورًا عليه لأنه سيّد ولد آدم ولا يقسم على الله بغيره. قال البرزلي وكان شيخنا الفقيه ـ يعني ابن عرفة ـ يختار الجواز ويحتجّ بسؤال عمرَ بالعباس في قضية الاستسقاء ويقول العبد الذي استسقى بالبصرة بِحبّك لي إلا ما سقيتنا الساعة، قال الحطّاب: إنما هذا توسّل وهو غير القَسَم. انتهى. ولعل موضع الخلاف بينهما بعد اتفاقهما في حمل القسم في الحديث على التوسّل كما ورد في طريق آخر أللَّهمَّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيِّك محمد نبيّ الرحمة أنه هل يجوز التوسّل بغير النبي أو لا؟ فأجازه ابن عرفة لقضية الاستسقاء وغيرها، ومنعه ابن عبد السلام. وأما القسم فلا يجوز بحال بغيرالله خلافًا لابن حنبل ومَن تبعه، وأما كلام الحطاب ففيه نظر من حيث حملُه القسم على حقيقته وفهمُه أن الخلاف في ذلك ولذلك ردّ استدلال ابن عرفة، ويشهد لِما ذكرناه من أن الخلاف إنما هو في التوسّل بغير النبي ما وقع في المعيار في جواب لأبي القاسم العبدوسي بعد ذِكره أن الحيّ ينتفع بالميت في الزيارة، قال: ولكن هل يُتَوَسَّل به إلى الله تعالى فيقول: بحق

هذا الصالح افعل لي كذا هذا نص معروف الكرخي رضي الله عنه في الحلية أو إنما يعتقد أن البقعة بقعةٌ مُباركة يدعو الله فيها من غير توسّل هذا هو الذي عمل عليه الشيوخ. انتهى.

وعلى التوسّل يحمل ما في رسالة القشيري عن معروف الكرخي رضي الله عنه مَن كانت له إلى الله حاجة فليُقْسِمْ عليه بي، وكذا وجد بخط سيدي أبي العباس المرسي عن شيخه الشاذلي أنه كان يقول له إذا عرضت لك إلى الله حاجةٌ فأقسِم عليه بي، كل ذلك بمعنى تَوسَّلْ، وأما ما وقع في الحزب الكبير من قوله أقسمت عليك ببسط يدك... الخ فهو قَسَم بصفات الله تعالى، فهو على حقيقته ولكنهة خاص بالمحبوبين المدلين على الله كما يشير إليه حديث «إن من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبرَّه» ويحتمله حديث «والله لا تجتمع بنت عدو الله مع بنت حبيب الله أبدًا» في قضية خِطبة عليّ بنت أبي جهل على فاطمة، وقد قال الحاتمي رضي الله عنه إن لله عبادًا يتحكّمون عليه فيما يخطر لهم فيُجيبهم إلى ذلك، وذلك لمعرفتهم به حين أحضر لهم ذلك فهو المتحكّم غيبًا وهم المتَحَكِّمون عينًا. انتهى. وقد نقل في القوت في آخر كتاب المحبة حيث تكلَّم على الخلّة عن الجنيد أن العبد في هذا المقام يعلم أن الله يحبّه ويقول العبد بحقي عليك وبجاهي عندك أو يقول بحبك لي، قال: وهؤلاء مدلون على الله عزَّ وجلَّ ومستأنسون به وهم جُلساء الله قد رَفَعَ الحشمة بينه وبينهم وزالت الوحشة بينه وبينهم، علموا أن الله يحبّهم وأن لهم ومنزلة فضلاً منه تعالى وفرط كرم أو كما قال، وهذا خارج عن الفتوى ولا يعرفه غير أهله، وبالجملة فلا يكون الإدلال والقَسَم إلا عن استغراق واستهلاك في الحقيقة بحيث يكون صاحبُ تلك الحالة مُتَرجِمًا عن ربّه بربّه، وليس لغيره ذلك إلا على سبيل التِّلاوة لأذكاره والحكاية عنه والله أعلم. انتهى.

ولما كان النبي (ص) أعزّ الخلق وأكرمهم على الله أقسَم عليه به لتحقّقه أن الحق لا يُخيب مَن توسَّل بجنابه الشريف ومقامه المنيف، وقد أرشد إلى التوجّه به إلى ربّه في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم والنسائي وهو (ألَلَّهمَّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة يا محمد إني توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقْضَى لي ألَلَّهمَّ فَشَفِّعه فِيَّ) ولِوُروده قصة قال شارح الدلائل ولفظ النسائي أن أعمى أتى إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله ادْعُ الله أن يكشف لي عن بصري، قال: أوْ أدَعُك، قال: يا رسول الله إنه قد شقَّ عليَّ ذهاب بصري، قال: أو أدعك، قال: يا رسول الله إنه قد شقَّ عليَّ ذهاب بصري، قال: فانطلِقْ فتوضأ ثم صَلِّ ركعتين ثم قُل: «ألَلَّهمَّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيِّي محمد نبيّ الرحمة يا محمد إني

أتوجّه إلى ربِّي بك أن يَكشف لي عن بصري، اللَّهمَّ شَفِّعْه فِيَّ وشَفِّعني في نفسي» ، فرجع وقد كشف الله تعالى عن بصره. انتهى.

وهو أعظم الخَلْق، ومطلوبُ الشيخ أعظمُ المطالب فسأل الله تعالى وأقسَم عليه بأعظم الخلق أن يُنيلَه أعظمَ المطالب، ومما يدلّك على أنه أعظم الخلق ما في حديث سلمان عن ابن عساكر، قال: هبط جبريل على النبي (ص) فقال: إن ربك يقول لك إنْ كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيبًا وما خلقت خَلْقًا أكرمَ عليَّ منك ولقد خَلقت الدنيا وأهلها لأُعَرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا وصَحَّحَ الحاكم والبيهقي قول الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام لولا محمدٌ ما خلقتك، وفي حديث آخر لولاهُ ما خلقتك ولا خَلقت سماءً ولا أرضًا.

يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن: قال القاضي رحمه الله: هو الأول السابق على سائر الموجودات من حيث إنه مُوجِدُها ومُحْدِثها، والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها، أو هو الأول الذي تبتدِىءُ منه الأسباب وينتهي إليه المسَبِّبات، أو الأول خارجًا والآخر ذِهْنًا، والظاهر والباطن: الظاهر وجوده لكثرة دلائله، والباطن حقيقةُ ذاتِه فلا يَكْتَنِهُهَا العقول، أو الغالب على كل شيء والعالِمُ بباطنِه، والواو الأولى والأخيرةُ للجمع بين الوصفين، والمتوسطة للجمع بين المجموعين، وهو بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي. انتهى. وقيل: الأول الذي ليس لوجوده بداية، والآخر الذي ليس لوجوده نهاية، والظاهر الذي لا يخفى من حيث صفاته، والباطن الذي لا يُدرَك من حيث ذاته، وقيل: الأول الذي لا يتوقد وجوده على غيره، والآخر هو الذي لا نهاية له بل هو نهاية كل نهاية وغاية كل غاية، فأوَّليَّته عبارة عن صفة وجوده الذي لم يكن مسبوقًا بالعدم وآخريّته عبارة عن صفة وجوده الذي ليس له نهاية وغاية، والظاهر هو الذي ظهر في كل شيء، والباطن هو الذي لا يدركه شيء، فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، والظاهر بدون احتجاب، والباطن الذي لا تكيِّفه العقول والألباب، وقيل: الأول بالوجود وابتدائه بالإحسان، والآخر الذي يرجع الأمر إليه وتفضّله بالغفران، والظاهر لنفسه فما زال ظاهرًا، والباطن عن خلقه فلم يزل باطنًا، فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعناية، وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي قدّس الله سرّه يقول في معنى هذه الآية: قد محقَ الحق تعالى الأغيارَ بهذه الآية فإنه جعل نفسَه عينَ ما ظهر وعينَ ما بطن، وكذا هي حضرة الذات المقدسة. انتهى. والكلام على هذه الأسماء الأربعة يطول، وقد تكفَّل بذلك أئمة فُحُول. فإن قلت: لِمَ أتى المصنِّف بياء النداء المؤْذِنَة بالبُعْد مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد؟

قُلْنا لِملاحظتِه بُعْدَ المكانة والبون الذي بين رتبة العبد وربّه لأن بُعْد الحق وقُربَه ليس كبُعد الأجسام وقُربها لِتَعالِيه وتقدّسه عن ذلك، فقربُه كنايةٌ عن قُرْب العبد من منازل إمداده، وبُعده إشارة إلى إقصاء العبد عن باب إسعافه وإسعاده. واعلم أن الاستغاثة بأسمائه تعالى على ثلاثة أقسام بياء النداء وبأل وبدونهما، فالأولى للمُريد المبتدىء، وأل للمتوسط، والأخير للمُنتَهي، فالمبتدىء مثلاً يقول: يا رحمن، والمتوسط الرحمن، والمنتهي رحمن، لأن الاسم إذا تجرَّد عن أل وياء النداء كان أسرعَ إجابة، والمبتدىء لما كان ضعيفًا عن الثَّبات لدى سرعة الإجابة ذَكر بياء النداء فتبعُد الإجابة فيكثر توجّهه وبه يتقوّى عزمُه، ثم إذا تقوّى ذكر بأل التي هي لفظ تعريف فيتعرَّف الحق له بالإمداد فوق إمداده الأول، وهي لا تشير للبُعْد ولكنها زيادةٌ على الاسم فلهذا كانت تبعد الإجابة، وإذا كمل استعداد الطالب وتهيّأ لقبول فيض الحق تعالى ذكر الاسم مجرّدًا فكان الفتح أسرع، وإذا بلغ العبد مقام الكمال ساغ له الذِّكر بأيّ صيغة أراد لأنه صار غريقَ بحر القُرب فلا يرى بُعدًا وليس عنده بُعْد، وقد يتنزَّل الكامل إلى رتبة المبتدىء ليُرشِد التائِهَ وبنوره يهتدي، ولهذا أتى المصنِّف بياء النداء لتنزّله في إيصال النداء.

إسْمَعْ ندائي: أيْ اقْبَلْ واسْتَجِبْ يا سميعُ دُعَائي.

بما: أي بالذي.

سمعت: أي قَبلَت بسببه.

نداء: أي دعاء.

عبدك: المضاف إليك إضافة تشريف.

زكرياء: ابن برخيا من ولد سليمان بن داود، وقيل: زكرياء بن آزر، وكان زكرياء وعمرانُ أبو مريم متزوّجين بأُختين الواحدة عنده والأخرى عند عمران وهي أُم مريم، ولهذا كفَل زكيرياءُ مريم فإن أباها كان قد مات، وقيل: إنه ضعف عن كفالتها لأزمة أصابتهم فكفلها جريج النجار، فلما بلغ زكرياءَ الكِبَرُ رزقه الله يحيى من زوجته تلك فيحيى بن خالة مريم، وَوُلد عيسى بعد ولادة يحيى بثلاث سنين، وقيل: ستة أشهر فاتَّهَمَ بنو إسرائيل زكرياء بمريم فهرب منهم كذا في المسامَرات لسيدي محيي الدين قدّس الله سرّه. ونداؤه عليه السلام ما أخبر الله تعالى عنه بقوله: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا}[(282)] قال القاضي: (وحيدًا بلا ولد يرثني) {وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} (1) (فإن لم ترزقني مَن يرثني فلا أُبالي له) {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}[(283)] (أي أصلحناها للولادة بعد عقْرها أو لزكرياء بتحسين خُلُقها وكانت

خِرِدة) {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}[(284)] (يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء) {كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} (1) (يُبادِرون إلى أبواب الخير) {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} (1) (ذوي رَغَبٍ أي راغبين في الثواب راجين للإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية) {وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (1) (تائبين أو دائمينَ الوَجَلَ والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخِصال). انتهى. والمعنى أي اقْبَل دعائي ولا تجعل فيه تأخيرًا بل اجعل الإجابة تابعةً للسؤال كما كانت إجابةُ زكرياء عليه السلام تابعةً لسؤاله، واستجِب منِّي دعائي كاستجابتك له، فإنك لم تردّ سؤاله لسِرّ التخصيص الأزلي العَلِي، ولما كانت مطالبه المتقدّمة واللاّحقةُ مطالبَ خاصة الخاصة سأل أن يكون نداؤُه مُجابًا كإجابتهم إذ هم الأحباب الذين لا يُرَدّ سؤالهم ولا يخيب آمالهم، ولعلّ الشيخ رضي الله عنه عرَّض بذكر نداء زكرياء عليه السلام ومرادُه به منه تعالى أن يهبَه الذُّرِّيَّة الطيبة المباركة سواء كانت رُوحانية أو جسمانية، وقد استجاب الحق سبحانه وتعالى سؤاله وبَلَّغه آمالَه فرزقه ولدًا رُوحانيًّا مُبارَكًا وهو الإمام الشاذلي الهُمام الذي عمَّت بركاتُه، وطمّت إمداداته، وعَلا به الطريق، وغلا به الزيق. ولنذكر عبارة الشيخ الأكبر رضي الله عنه في أول الفص الشيشي مختصرة ملخصة فنقول: اعلم أن العطايا ذاتيةٌ وأسمائيةً، والأولى لا تكون إلا عن تَجَلٍّ ذاتي لكن من خلف حجاب الأسماء، والثانية عن تَجَلٍّ أسمائي، ومنها ما يكون عن سؤال معين أو غير معيّن، وعن غير سؤال لفظي، لأن الحاليّ لا بدّ منه للفقر اللازب أو بالاستعداد، وهو لا يشعر به صاحبه إلا إن كان كامِلاً مُطَّلِعًا، على الأعيان الثابتة في علم الحق، وأهلُ هذا الصنف منعَهُم من السؤال علمُهم بأن لله فيهم سابقةَ قضاء، فهم قد هيَّئوا محلهم لقبول ما يَرِدُ منه، وقد غابوا عن نفوسهم وأغراضهم، ومن هؤلاء مَن يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوتٍ عيّنه قبل وجودها، ويعلم أن الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به وهو ما كان عليه في حال ثبوته فيعلم علم الله من أين حصل، وما ثَمَّة صِنْفٌ من أهل الله تعالى أعلمُ وأكشف من هذا الصنف، فهم الواقفون على سرّ القدر وهم على قسمين منهم مَن يعلم ذلك مجملاً ومنهم مَن يعلم مفصّلاً والثاني أعلى وأتم، والسائلون على أقسام؛ منهم مَن بعثَه على السؤال الاستعجالُ الطبيعي، ومنهم الباعثُ لهم علمهم أن ثَمَّ ما لا يُنال إلا بالسؤال فيسألون رجاء أن يكون ما سألوه معلّقًا على سؤالهم، ومنهم مَن يسأل امتِثالاً للأمر الإلهي وهؤلاء لا هِمَّة لهم في نَيل ما سألوه من معيّن أو غير معيّن أو حاليًّا أو استعداديًّا وإنما همّتهم امتثال الأمر فإذا اقتضى الحال سُؤالاً سألوا أو تفويضًا سكتوا مع علمهم أن الطلب الحالي والاستعدادي واقعٌ فلا يتوقعون إجابة،

والإجابة على قسمين إجابةٌ بالمسؤول وهي تحصل بحضور الوقت وتُبْطيءُ ببُعده، وإجابة بلبَّيك لِما في الحديث إذا قال العبد: يا ربّ يا ربّ، قال الله: لبَّيك عبدي سَل تُعْطَ، والظاهر من حال الشيخ أن طلبه لمجرد الامتثال وهو حال أهل الكمال لغيبته عن حظه ومراده ويشهد له قوله.

وانصرني بك لك: أي توَلَّ نصري بذاتِك فإن مَن تنصره لا غالب له ولأَنْصُر دينك الحق وقولك الصدق، لا لغرض نفساني أو مقصد فاتنٍ فإني، ولأكون ممَّن نصرَ الحق بالحق فنصَره الحق وثبَّتَ أقدامه ومَنحه النصر والفتح وأزالَ شكوكَه وأوْهامَه.

وأيِّدني بك لك: أي قوِّني واشددني بحولك وقوّتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك لأقهر كل مُعارِض اختطَفَتْه العوارض وأرُدّ كل شارد إلى المغتسل البارد فيَطْهُرَ من رجسه ويتخلَّص من قيد حَدسه، ولأجعل بتأييدك لي كلمتَك هي العُليا وكلمةَ أعدائك السُّفلى، فأكونَ خليفتك في بلادك على كافة خليقتك وعبادك.

واجمع بيني وبينك: أي ارفع الحجاب بيني وبينك ليَفْنى البينُ، فيَصِلَ العبدُ إلى مقام العِندية، فَتَسْمُو وترتفع المقاماتُ العَبْدية، وهناك يُكشَف سِر الجمع، ويُمحى البين من البين بكينونية البَصر والسمع، ويتَّضحُ الأمرُ اتِّضاحًا لا يُطْلَب بَعْده المزيد، لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقينًا فلا يُفيد، وصاحبُ هذا المقام يُسمى الواجِد، لأنه عَلِم الأمر على ما هو عليه بِتَعليم الواجِد، وإلى هذا الوجدان الإحساني أشار سيدي عبد القادر الجيلاني قدّس الله سرّه، وبقربه أسرّه، بقوله:

لم يُبْقِ لي أمَلاً ولا أُمنيّة	أرجو ولا مَوعودة أترقّب
ما زلتُ أرتَع في مَيادين الرِّضى	حتى بلغتُ مكانةً لا تُوهَبُ

وإلى هذه المكانة الإشارة بقوله تعالى: {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[(285)]، قال الجيلي قدّس سرّه في الإنسان الكامل يعني أنهم نالوا ما هو لهم فليس ذلك بموهوب حتى يكون ممنونًا، بل ظفروا بما اقتضته حقائقُهم التي خلقناهم عليها من الفِطْرة فكل ما نالُوه إنما هو باستحقاق وجعلناه لهم، ولو كان الكل من خزائن الجود فإن التجليات الذاتية لا تسمى موهبة بل هي أمورٌ استحقاقية إلهية، وإلى هذا المعنى أشار شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلاني في قوله: ما زلت أرتع... الخ. انتهى.

وحُل بيني وبين غيرك: بحجاب قُربك وشهودك، وكن أنت حجابي بنفي حُجُبِك وقيودك، حتى لا يقَعَ شهودٌ مني إلا عليك فتكونَ أقربَ إليَّ من كل مشهود، فلا أرى غيرَك في الوجود موجود، ومن لوازم الجمع

بالله وعلى الله الغيبةُ عمّا سواه، لكن لما كان المقام مقامَ بسط وانبساط، أكّد وطلب بَسْط هذا البِساط، قال الله تعالى: { ن هـ و ى 17 يٍّ َ ُ ّ ْ لله . 18 } [(286)]. قال شارح الحزب: قوله: (وحل بيني وبين غيرك) هو كقول شيخه وأُستاذه سيدي عبد السلام رضي الله عنهما في صلاته المشهورة (واجمع بيني وبينك وحُل بيني وبين غيرك) وذلك يكون بغيبة العبد عن وجوده واستغراقه في نور شهوده كما أشار إلى ذلك الجُنَيد بقوله:

وُجودي أن أغيبَ عن الوجود	لِما يَبْدُو عليَّ من الشهود

وللششتري رضي الله عنه من جُملة مُقَطعاته وأزجاله:

أنا حيْن نخلو بمحبوبِي	نَغِبْ عن الوجود
ونَقْرأ سرّ مكتُوبي	في سورة العقود

يعني قوله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}[(287)] لأنّ جميع ما يُشيرون إليه ويغتبطون به إنما هو أسرار المحبة الحقيقة، وفيها ما يدقّ ويضيق عنه نِطاق البيان وإنما هو رموز وإشارات يعرفها أهلها ذوقًا ووَجدًا لأنها تُوجَد فَتُعْلم ولا تعلم فتوجد، وإنما سبيل غيرهم أن يُسلِّم لهم ويؤمن بوَهبة مولاهم لهم وتخصيصهم بما به تولاّهم، رزقنا الله حبّهم ومَنَّ علينا بالانخراط في سِلْكهم والكوْن معهم. انتهى.

ألله ألله: جاء في الحديث الشريف «إن الله وِتْرٌ يحبّ الوتر» ولهذا كان يستعمل نبيّنا (ص) الثلاث في كثير من أقواله وأفعاله، ففي الحديث كان يعجبه أن يدعوَ ثلاثًا، وأن يستغفر ثلاثًا، وفيه كان يشرب ثلاثة أنفس يُسَمِّ الله في أوله ويحمد الله في آخره، وكان يَسْتَاك عَرَضًا ويشرب مَصًّا ويتنفَّس ثلاثًا ويقول: «هو أَهْنَأُ وأَمْرَأُ وأَبْرَأُ» ، وفيه كان يُسَلِّم ثلاث مرات، وفيه كان يُعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل عنه، وكان يغسل مِقعدته ثلاثًا، وكان له مُكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه، وكان لا يعود مريضًا إلا بعد الثلاث، وكان لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، وكان يأكل بثلاثْ أصابع ويستعين بالرابعة، وكان يُحبّ أن يُفطر على ثلاث تمرات أو شيء لم تُصِبْه النار، وكان إذا قال الشيءَ ثلاث مرات لم يُراجَع، وكان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا ثم قال: «اللّهمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» ، وكان يصوم من غُرَّة كل شهر ثلاثة أيام وقَلَّما يفطر يوم الجمعة، وعنه (ص) «حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم النساء والطِّيب وجُعِلَت قُرَّة عيني في الصلاة» ، ورواية الغزالي حُبِّبَت إليَّ من دنياكم ثلاث: الطِّيب... الخ.

قال ابن غانم المقدسي رضي الله عنه في كتاب إفراد الأحد عن إفراد العدد: وتعلمُ من هذا الحديث أنه لم يُرِد بهذه الثلاثة التمتّع للشهوة وذلك لأنه جاء بلفظ مفعول ما لم يُسَمّ فاعله بقوله: «حُبِّبَ إليَّ» فكأنه فلم يكن الحبّ من نفسه ولا من تِلقائِه بل كأنه أُلْزِم بذلك، الثاني أنه قال: «من دُنياكم» وأضافها إلينا، ولو أحبَّها أضافها إلى نفسه، فأما قوله (ص): «الطِّيب» فما أحبَّه إلا لملاقاة الملائكة ومُناجاة الحق سبحانه وتعالى فأحبَّ أن يتطيَّب لذلك، لا لأنه شهوة نفسه، وأما النساء فلأنه أراد التناسُل بين العِباد وكثرة الخلق لتكثر منه، قال (ص): «تناكحوا تناسلوا فإني مُبَاهٍ بكم الأُمم يوم القيامة» ، وأما ما كان حظّ قلبه ومرآة ربّه فأضافه إلى نفسه وإلى أحبّ الأعضاء إليه وأعزّها عليه فقال: «وجُعِلَت قُرَّة عيني في الصلاة» فلا يَتوهَّم مُتَوَهِّم أنه أحبَّ شيئًا من الدنيا للتمتّع والتلذّذ فيُسيء الظن بنبيِّه، كيف وقد عُرِضَت عليه مفاتيحُ كنوز الأرض وبطحاءُ مكة ذهبًا فأبى أن يَقْبَلها ولا أعارها طرفًا، أتُراه أعْرَض عن الكل ثم يريد البعض حاشاه من ذلك، وإنما لما وصلت إليه هذه الهدية رأى أن لا بدَّ من قبول شيء منها، فقال: «حُبِّب إليَّ من دُنياكم ثلاثة» ، وقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: وأنا حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم ثلاثة: القيام بين يديك، والإنفاق عليك، والنظر إليك صلَّى الله عليك. وقال عمر رضي الله عنه: وأنا حُبِّبَّ إليَّ من دُنياكم ثلاثة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف. وقال عثمان رضي الله عنه: وأنا حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاثة: إطعام الطعام، وإفْشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نِيام. فقال عليّ رضي الله عنه: وأنا حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاثة: الصوم في الصيف، وإكرام الضيف، والضرب بالسيف. فأوحى الله تعالى إلى حبيبه يا محمد وأنا أُحبّ من دنياكم ثلاثة: بَدَنٌ صابر، ولسان ذاكر، وقلبٌ شاكر. ولقد أُنزل جبريل عليه السلام بثلاثة خِصال من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة وهو قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ *}[(288)]، وهو أن يَصِل مَن قطعه، ويُعطي مَن حرمه، ويعفو عمَّن ظلمه. قال ابن عباس رضي الله عنهُما: لقد جمعتْ هذه الآية مكارم الأخلاق. وقال عليٌّ رضي الله عنه: الكبائرُ ثلاث: اليأس من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمْنُ من مَكْر الله. وثلاثة فيها ذِلَّة وقِلَّة وزَلَّة: مَن اعتزَّ بمخلوق ذلَّ، ومَن اعتمد على عقله زَلَّ ومَن استغنى بماله قَلَّ. وإيّاك أن تكون من ثلاثة: ممَّن يحبّ الصالحين ولا يُخالطهم، ويلومُ المذنبين ولا يَجْتَنبهم، ويلعن إبليس في العَلانِيَة ويُطيعه في السرّ. وثلاثة يَحِقّ لهم البكاء: حُرٌّ ابْتُلِيَ بِعَبْد، وعاقل ابْتُلِي بجاهل، وكريم احتاج إلى لئيم. واعلم أن البقاء له ثلاث علامات: حضور لا غِيبَة فيه، وشهود لا شهوة فيه، وخمود لا فَتْرَة فيه، ولا يصل إلى هذه الثلاث إلا

بثلاث مُعينٌ ودَلِيلٌ وزادٌ، فالمعين هو الله، والدليل رسول الله، والزَّاد يقين المتَّقين. والمتَّقون على ثلاثة مقامات: مقامُ العامّ، ومقام الخاصّ، ومقام خاصّ الخاصّ. فمقام العامّ على ثلاث مراتب: تبديلُ الكُفْر بالذِّكْر، وتبديل الشِّرْك بالشُّكْر، وتبديل الجَحْد بالعَقْد وإليه الإشارة بقوله تعالى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}[(289)]. وأما مقام الخاصّ فله ثلاث علامات: تبديل الجَفْوَة بالصَّفْوة، وتبديل الخلطة بالعزلة، وتبديل العِزَّة بالذِّلَّة. وأما مقام خاصّ الخاصّ فله ثلاث علامات: تبديل الاسم بالاسم، وتبديل السُّكْر بالصَّحو، وتبديل الوجود بالمحو، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[(290)]، ولكن لا يرى العبد ذَرَّة من مقام التقوى حتى يدخل في مقام التوحيد. وللتوحيد ثلاث علامات: مقام يرجع إلى العقل، ومقام يرجع إلى القلب، ومقام يرجع إلى الخاطِر، فأما الذي يرجع إلى العقل فإثبات ثلاثة مُنَزَّهة عن ثلاثة: إثبات موجود غير مفقود، ومَعلوم غير مَوهوم، ومحمود غير محدود. وأما الذي يرجع إلى القلب إثبات ثلاثة مُنَزَّهَة عن ثلاثة: معرفة من غير إشارة، ومحبة من غير عبارة، وإرادة من غير علاقة. وأما المقام الذي يرجع إلى الخاطر فثلاثة مُنَزَّهة عن ثلاثة: خاطر يشير إلى الأَزَل من غير زمان، وإلى الأبد من غير مكان، وإلى الوجود من غير حدود، وقيل في ذلك:

طافت قلوبُ العارفين بعرشه	سرًّا فأوْجدها الطّوافُ عيانا
وسعَتْ فخَرَّقت الستورَ وكُوشِفَت	وتمازجت فأباحَها الكِتْمانا

انتهى. والثلاثيات كثيرة، منها قوله (ص): «ثلاث هنَّ عليَّ فريضة وهنَّ لكم تطوّع؛ الوتر وركعتا الضحى والفجر» ، وقوله: «ثلاث لا تُردّ الوسائد والدهن واللبن» ، وقوله: «ثلاث لا يُحاسَب بهنّ العبد ظلُّ خُصٍّ يستظِلّ به وكِسرة يَشدّ بها صُلبَه وثوب يواري به عورته» ، وقوله: «ثلاث لا يُفطِرن الصائم الحجابة والقَيْء والاحتلام» ، وقوله: «ثلاث لا يُعادُ صاحبهُنَّ الرَّمد وصاحب الضرس وصاحب الدّمّل» ، وقوله: «ثلاث يجلين البصر النظر إلى الخُضْرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحَسَن» أي المشار إليه بقوله (ص): «مَن قام بالليل حَسُنَ وجهُه بالنهار» إلى غير ذلك. واعلم أن الأسفار على ما ذهب إليه سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه ثلاثة: سفر من عنده وسفر إليه وسفر فيه، ودرجات الطريق ثلاثة: درجة العامَّة ودرجة السالك ودرجة المحقِّق، والطريق أوله جنون وأوسطه فنون وآخره سكون، والولاية صُغْرى ووسطى وكبرى، والمراتب ثلاثة: مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان ومرتبة الإحسان. ومنازل السائرين ثلاثة: مَنْزِل عالم الفناء ومنزل عالم الجذبة ومنزل عالم القبضة. ولكل مقام من مقامات الطريق ثلاث: درجات بداية وتوسط ونهاية.

والإشارات ثلاثة: إشارة سالك ومُحِبّ ومجذوب، وتنقسم إشارة كل واحد منهم إلى عُليا ومُتوسطة وسُفْلى، واليقين له ثلاث مراتب: الأولى علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين، وللطريق ثلاثة أنساب: نسبُ الخدمة ونسب المحبة ونسب الصُّحبة، وقد ألَّفنا في هذه الثلاثة رسالةً سَمَّيناها (رسالة الصحبة)، وله ثلاث درجات: أولها التعلّق وأوسطها التحقّق وآخرها التخلّق، وأولها عَناء وأوسطها فناء وآخرها غَناء، وأولها تعديد وأوسطها تجريد وآخرها تفريد، وأولها جفاء وأوسطها صفاء وآخرها خفاء، وأولها اجتماع وأوسطها انتفاع وآخرها ارتفاع، وأحرف الجلالة المجتمعة ثلاثة؛ كالأشهر الحُرُم والألف الفرد كرجَب الفرد. ولما كان الشيخ رضي الله عنه من أهل الرسوخ في المقام التوحيدي الجامِعينَ بين توحيد الأفعال وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الذات ذَكَر هذا الاسمَ الجامعَ لكل توحيد مرة، وأُمهاتُ الأسماء التي ترجع إليها القصص القرآنية ثلاثة: الله والربّ والرحمن، فأشار إليها بالثلاث، وأيضًا فإن الأسماء تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم للتعلّق والتحقّق كالرحمن وقسم للتعلق والتحقّق والتخلّق كالستَّار والغفَّار، وقسم برزخٌ جامع كالله فإنه اسم الذات الموصوفة بجميع الأسماء والصفات فله حكم البرزخية من حيث إنه جامع للقسمين، ومن حيث هو اسم الذات فلا يصحّ أن يُتَخَلَّق به بحال، وسرّ ذلك يظهر في البسملة فإن بسم مرتبة ذاتية، واسم الجلالة له المرتبة البرزخية، والرحمن الرحيم لهما المرتبة الصفاتية، فلما كانت المراتب ثلاثة أشار الشيخ إليها بتكرير الاسم ثلاثًا، وقد جعل الحق مراتب الأسماء ثلاثة في قوله تعالى: { ! " £ $ % × ' ( ) * + ، }[(291)]. ولما كان اسم الجلالة له الحيطة التامَّة والمنزلة العامّة قدَّمه ثم أردفه بالرحمن فإن حيطته دون حيطة اسم الذات وإن كان هو أيضًا مما اختصَّ الحق به لكن حيطة اسم الجلالة أوسع وأجمع، ثم جعل بقية الأسماء رُتبة واحدة، والمراد منها وإن كثرت معرفة أن المسمى بها واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، فلهذا قال: ألله ألله ألله، أي إذا نظرت إلى الذات قلت ألله، وإن نظرت إلى الصفات قلت الموصوف بها الله، وإن نظرت إلى الأفعال وأن الفاعل هو الله قلت ألله، وإن نظرت إلى الأحديّة قلت: ألله، وإن نظرت إلى الواحدية قلت ألله، وإن نظرت إلى الوحدانية قلت ألله لأن الموصوف بكل الصفات الجلالية والجمالية والكمالية هو الله. ولما قال الله تعالى لنبيّه (ص): (قل ألله) قال مُصغِيًا إثره ألله وكرّرها ثلاثًا {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *}[(292)] لسرّ القرب الأكمل المشار إليه بقوله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *}[(293)]، وبقوله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *}[(294)] هي تعدل ثلث القرآن فمَن كرَّرها ثلاثًا فكأنما قرأ القرآن مرة واحدة، والقرآن في اصطلاح القوم عبارة عن الذات المسمَّاة باسم الله، فإذا ذكره العبد المعتَنَى به مرة

أُحضِر، وفي الثانية يغيب في حضوره، وفي الثالثة يغيب بشهود غيب الغيب عن الحضور فيكون الذَّاكِر في ذلك المقام هو المذكور، وهذا ذكر الله {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[(295)]. وقد يكون مراد الشيخ غيرَ ما ذكرنا وإشارته أدقّ مما أشرنا له فإن شرح الكلام على مراد المؤلِّف لا يكون إلا من صاحب إشراف على مراد المؤلِّف وهذا مخصوص بأهل الكشف الرباني والفيض الإحساني، والكلام على هذا الاسم من حيث اشتقاقُه وما يدخل تحت حيطته وأسراره وأنواره يستدعي إلى مزيد بسط وسَعَة مجال، وقد تكلم عليه كثير من أهل الله الرجال. ولما كان المؤلِّف رضي الله عنه من أهل السُّكْر والصحو معًا فلا يُغَيِّبه سُكْره عن صحوه ولا صحوه عن سُكْره، وهذا مشهد الجامع الفارق، فإنه إذا نظر إلى التجليات الحَقِّيَّة سكر وغاب، وإذا نظر إلى الصفات حضر وطاب، فهو برزخ بين الحضور والغيبة، مُتَمكِّن في مقامَي الأنس والهيبة، يشهد الحق في الخلق والخلق في الحق، شهُود ظهور في بطون، وسر مَصون ودُرّ مكنون، وهذه حالة الأوّاب، وإليه الإشارة بقول الصديق الأكبر قدّس الله سرّه الأفخر (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله) وقول الخليفة الثاني رضي الله عنه ما تُلِيت المثاني (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه) وبقول الخليفة الثالث الأكرم رضي الله عنه: (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله معه) وبقول الرابع الخاتم الحفيظ الكاتم رضي الله عنه: (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله بعده). ثم أشار إلى الرجوع بعد الذهاب في الله بآية:

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(296)].

فإن الرجوع صحو والذهابَ محو، وأهل المحو وإن جلّوا فنفعهم قاصِر عليهم بخلاف أهل الصحو فإن نفعَهم عامّ وإمدادهم طامّ. ولما طلب مقام الجمع الكلِّي المُفْضي إلى الفناء والاستغراق والغيبة بالحق في الحق للحق بدون احتراق واختراق، ثم أشار بتكرير الذِّكْر إلى الوجود في الأولى والخود في الثانية والخمود عن الخمود في الثالثة، طَلَبَ بطريق التعريض مقامَ الرجوع والصحو بعد الذهاب والمحو ليكون نائبًا عن إمامه الأعظم في الدعوة إلى الطريق الأقوم، وهذا المقام عزيز وأهلُه المحَقِّقون قليلون، وإن كان الذي يدّعونه كثيرون، ولا يكون الإرث المحمدي على الكمال في كل عصر إلا لواحد، فإن جناب الحق جلَّ أن يكون مَورِدًا لكل وارد، وإنما يختصّ به واحد بعد واحد، وصاحب هذا المقام هو صاحب الخلوة بالله. قال الشعراني رضي الله عنه في الطبقات: وكان سيدي علي الخواص يقول: الخلوة بالله وحده لا تكون إلا للقطب الغوث في كل زمان، فإذا فارق هيكله المقدّر بالانتقال إلى الدار الآخرة انفرد الحق تعالى بشخص آخر مكانه لا ينفرد في زمان واحد بشخصين، قال: وهذه الخلوة وردت في الكتاب والسُّنَّة ولا يشعر بها إلا

أهل الله خاصة، قال: قلت: ورأيت هذا بعينه في كلام الشيخ محيي الدين أيضًا، قال: وأما خلوة غير القطب فلا تكون بالله وإنما هي لمزيد الاستعداد والبُعْد عمّا يشغله عن الطاعات من المخلوقين. انتهى. وقد تكلمنا عن الخلوة ولوازمها في (رسالة هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب) وفي رسالة (بلوغ المرام في خلوة خَلْوَتِيَّة الشام)، وقال القاضي رحمه الله تعالى: إن الذي فرض عليك القرآن أوجبَ عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادّك إلى معاد، أي ميعاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه، أو مكة التي اعْتَدَّت بها على أنه من العادة وردّه إليها يوم الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتّقين وأكد ذلك بوعد المحسِنين ووعيد المسيئين، وعده بالعاقبة الحُسنى في الدارين. رُوِيَ أنه بلغ جحفةَ في مهاجَره اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فنزلت. انتهى. وهذه الآية يكرِّرها مَن وقع في شدّة أو في يد ظالم أو رأي عَيْنَ غدر من أحد يحصل له الفرج سريعًا. قال لي شيخنا المرحوم الشيخ عبد اللطيف الخلوتي رَوَّح الله رُوحَه قد جرَّبت هذه الآية فرأيتها صحيحة، قال: وقد أفادنيها رجل من العلماء الكبار:

{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(297)] .

قال الله تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} (1) ، قال القاضي: . يعني فتية من أشراف الروم .، راودهم دقيانوس على الشِّرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا: {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} (1) تُوجِب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو { ز س ش ص } (1) من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفّار { ض } (1) نَصيرُ بسببه راشدين مُهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدًا، كقولك: رأيت منك رشدًا، وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء. انتهى. وقال تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا}[(298)] قال القاضي: الجمهور على أنه الخَضِر واسمه بَليا بْنُ مَلكان، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس، {آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} (2) هي الوحي والنبوّة، {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} (2) مما يختص بنا ولا يُعلَم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب. انتهى . فكأن الشيخ رضي الله عنه طلب من ربّه سبحانه أن يمنّ عليه بما مَنَّ به على أهل الكهف من إتْيَانِ الرحمة والرّشد في الأمر وأن يُدخله كهف الأمان من المكْر والاستدراج، فإن مطالبه أعظم المطالب فكأنه يقول فإذا مَنَنْتَ عليَّ يا ربّ بمطالبي السَّالفة فأْتِني رحمة من عندك أتقوَّى بها على حمل ما أعطيتني وهيِّءْ لي من أمري رشدًا أنجو به من مكرك فإنه لا يأمَن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

قال الشيخ إسماعيل بن سودكين رحمه الله تعالى في كتاب لواقح الأنوار ولوامح الأسرار الذي جمعه من كلام شيخه سيدي محيي الدين قدّس الله سرّه: وسألته رضي الله عنه عن قول القائل:

إن عينًا تراك في الدهر يومًا	تلك عين من العَمَى في أمان

فقلت: أيصحّ عدم الخوف لصاحِب هذه العين والمقام؟ فقال أيّده الله تعالى: ثَمَّ أصل ينبغي أن تعلمَه وتتحقَّق به، قلت: إن شاء الله تعالى يا سيدي، قال: وهو أن لا تحكم على الله تعالى بشيء ولو بلَّغك أعلى المراتب وأكملها، وقال لك: قد رضيتُ عنك رضائي الأكبر، فبعد هذا كله لا تأمَنْه ينبغي أن تُؤتِيَ الأُلوهية حَقّها، وانظر إلى الخبر الذي وَرَدَ عن جبريل وإسرافيل عليهما السلام أنهما كانا يبكيان فقال لهما الحق وهو أعلم ما الذي يُبكيكما فقالا خوفًا من مكرك، فقال لهما سبحانه كذلك فكونا. انتهى.

وقد سأل الله تعالى أهلُ الكهف ما منحه الحق للخَضِر عليه السلام فحصلت المناسبة بينهم فلهذه المناسبة جمعهم الله في سُورة واحدة أشار أن المطلب والمِشرَب واحد، وقد جمع الخضر في شُربه بين الشرب من عين ماء الحياة الظاهرة وعين ماء الحياة الباطنة، وأهل الكهف اقتصروا على الثانية فحصلت المناسبة أيضًا، ولما سأل المؤلِّف أن يجعل الحق الحجاب الأعظم حياة روحه ليكون ممَّن سُقِي من عين ماء الحياة الباطنة الأبدية ناسب في ذلك أهل الكهف الذين شربوا منها، ثم إنه رضي الله عنه سأل سؤالهم يشير أنه قد نالهُ ما نَالَهُمْ، وختم بصلواته النبوية بهذه الآية السَّنِيَّة العَلِيَّة، ووجهُ مناسبة الخَتْم بها أن مَن آتاه ربه رحمةً من عنده وهيّأ له من أمره رشدًا فقد كَمُلَ بَدْرُ سعوده وتمّ ظهور نور شهوده، وحصَّل غايةَ المرام ونهاية مطالب الكرام، فناسبَ ذكرُها في الختام، وليكن هذا آخر ما أردنا كتابته على الصلوات النبوية جعل الله ذلك مُتَقَبَّلاً لديه بجاه محمد خير البَرِيَّة، ولقد رأيت قبل شُروعي في شرح هذه الصلوات البشيشية جناب العارف الكامل المرشد بالإرشاد الشامل الشيخ محمد المزطاري قدّس الله سرّه وحصل بيني وبينه وُصلة تامّة ومحبّة شاملة عامّة، وأُلفَة زائدة تُحقِّق حصول الفائدة، ثم رأيته ثانية وحصل منه منحة قطوفها دانية، ثم رأيته ثالثة فعَجِبْتُ من توالي رؤيته وتحقّقت من وُفُور محبته، فلما شرعت في هذا الشرح قلت: هذا دليل على تحقّق حصول الاندراج في سلك طريقتهم العَلِيَّة الذكيَّة، والتمسك من عبير طيب أنفاسهم الزكية، والحمد لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، على نعمه التي لا تُحصى أبد الآباد ولا تُستَقصَى، والصلاة والسلام على سيِّد الأنام ومِصباح الظلام وبدر التَّمام، محمد المبعوث للخاصّ والعامّ، صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الأعلام، ما سَحَّ الغمام، وسلِّم تسليمًا إلى يوم القيام والحمد لله ربّ العالمين، وقد كمل الشرح والحمد لله سَحَر ليلة الأربعاء التي هي ختام العشر الأول من رمضان المبارك سنة أربع وثلاثين ومائة وألف.

&#5؛ ترجمة سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير رضي الله عنه الفقيه العالم الأثير، الصوفي الأديب الشهير، ذو الفَيْض النوراني والفتح الربّاني، أبو العباس سيدي أحمد بن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغسّاني النجّار، الأندلسي الفاسي الدّار، كانت له مشاركة ومعرفة بعلوم الحديث والسِّيَر والتاريخ والأنساب وطريق الصوفية، أُعجوبة الزَّمان في صنعة الإنشاء والترسيل، ومّن عليه فيها المدار والتعويل. أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله ولازمة، وكان يؤدّب الصبيان بزاويته ويؤمّ الناس بها في الصّلاة، وفيهم شيخ المذكور وسيدي أحمد اليمني، فلهذا كان يُدعى بإمام الأحْمَدَيْن، وذلك ممّا يشهد بصلاحه، وأدرك رحمه الله جماعة من الأشياخ وأخذ عنهم، وكان منتصبًا لتحمّل الشهادة بسماط شهود فاس بارع القلم في الوثائق والرّسائل والخُطَب والتآليف، وله تآليف جامعة مفيدة، منها:

. حاشية على الكلاعي.

. شرح الهمزيّة والبردة للبوصيريّ.

. جلاء القلب الفاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي.

. مقصورة طويلة جدًّا أنشأها في مدح سيدي أحمد بن عبد الله وشرحها في سَفَرَيْن كبيرين.

. لامية من بحر السّريع يذكر فيها مشايخ سيدي أحمد المذكور وشرحها أيضًا.

. تأليف آخر سمّاه المقباس في محاسن سيدي أبي العبّاس.

. شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي.

. شرح صلاة مولانا عبد السلام بن مشيش.

. عواف المنّة فيمن شهد له بالجنّة.

. تقييد في التعريف بسيدي عبد السلام القادري اسْتَوْفَى فيه أشياخه ومقرُواته.

. تقييد في التعريف بالشيخ المسناوي.

. قصيدة في المدح النبويّ تنيفُ على مائة بيت وشرحها.

. وله أنظام ورسائل.

وُلِدَ في أوّل يوم من رمضان سنة ثلاث وستّين وألف، وتوفي ثاني ربيع الأوّل سنة ستّ وأربعين ومائة وألف، ودُفِن بالساحة المتّصلة بقبّة سيدي محمد بن عبد الله. ترجمه في النشر وفي التقاط الدُّرر وفي الزّهر الباسم وغيرها.

هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياش بِمَنْ أقْبِرَ من العلماء والصالحين بفاس)، لسيدي محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه&#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير رضي الله عنه المتوفى عام 1146 هجرية الحمد لله الذي جعل النور المحمّدي أصْلَ الكائنات، فاستنارت به العَوالِم الأرَضُون والسموات، وبه قامت الموجودات من إنسٍ وجنٍّ وأملاك وجمادات وعجْماوات، ورَشَّ به الأرواح في العالم الأسني، فَمَنْ أصابه بلل كان مِمَّنْ صَدَّقَ بالحُسْنى، وبثَّ الأسرار، في صدور الأحرار، فامتلأَتْ حكمةً وإيمانًا، وفاض من ذلك على ظاهرهم فجمّلهم، فمهما نظرت إليهم ازدادوا حُسْنًا وإيقانًا، اطّلع على قلوبهم شموس التحقيق، وكحَّلَ أعينهم بإثمد التوفيق، وسقاهم من مياه محبّته أنهارًا، وصارت اللّيالي بهم نهارًا، وحلاَّهم في قلوب عباده، بما حصل لهم من محبّته ووداده، ووضَعَ لهم القبول، فنالوا غاية الأمنية والسُّول، والصّلاة والسلام على أزكى الخليقة أصلاً وفرعًا، وجنسًا ونوعًا، باب الله الأعظم، وصراطه الأقْوَم، وعنصر مدده الأفهم، وما زال مدده ساريًا، فمن سرى فيه صار مهديًّا هاديًا، وإلى حضرة الله داعيًا، وروفض معارفه زاهيًا، صلِّ الله وسَلِّم عليه وعلى آله وصحابه ومن انضاف إليه.

أمّا بعد؛ فإنّ الصلاة على النبيّ (ص) المشهورة والمعرفة للسيّد الإمام، عَلَم الأعلام، ووارث سرّ سيّد الأنعام، ابن النبيّ طينًا ودينًا، وممّن تمكّنت منه المعارف تمكينًا، القطب الأكبر، والغوث الأشهر، من مدده مترASل على الدَّوام، ينال مَنْ يغشاه من خاصٍّ وعام، سيّدنا ومولانا أبو محمد عبد السّلام بن مشيش الحسني، المحمّدي الإدريسي العلَلمي، رضي الله عنه وعنّا به، وجعلنا مِمَّن حُسِبَ عليه ولاَذَ بجنابه، مِنْ أجَلِّ ما جُمِعَ وصنّف في الوجود، وأطيب ما يستعذب من كُلّ منهل مورود، برع فيها وأعجز واختصر وأوجز، ومع هذا فقد اشتملت على معانٍ رائقة، بألفاظٍ فائقة، ولكلامه قوّة، وعليه مهابة وعليه سَطوة، وكيف لا وقد رضع لبان النبوّة، وحاز القرب والبنوّة، يُبهر سامعَها من عالم ومتعلّم، وكل كلام على قدر المتكلّم، ويرحم الله التاج ابن عطاء الله حيث قال: كل كلام يبرز وعليه كِسْوة القلب الذي منه برز، وأمْرِ هذه الصلاة شاع وذاع، وملأ الأفواه والأسماع، وسار في البَرّ والحَضَر، مَسير الشمس والقمر، واتّخذها المشايخ رضوان الله عليهم لهم ولأصحابهم وِرْدًا، ولم يجدوا لها مثيلاً ولا نِدًّا، وقد طلب مني شرحَها مَنْله محبّة في جنابه الرَّحيب، وممّن رتع في مَرْبَعه الخصيب، وله في ذلك قريحة، ونيّة صادقة صحيحة، وهو السيِّد الأسْعَد، الموفَّق المبارك الأهْدى الأرْشد، أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أوْلانا، سيدي

أحمد بن الشيخ الإمام العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنهما، وجعَلَ هذا النَّجْل ممن يقتفي نَهْجَهُما، فاعتذرت أوّلاً وتعللَتْ من قصور الباع، وكَوْن هذا الأمر لا يُستطاع، ثم كَرَّرَ ذلك عليَّ، وأشار إليّ، فتجشّمت وقلت القدرة صالحة، ويَدُ الله مَانحة، وهذا من الأعمال الصالحة، والتجارات الرابحَة، إنْ يَكُنْ العَوْن والتيسير، ممّن بيده تَيْسير كل عَسير، وهو نِعْمَ المؤْلَى ونِعْم النّصير، وأبدأُ بالتعريف بنسب هذا السيّد الشريف، وأذكر رجال سنده ذوي القدر العَلي المنيف، على سبيل الاختصار، من غَيْر إطالة ولا إكثار.

أمّا التعريف به رضي الله عنه، فأقول: هو العالِم العلَم والركن الملتزم، الطّوْد الشامخ، وجبل العرفان الرّاسخ، حامل راية الإيمان، والمتخلّي عن كل غرضٍ فان، أجلّ الأقطاب، من حَلا ذكره في القلوب وطاب، محلّ القاصدين، ومنهل الواردين، وفائدة الوافدين، وحِرْز الواهِين، أبو محمد سيّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن سَلاَّم بن مزْوار بن علي الملقّب حيدرة بن الإمام محمد بن الإمام إدريس باني فاس بن الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن حسن المثنّى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله (ص)، دفين جل العلم من القبائل الهَبْطيّة بني حسّان أو بني عروس وبه وُلِد ونشأ، أدركه الجذب لسبع سنين ولم يشعر بمن وصل له لك على يده، فلمّا كبر وترعرع انقطع للعبادة تاركاً للمألوفات والعادة، سالكاً سبيل الجادة، راكنًا إلى مولاه، لا يلتفت لسواه، مُعْرضًا عن الدنيا وزينتها وبهجتها، فبينما هو يومًا من الأيام في مغارة له هنالك فوق ضريحه، وما الت معروفة إلى الآن إذ أشرف عليه رجل واردًا ووصل إليه وافدًا، فَسَلَّم عليه، فقال له: من أنت يا سيدي؟ فقال له: أنا شيخك، فقال له: لَمْ أعرفك؟ فقال له: أنا شيخك وقد وصلَ لك من المدد والمنازلات والأحوال والوردات كذا كذا في وقت كذا، وصار يصف له ذلك مقامًا مقامًا، وحالاً حالاً، وهو الشيخ الكبير، القطب الشهير، السّري الشرف، ذو القدر الشامي المنيف، الغنيّ بشهرته عن التعريف سيدي عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطّار المدني، ويلقّب أيضًا بالزيّات لسكناه بحارة الزياتين من المدينة المنوّرة، على مُنوّرها الصّلاة والسّلام، ثم سُئِل عنه بَعْدُ سيدي عبد السلام رضي الله عنهما: هل كان يأتيك أو تأتيه؟ قال: كنت آتيه ويأتيني، فقيل له: طَيًّا أو سَفَرًا؟ فقال: بل طَيًّا، وهو ـ أي سيدي عبد الرحمن المدَني ـ أخذ عن القطب تُقي الدين الفُقير ـ بالتصغير ـ فيهما، عن القطب فخر الدِّين، عن القطب نور الدِّين، عن القطب تاج الدِّين، عن القطب شمس الدّين محمد بأرْض التُّرك، عن القطب زين الدّين القزويني، عن القطب أبي إسحق البصري،

عن القطب أحمد المرْواني، عن القطب سعيد، عن القطب سَعْد، عن القطب فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب أبي محمد جابر، عن أوّل الأقطاب سيدنا الحسن بن مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ويقال: إنّ الشيخ سيدي عبد الرحمن المدني أخذ أيضًا عن الشيخ أبي أحمد جعفر بن سيدي مونة الخزاعي الأندلسي عن الشيخ الغوث سيدي أبي مدين بن شعيب بن الحُسَيْن الأنصاري، وقيل: إنما أخذ عن سيدي أبي مدين بلا واسطة، وسيدي أبي مدين أخذ عن جماعة أوّلهم سيدي علي بن حرزهم الأُمَويّ العثماني دفين خارج باب الفتوح، وثانيهم سيدي أبو يعزى دفين تاغيا، وثالثهم سلطان الأقطاب مولانا عبد القادر اجيلاني لقبه بعرفة وأخذ عنه وجلس بين يديه وألبسه الخرقة، ورابعهم سيدي أبي عبد الله الدقّاق دفين خارج باب الجيسة، وخامسهم سيدي علي بن غالب القُرشي دفين باب الوادي من القصر الكبير رضي الله عنهم أجمعين، وأماتنا على محبّتهم مسلمين، تائبين، في عافية لا مبدّلين ولا مغيّرين، إنه أرحم الراحمين، وهذا أوان الشروع، وإلى المولى عزّ وجلّ المستَوْفى المبدأ والرجوع.

أللّهمَّ صلِّ على من منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار: أللَّهمَّ بمعنى يا ألله، قال الحسن البصري: هو مجمع الدعاء، وقال أبو رجاء العطاردي الميم في قوله: أللَّهمَّ فيها تسعة وتسعون إسمًا من أسماء الله تعالى، وقال النَّضْر بن شُميل: مَنْ قال أللَّهمَّ فقد داه بجميع أسمائه، وقال غيره: إذا قال الدَّاعي اللّهمّ فكأنّه قال: يا ألله الذي له الأسماء الحسنى. قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي رحمه الله في مقدّمته قبل كلامه على شرح الصلاة: (وخطاب الشيخ في تصليته هذه يدلّ على علوّ مقامه في المعرفة بربّه وعلى صدقه في محبّته وعلى تمكّنه في مقام الوصلة والقُرْبة، ولعمري لقد ضمّن فيها معاني لطيفة وأسرارًا شريفة تُؤذن بعلوّ قدر الرّسول العظيم وعظيم خصوصيّته بين المرسلين (ص)، ولقد أحسن فيها اللّفظ والمعنى وضمَّنَ فيها كل مقصد أسْنى، أتى فيها بكل سرٍّ عجيب ومعنًى غريب، ونبَّه فيها على خصوصية النبيّ الكريم ورفيع قدره الماجد العظيم بعبارة لطيفة وإشارة دقيقة لا يُدْرِكها إلاّ ذو روح عرشي وسرّ كرسي وقلب لوحيّ ولسانٌ قلمي، ولقد أحسن فيها البداية وأجاد فيها النهاية)، ثمّ قال بعدُ في الكلام على الصلاة: (والصلاة من الله تعالى على نبيّه (ص) زيادة تكريم وإنعام، وهي من الملائكة رحمةً واستغفار... وهي أفضل عبادات المتعبّدين وأعظم قربات السالكين وعلامة على صدق المحبّين وكهف إيواء الواصلين) إلى أن قال: (إذ ما صلّى على محمّد (ص) إلاّ هو)؛ إذ لولا مادّته السارية في المصلي عليه ما وجد سبيلاً إلى الصلاة عليه (ص)، فبحقّ ما

صلّى عليه (ص) إلاّ نفسه وفضله وجوده وخيره ونوره وسرّه الساري في الأكوان الذي به حياتها وقوّتها، وفي معنى ذلك قيل:

إذا نحن أهْدعيْنا إليك فإنَّما	بفضلك نَهْدي بل بجودِك نهتدي
وما عندنا إلا عطاياك فالذي	يوافيك منها بعضُ ما لكَ من يد

وقال أبو العالية: معنى صلاة الله على نبيِّه ثناؤه عليه عند الملائكة، ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء، قال في فتح الباري: وهذا أوْلى الأقوال، فيكون عنى صلاة الله عليه تعالى تعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، انتهى من المواهب.

وقيل أيضاً: الصلاة من النبيّ (ص) لغيره من المؤمنين دعاء، ومنه قوله تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ}[(299)]، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن أبي أوْفى قال: كان النبيّ (ص) إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: «أللَّهمَّ صلِّ على آل أبي أوفى» .

وقوله: انشقت وانفلقت، فإنّ معناهما واحد، ويقرب والإنفلاق أعمّ، فتكون الكلمتان متغايرتان، فإنّ الأسرار أُمور باطنية والأنوار ظاهرة لكن لا تشرق وتلوحُ على الظاهر إلاّ بعد إشراقها في الباطن، والأسرار جمع سِرّ وهو أمرٌ بين الله وبَيْن عَبْده لا يَطَّلِع عليه سواه، وفي عوارف المعارف للإمام السهروردي رضي الله عنه حديث بسنده إلى النبيّ (ص) عن الله عزّ وجلّ أنّ قال: (الإخلاص سرٌّ من سرّي أُودِعُهُ قلبَ من أحببتُ مِنْ عبادي)، وانفلاق الأنوار هو إشراقُها ومِنْهُ فَلَقُ الصبح إذا بان وظهر وانتشر. ومعنى انشقاق الأسرار وانفلاق الأنوار من النبيّ (ص) هُوَ أصْلُها ومنه اسْتَهَدَّ ويستمدّ كل أحد مَنْ مَضَى ومن يَأْتِ؛ لأن أوّل ما خلق الله نوره، ومن نوره خلق كل شيء، فهو الواسطة الأعظم والرابطة بين الحُدوث والقدم، ومَنْ أخرجنا الله على يده وبسببه من العدم، وعنه (ص): «كُنْتُ نبيًّا وآدَمُ بين الروح والجسد» ، وفي بعض الرّوايات: «وآدم بين الروح والطِّين» ، وسُئِل عليه الصلاة والسلام: متى كنت نبيًّا؟ وفي رواية: متى كنت نبيًّا؟ فقال: «إني عبد الله خاتم النبيّين، وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ في طينته» ، يعني ملقًى طريحًا قبل أن يُنفخ فيه الروح، وهو أوّل الأنبياء خَلْقًا وآخرهم بعثًا، فهو إمامهم والمقدم عليهم في الدّارين.

أمّا في هذه الدّار، حيث صلّى بهم إمامًا في بيت المقدس وفي السماء. وأمّا في الآخرة، فبالشفاعة وكَوْن لِواء الحمد بيده، قال (ص): «آدم فمَنْ دونه تحت لوائي يَوْم القيامة» ، وقال عليه السّلام: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي» . قال سهل بن عبد الله التّستري رضي الله عنه: (لما أراد الله أن

يخلق محمّدًا (ص) أظهر من نوره نورًا أضاء به الملكوت، فلمّا بلغ العظمة سَجَدَ، فخلق الله مِنْ سجدته عَمُودًا من نورٍ يُرَى ظاهرُه من باطنه، وباطِنُه مِنْ ظاهره، فخلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السّلام من نور محمّد (ص)).

وقال الشيخ أبو محمّد سيدي عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القَصري الأوْسيّ رضي الله عنه في شُعَب الإيمان: (فأوّل ما خلق الله تبارك وتعالى نوره (ص) في البَدْءِ، فكان بذرة الوجود، وأقرب موجود هو مقام الحبيب من الحبيب، ثمّ نشأ عنه الوجود كلّه كما تنشأ الشجرة عن البذرة حتى كملت الموجودات، ثمّ خلق آدم عليه السلام والنُّور يُمِدّ الكُلّ من الأصل حتى ظهر جسده الطاهر في آخر الدنيا وكمالِ الخلق كما تظهر ثمرة الشجرة بعد كمالها، فهو الأوّل والآخر وعليه تقوم الآخرة؛ لأنه الآخر كما عَنْهُ نشأت الأوائل، لأنه الأوّل كما بظهور منزلته وعظيم شرفه ظهرت رتبته ومنزلته على المنازل، وظهر دينه على الدِّين كلّه، فكان هو الظاهر كما بَطَنَ بتوسّله وخَفِيّ أسراره في مقام شفاعته، فحَفِيَتْ أسراره مع حبيبه في غيب الغيب بدخوله عليه وحده كما يدخل الوزير المقرّب على الملك، فكان هو الشفيع للكلّ، لا يقوم ذلك المقام غيرُه بشفاعة الغيب ورحمته للكلّ، فكان هو الباطن في درجات الحبّ وغيب القرب، فكان (ص) أوّلاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا أوّل في الخليقة والتقدمة وآخر في البعث ورجوع الكلّ إليه وانتظارهم ليَوْمِه وظاهر في المنزلة وباطن في الوسيلة)، وإلى هذا المعنى ينظرُ قول البوصيري رحمه الله في هَمْزِيّته: تتباهى بكل العصور الخ... أي تتفاخر بوجودك الأزمنة الطويلة من لَدُنّ آدم إلى يوم القيامة وما بعده، فكلّ عَصْر يفتخر على العصر الذي قَبْله بوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله، ولَوْ في ضمن آياتك لكن أعظمها افتخارًا عصر بروزك ثم عصر نشأتك ثم عصر رضاعك، فشَقُّ بطنك فتعبّدك بحراء وغيره، ثم عصر نبوّتك، ثم عصر رسالتك، ثم عصر دعائك الخلق إلى الله، ثم عصر إقبالهم عليك، ثم عصر مِعْراجك، ثم عصر هجرتك، ثم عصر جهادك، ثم عصر سراياك وبعوثك، ثم فتوحك، ثم عصر دخول الناس في دين الله أفواجًا،ثم عصر حجّك، ثم عصر أتْباعك على تفاوتهم إلى قيام الساعة، كما دلّ عليه الحديث المشهور: «لا تزال طائفةٌ من أُمّتي» ، فمزاياه تتزايد في كلّ عصرٍ من أعصار حياته على ما قَبْلَه، وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك العصر على غيره، وكذلك عصور أتباعه تتفاوت مزاياهم المستمدّة من مزاياه، ويُرْوَى أنّه لما خلق الله آدم عليه السلام ألقى الله عليه ريح العُطاس، فألْهَمَهُ الله أنْ قال الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك الله يا آدم، ثمّ عطس أخرى فقال: يرحمك ربُّك أبا محمّد، فألْهمه الله أنْ قال: ربِّ لم كنَّيْتَني أبا محمد؟ قال الله تعالى:

يا آدم ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى نور محمّد (ص) في سُرادق العرش، فقال: يا ربّ، ما هذا النور؟ فقال: نور نبيّ من ذرّيّتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمّد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضًا. وفي حديث سلمان عند ابن عساكر، فقال: هَبَطَ جبريل على النبيّ (ص)، فقال: إنّ ربك يقول: إن كنت اتّخذت إبراهيم خليلاً فقد اتّخذتك حبيبًا، وما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، ولقد خلقتُ الدنيا وأهلها لأعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقتُ الدنيا.

وقال الشيخ أبو محمّد عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: فإن قلت: فما أوَّل ما ظَهَرَ من الموجودات بعد فتق العَمَى؟ فالجواب كما قاله الشيخ ابن أبي منصور: أنّ أوّل مَنْ ظهر بعد العَمَى هو محمّد (ص)، فاستحقّ بذلك الأوّلية للأوليات، فهو أبو الروحانيات كلّها، كما أن آدم عليه السلام أبو الجثمانيات. ثم قال: فإن قلت: فما معنى قولهم أنه (ص) أوّل ما خلق الله؟ هل المراد به خلقٌ مخصُوص أو المراد به الخلق على الإطلاق؟ فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين بن عَربيّ الحاتمي في الباب السادس من الفتوحات: أن المراد به خلقٌ مخصوص، وذلك أن أوّل ما خلق الله الهباء وأوّل ما ظهر فيه حقيقة محمّد (ص) قبل سائر الحقائق وإيضاح ذلك أنّ الله تعالى لما أراد ظهور العالم على حدّ ما سبق في علمه انفعَل العالم عن تلك الإرادة المقدّسة بضرب تجلّيات التنزيه إلى الحقيقة، فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجصّ ليفتح فيه من الأشكال والصور ما شاء، وهذا هو أوّل موجود في العالَم، ثم إنّه تعالى تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء والعالم فيه كلّه بالقوّة، فقُبِل منه كل شيء في ذلك الهباء على حسب قربه من النور، كقبول زوايا البيت نور السراج، فعلى حسب قربه يشتدّ ضوؤه وقبوله، ولم يكن أقرب قبولاً إلى للهلله من حقيقة محمد (ص)، فكان أقرب قبولاً إليه من جميع ما في ذلك الهباء، وكان أقرب الناس إليه في ذلك الهباء، فكان (ص) مبدأ ظهور العالم وأوّل موجود. قال الشيخ محي الدين بن عربي: وكان أقرب الناس إلى ذلك الهباء علي بن أبي طالب رضي الله عنه الجامع لأسرار الأولياء أجمعن، فعلم كما قال الشيخ محي الدين في الفتوحات مستمدّ جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمّد (ص)؛ إذ هو قطب الأقطاب، فهو مُمِدّ لجميع الناس أوّلاً وآخرًا، فهو مُمِدّ كل نبيٍّ وليٍّ سابق على ظهوره حال كونه في الغَيْب، ومُمِدّ أيضًا لكل وليٍّ لاحق به، فيُوصِله بذلك إلى مرتبة كماله في حال كونه موجودًا في عالم الشهادة، وفي حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار والآخرة، وإن أنوار رسالته غير منقطعة عن العالم من المتقدّمين والمتأخّرين.

فإن قلت: قد وَرَدَ الحديث أنّ أوّل ما خلق الله نوري، وفي رواية: أوّل ما خلق الله العقل، فما الجَمْعُ بينهما؟ فالجواب: أنّ معناهما واحد؛ لأن حقيقة محمد (ص) تارةٌ يُعَبَّرُ عنها بالعقل وتارة بالنور.
فإن قلتَ: فما الدليل على كونه (ص) مُمِدّ الأنبياء السابقين في الظهور عليه من القرآن؟ فالجواب: أن الدليل على ذلك قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[(300)]، أي هَدْيهم هو هداك الذي سرى إليهم منك في الباطن، فإذا اهتديت بهديهم فإنّما ذلك اهتداءٌ بهديك؛ إذ الأوّلية لك باطنًا والآخرية لك ظاهرًا، ولو أنّ المراد بغير هديهم ما قرّرنا لقال تعالى له (ص): فَبِهِم اقتده، وتقدَّم حديث: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطّين» ، فكلّ نبيّ تقدَّم على زمن ظهوره، فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة، ويؤيّد ذلك قوله (ص) في حديث: «وَضَعَ الحق يدَه تعالى بين ثَدْيَيْ» (أي كما يليق بجلاله)، فَلمت علم الأوّلين والآخرين؛ إذ المراد بالأوّلين هم الأنبياء الذين تقدَّموه في الظهور عند غَيْبة جسمه الشريف واتّضاح ذلك أنه أُعطي (ص) العلم مرّتين: مرّة قبل خلق آدم، ومرّة بعد ظهو رسالته (ص)، انتهى.
وفيه ارتقت الحقائق: أي في النبيّ (ص)، والحقائق جمع حقيقة، والحقيقة في اللغة، والحقّ ضدّ الباطل، والحقيقة أيضًا ما يُلْقِيه الحق لعبده من العلوم الإلهاميّة، وارتقت أي طلعت الحقيقة العيانيّة، والتجلّيات الذاتية، وهي أي الحقيقة زَوْج الشريعة وسرّها، فلا حقيقة إلاّ بالشريعة، ولا شريعة إلاّ بالحقيقة، فالحقيقة باطنٌ والشريعة ظاهرٌ، ومَثَّلوا ذلك بجناحي الطائر إن تعطَّل أحدهما تعطّل الآخر، فإذا اجتمعا في الإنسان كان شيخًا كاملاً، وكان الشيخ أبو المحاسن الفاسي رضي الله عنه يقول: الحقيقة حتى للماء والرّمل، والشريعة كذلك، والحقيقة ما ينتج عن الحقّ ويثمره من الأحوال الشريفة والمقامات العالية المنيفة، ومعنى ارتقت أيضًا طلعت الحقيقة العيانيّة، وهي ـ أي الحقيقة ـ زوج الشريعة، فإذا اجتمعا في العبد كان شيخًا كاملاً، وإذا غلبت الشريعة كان سالكًا، وإذا غلبت الحقيقة سُمِّي مجذوبًا.
قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله على قوله: (وفيه ارتقت الحقائق) أي وفي سماء ذاته الباطنة النورانية ارتقت، أي طلعت، ثم قال: ويحتمل أن يُراد حقائق الأشياء على العموم؛ لأنه (ص) أعلم البرية على الإطلاق، ومن علومه علم اللّوح والقلم، انتهى.
ومَرْجِعُ هذا إلى العلوم والمعارف، وهو (ص) معدن الحقائق ومَرْساها ومنه مبدؤها وإليه مُنتهاها، وتجلّت في باطنه وتعلّقت به، وتشبّثت لكونه محبوبًا مصطفًى، فجميع الخصال الحميدة والمناقب المجيدة تقرب وتزدلف

إليه وتغشاه وتنثال عليه، ولم تزل الحقائق تترقّى على الدَّوام، وهذا ينظر إلى قوله عليه السلام: «إنّه لَيُغَان على قلبي فأستغفر في اليوم سبعين مرّة» ، وفي رواية: «مائة مرّة» .

قال العارف القطب سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: هذا غَيْنُ أنوار لا غَيْن أغيار؛ لأنه (ص) كان دائم الترقّي، فكان كلّما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى إلى مرتبة أعلى ممّا هو فيا، ويرى أنّ ما قَبْلَها دُونها، فيستغفر تواضعًا وطلبًا لتزايد كماله، وهو معنى قول البوصيري رحمه الله في همزيّته: (وتَسْمُوا بك عَلْياءُ بَعْدَها عَلْيَاءُ)، قله شارحها ابن حجر رحمه الله، وقا: فيه من المدح ما لا يخفى؛ لأنه جعل تلك المراتب هي التي تَسْمُو وترتفعُ به، وهذا معنى قول سيدي عبد السّلام رضي الله عنه: (وفيه ارتقت الحقائق)، وفي حديث حارثة رضي الله عنه إشارة إلى ذلك، وقد ذكره الإمام العارف سيدي محمد بن عباد رضي الله عنه في شرحه على الحكم عند قوله: (لو أشرق نور اليقين)، قال: روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنما رسول الله (ص) يمشي إذا استقبله شابٌ من الأنصار، فقال له النبيّ (ص): «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، قال: «انظر ما تقول، فإنْ لكلّ قول» وفي رواية: «حقٍّ حقيقةً، فما حقيقة إيمانك؟» قال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا فأسْهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري، فكأنّي بِعَرْش ربّي بارزًا، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون فيها، وكأنّي أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها، فقال: «أبصرت أو عرفت، فالْزَمْ عبدٌ نوّر الله قلبه» .

وتنزّلت علوم آدم: يعني وعلوم غيره من الأنبياء والمرسلين؛ لأنه أُوتي ذلك وعَلِمه، فقد رُوِي أنه أورثه الله علم الأوّلين والآخرين وخصَّ آدم بالذِّكر؛ لأنه الأب الأكبر وأوّل الأنبياء، وأنّ الله علَّمه الأسماء كلّها، ولكن هي بعض معلوماته، ولقد عبّر عن ذلك البوصيري رحمه الله في همزيّته بقوله:

لك ذات العلوم من عالم الغَيْب

ومنها لآدم الأسماء

قال شارحها ابن حجر الهيثمي رحمه الله: لأن آدم ميَّزه الله بالعلوم التي علَّمها له، وكان سببًا لأمرهم بالسجود والخضوع له بعد استعفائهم عليه بذمّه ومدحهم بقوله: أتجعل فيها، الخ... فربّما يُتوهّم أن هذه المرتبة الباهرة لم تُجعل لنبيِّنا؛ إذ قد يجعل له في المفضول ما ليس في الفاضل من ذلك التوهم بيان أن آدم لم يحصل له من العلوم إلاّ مجرّد العلم بأسمائها، وأنّ الحاصل لنبيّنا هو العلم بحقائقها ومسمّياتها، ولا رَيْب أنّ العلم بهذا أعلى وأجلّ من العلم بمجرّد أسمائها؛ لأنها إنّما يُؤتى بها لتبيين المسمّيات، فهي المقصود بالذات،

وهي بالوسيلة وشتّان ما بينهما، ونظير ذلك أنّ المقصود من خلق آدم إنّما هو خلق نبيّنا (ص) مِنْ صُلْبِه، فهو المقصود بطريق الذّات، وآدم بطريق الوسيلة. ومن ثم قال بعض المحقّقين: إنّما سجدت الملائكة لآدم لأجل نور محمّد (ص) في جبينه، ثمّ ما سلكَه الناظم إنّما علم بإحْدى الطريقة السابقة آنفًا الأسماء فقط، أي الألفاظ الموضوعة بإزاء الأعيان والمعاني هو الوارد عن ابن عباس رضي الله عنه، انتهى.

ذكر ابن سبُع في شفاء الصدور في حديث المعراج بعد عروجه إلى السَّبع الطّباق ورجوع جبريل عليه السلام عنه (ص) حيث زجَّه في النّور ووصل مقامًا لم يَصِلْه أحد ووقع له استيحاش، فإذا النّداء من قِبَل العَلي: ادْنُ يا أحمد، ادْن يا محمّد، ليدنو الحبيب ، فأدناني ربّي عزّ وجلّ حيث كنت كما قال تعالى: { £ $ % 8 × ' ( ) * 9 }[(301)]، قال: وسألني ربّي، فلم أستطع أن أُجيبه فوضع يده بين ثَدْييّ، بلا تكييف ولا تحديد، فوجدت بردَها فأورثني علم الأوّلين والآخرين وأورثني علوماً شتّى، فعِلْمٌ أخذ عليّ كتمانه؛ إذ عَلِمَ أنه لا يقدر على كتمانه أحدٌ غيري، وعِلْمٌ خيَّرني فيه وعلَّمني القرآن، فكان جبريل يذكرنيه، وعِلْمٌ أمرني بتبليغه إلى الخاص والعام من أُمّتي.

فأعجز الخلائق: يعني مَنْ تقدم أو تأخر، مع أنه أُمِّي ما قرأ ولا درس كتبًا ولا لاقى أهل العلم ولا خالطهم ولا جالسهم، ونشأ بين العَرَب أُمَّة أُمِّيّة ورُبي فيهم، ثم لما نبّأه الله وأرسله رحمةً للعالمين، وأنزل عليه الكتاب والحكمة التي هي النبوّة والإصابة في القول، وجاءهم بالحُجج العقليّات والبراهين والأدلّة الواضحات من إخباره بالقرون الماضية والأُمم السالفة والشرائع الدّاثرة، وما في كتب الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وقصصهم وما فيها مع ما فيها مع ما خصَّه به تعالى من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه وحُسْن سيرته وعلاوة منطقه وقوانين أحكامه، عَجَزوا عن معارضة سورة واحدة ممّا أتى به من القرآن العظيم والذِّكر الحكيم، مع ما كانوا موصوفين به من الفصاح والبلاغة، فكلّما راموا معارضته ولو بكلمةٍ كَبَتْ سيوفهم ورغمَتْ أُنوفهم وأصابهم من العَيِّ والعجز ما أفحمهم، وكلّ كلمة من كلمه أو حكمة من حِكَمه تملأ معانيها أسْفارًا وواوين كبارًا، كما عجز أيضًا كلّ من الأنبياء فضلاً عن غيرهم عن مرتبته العَلِيَّة ومنزلته السَّمِيَّة. قال في الشّعب: انظر أحاديث الإسراء والأحاديث الواردة فيه، فقد رَكِب البُراق ورَقِيَ في المِعْراج وركب الرفرف وجاوز مقامات الأملاك والأنبياء عليهم السلام، انتهى.

وله تضاءلت الفهوم: قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: (اللام من قوله: وله، بمعنى عن، أي وعنه، أي عن إدراك معناه تضاءلت الفهوم، أي ضَعُفَت وقد عبَّر عن ذلك البوصيري رحمه الله بقوله:

أعيى الورى فهمُ معناه فليس يُرَى	للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بُعُدٍ	صغيرة وتكلّ الطرف من أُمم
وكيف يُدرك في الدنيا حقيقته	قومٌ نيامٌ تسلّوا عنه بالحلم

قال (ص) لأبي بكر رضي الله عنه: «يا أيا بكر، والله ما عرفني غير ربّي» أو كما قال (ص).

ومعنى تضاءلت، قال في الصِّحاح: رجل ضئيل الجسم إذا كان صغير الجسم نحيفًا، وقد ضُوئِل ضآلة إذ صغر وقلّ وليُّه، ورجل متضائل، والمعنى: أنّ فهوم الأوّلين والآخرين تضاءلت وتصاغرت وذُلّت في جانب فهمه (ص)، والحاصل أنّه (ص) قد احتوى على الكمالات كلّها، وبلغ إلى أقصى غاية لم يُدركها غيره من العلوم والفهوم والأسرار والحقائق، وإذا كان الأولياء لا تُعرف حقيقتهم وما خصَّهم به مولاهم في هذه الدار، فكيف بالمرسلين؟ فكيف بإمامهم وسيّدهم على جميعهم أفضل الصّلاة وأزكى السلام؟ فكل أحد كُشِفَ له من ذلك بحسب مقامه وعلى قدر قُرب روحه من روحه (ص)، قاله الخروبي وقال بإثره: (وأعظم الناس كشفًا لذلك وأكثرهم عليه اطّلاعًا صفيّه وصديقه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وما كُشِف له من خصوصيّة الرسالة المحمّدية وحقيقة السرّ الأحمدي، لم يكشف لأحدٍ غيره، ولهذا كان أشدّ الناس قربًا منه (ص) وأعظمهم خلّة له وأكثرُهم تعظيمًا واحترامًا، وكان أوّل المؤمنين بنبوّته والمصدِّقين برسالته من غير طلب دليل ولم يعثره توقف ولا تأويل).

فلم يُدركه منّا سابق ولا لاحق: وهذا غاية المدح والثناء، وكان سيّدنا العارف بالله سيدي أحمد بن العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله معان رضي الله عنهما يقول: ما مدح أحد النبيّ (ص) بمثل ما مدحه سيدي عبد السلام بقوله: (فلم يُدركه منّا سابق ولا لاحق)، وغالب مَنْ مدحَه إنّما مدح ظاهره، وهو رضي الله عنه مدح باطنه (ص). وقال سيدي الحسن الزياتي المذكور سابق عليه في الخلقة الطينية ولا لاحق له فيها. وأمّا باعتبار ذاته اللّطيفة النورانية، فهو أوّل المخلوقات، قال: ويحتمل أن يكون المراد بالسابق واللاحق معًا باعتبارنا مَعْشر الضفي عنهم الإدراك لا باعتباره (ص)، انتهى. فلا ثناء أعظم ولا أكبر ولا أجلّ من ثناء المؤلى عليه وسلّم، وقد قال جلّ مِنْ قائل: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ *}[(302)]، وما زال المدَّاح يمدحونه من لدنّ برز للوجود إلى الآن، وما بلغ أحدٌ مِنْ مدحه ولا وصف واصف من نعته عُشْر معشاره، كلّ ما بلغ ما يجد وما أخرجته قريحته ودفعته سجيّته وأنتجته محبّته، وقد عجزوا واعتذروا وكَلّوا وقصروا، فمن

ذلك ما ذكره صاحب المواهب رحمه الله، قال: رُئِيَ الشيخ عمر بن الفارض السَّعدي رضي الله عنه في المنام، فقيل له: لِمَ لا مَدَحْت النبيّ (ص)؟ فقال:

أرى كل مدحٍ في النبيّ مقصّرًا	وإن بالغ المثْني عليه وأكْثَرَ
إذا الله أثنى بالذي هو أهله	عليه فما مقدار ما يمدح الوَرَى

وقال أيضًا:

وعلى تفنّن واصفيه بحُسْنِهِ	يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصَفِ

وقال غيره:

فما بلَغَتْ كَفُّ أمري متناولاً	من المجد إلاّ والذي نال أطْوَلُ
ولا بَلَغَ المهْدون في القول مدحة	ولو صدقوا إلا الذي فيه أفضلُ

وقال غيره:

ما شئت قُلْ فيه فأنت مُصدَّقٌ	فالحب يقضي والمحاسن تشهَدُ

وقال غيره:

أروم امْتداح المصطفى فيصدّني	قصوري عن إدراك تلك المناقب
فمَنْ لي بحصر البحر والبحر زاخرٌ	ومَنْ لي بإحصاء الحصا والكواكب

وقال صاحب المواهب أيضاً: قال الشيخ بدر الدِّين الزركشي: ولهذا لم يَتَعاط فحول الشعراء المتقدّمين؛ كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه (ص)، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإنّ المعاني دون مرتبته والأوصاف دون وصفه، وكل علوّ في حقّه تقصير، فيضيق على البليغ مجالُ النَّظْم، وعلى التحقيق إذا اعتبرت جميع الأمداح التي فيها علوٌّ بالنسبة إلى مَنْ فُرِضت له وجدتها صادقة في حقّ النبيّ (ص)، حتى كان الشعراء على وصفه عليه السلام كانوا يعتمدون وإلى أمداحه كان يقصدون، وقد أشار البوصيري رحمه الله بقوله: (دَعْ ما ادَّعَتْه النصارى في نبيِّهم) الأبيات الثلاثة المتقدمة، وقد قيل أيضًا في هذا المعنى:

إذا رُمْتُ مدح المصطفى شَغَفًا به	تَبَلَّد ذهني هيبةً لمقامه
فأقطع ليلي ساهر الجفن مُطْرِقًا	هوًى فيه أجْلى من لذيذ مَنامه
إذا قال فيه الله جلّ جلاله	رؤوفٌ رحيمٌ في سياق كلامه

فمن ذا يُجاري الوحيَ والوحيُ	معجزةٌ لمختلقيه نثره ونظامه
وكما قال ابن الخطيب في تاريخه:	يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكونُ لم تُفْتَحْ له أغلاق	أيروم مخلوق ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاّق	

ولي من قصيدة:

من ذا يقاوم أو يطيق مديح مَنْ	أثْنَى عليه الله في القرآن
في نون بالخُلق العظيم كفى به	مَدْحًا وتنويهًا من الرحمان
لا سابق منّا يرى أو لاحق	أبدًا يوفّي قَدْر ذاك الشان

وممّا يناسب هذا المعنى أن أبا نواس الحسن بن هانىء رحمه الله لِيمَ في عدم مدح مولانا علي الرّضا بن مولانا موسى الكاظم بن مولانا جعفر الصّادق بن مولانا محمد الباقر بن مولانا زين العابدين بن مولانا الحسين بن مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقال:

قيل لي أنت أحسن الناس طرًّا	في فنونٍ من المديح النَّزيه
لك مِنْ جَيِّد القريض مديحٌ	يثمر الدُّرَّ في يَدي مجتنيه
فَعَلاَمَ تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجمَّعْنَ فيه
قلتُ لا أستطيع مدح إمام	كان جبريل خادمًا لأبيه

والأشعار في هذا المعنى كثيرة.

فرياض الملكوت بزهر جماله مونّقة وحياض الجبروت بفَيْض أنواره متدفّقة: الملكوت عبارة عن عالم الغيب الذي لا يُدْرَك بالحسّ والوَهْم، وإنما يُدرك بالعقل، وهو عبارة عن حضرة الأرواح، والجبروت هو ما لا نطّلع عليه، وهو كما قال سيدي الحسن الزياتي: عبارة: عن عالم الذات الذي هو محلّ نظر السرّ، الذي هو باطن الروح، كما أن رياض الملكوت عبارة عن عالم الصّفات، انتهى منه بالمعنى.

وحياض الجبروت عبارة عن حضرة الأسرار، ويُفهم هذا بالذوق. وهذه العبارات هنا كلّها استعارات من الرّياض والحياض والفيضان والأنوار تقدَّم الكلام عليها، ومَرْجع هذا كلي إلى كونه (ص) محل تنزّل الإمدادات الربانية والأسرار الإلهيّة، وأنّ الكلّ منه وبوجوده وهو أبو الأرواح وأميرها ويعسوبُها ومنه

امتدادُها، وموتّقة أيْ معجبة، والتدفّق هو الانصباب وكلُّها كما قُلْنا معاني يعرفها أربابها، ومَنْ ذاق عرف ومَنْ لا فليسلّم ويعترف ولا يعتسف، وجماله (ص) هو الذي جمّل العوالم وحسَّنها، وهو شَمْسُها المشرق فيها كما قيل بحر المنى، عين الغنى، شمس العوالم كلّها.

والحياض جمع حوض، إلاّ أن وَاوَهُ قُلِبت ياء، وهو في مثال الحسّ كالصهريج لذي يجمع فيه الماء، فيمتلىء ويسقي ما حوله وما تحته من الأرضين، فكذلك مدده (ص) ما زال يسري في العوالم وتمتدّ منه. ومتدفّقة أي تنصب منه المياه وتفيض مما ينصبّ فيه من المدد الإلهيّ الساري فيه، وفي دلائل الخيرات للإمام القطب سيدي حمد بن ليمان الجزولي الحسني رضي الله عنه: يا ذا العزّة والجبروت، يا ذا المُلْك والملكوت، يا من هو حيّ لا يموت). قال شارحه الفقيه العلاّمة البركة سيدي المهدي بن أحمد الفاسي رحمه الله: على هذا المحلّ أخرج أبو نُعيم في الحلية عن سعيد بن جُبَيْر مُرْسلاً عن النبيّ (ص) أثناء حديث: «إن لله تعالى في السموات السبع ملائكة يصلّون له، فهو غنيٌّ عن صلاة فلان» يعني رجلاً من المنافقين في الحديث أولاً، فقال عمر رضي الله عنه: وما صلاتهم يا نبيّ الله؟ قال: فلم يردّ عليه شيئًا، فأتاه جبريل فقال: يا نبيّ الله سألك عمر عن صلاة أهل السماء، فقال: «نعم» ، فقال: اقرأ على عمر السلام وأخْبِرْه أنّ أهل سماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان ذي المُلْك والملكوت، وأهل سماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي العزّة والجبروت، وأهل سماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحيّ الذي لا يموت. وقال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهديّ رضي الله عنه: عندما عالَمان: عالَم العلم والإرادة، وهو المعبَّر عنه بالعالم العُلويّ. وعالم الملك والشهادة، وهو المعبّر عنه بالعالم السفلي؛ فالعالم الملكوتي هو الذي لا يقتضي الترتيب ولا الزّمان ولا المكان، وإنّما هو أمرٌ ربّاني إرادي، إنّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كُنْ فيكون؛ إذ ليس في وجوده تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقصان، فهذه عبارة عن العالم الملكوتي المستمرّ على حقيقة واحدة وهو الأزل الذي لا كَسْبَ فيه، وإنّما الكسب في عالم المُلْك والشهادة المضاف إلى القدرة المصرفة للحكمة، وفيه الترتيب والكسب والزّمان والمكان والأكوان والأحكام، فعبَّر عمّا ظهر في عالم العهلْم والإرادة المسَمَّى بالعالم الملكوتي بالأزل وعبّر عمّا ظهر في اختراع القدرة المصرفة للحكمة المسمّى بعالم المُلْك والشهادة وعالم الملك والأزل؛ فلا إله إلاّ الله أزلية لفراغ الخلق منها، وهي صفة عالم الملكوت، ومحمّد رسول الله أبدية من صفة عالم الملك، فما يظهر بغير كسب يعزى إلى الأزل، ما يظهر مع ترتيب الأحكام بالسبب يُعْزى إلى الأبد، انتهى.

ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط: قال في الصِّحاح: والنّياط عرقٌ يعلق به القلب من الوتين، فإذا قُطِع مات، والنّواط ما يعلق على الهودج يزيّن به، والنائط عرق في الصلب ممتدّ يعالج به المصفون يقطعه، وقال في القاموس: وهذا منوط به معلّق، ولا خفاء أنه (ص) يمتدّ منه كل شيء، وكل أحد يتعلق به ويستغيث به في هذه الدار وفي تلك الدار، وقوله: (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط)، فالواسطة هو (ص).

قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: فإن تسميته بالواسطة للوجود والوسيلة العظمى شائعٌ بين القوم لانفصال الكلّ عنه وبسببه، ولذا أتى به ظاهرًا ولم يقل لولا هو لذهب، الخ... أي ليصرّح بأنه الواسطة بين عزّة القدم وذلّة الحدوث، انتهى.

وقوله: (الموسوط) أي كلُّ ما عداه من العرش إلى الفرش. قوله: (كما قيل) الإشارة بذلك إلى ما ورد من أنه (ص) لولا هو (ص) ما كانت جنّة ولا نار ولا ولدان ولا حو ولا غرف ولا قصور ولا الوجود كلّه، وقد تقدَّم هذا المعنى ولا شكّ أنّه (ص) الواسطة بين الله وبين خلقه في هذه الدار وفي تلك الدار بالإمدادات وتلقّي ما يَرِد منه، وفي الآخرة بالشفاعة والوسيلة ودخول الجنّة وما بعده من رفع الدرجات والقرب منه سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم.

صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله: هو مفعول قوله أوّلاً: أللّهمَّ صلِّ، وُضِع موضع المصدر، وتليق بك أي بعظمتك وجودك وفضلك وكرمك على قدرك؛ لأن العطيَّة على قدر مُعْطيها وليس ما يعطيه الملك مثلاً لبعض رعيّته مثل ما يعطيه لأحب الناس إليه وأقربهم منه وأحظاهم لديه، وقوله: (إليه كما هو أهله)، أي ما يستحقّه من مولاه على قدر حاله ومنزلته ومرتبته، وكيف يعبّر عما يصدر من أكرم الأكرمين ومالك المِلْك الرحمن الرحيم، فلا يُقاس ذلك ولا يقدّر قدره.

أللّهمَّ إنه سرّك الجامع الدالّ عليك: السرّ هو الأمر، قال في شرح دلائل الخيرات: ويحتمل كل لفظ سرّ، والأسرار أن يكون بمعنى باطن الروح أو بمعنى سرّ الأحوال إمّا مع التوافق أو التخالف والله أعلم.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه: ويطلق لفظ السرّ على ما يكون مصونًا مكتومًا بين لعبد والحقّ سبحانه في الأحوال، وقال صاحب عَوارق المعارف بعد أن تكلّم على النفس والروح والعقل، ثم قال: وأمّا السرّ، فليس هو شيئًا مستقلاً بنفسه له وجود وذات كالروح، وإنما هو لما صفت الروح وتزكّت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس، فأخذ في العروج إلى محلّ القرب وتبعه القلب متطلّعًا إلى الروح،

فاكتسب وصفًا زائدًا على وصفه، ولما صار للقلب وصفًا زائداً على وصفه في حال عروجه، فاستعجم ذلك على الواجدين فسمّوه سرًّا، انتهى.

وقال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: (قوله: سرك الجامع) تقدَّم أنه المعرب لأسرار الذات، وأن الأسرار منه انشقّت، وقال سيدي عبد الجليل: فكل قلب وروح أحبّه من جميع الخلائق ائْتلف مع روحه الكريم في غيب الغيب كما قال (ص): «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائْتلف» الحديث، فاجتمعت الأرواح كلّها على محبّته اجتماع النَّحل على يعسوبها، وهو مَلِك النحل الجامع لها، فاجتمعت الأرواح على حبِّه وعلى دينه وتوحيده وحبّ خالقه تعالى؛ إذ هو (ص) الداعي إلى التوحيد في الأولية للجميع وفي كل مكان، وعليه أُسبغت جميع النِّعم وخلعت حلل الجود والكرم)، فما من نعمة إلاّ على يديه وصلت، وما من رحمة إلاّ بسببه وصلت واتّصلت، فهو أصل كل خير ومبناه، وروح الوجود وسرّ معناه.

وقوله: (الدال عليك) فهو الدالّ على الله والداعي إلى حضرته في الغيب وفي عالم الشهادة عند بروزه وظهوره بالحال والمقال، وما زال الدُّعاة إلى الله من زمنه إلى الآن وإلى قيام الساعة إنما هم نوّاب عنه وقائمون بأمره. (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني)، فقد دعى الخلق إلى مولاهم، وكان حريصًا على نجاتهم وهداهُم، وما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، وكذلك كل داعٍ إلى الله مثله، فذاك بحسب النيابة عنه... قال في المواهب: وقيل: إنّ الله تعالى لما خلق نور نبيّنا محمد (ص) أمَرَه أن ينظر إلى أنوار الأنبياء عليهم السلام، فغشيهم من نوره فأنطقهم الله به، وقالوا: يا ربّنا مَنْ غشينا من نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمّد بن عبد الله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنّا به وبنبوّته، فقال اللهُ تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم، فذلك قوله تعالى:{ ' ( ) * + ، - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 81 } إلى قوله: {وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[(303)].

قال الشيخ السبكي: في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبيّ (ص) وتعظيم قدره العَلِيّ ما لا يخفى وفيه مع ذلك على قدر مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضًا.

وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك: الحجاب في الحقيقة هو الحاجز والحائل بين الشيئين، ولا يفهم هذا على ما ذكر، بل المراد به أيضًا الواسطة كما يكون وزير الملِك مثلاً واسطة بينه وبين رعيّته، وهو متولّي الأُمور وقائم بسياسة الخلق عن إذنه وبأمره.

قال الإمام الخروبي رحمه الله: (اتفق أهل المعرفة أنّ الله تعالى لا يتجلّى لأحدٍ من أوليائه ولا ينظر إليه أحد منهم في هذه الدار إلاّ من وراء الحجب التي حجبهم بها عن إدراك كُنْه ذاته العظيمة، ولولا تلك الحُجُب لتلاشى الموجود)، وقال: (وأمّا كونه (ص) حجابه القائم له بين يديه؛ نه (ص) حجب العقول عن النظر في حقائق الذّات والتفكّر فيها، فغفل العقل عن النظر إلى ما ليس له إليه سبيل، بهذا أرسل (ص) وبه أمر، فكان حجاب الله الأعظم القائم له بين يديه، فأبطن الفرق وأظهر الجمع، فكلّما طلبت الأرواح الجمع المطلق في دار الفرق زجرها زاجر الشّرع وعَقَلها بعقال المنع، فرجعت القهقهرى ونكصت إلى الوراء، فلم يكن لها إليه سبيل ولا أُبيح لها في قليل من ذلك ولا أقلّ من قليل، وافهم قوله رضي الله عنه: وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك إشارة إلى أنه (ص) حجابٌ به لا عنه). وقال: (وأودع الله تعالى نبيّه هذا السرَّ العظيم ليكون رَحمةً ونعمة للوجود وحياة للأرواح حيث حجبها عمّا فيه استهلاكها وفناؤها؛ إذ لا قوّة لها على كشف حقائقه ولو كشف لها عن شيء من ذلك في هذه الدار ورفعت عنها الحُجُب لتفرّقت الموجودات وتمزّقت وتدكدكت كما تدكدك الجبل عند التجلّي للكليم عليه السلام)، وقال: (وإنما خصّ قلبه عليه السلام بأنْ صار معدن الحقائق والأسرار ومهبط العلوم والأنوار لاتّساعه، فما وسعه لم يسعه غيره).

قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: (لما كان (ص) وسيلة عُظمى وواسطة كُبرى بين عزّة القدم وذلّة الحدوث وخليفة على الإطلاق وعلى يده يدخل مَنْ سبق له جذب عناية، وكان من سار إلى حضرة ربّه بواسطته واتّباع صراطه المستقيم ظفر، ومَنْ حاذ عن ذلك واتّبع السُّبُل تفرّقت به فخسر، فكان بابه وحجابه الأعظم القائم له بين يديه بذا لاعتبار، كما يقال في وزير المِلك المقرّب المتولّي شؤون المملكة حجاب)، وقد سُئِل سيدنا العارف بالله سيدي أحمد بن العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله مَعَان رضي الله عنهما عن قَوْل القطب مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه: (وحجابك الأعظم) سأله بعض علماء الوقت والحجاب هو الحائل بين الشيئين والقاطع بينهما، فكيف والنبيّ (ص) هو الموصل إلى الله والوسيلة إليه، فقال: معنى كَوْن رسول الله (ص) حجابًا أنه حجب الخلق عن صدمة تلقّي التوحيد؛ إذ لو لم يكن حجابًا وواسطة بين الله وبين خلقه لأحرقهم نور التوحيد، ولما قدروا على تلقّيه ومثال ذلك ولله المثل الأعلى كقدرٍ يغلي ماؤه أشدّ الغليان، فهل يتوصّل إليه إلاّ بواسطة كمغرفة مثلاً أو آنية؟ فلم لو تكن المغرفة والآنية لاحترق الإنسان ولَمَا انتفع بذلك الحار، فالنبيّ (ص) حجاب بين الله وبين خلقه لتلقّي التوحيد على ما ذكر.

أللَّهمَّ ألحقني بنسبه وحقّقني بحسبه: الظاهر من كلام الشيخ رضي الله عنه من طلبه أن يُلحقه بنسبه الديني. وأمّا الطيني، فهو حاصل وحتى الدِّيني حصل، والحمد لله لكن هذا منه طلب تحقّق وزيادة، وأن يكون تابعًا له قلبًا وقالبًا وروحًا وذاتًا ووارثًا، وأن يكون على قدمه، وظهر له من نفسه التقصير في أعماله والنقص في أحواله على أنه ما قام بشيء؛ إذ القناعة من الله حرمان، وكما قيل على كل حال في هواها مقصّر، ويكون أيضًا تلذّذًا واستعطافًا وتلطّفًا ومُناجاة، ويكون أيضًا من عدم ركونه إلى الوعد وشدّة القرب تُوجب الخوف، وأن الله يفعل ما يشاء وفي قضية بدر حيث كان النبيّ (ص) في العريش وهو يلحّ على ربّه ويُنْشده ما وعده حتّى سقط الرّداء عن ظهره وألقاه عليه الصدِّيق رضي الله عنه والتزمه، وجعل يقول له: يا نبيّ الله بعد مناشدتك ربّك فقد ألححت على ربِّك، فإنه منجزٌ لك وعدك، الحديث. وهذا شأن الكبار رضي الله عنهم، وقد قال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه في بعض أجوبته في هذا المعنى: وهكذا ينبغي أن يكون كل أحد في كل فضيلة وعد عليها في العُقْبى، فإنّ شرط ذلك كمال الإيمان ودوامه وثبوته وهو غيبٌ غير مقطوع به لأح إلا من ميّزه النصّ على أن من تحقّق قبضة الحق لا يسكن لوعد ربّه، وبه تعلم قول سيدي عبد السلام: (ألحِقْني بنسبه)، فإن الطيني مشروط بالديني، انتهى.

قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله في شرحه لهذه الصلاة: عند هذا المحل المعتبر أوّلاً بالذات أصل النّسب الديني وفرعه، ثم إنِ انْضاف إلى ذلك النسب الطيني كان مؤكّدًا له، فلا جرم لا يُدرك لصاحبه شأوٌ ولا يشقّ له غبار ولا تشمّ له رائحة ولا يخاض له تيّار. وقوله: (وحقّقني بحسبه)، يعني الحالي. قال الشارح المذكور: والحسب في الإنسان يُطلق باعتبار لطائفه وأخلاقه الحميدة، فقد طلب رضي الله عنه بقوله: وحقّقني بحسبه أن يُلحق به باعتبار ذاته الباطنة النورانية، وما هي عليه من الأخلاق والكمالات، وأن يكون وارثًا على قدمه في الظاهر والباطن والقلب والقالب، انتهى. ومعنى: ألحقني وحقّقني بصيغة الأمر، أي أدِمْني على ذلك، ومنه قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا}[(304)]، أي دُوموا على الإيمان، وسيّدنا عبد السلام رضي الله عنه كان متّصفًا بما طلب راسخ القدم في ذلك متحقّقًا بالوجود دائم الشهود، لكن طلب الدوام على ذلك وإظهارًا للعبودية والتلذّذ بالخطاب كما قدَّمنا، والشيء بالشيء يُذكر، وممّا يناسب ما ذكرناه أوّلاً من مقام الخوف وعدم الركون إلى الوعد ما ذكره الوليّ العارف الحليل سيدي علال بن علال المالكي العُمري والد سيدي ثرار رضي الله عنهما حسبما ثبت بخطّه وقد رفع نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ويجب على من انتسب للأشراف من نسل نبيّنا محمد (ص) أو

مِنْ نسل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أن يشكر الله عزّ وجلّ الذي جعله من نسله ولا يتكبّر ولا يتجبّر ولا يتعدّى على حدود الله عزّ وجلّ مما بينه وبين الخلق ويلزمهم التواضع والذلّ والخشوع والتقوى والورع؛ لأنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا كذلك وبذلك فضّلوا على غيرهم، فجب على مَن انتسب إليهم أن يقتدي بهم في ذلك، فمَنْ كان من نسل عمر رضي الله عنه ولم يتّبعه في ورعه وخوفه من ربّه يخشى أن يكون عمر خَصْمه يوم القيامة، لا سيما إنْ كانت فيه إذاية للخلق، وكذا جميع نسل سائر الصحابة رضي الله عنهم. أللّهمَّ استرنا بالعافية في الدنيا والآخرة، وقد كانوا رضي الله عنهم أتقياء كلّهم ونهوا النّفس عن الهوى حتى رجعت نفوسهم مطمئنّة راجعة إلى ربّها راضية مرضيّة شفقاء علماء رحماء كُرماء حُلماء على الخلق رضي الله عنهم أجمعين وحشرنا معهم على حبِّ نبيّنا (ص) وأزواجه وذرّيته رضي الله عنهم أجمعين، آمين آمين آمين.

وعرِّفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل: طلبه رضي الله عنه معرفته للنبيّ (ص)، وإن كان يعرف أحواله وسيرته المعرفة الحقيقية، وهي معرفة مَعْناه، فإنّ مَنْعرفه عرف الله عزّ وجلّ، فهي مرتبطة بها؛ لأنّ مَنْ عرفه هذه المعرفة يسلم .كما قال . من موارد الجهل ويكرع من موارد الفضل، والكرع هو الشرب بالفم، والموارد جمع مَوْرُود وهو محل السقي والشرب والكرع، وكلامه رضي الله عنه كلّه استعارات وكناية، وهو من أبلغ الكلام يدلّ على أنّه من العلماء الأعلام الذين ارتقوا عن الثانية إلى مشاهدة الذات، وفنوا عن الفناء وردّوا إلى صحو الجمع والبقاء، فيكون الفرق على ظاهرهم موجودًا، والجمع في باطنهم مشهودًا، ليقوموا وبوظائف العبودية على بساط الربوبية بدليل قوله بَعْد:

وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة: وقوله: (وانشلني) أي أخرجني بسرعة، وقد سُئِل سيدي الإمام العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه عن قوله: (وانشلني من أوحال التوحيد)، فأجاب: الأوحال هي الكائنات عند النظر إليها ولَحْظ ما اشتملت عليه من الجلال والجمال الدالَّيْن على جمال الله وجلاله، والنشول منها الخلوص عنها والنفوذ إلى الله تعالى والغيبة فيه، وبه يتبيّن موقع قوله: (وأغرقني في عين بحر الوحدة)، ويلوح للفهم معناه، وطلب هذا السيّد أن يغيب الله عنه الأكوان كلّها وما فيها حتى النعيم وما احتوى عليه، وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ العارف بالله سيدي عبد الوارث اليالصُوتي دفين بني زروال رحمه الله ورضي عنه:

تركنا للناس ما تهوى نفوسهم	من حبِّ مالٍ ومن عزٍّ ومن جاهِ

ثم ترك المقامات هنا وهناك	والقصد غَيْبَتُها عمّا سوى الله

وكلام السادة وحكايتهم في هذا المعنى كثيرة.

حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها: وبهذا تفهم قوله (ص) فيما يحكيه عن ربّه عزّ وجلّ: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وفؤاده الذي يفهم به» . وقال سيدي الحسن بن مهدي الزياتي رحمه الله: (فقد طلب أن تحظى كثائفه من ذلك بما حظيت به لطائف، وكذلك كان).

واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحَه سرَّ حقيقيتي، وحقيقته جامعَ عوالمي بتحقيق الحقّ الأوّل، واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك: أي احملني على طريق الشريعة المحمدية إلى الحضرة القدسيّة، حملاً محفوفًا أي محفوظًا من جميع الطوارق ملطوفًا به، ومنه قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}[(305)]، أي برًّا لطيفًا. قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: (والحضرة دائرة الولاية وهي مشتقّة من الحضور، وهو حضور العبد مع ربّه بقلبه أو روحه أو سرّه كلٌّ بحسبه).

واقذف بي على الباطل فأدمغه: معناه ارْمِ بي وادفعني على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق، وهو أن يفعل به ويكون هو المتولّي لأُموره وشؤونه:

إذا كان عَوْن الله للمرء خادمًا	تأتي له من كُلّ صعب مراده

فعون الله للعبد واعتناؤه به ونصرته له هو الذي يبلغه إلى أقصى المرام، ويتمّ له الغرض والمقصود غاية التّمام، وقلت من قصيدة:

ومن يكن الإله له وليًّا	فعن أوصافه قَصُر الثناء

فلا تسأل عمّن تولّى الله أمره وتأييده ومعونته ونصره، فلهذا المعنى أتى الشيخ رضي الله عنه في هذه الصلاة بالطلب على هذا الوجه، وإن كان ما طلبه حاصلاً فمقصوده دوام ذلك، وأن لا يُقطع عنه مدده ومعونته ورفده، وهؤلاء المخصوصون يكون دعاؤهم غالبًا عبادة وتلذّذًا بالخطاب، وإن كان حصل لهم ما حصل فهم بالله متكلّمون وعنه ناطقون، وعن مشاهدتهم مُعبّرون.

وزجّ بي في بحار الأحدية: اعلم أن القوم يقصدون بذلك عين الذات القديمة؛ لأن التوحيد له ثلاث مراتب: توحيد العامّة، وتوحيد الخاصّة وتوحيد خاصّة الخاصّة؛ فالأُولى للعوامّ أهل الدليل والبرهان وقفوا من

وراء الباب، والثانية للخاصّة وهم يشاهدون الله في كل شيء وهم أهل توحيد الصّفات، والثالثة لخاصّة الخاصْة وهم. وقد تقدّم أن الحجاب الأعظم هو النبيّ (ص)، كما مرّ، ومطلوبه أن يكون غائبًا فيه مستهلكًا في محبة ذاته حتى يمتزج ذلك بروحه ويشتبك فيها اشتباك الروح في الجسد، ومنه قول سيدي علي بن وفا رضي الله عنه: (روح الوجود حياة من هو واجد)، وطلب الشيخ ما هو حاصل، وقد قدَّمنا أنه يطلب دوامه، وأن لا ينفكّ عنه وأن يمتزج روحه بروحه وينصبغ انصباغًا حقيقيًّا لا يمكن زواله، وللشيخ سيدي أبي الحسن الشُشتري رضي الله عنه من بعض مقطعاته:

محبوبي قد عمّ الوجود	وقد ظهر في بيض وسود
وفي النّصارى واليهود	وفي الحروف مع النقط
في كل شيء قد اختلط	إفهن قطّ إفهن قطّ

وقد سُئِل بعد المجذوبين الموهلين الغائبين في النبيّ (ص)، وأظنه سيدي عبد المجيد دفين قرب سيدي أبي عبد الله التاودي بباب الجيسة: مِنْ أين جاءتك هذه السكرة؟ فقال: ما لأحد عليّ فيها يَد . أو بمعناه . إلاّ أنّ النبيّ (ص) أعطاني كأسًا مقدّرًا فشربت حتى رويت، والباقي دفقته عليّ، إلا أن بعضهم يبقى مولهًا غائبًا فيه والبعض يرد إلى الوجود، فيكون الفرق على ظاهره والجمع في باطنه، وبه ينتفع الوجود وبوجوده يزول عنهم الباس، محفوظة عليه رسومه يعطي كل ذي حقٍّ حقّه من الشريعة والحقيقة مؤيّدًا ممكنًا.

وقوله: (وروحَه سرَّ حقيقتي) حتى تكون محمدية، وهو مثل قوله المتقدّم: (أللّهمَّ ألْحِقْني بنسبه وحقّقني بحسبه)، ومعناهما واحد وهو من التفنّن في العبارات ومن بديع الاستعارات، وكل كلامه رضي الله عنه في غاية البلاغة والإيجاز والقوّة ونصاعة الألفاظ والمعاني.

وقوله: (وحقيقته جامع عوالمي)، قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: واجعل حقيقته الأحمدية جامعة عوالمي اللّطيفة التي هي محل المعرفة بتحقيق الحقّ الأوّل، وذلك معرفة يوم الميثاق وهي المعرفة الأُولى يوم أَلَسْتُ، انتهى. فهي منه رضي الله عنه تحنّن واشتياق إلى ذلك المحل الأسنى السّابق:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى	وحنينه أبدًا لأول منزِل

لأن ذلك اليوم هو حيث اجتمعت الأرواح وآمنت وصدقت بعد أن خُوطِبت من الحقّ جلّ جلاله أَلَسْتُ، وثمّ اختار الله مَنِ اختار مِنْ خلقه واصطفى مَنِ اصطفى وما برز بعدُ في عالم الملك إنّما هو نتيجة

عمّا كان في ذلك اليوم الذي سَعِد فيه مَنْ سَعِدَ وشَقِي فيه من شَقِيَ، وكان سيّدنا العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه إذا كان الأصحاب يذكرون قول القائل يوم عجيب ما كان أحلاه يقول: هو يوم الميثاق، يوم ألست بربِّكم.

يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن: دَعَى بهذه الأسماء رضي الله عنه لِمَا فيها من الإشعار بالإحاطة، هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وفي كلام الششتري رضي الله عنه:

ظَهَرْتَ لم تخف على أحد	وغِبْتَ لم تظهر لكل حَدِ

وقوله: يا ظاهر ويا باطن حاروا في أمرك، إسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء، بمعنى إقبل دعائي، والسماع بمعنى القبول، ونداء زكرياء عليه السلام قوله: {رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}[(306)]، وسماع الله تعالى إياه استجابته بقوله: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى}[(307)]، وقيل: نداؤه هو قوله تعالى: { غ [گ] ء 5 ــ }[(308)]، ويعني بالإرث إرث السرّ الإلهيّ، وقد قبل الله دعوته حتى أبقى سرّه في خليفته القطب الإمام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، وكان سيدنا العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه يقول: لم خصّ الشيخ رضي الله عنه زكرياء عليه السلام بالذِّكر من بين سائر الأنبياء إشارة إلى ما وقع له رضي الله عنه من القتل، كما وقع لسيدنا زكرياء عليه الصّلاة والسلام.

وانصرني بك لك وأيّدني بك لك: النّصر والتأييد بمعنى واحد، بك لك أي انصرني وأيّدني وقوّني على طاعتك وخدمتك. قال الإمام أبو عبد الله الخروبي رضي الله عنه: طلب النصر به سبحانه دون وسائطه وأسبابه ومُراده أن تكون نصرته له على القيام بالتكاليف الدّينية والوظائف الشرعية، على أن يكون عبدًا على الحقيقة. وفي قوله: (بك لك)، دليلٌ على عدم تعلّقه بالأكوان وإعراضه عنها، وفي قوله: (لك) دليلٌ على اكتفائه بحقوق ربِّه وإعراضه عن حظوظ نفسه، انتهى.

واجمع بيني وبينك وحِلْ بيني وبين غيرك: الجمع بين الله وبين عبده هو أن يكون مُحبًّا فيه مستغرقًا في محبّته فانيًا عن غيره، أيًّا كان ذلك الغير من دنيا وآخرة وما فيهما، وعن نفسه وأبناء جنسه وعن عوالمه كلّها حتى لا يبقى إلاّ الله، وهذا هو حقيقة الإيمان الذي عليه مدار العبد.

ألله ألله: ذكر هذا الاسم الشريف من غير ياء النداء المشعرة بالبُعد لغيبته فيه، وأنه لا مطلوب له سواه، ولا يعبد ولا يرجو ولا يخاف إلاّ إيَّاه، وأنه مطلوبه دون مَنْ عداه. قال سيدي الحسن الزياتي رحمه الله: (وكرّر لفظ الجلالة ثلاثًا إشارة إلى العوالم الثلاثة، فيغيب العبد إن ساعده التوفيق بقوله أوّلاً: ألله عن شهود فعله بشهود فعل مشهوده، ويغيب بتكرير ذلك ثانيًا عن شهود وصفه بشهود وصف مدعوّه، ويغيب بإعادته ثلاثًا عن شهود ذاتها بشهود ذات معبوده)، وهذا الذِّكر وهو اسم الجلالة هو للمستغرقين في التَّوحيد المستهترين بذكر العَلِيّ المجيد يأنفون من النفي، ولا يحبّون ذكره ويستوحشون من ذلك، وقد سُئِل الشبلي رضي الله عنه: لِمَ تقول: ألله ألله لا تقول لا إله إلاّ الله؟ فقال: أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته، فزعق السائل ومات، فاجتمع أقاربه وتعلّقوا بالشبلي وادّعوا علي بالدَّم بين يدي الخليفة، فقال الخليفة للشبلي: ما جوابك؟ فقال: روحٌ حَنَّتْ فرنّت ودُعِيت فسمعت فعلمت فأجابت، فما ذنبي؟ فصاح الخليفة: خلّوا سبيله.

أتى رضي الله عنه بهذا اللّفظ الشريف عقب مطالبه للتبرّك وليكون به الختم، كما كان به البَدْء؛ لأنه كل شيء منه بدأ وإليه يعود.

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(309)]: أتى بالآية رضي الله عنه إشارة إلى ما تقدَّم من الحنين إلى اليَوْمِ الأوّل، وهو يوم أَلَسْتُ بربِّكم؟ قال الإمام الورتجبي رضي الله عنه: إنّ الله تعالى خلق روح المصطفى (ص) بين نورين: نور الجمال ونور الجلال حين أظهر ذاته سبحانه، فوصل نور الذات إلى نور الجمال والجلال، ثم تجلّى من جميع الصّفات والذات بين الجمال والجلال، فكمن غيب الغيب، فظهر روحه عليه السلام، فصار أهلاً للقرآن؛ لأنه كان مخصوصًا بأهليّة رؤية الذّات والصّفات جميعًا، فنزل القرآن على معدن حقيقته فيأخذه ويرجع إلى معدنه الذي بدأ مه، وهذا معنى قوله: (إن الذي فرض عليك القرآن)، أي إن الذي أحاط بكلامه القديم لرادّك إليه بمواكب القرآن، وذلك معدن التّنزيه المنزَّه عن التشاكل والتباغض والإجتماع والافتراق نظرًا لى شوقك في قلبك إلى معدنك من عالم الملكوت والجبروت بردِّك بأنوار صفاته إلى مشاهدة ذاته تعالى الله عن إشارة الزنادقة والتنويه لذلك، قال عليه السلام: «حب الوطن من الإيمان» .

قال الواسطي: في قوله: لرادّك إلى معاد، قال: مجالسة ليلة المسْرى إلى مخاطبات الروح بالقرآن. وقال ابن عطاء: الذي منه ظهرت حتى تشاهده هذه بسرك على دوام أوقاتك، وقال الحسين: إنّ الذي فرقك برسْم

الإبلاغ إلى الخلق سيردّك إلى مَعْنى الجمع بالفناء عن ملاحظاتهم والترسّم معهم على حدِّ الإبلاغ برسومهم بتخصيصك بمقام الأخصّ والبيان الأخلاص، وقال ابن عطاء: الذي حفظك في أوقات المخاطبة لرادّك إلى وطنك من المشاهدة، وقال الواسطي: إلى حيث شاهد روحك وإلى الكرم الذي أظهرك منه، وقال الأستاذ: إن الذي أقامك بشواهد العبودية فيما أثبتك لرادّك إلى الفناء عنك بِمَحْوِك في وجود الحقيقة.

{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(310)]: الآية كرّرها ثلاثًا للإلحاح في الدعاء. إنّ الله يحبّ المِلحِّين في الدعاء، وهو دعاء حسن جامع حكاه الله سبحانه عن أهل الكهف وأهل الله هم أهل كهف الإيواء؛ ففي ذلك أيضًا إشارة إلى أنّهم إلى الله يأوون وببابه قاطنون وإليه يستندون وعليه يعتمدون، كلامهم بالله ونطقهم بالله وشغلهم الله وهمّتهم الله رضي الله عنهم وعنّا بهم آمين.

وهذا آخر ما قصدناه وتمام ما أردناه على قدر الاستطاعة، وقلّة البضاعة والعُذْر عند كرام الناس مقبول، والحمد لله كما هو أهله وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا. انتهى بحمد الله وحُسْن عونه. أللَّهمَّ اختم لنا بحسن الخاتمة.

&#5؛ ترجمة سيدي ابن زكري رضي الله عنه الشيخ الإمام، العالم العلاّمة الهُمام، المشارك المحقّق، الصوفي المدقّق، الحجّة الضابط الأرْقى، الوليّ الصالح الأتْقى، أبو عبد الله سيدي محمد فتحا بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي المؤْلد والمنشأ والوفاة. كان رحمه الله في أوّل أمره يحترف بصناعة الدباغة مع والده، وكان والده مُصاحبًا لسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وملازمًا لمجلس تدريسه، وكان هو يحضر مع والده فيه، وكان لصِغَره يجلس في مؤخر الناس، وكان يبحث مع الشيخ كثيرًا ويسأله، وكان الشيخ يعجبه سؤاله ويستحسنه من غير أن تكون له به معرفة. ثم إنّه أقامه يومًا من المؤخّر وأجلسه قريبًا منه، وقال له: مثلك لا يتأخر، ثمّ رآه يومًا وفي يده أثر الدّبغ فسأل عنه فقيل له: إنّه ولد سيدي عبد الرحمن بن زكريا، قال: نعم، فقال له الشيخ: إنه لا تناسبه الصنعة، وإنّما تناسبه القراءة لنجابته وفطنته، فأخْرِجه من الصنعة ولا تتركه فيها أصلاً واجْعله في قراءة العلم ولك أجره، وإن عجزت عن شيء من مؤونته فأنا أُعينك؛ فأخرجه عند ذلك والده وتركه لقراءة العلم، فكان يقرأ حتى فتح الله عليه... وكان عالمِا عاملاً، صوفيًّا كاملاً، ممن تقصر عن محاسنه الأقلام، وتَكِلّ دون منتهاها ألسنة الأنام، أمْرِه أشهر من نار على عَلَم، فكأنه بدرٌ تمّ طلع في دَيْجور الظُّلَم، قد بَرَع في سائر الفنون، وغاص في لُجُجِها، فاستخرج منها نفائس الدُّرر المكنون، جامعًا لأدوات الاجتهاد، مائلاً إليه في الحكْم والاعتقاد، قادرًا على الاستنباط، عارفًا بما بَيْن العلّة والمعلول من

جوامع الارتباط، بالغًا غاية الإرب، في تحقيق علوم الأدب من النَّحو والتصريف واللغة والعَروض والقوافي والمعاني والبيان والبديع وصناعة الشعر والترسيل وأنساب العرب وأيّامها وتواريخ غيرها من الأُمم السالفة وتراجم الأعيان وسائر المحاضرات لا يُدْرك شأوه وألّف تآليف عديدة مختلفة الأوضاع عمّ بها في سائر الأقطار الانتفاع، منها:

. شرح الفريدة للسيوطي.

. شرح النصيحة.

. شرح الحكم العطائية.

. شرح الصلاة المشيشية.

. شرح القواعد الزروقية.

. الهمزية التي عارض بها همزية البوصيرية.

. حاشية على توضيح ابن هشام لم تكمل بَلغ فيها إلى المفعول المطلق.

. تعليق على البخاري.

. تفسير على مواضع من القرآن.

. أنظام وأشعار، وتآليفه كلّها في غاية التحقيق.

كان رحمه الله مُعْتنيًا بزيارة شرفاء أهل وزان، كالشيخ مولاي الطيّب الوزاني، فنفحتْ عليه أنوارهم وظهرت عليه بركاتهم وصحب تلميذهم الشيخ سيدي الحاج الخيّاط الرقّعِي، فنفعه الله بصحبته. قال بعضهم: وأخبرني بعد الثقات عن غير واحد من العلماء أنّه رضي الله عنه كانت تحصل له غَيْبة فيرى النبيّ (ص) يقظة، ومما قيل في مَدْحه من نظم تلميذه الشيخ أبي محمد سيدي عبد المجيد بن علي الزبادي المنالي رحمه الله:

أجَلْتُ في الناس فِكْرِي	في الصَّحْو مني وسُكْرِي
فلَمْ أجدْ طُوال عُمْري	شيخًا كشيخي ابْنِ زِكْري

ومن نظمه أيضًا فيه:

يا أهْل وُدّي وسِرّي	ومَنْ ثَوَوْا وَسْطَ صَدْري

إنْ شِئْتُمْ نَيْلَ ذُخْرِي	عَلَيْكُم بابْنِ زَكْري

توفي رحمه الله ليلة الأربعاء ثامن عشر من شهر صفر الخير سنة أربع وأربعين ومائة وألف هجرية.

هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (سلوة الأنفاس ومحادية الأكياش بمَنْ أقْبِرَ من العلماء والصالحين بفاس)، لسيدي محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي ابن زكري رضي الله عنه المتوفّى عام 1144 هـ ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار: ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ فيه ظهرت شمس المعرفة وقمر التوحيد ونجوم العلم لذي الاستبصار. ألَّلهمَّ صلِّ على من جعلته مرآة لتجلّي سرار ذاتك وأنوار صفاتك على ما يليق بكمالك. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ حمل قوله رآني فقد رأى الحقّ على أنه مجلًى لذاتك وصفاتك وأفعالك. ألَّلهمَّ صلِّ على من ظهرت فيه أسرار ذاتك لخاصّة الخاصّة ولاختصاصها جيءَ بالإسرار والإنشقاق. ألَّلهمَّ صلِّ على من ظَهَرت فيه أنوار صفاتك لهم وللخاصّة ولظُهورها النسبي جيء بالأنوار والإنفلاق.

وجهٌ آخر: ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ تكوّنت منه كلّيات المكوّنات كما تتكوّن من البذر والأشجار. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ خرجت من كلِّيات بذره جزئيّات الموجودات كما تخرج من الأشجار الأنوار. ألَّلهمَّ صلِّ على من شبّه بالبذرة في الأصالة وكُني بالحرف عن المستعار. ألَّلهمَّ صلِّ على من استعيرَ لكلّيات بذره مِنْ أجْل بطُونها الأسرار ولجُزْئيّاتها من أجل ظهورها الأنوار. ألَّلهمَّ صلِّ على من شبّه إنتاج كلّيات بذره لجزئياتها بالإنشقاق. ألَّلهمَّ صلّ على من شبّه ظهور جزئيات بذره من كلّياتها بالإنفلاق. ألَّلهمَّ صلِّ على من اجتمع في مدحه هذا استعارة مكنية وتصريحية أصلية وتبعية حاصلة بالإنشقاق. ألَّلهمَّ صلِّ على من خلقت نوره قبل كل شيء، فسجد لك سبعمائة عام ودوَّرْتَه حيث شئت فَدار. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ خلقت من نوره العرش والقلم واللّوح والكرسي العظيمة المقدار. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ خلقت مِنْ نوره الملائكة والسموات والأرض والجنّة والنار. ألَّلهمَّ صلِّ على من خلقت من نوره نور القلوب وهو المعرفة، ونورَ الأُنْس وهو التوحيد ونور الأبصار. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ خلقت مِنْ نوره العقل وأنوار الكواكب والشمس والأقمار. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ خلقت نورَه قبل الأشياء، فسطع فقلت له: أنت المنتخب المختار. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ هو حياة الوجود. ألَّلهمَّ صلِّ على مَنْ هو السرِّ الساري في كل موجود.

وجهٌ آخر: ألَّلهمَّ صلِّ على مَن لأجله خلقت الأكوان. ألَّلهمَّ صلِّ على مَن لولاه لبقيَ العدم على ما عليه كان. ألَّلهمَّ صلِّ على من قلت في شأنه لآدم لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضًا. ألَّلهمَّ صلِّ

على من أخرجتَ العوالم بسببه من ظلمة العدم وصيّرتها ببهجته رَوْضا. أللّهمّ صلِّ على مَنْ علم مِنْ هذا أنه وإنْ كان ابن آدم جسد16 فهو أبوه روحًا. أللّهمّ صلِّ على مَنْ فهمَ مما سبق أنّه أوّل الأنبياء نبوّة، وإن كان آخرهم ظهورًا ووضوحًا. أللّهمّ صلِّ على مَنْ قال أنا يعشُوب الأرواح، يعني أنه لها أصل ومدده. أللّهمّ صلِّ على مَنْقال كنت نبيًّا وآدم بين الرُّوح والجسد. أللّهمّ صلِّ على مَنْ هو الوَارث في حضرة الفَرْق والوجود والجسماني. أللّهمّ صلِّ على مَنْ هو الموروث في حضرة الجمع والوجود الروحاني. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لأجل ذلك يقول له آدم إذا لقيه: يا ولد ذاتي ويا والد معناي. أللّهمّ صلِّ على من يتشرّف المثني عليه بقوله فيه سيدي ومولاي. أللّهمّ صلِّ على من يحقّ عليّ بذل عينيّ الصفراء والبيضاء حتى تظفر برؤيته عيناي. أللّهمّ صلِّ على من أُشير في هذا الوجه إلى أنّ ما ظهر من المكوّنات فهو السّبب في ظهوره. أللّهمّ صلِّ على من أُشير في الوجه الذي قبله إلى أنّ الأكوان على اتّساعها واستفاضتها بعضُ نوره.

وجهٌ آخر: أللّهمّ صلِّ على مَن منه ترد على البواطن الواردات المزعجة. أللّهمّ صلِّ على من منه به تنبعث الظواهر إلى الأوراد التي هي للقريب مُنتجة. أللّهمّ صلِّ على من استعير لوارداته من أجل بطونها اسم الأسرار. أللّهمّ صلِّ على مَن استعير لأوراد مدده من أجل ظهورها لفظ الأنوار. أللّهمّ صلِّ على من ناسَب واردات مدده من أجل إنتاجها استعمال الإنشقاق. أللّهمّ صلِّ على من ناسب أوراد مدده من أجل انجلائها استعمال الانفلاق.

وجهٌ آخر: أللّهمّ صلِّ على مَنْ به يحصل الإنتقال من الإسلام للإيمان، ثم للإحسان، ثم للمراقبة، ثم لشهود البصيرة جِهارًا. أللّهمّ صلِّ على من تصير به النفوس قلوبًا، والقلوب أرواحًا، والأرواح أسرارًا. أللّهمّ صلِّ على من يفيض عليها عند ذلك من شموس المعارف أنوارًا. أللّهمّ صلِّ على من تصير به الأسرار مطالع الأنوار، وذلك معنى انشقاقها. أللّهمّ صلِّ على من تتجلّى به الأنوار في آفاق الأسرار، وهو معنى انفلاقها.

وجهٌ آخر: أللّهمّ صلِّ على مَن منه ما هو سِرٌّ بينك وبين العبد لا يطّلع عليه الحَفَظَة فضلاً عن الغير. أللّهمّ صَلِّ على مَن منه ما هو قَدْرٌ ظاهر على أهل الصّلاح والخير. أللّهمّ صَلِّ على مَن منه انشقاق الأول وانفلاق الثاني. أللّهمّ صَلِّ على مَن ليس له ثانٍ في الأصالة لهذه المعاني.

وجهٌ آخر: أللّهمّ صلِّ على مَن منه برزت أسرار الملكوت. أللّهمّ صلِّ على من منه تدفّقت أنوار الجبروت. أللّهمّ صلِّ على من منه اكتسب الخواص شهود الصّفات في عالم الملكوت. أللّهمّ صلِّ على مَنْ به ترقّوا

إلى شهود الذات في عالم الجبروت. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ لما كان مدده الأوّل قويًّا عاليًا استعمل فيه الانشقاق والأسرار. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ لما كان مدده الثاني أقوى وأعلى استعمل فيه الإنفلاق والأنوار.

وجهٌ آخر: أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه إمدادات أهل الملك الباطن وأهل الملك الظاهر. أللّٰهمّ صلِّ على من أهل سماواتك وأرضك لساري أنواره مجالي ومظاهر. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ ناسب مدده الأوّل الأسرار والإنشقاق. أللّٰهمّ صلِّ على من ناسب مدده الثاني الأنوار والإنفلاق.

وجهٌ آخر: أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت الأسرار في عالم الأرواح، فقالت عن يقين: بَلى. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت الأنوار في عالم الأشباح للمؤمنين، فاكتسبوا بالإيمان به الشرف والعُلا.

وجهٌ آخر: أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت أسرار الخوض فتلَقَّوْا عنه العلم المكنون. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت أنوار جميع المؤمنين، فأوضح لهم ما يحتاجونه من الفنون.

وجهٌ آخر: أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت لمتبّعيه أسرار علم الحقيقة. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت لهم أنوار علم الشّريعة، فتمَّتْ الطريقة.

وجهٌ آخر: أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت أسرار النبوّة والرّسالة. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت أنوار الولاية ومرجع كلّها له. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ جعلته أوّل الأنبياء نورًا وآخرهم ظهورًا وخصّصته بكمال شرف الوْجود البَعْدي والقَبْلي. أللّٰهمّ صلِّ على من جعلت سيادته عامّة للعالم العلوي والسفلي. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ جعلت نوره ساريًا في الوجود الجزئي والكلّي. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ قال لُعُمر: أتدري مَنْ أنا؟ أنا الذي مِنْ أجلي أخذ الله ميثاق الأنبياء والرُّسل والأُمم بإقرار نبوّتي وفضلي. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ أخذت الميثاق على الأنبياء إن أدركوه أن يؤمنوا به، وبيَّنْتَ لهم في كتبهم صفة خَلْقِه وخُلُقه. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ جعلتهم نوّابًا عنه وحاكمين ببعض شرائعه وطرقه. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ عرفه جميع النبيّين وتحقّقوه. أللّٰهمّ صلِّ على من قلت في شأنه: يا مسوى جميعُ المرسلين آمنوا بأحمد واشتاقوا إليه وصدّقوه. أللّٰهمّ صلِّ على من قلت في شأنه: يا موسى مَنْ آمن بأحمد أحببته أيّام حياته ولم أُوحشه في قبره. أللّٰهمّ صلِّ على من أمرت نبيّك موسى بالصلاة عليه والإكثار من ذكره. أللّٰهمّ صلِّ على من أظهرت نوره لأنوار الأنبياء، فَغَشيهم فقالوا: آمنّا به وصدّقناه. أللّٰهمّ صلِّ على من تُغرق القلوب والأفكار في هذا التعظيم الطذي عظمته إن تأمَّلْتَ معناه. أللّٰهمّ صلِّ على مَنْ زدتهُ باستشهاد الأنبياء على الإيمانبه وشهادتك معهم إعظاماً وإجلالاً. اللّٰهمّ صلِّ على مَنْ يقال خطاباً له عند فَهْم هذه الخصوصية: تِهْ دَلاَلا. أللّٰهمّ صلِّ على من جعلته شمسًا

والأنبياء كواكب بالإستمداد منه تتلالا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قيل لقارىء هذا وسامعه: أتعطي روحك في قربه؟ لقال نعم بِلا لاَ. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ أمرتهم أن يأخذوا العهد على أُممهم بتصديقه ويتواصَوْا به جيلاً بعد جيل. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ وَسَمْت المتولّي من الأُمم عن تصديقه بالفسق زيادة في التنويه والتبجيل. أللَّهمَّ صلِّ على من أنتجَ من علمَ من هذا أنه خلاصة المستخلصين وصفوة الأصفيا. أللَّهمَّ صلِّ على من ظهر تقدّمه عليهم في قضية المعراج فصلّى بهم إمامًا في إسرائه. أللَّهمَّ صلِّ على من تظهر ثمرة ذلك يوم القيامة، فيُحشرون جميعًا تحت لوائه.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت أسرار الاستدلال بك لأهل الجذب المحبوبين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت أنوار الاستدلال عليك للسالكين المحجوبين. أللَّهمَّ صلِّ على ساقي جميع أهل حضرة قدسك الطالبين والطلوبين.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت أسرار المشايخ أهل الدلالة والإرشاد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت أنوار المريدين أهل الطلب والإسترشاد. أللَّهمَّ صلِّ على مِنْ أهل الخصوصية كلّهم لأنواره تفاصيل ومظاهر. اللّهمّ صلِّ على مَنْ كل زائر لهم فهو له في الحقيقة زائر.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت الأرار المودعة في الأكوان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت الأنوار المظهرة لما احتوت عليه من الأشكال والمقادير والألوان.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت أسرار البصائر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت أنوار الحواس التي هي طرف الإدراك الظاهر.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انشقَّت أسرار المدركات التي هي دقائق العلوم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه انفلقت أنوار المعلومات التي يستوي فيها مطلق المفهوم.

وفيه ارتقت الحقائق: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه ارتقت الحقائق الوهبية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ في سماء باطنه طلعَت شموس العلوم اللَّدنيّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ في ظهور روحه توالت التجلّيات العيانيّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ في أُفُقِ سِرِّه أشرقت الأسرار العرفانية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ هو إمام أئمّة العارفين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عنه أخذت ومنه اكتسبت مقامات اليقين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أوضحها فتلقّاها عنه العلماء تحقّقًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ وَهَبَها فاكتسبها منه العارفون تخلّقًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ورثها علمًا وحالاً. أللَّهمَّ صلِّ على من توصّل بواسطته كل ذي حظٍّ منها إلى حظِّه نساءً ورجالاً. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ هو قاسم الفتوحات

الغيبيّة. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ هو الواسطة في نَيْل أسرار الحضرة القدسيّة. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ قال إني لأعلمكم بالله وأشدّكم له خَشْية. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ منه اغترف أئمّة هذا الشأن فنالوا المنى. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ قال إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ شبَّه بالسَّما في كونه مجلي الأنوار. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ شبّهت العلوم المنجلية فيه بالشموس والنجوم والأقمار. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ شبَّه انجلاء العلوم فيه بارتقاء الأنوار الحسِّية في السماء واستُعير الثاني للأول ثم اشتقّ الفعل من المستعار. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ دلَّت التبعية التحقيقية في الحرث في مدحه على المكنيتين بدون تخييل كما هو الصحيح المختار.

وجهٌ آخر: أللَّهـمَّ صلِّ على من هو أعلم الخلائق على العموم. أللَّهـمَّ صلِّ على من فيه ارتقت حقائق جميع العلوم. أللَّهـمَّ صلِّ على من أتى من العلوم بما تقر عنه العقول. أللَّهـمَّ صلِّ على من عليه عَوَّلَ كل محقّق في المعقول والمنقول. أللَّهـمَّ صلِّ على من كلامه برهان وحجّة لأهل الاجتهاد. أللَّهـمَّ لِّ على من هو قدوة الراسخين في العلم من كل حاضر وباد. أللَّهـمَّ صلِّ على من علمه أصل علوم العُلمَا. أللَّهـمَّ صلِّ على من معرفته معدن معارف العارفين وحكمته منبع حُكَم الحُكَما. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ عِلْم كل عالم بالنسبة إلى علمه كقطرة من بحر الهمم. أللَّهـمَّ صلِّ على من حكمة كل حكيم بالنسبة إلى حكمته كأدنى السرّ من أعلى الجهر. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ كان يكتسب الأعراب الجلف بمجرد شهود طلعته ما لا يحصل لذكي النقاد في الدَّهر. أللَّهـمَّ صلِّ على من الأُمّة من أهل عصره تفوق في العلم فحول علماء العصور. أللَّهـمَّ صلِّ على من حكم من أجل ذلك لجميع أصحابه بصحة الاقتداء بهم فيما أشكل من الأُمور. أللَّهـمَّ صلِّ على من شُبه أصحابه بالنجوم، فأعلم أنهم في الظلمات لمريد الإهتدا نور. أللَّهـمَّ صلِّ على من كل حكمة جلت أو قلت فإليه انتسابها. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ قال أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. أللَّهـمَّ صلِّ على من جوامع كلمه لتدفّق لطائف المعاني البحر العُباب. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه وَهْب أنّ محمدًا (ص) أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأيًا. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضاً ما العقول في جنب عقل محمّد إلا كحبَّة رَمْل بين رمال الدنيا. أللَّهـمَّ صلِّ على مَنْ لما جزأت العقل إلى مائة جزء أعطيته تسعةً وتسعين منها. أللَّهـمَّ صلِّ على من بَلغ مِنْ سياسة الخلق وتأديبهم مرتبة عجزت العقول العُقلا عنها. أللَّهـمَّ صلِّ على من بعث في بلاد قوم كانوا كالأنعام الشاردة. أللَّهـمَّ صلِّ على من دعاهُمْ وهم ذوو طباع مُتنافرة وآراء متباعدة. أللَّهـمَّ صلِّ على من سَاسَهُمْ مع ذلك واحتمل جفاهم. أللَّهـمَّ صلِّ على من اشتدَّت إذابتهم له فصبر على أذاهم. أللَّهـمَّ صلِّ على من لم يزل كذلك حتى أذنوا له وانقادوا إليه. أللَّهـمَّ صلِّ على من اتّبعوه بعد الإباية

ونصروه واجتمعوا عليه. أللَّهمَّ صلِّ على من قاتلوا دونه أهاليهم وآباءهم وأبناءهم. أللَّهمَّ صلِّ على من اختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحبّاءهم. أللَّهمَّ صلِّ على من استقام له هذا من غير ممارسةٍ ولا مُطالعة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يتعلم سير الماضين وأتى بأبْدَعَ منها حتى سَلم ذوو المنازعة.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم بكمال التّحقيق. أللَّهمَّ صلِّ على من تحلّت عنده بما لم تتحلّ عند غيره من حلل التحرير والتدقيق.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم بكمال البثّ والإنتشار. أللَّهمَّ صلِّ على من بلغت به ما لم تبلغه بغيره من الظهور والاشتهار.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم بكثرة الانتفاع. أللَّهمَّ صلِّ على من لا تزال طائفةٌ من أُمّته ظاهرة على الحقّ مُلازمة للاتّباع.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم باجتماعها له على التَّمام. أللَّهمَّ صلِّ على من جمعَ علم الأوّلين والآخرين، وكان فيه الأَوْحَد الإمام.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم بملازمة الوعظ والتذكير. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كانت مجالسُه تُوجب للقلوب الصفاء والتنوير.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم ببذله للمستحقّ ومنعه من غيره. أللَّهمَّ صلِّ على من كان يخاطب الناس بقدر عقولهم ويعطي كل مؤمن ما يستحقّه من أنواع برّه وخَيْره.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم بجمعه ما افترق في غيره من النبيّين والمرسلين. أللَّهمَّ صلِّ على من ختموا به لذلك وكانوا في البعث أوّلين.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم، فكانت رؤية ذاته تُوجِب ذِكْرَك. أللَّهمَّ صلِّ على من كانت صفاتهُ وأفْعاله وأخلاقه تذكر توحيدك وشكرك.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم بالأُمِّية، فكان العلم له معجزة قاطعة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أتى مع أُمِّيّته بالعلوم الباهرة المؤيّدة بالحُجج الساطعة.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَن ارتفعت فيه حقائق العلم بالسياسة التي ألف بها بين العرب والعجم. أللَّهمَّ صلِّ على من قوي على حمل أعباء البعثة لسائر الأُمم.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم فَسَبَقَ يوم أَلَسْتُ بربِّكم إلى الجواب بِبَلَى. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تقدم في النبوّة والرّسالة والسعادة وجميع المقامات العُلى.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم، فوقع عند ولادته ساجدًا لجلالك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ وقع عند ولادته رافعًا سبابته مبتهلاً لعِزِّ كمالك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم، فجمع بين النبوّة والسلطان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جاهد أعداءك حتّى ظهر دينه على جميع الأديان.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم، فقوي على آداب الرؤية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان قاب قوسين أو أدنى، فنال المراد والبغية. أللَّهمَّ صلِّ على من أثنيت عليه بكمال علمه بالأدب حال الرؤية بقولك: ما زاغ البصر وما طغى. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يلتفت بصره إلى السوى مع كثرة أنواع الحضرة بل اعتدل وما بغى. أللَّهمَّ صلِّ على من كما اعتدل قلبه في كمال الانقطاع إليك اعتدل بصره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كما أكمل شهود بصيرته لذاتك المقدّسة كَمُل بِعَيْنَي رأسه نظره.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم، فاختصّ بكونه يوم القيامة خطيب الأُمم . أللَّهمَّ صلِّ على من يفيض عند ذلك من قلبه على لسانه من الثناء ما لم يسمع به أحد ممّن له في المعرفة قدم.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم، فكان يُغان على قلبه غَيْن أنوار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يُعدله في المجلس الواحد المائة من الإستغفار.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق العلم، فكان يظهر الافتقار إليك تارة والاستغنا بك أخرى. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اشتدّ به العطش يوم أُحد وصير عين تبوك تزخر زخرًا. أللَّهمَّ صلِّ على من شدّ بالخندق على بطنه الحَجر من الجوع وأطعم فيه ألفًا من صاع. أللَّهمَّ صلِّ على من بات اللّيالي المتتابعة طاويًا وأشبع جيشًا من إحدى وعشرين ترمة، ودفع الباقي لأبي هريرة فأكل منه إلى قعتْل عثمان وضاع. أللَّهمَّ صلِّ على من عُرِف في وجهه الجوع بالخندق وأطعم فيه ثلاثة آلاف من قليل تمر وزود منْ آخر أربعين وأربع مائة مجمل كل ما استطاع.

تنبيه:

أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان مِنْ جوعه وعطشه في هذه المواطن اختياريًّا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كلّ كلامه في حديث الوصال على أنّ ذلك لم يكن اضطراريًّا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال أبيت عند ربّي يطعمني ويسقين.

أللّٰهمَّ صلِّ على معنْ قيل في معناه إنك تعطيه قوّة روحانية وتغذوه بأنوار اليقين. أللّٰهمَّ صلِّ على من قيل في معناه أيضًا أنك تغذوه حقيقة من طعام الجنّة، وذلك لا ينافي الوصال. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لم يقدح أكله على سبيل خرق العادة في وصاله؛ لأنه ليس من منافذ الإيصال. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ كان أغنى الخلق بك ولم يكن فقيرًا قطّ ولا كانت حالته حالة الفقرا. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ كان يعطي عطاء تعجز عنه أكابر الملوك وعظماء الأُمرا. أللّٰهمَّ صلِّ على من قيل في معنى قوله: أللّٰهمَّ أحْيِني مسكينًا، أنّ المراد به استكانة القلب لا الفقر والفاقة. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ جاءت إليه مفاتيح خزائن الأرض، وكانت له على تناول ما فيها القدرة والطاقة.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت فيه حقائق تعلّم، فاختار العبودية على المِلْك، وهي في الحقيقة المِلك الأبدي. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ عَلِم أنّ العبودية هي كمال شرف الإنسان، وفي ضمنها النّعيم السرمدي.

وتنزّلت علوم آدم فأعجز الخلائق: أللّٰهمَّ صلِّ على من فيه ارتقت الحقائق التي هي المسمّيات وتنزّلت بالنسبة إليها الأسما. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ خصّ عن أبيه جسدًا لكونه هو أباه روحًا بما هو أشرف وأسمى. أللّٰهمَّ صلِّ على من عرف أبوه الأشياء من حيث دلالة الأسماء عليها. أللّٰهمَّ صلِّ على مَن عرفَها أبوه بهذا الاعتبار دون حقائقها المركّبة من الذاتيّات المنسوبة إليها. أللّٰهمَّ صلِّ على من دلّ على علم أبيه نفسَ الأشياء على الوجه المذكور عرضُها عليه وتطبيقه كل اسم على مسمّاه. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لم يكن علم أبيه بمجرّد الألفاظ، فإنّ الله على ذلك أسْماه. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ علم الأشياء بالاعتبار الأوّل والثاني. أللّٰهمَّ صلِّ على من عرفها بالحدود الإسمية والحقيقية، فكمل له علم المعاني. أللّٰهمَّ صلِّ على من عرفها من الوجه الأعمّ، وهو طريق المفهوم. أللّٰهمَّ صلِّ على من عرفها من الوجه الوخصّ الصادق بما من الذاتيات لا غيرها وبالموجود دون المعدوم. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنِ اختصّ عن آدم بعلم المسمّيات تفصيلاً وشاركه في علم الأسماء التي لها. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ قال مثلت لي أُمّتي في الماء والطين، فعلمت الأسماء كلّها كما علم آدم الأسْماء كلّها. أللّٰهمَّ صلِّ على منِ اختصّ عن كافَّة الخلق بعلوم عظيمة وخَصّ أقوامًا بأخرى بعد التبليغ التامّ. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ قال أورثني ربّي علومًا شتّى، فعِلْمٌ أخذ عليّ كتمانه، وعِلْمٌ خيّرني فيه، وعِلْمٌ أمرني بتبليغه إلى الخاصّ والعامّ.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه تنزّلت العلوم بعد رفعها بقبض أهلها. أللَّهمَّ صلِّ على من تدلّت بوجوده وجود الأنوار مملكة القلوب بعد عزلها. أللَّهمَّ صلِّ على من تنزّلت فيه علوم آدم وأعظم بعلوم عجزت الملائكة عنها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لهذه النكتة أُضيف ما تنزل فيه لآدم حتى يستنتج بالأحْروية إعجاز غيرهم منها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه تنزّلت علوم آدم وأجرى علوم غيره من النبيّين والمرسلين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال وضَعَ ربّي يده بين ثديّي من غير تكييف ولا تحديد، فوجدت بردها فأورثني علم الآخرين والأوّلين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تنزلت فيه علوم آدم الذي هو الأب الأكبر. أللَّهمَّ صلِّ على من يناسبُ ذلك حيازته لعلوم مَنْ عنه تأخّر. أللَّهمَّ صلِّ على من تنزّلت فيه علوم آدم مع تباعد عصره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اقتضى ذلك أولوية حيازته لعلوم غيره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اقتضت الإشارة للإعجاز مع الإيجاز الإقتصار على ذكر أبيه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ استبان مما سبق نكتة الإتيان بالجمع المفيد لكثرة ما تنزّل فيه.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ له أذعنت علوم آدم ولم يستعْصِ شيءٌ منها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لهذه النكتة جيء لما يُفيد انحصارها فيه تمييزًا للخصوصية وإبانة عنها.

وجهٌ آخر باعتبار العطف: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما تنزّل العلم فيه نسبيًا صحّ كوْن المنزل مندرجًا في مرتقى الحقائق أخصّ منها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ذكر الأخصّ من علومه بوصف التنزّل والنّسبة لآدم في تشريفه أنْهَى.

وجهٌ آخر في أصل المعنى: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْه تنزّلت العلوم لآدم ثم ترقّت له، فلمّا كان أصلُها منه صار مآلها إليه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اجتمعت في علومه طريقة التدلّي والترقّي ومدار الطريقتين عليه. أللَّهمَّ صلِّ على من لما أعطى العلوم تنزّلت ولما أخذها ترقّت؛ إذ لا يد فوق يديه. أللَّهمَّ صلِّ على من كلمةُ في الداخلة في ضميره في هذا الوج بمعنى مِنْ وإلى من قبيل استعمال المشترك في مَعْنَيَيْه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ وصف علومه بالتنزّل على أوّل الوجوه باعتبار المعلوم وعلى هذا باعتبار العالم. أللَّهمَّ صلِّ على من لا تنقيص فيه تفضيله لِمَنْ فضل عليه، بل كمال الثناء للتشريف معه في الفضل لازم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أُشيرَ بالتعبير عن المتنزّل فيه بالحقائق إلى أن علم آدم ليس مقصورًا على الأسماء. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يفهم من نسبة علوم آدم له أنّ علمه أشرف من علوم جميع المرسلين وأسمى.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لولا نوره المودع في آدم لم تتجلّ له تلك العلوم، بل لم يكن له وجود. أللَّهمَّ صلِّ على من فيه تنزّلت علوم آدم في الحقيقة عند إبانة فضله وأمر الملائكة له بالسجود.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه تنزّلت علوم آدم قبل أن يوجد ويظهر. أللَّهمَّ صلِّ على من أمدَّه بتلك العلوم ومن ثم قيل فيه آدم الأكبر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه تنزّلت علوم آدم حيث تلقّاها منك بلا واسطة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تبيَّنت صحة انحصار تنزلها فيه بهذا الاعتبار؛ إذ لا غنى لغيره عن الواسطة. أللَّهمَّ صلِّ على من أعجز الخلائق بعلومه من غير قراءة علم ولا مخالطة لأهله. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أخرس الفصحا وأفحم البلغا حيث أتى بما لم يأتِ أحدٌ بمثله. أللَّهمَّ صلِّ على من أخبر مع أُمِّيته بوقائع القرون السالفة وقصص الأُمم الماضية. أللَّهمَّ صلِّ على من وقعَتْ وتقع طبق أخباره ما بينه من المغيبات الآتية. أللَّهمَّ صلِّ على من أعجز الخلائق كمال علمه عَنْ أن يُدانوه في مرتبته العالية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ خصَّصته بالمِعْراج وخصّصته فيه بعلوم هي في العجز عن لحاقه كافية. أللَّهمَّ صلِّ على من رفعتَ له سدرة المنتهى ودخل البيت المعمور. أللَّهمَّ صلِّ على معنْ دخل الجنّة ورأى ما فيها من القباب والقصور. أللَّهمَّ صلِّ على من سمع صريف الأقلام في تصاريف الأقدار بما كان أو هو كائن من الأُمور. أللَّهمَّ صلِّ على من رقى به إلى العرش والرفرف ووقف جبريللا دون ذلك، وقال: إن جاوزت مقامي احترقت بالنور. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال عند ذلك: هلْ لك من حاجة إلى ربِّك فأشفع لك إليه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له جبريل: سَلْهُ أن يبسط جناحي على الصراط لأُمّتك حتى يجوزوا عليه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: ثمّ زُجَّ بي في النور فخرقت سبعين ألف حجاب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: انقطع عنّي حسّ كل مَلَك وإنسي، فلحقني عند ذلك استيحاش فسمعت الخطاب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: ناداني مُنادي بلغة أبي بكر، فقال: إنّ ربّك يصلّي فبينما أنا أتفكّر في معناه الغريب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: فإذا بالنّداء من العليّ الأعلى: ادْنُ يا أحمد، ادْنُ يا محمّد ليدْن الحبيب من الحبيب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: قلت لربّي: عجبت من هاتَيْن: هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام؟ وإنّ ربّي لغنيّ عنْ أن يصلّي. أللَّهمَّ صلِّ على من قلتَ له: أنا الغنيّ عن أن أصلّي إلى أحد، وإنما أقول سبحاني سبحاني رحمتي سبقَتْ غضبي، فأقرأ ما أنزلت عليك من قولي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قلتَ له اقْرَأ هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ثم قلتَ: فصلاتي رحمة لك ولأُمّتك. أللَّهمَّ صلِّ على من قلت له: وأما مسألة صاحبك، فناداك مَلَك بلغته إزالة لوحشتك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قلتَ له: لما أنس موسى بالعصا قلنا له: وما تلك بيمينك فشغل بذكرها عن عظيم الهيبة. أللَّهمَّ صلِّ على من قلت له لما جعلنا أبا بكر أنيسك في الدّنيا والآخرة خلقنا ملكاً على صورته يناديك بلغته لتأنس بسابق الصّحبة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قلتَ له: أين حاجة جبريل؟ فقال: أللَّهمَّ إنك أعلم وأنتظر غيبك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ

قلتَ له قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبّك وصَحبك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان في هذه المنزلة. أللَّهمَّ إنّك عذّبت الأُمم فما أنت فاعل بأُمّتي. أللَّهمَّ صلِّ على من أجَبْتَه بقولك أبدل سيّئاتهم حسنات واستر على عصاتهم واشفع فيهم وأنزل عليهم رحمتي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال عند الإنصراف: يا ربّ لكل قادم من سفر تحفة، فما تحفة أُمّتي؟ أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قلت له: أنا لهم ما عاشوا، وأنا لهم إذا ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور برحمتي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تذكّر نبيّك موسى ما أوحيت إليه في شأنه، فجعل يردّده ليفوز بالنظر إليه. أللَّهمَّ صلِّ على من رأى موسى هلال {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *}[(311)] بين عينيه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أراد موسى عند ذلك رؤية من رأى والنظر لحبيب الحبيب حتى يُجلي الجمال عليه. أللَّهمَّ صلِّ على من أكرمته بالرؤية البصرية وعلم أسرار الذات العليّة، فنال نهاية التقريب. أللَّهمَّ صلِّ على من جمعت له بين المحبة والخلة وبين الرؤية والكلام، فنال ما لم يَنَلْه منك قريب. أللَّهمَّ صلِّ على من تضمَّنت هذه القضية أنّ علومه أكثر من علوم اللَّوح والقلم وأعلى وأعمّ. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أخبرك عنك أنك خلقت ألف ألف أُمّة لم يطّلع عليها اللّوح المحفوظ ولا صريف القلم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أخبر أنّ كل أُمّة من هذه الأُمم لم تعلم أنّك خلقت سواها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تضمّن إخباره أنه اطّلع على ما لم يطّلع عليه اللَّوح والقلم إذ لم يشملاها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ علمه بأحوال هذه الأُمم الزّائد على اطّلاعه عليها من الجائز الذي لم يمنع منه مانع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اتّفقت كلمة أهل الإسلام على أنه أعلم الخلق وأفضلهم من غير مُنازع ولا مُدافع. اللَّهمّ صلِّ على من قال فيه السيوطي أنه أُوتِيَ علم كل شيء إلاّ الخمس التي في آخر لقمان. أللَّهمَّ صلِّ على من قيل أنه أُوتِيَ علمها أيضًا لكنه أمر فيها بالكتمان. أللّهمّ صلِّ على مَنْ قال مع هذا أحمد ربّي بمحامد يوم القيامة لا أعلمها الآن. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أمرته مع هذا بطلب زيادة العلم فبان أنه لا يزال مترقّيًا في العرفان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه الجيلاني فتح فاه ليلة الإسراء، فقطرت فيه قطرة من بحر العلم الأزلي، فعلم بها ما هو كائن أو قد كان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أفهم قول الجيلاني فقطرت فيه قطرة أنّ عظمتك فوق ما تدرك العقول والأذهان.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه على الحقيقة تنزّل ما أعطيه آدم من العلوم والحقائق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ بِنُوره الذي سَرَى في آدم أعجز آدم الخلائق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان إعجاز علومه للملائكة في قضية آدم متضمّنًا بالأحْرَويّة لإعجاز غيرهم صحّ الاستغراق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كل معجزة أتى بها المرسلون، فهي من نوره الطي له فيهم سريان وإشراق.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه على الحقيقة تنزّلت علوم آدم وَقْتَ إبانة فضله للملأ الأكبر. أللَّهمَّ صلِّ على المعجز في ذلك الوقت على الحقيقة وآدم خليفة له ومُظهر.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فيه تنزّلت علوم آدم وغيره من المرسلين وهو الذي أمدَّهم بالأنوار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اسْتبان من ذلك أنه المعجز للملائكة والأُمَم المرسَلِين في كل الأعصار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عموم الخلق الذي أعجزهم على هذا أكثر منه على الوجوه المتقدّمة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ هذا الشرح الأخير أمْدح له فجعلته لبنة تمام المعاني وما سَبَق له مقدمة.

وله تضاءت الفهوم: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ له تضاءت الفهوم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عن الإحاطة بحقيقته تَصاغَرَتْ إدْراكات الخصوص والعموم. أللَّهمَّ صلِّ على من عَجِز أكابر العلماء عن كمال العلم به، وإنّما كان لهم منه القَدْر النّسبي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يصل إلى الإحاطة بحقيقته نبيٌّ مرسل ولا ملك مقرّب فضلاً عن عالم متبحّر ولا شيخٌ مربّي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: يا أبا بكر والّذي بعثني بالحقّ لم يعلمني حقيقة غير ربِّي. أللَّهمَّ صلِّ على من دلّ هذا الحصرُ في حديثه على صدق أُويس في قوله لأصحابه: ما رأيتم من رسول الله (ص) إلاّ ظلّه. أللَّهمَّ صلِّ على من قال أصحابه لأُويس: ولا ابن أبي قحافة، فقال: ولا ابن أبي قحافة، وعمَّمَ قوله. أللَّهمَّ صلِّ على من سُئِل عن قول أُويس فيه الشاذلي فقال هو قول صحيح لما في الواقع مطابق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه الشاذلي مقام على إدراك نفسه، ومقام عثمان إدراك قلبه، ومقام عمر إدراك عقله، ومقام أبي بكر إدراك روحه. وأمّا حقيقته، فلم يعلمها إلاّ الخالق. أللَّهمَّ صلِّ على من لما اختلفت مقامات الخُلفاء اختلف ما أدركوه منه من الحقائق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال الخروبي لما غلب على عليّ علم الشرائع، وكان حاله الإنبساط بها أدرك نفسه الشريفة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان مِنْ شأن النفس ألاّ تصمت وكل إلى نفسه تبليغ علوم الشرائع المنيفة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما غَلَبَ على عثمان التفكّر في العلوم أدرك قلبه الدّائم الفكر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما غلب على عمر التدبّر في العلوم أدرك عقله الصحيح التدبّر المخلص الذِّكر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما غلب على أبي بكر علم الحقائق وكان حاله الانقباض عليها أدرك روحه القدسيّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان شأن الروح الصمت وكل إلى روحه الشريفة علم أهل الخصوصية. أللَّهمَّ صلِّ على من قال فيه بعض العلماء كل صاحب مقام من الأنبياء والأولياء ممتدّ منه وواقف عند حدّ قربه. أللَّهمَّ صلِّ على من كل صاحب مقام متحقّق بقصوره عن إدراك ما خصّ به الرسول من ربّه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قيل في تمثيل واسطته هو كنخلة أصلها في الأرض وفرعها

في السماء مثمرة من أصلها إلى أعلاها. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ الخلق في أخْذ قُوتهم منه كلٌّ على حسب قوّته وغاية طاقته ومنتهاها. أللّهمَّ صلِّ على من رأس نخلته ممتنع عن الجميع لامتناع وصول البشر إلى السماء، فلا يدركون عُلاها. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لما لم يعرف الخلق حقيقته عجزوا عن الإتيان بما يستحقّه من الثّنا. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كلَّت القرائح وتقاصرت السَّجايا عن بيان ما له من المجد والسَّنا. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ اعترف فحول الشعراء عن كمال مدحه بالعجز والقصور. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كان مدحه عندهم أصعب ما يحاولونه من الأُمور. أللّهمَّ صلِّ على من صعبَ مدحه على البُلغا من أجل أنْ كان مبالغة في حقّه تقصير. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كل نظم بديع وسجع محكم رفيع في مدحه قليل قصير. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ قيل في شأن ولده علي الرضا لأبي نوّاس مَا لكَ لم تمدحه ولم تبيّن الخصال التي فيه. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لاحظ أبو نوّاس نسبته فقال: لا أستطيع مدح إمامٍ كان جبريل خادمًا لأبيه.

تفصيل لبعض ما شَمِله هذا الوجه:

أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن إدراك جلاله، رحمةً منك ولطفاً. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لو ظهر كنه جلاله لتلاشت أفئدة الناظرين إليه مهابة وخوفًا. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن إدراك كماله وضاقت الغبارات عن الواصفين. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كان الفصحا إذا رَاموا مدحه تبلّدت أذهانهم وصاروا متوقّفين. أللّهمَّ صلِّ على من تقاطرت الفهوم عن إدراك جماله مِنَّةً على الخلائق وفضلا. أللّهمَّ صلِّ على من لو ظهرت حقيقة جماله لم تبق لناظر إليه عقلاً.

وجهٌ آخر في التفصيل: أللّهمَّ صلِّ على مَن تقاصرت الفهوم عن إدراك عقله. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لم تصل الإدراكات للإحاطة بعليّ قدره وفضله. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن إدراك علمه. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ عجزت العقول عن الاطّلاع على كمال حلمه. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن إدراك خوفه وخشيته. أللّهمَّ صلِّ على من عجزت العقول عن حقيقة رجائه لفضل الله ورحمته. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن إدراك كمال عبوديّته. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ عجزت العقول عن استقصاء أوجه خصوصيّته. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن معرفة زهده ورفع همّته. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ عجزت العقول عن إدراك تواضعه وتركه التمييز في خدمته. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ عجزت العقول عن إدراك شفقته ورحمته. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاصرت الفهوم عن إدراك جوده الحسّي والمعنويّ. أللّهمَّ صلِّ على من عجزت العقول عن الإحاطة بأوجه مدده ونوره الصدِّيقي والملكي والنبويّ.

وجهٌ آخر يقابل الوجه الأوّل: أللّٰهمَّ صلِّ على من شبّه ببحر عظيم سبحت فيه الفهوم. أللّٰهمَّ صلِّ على من خَفِيت فيه ودقّت فلم تظهر لها آثارٌ ولا رسوم.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ له خضعت الفهوم وأذعنت واعترفت بالقصور. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ كل معنًى مما احتمله هذا النصّ عليه مقصور.

فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ هو باعتبار ذاته النورانية على كل مخلوق سابق. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لم يدركه منا معشر الخليفة سابق عليه في الخلقة الطينية ولا لاحق.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ يقال على اعتبار أصالة نوره وخلق الأشياء منه هو الأوّل وهو السابق. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لم يدركه منّا معشر الخليقة سابق باعتبارنا ولا لاحق.

وجهٌ آخر باعتبار مرجع الضمير: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لا يتبادر إدراك غيرنا له بالكنه المباينة في الجنسية والإختلاف في العواض واللّواحق. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لم يدركه منّا معشر الآدميّين سابق ولا لاحق. أللّٰهمَّ صلِّ على من لا ينتقض هذا بإدراكه لحقائق الأدناس؛ لأنه من خصوصيّاته. أللّٰهمَّ صلِّ على من لا ينتقض هذا بإدراكنا لما أدركناه منها؛ لأن اعتمادنا به على توفيقاته. أللّٰهمَّ صلِّ على من المنفي تبادر إدراك غيرنا له بالكنه لا أصل الإمكان. أللّٰهمَّ صلِّ على من يكفي انتفاء تبادر إدراك الغير له في تخصيص الضمير بجنس الإنسان. أللّٰهمَّ صلِّ على من لا يلزم من عدم إحاطة علم الملائكة بما خصّ به مستحيل. أللّٰهمَّ صلِّ على من انفراده عن جبريل في الإسراء بخرق الحجب وما بعده على هذا دليل.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لا يتبادر إدراك غيرنا له بالكنه لتأخّر خلق جسده عن زمانهم بما له من الصّفات الشريفة واللّواحق. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لم يدركه منّا معشر الأُمّة سابق ولا لاحق. أللّٰهمَّ صلِّ على من لا يُعارض هذا إخبار الأنبياء بهم واطّلاعهم على صفاته الماجدة. أللّٰهمَّ صلِّ على من اطّلاع الأنبياء عليه قبل وجوده منغير إحاطة من خصوصيّاتهم التي لا تشملها قاعدة. أللّٰهمَّ صلِّ على مَن المقول فيهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كانوا معاصرين له وقت وجوده. أللّٰهمَّ صلِّ على من شبّهت معرفتهم به بمعرفة الأبناء لتنزيلهم ما كان معروفًا عندهم من المشخّصات على شخصه حال شهوده. أللّٰهمَّ صلِّ على من لما كان الإدراك بالفهوم كان عدم إدراك كنهه ناشئًا عن قصورها. أللّٰهمَّ صلِّ على من ظهرت في مدحه المذكور مغايرة النتيجة لمنتجها وجريان السببيّة على أسلوبها. أللّٰهمَّ صلِّ على من أُشِيرَ في هذه العبارة المادحة له إلى أنه لا مبالغة في استغراق الفهوم. أللّٰهمَّ صلِّ على من نبّه في مدحه هذا على أن الواقع في

نفس الأمر والثابت في الخارج هو ذلك العموم. أللَّهمَّ صلِّ على من جاءت هذه العبارة في مدحه مُحكمه وعلى المعنى المراد مُطبقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يقدح في إفادتها لمدحه اختصاص لم يكن بالماضي، وكَوْن اللاحق حينئذ لاحقًا باعتبار مَنْ سَبَقه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مدحه بهذا من قبيل ما يقدر فيه العامل بعد الواو دفعًا للوهم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ معنى مدحه هذا أنّه لم يُدركه سابق ولا يُدركه لاحق، فاستقام في الفهم. أللَّهمَّ صلِّ على من أرشدت لهذا المعنى في حقِّه أيضًا قرينة التعميم في الفهوم. أللَّهمَّ صلِّ على من لما استلزم عموم الفهوم في مدحه نَفَى الماضي، فهو لنفي الآتي ملزوم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يعارض أحكام هذه العبارة في مدحه ما يتبادر من أن الأولى فلم يدركه سابق فضلاً عن لاحق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سَبب تبادر هذا في مدحه عدم اسْتوا معرفة الأنبياء وغيرهم على الوجهين السابقين والصحابة وغيرهم على الأخير اللاّحق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يحقِّق أحكام هذه العبارة المادحة له على الوجهين السابقين اختصاص معرفة تفاصيل ذات ودقائق أحواله على طريق الرؤية البصرية ذات ودقائق أحواله على طريق الرؤية البصرية بالمتأخر اللاحق. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا تنعكس الأُخرويّة في مدحه على هذا لما اختصّ به سابق المذكورين من تقادم العلم بروحانيّة وتطاول أمده عن اللاّحق. أللَّهمَّ صلِّ على من يحرز الأولويّة في مدحه على الوجوه كلّها التعبير بالسابق واللاحق.

فرياض الملكوت بزهر جماله مونّقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفّقة: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ به اسْتنار عالم الملك، وهو حضرة الأجسام التي هي مظهر الأفعال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ به أضاء عالم الملكوت، وهو حضرة الأرواح التي هي صفة الجمال والجلال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ به أشرق عالم الجبروت، وهو حضرة الأسرار التي هي مظهر الذات المنزّهة عنكل ما هو للمخلوقات كمال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ معنى هذا أنه مرآة تجلّي الذات والصّفات والأفعال. أللَّهمَّ صلِّ عى من لا يستغني عن وساطته ذو حظّ من الشهود في حالٍ من الأحوال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ به صارت القلوب بشهود الفعل منك متحقّقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ به صارت الأرواح بشهود الصّفات متحلّية ولشهود الذّات متشوّقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ به صارت الأسرار بشهود الذّات متنعّمة ولأوقاتها فيها مستغرقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ رياض الملكوت بزهر جماله مونّقة وحياض الجبروت بفَيْض أنواره متدفّقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فَهِم مِنْ هذا أن أرض الملك ببذر نواله متفتّقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شبَّه الملكوت المزهر به بالمتنزّهات ودلّ على ذلك باسم الرّياض. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شبَّه الجبروت المنير به بالبحر الذي على حافّتيه الرّياض ودلّ على ذلك بلفظ الحياض. أللَّهمَّ صلِّ على من

شبّه جماه بغروس الرّياض ودلّ على ذلك بإضافة الزّهر إليه. أللّهمّ صلِّ على من شبّهت أنواره بالماء السّاقي ودلّ باسم الفَيْض عليه.

وجهٌ آخر في تفسير العوالم: أللّهمّ صلِّ على مَنْ به اسْتنار عالم الملك وهو ما يُدرك بالحسّ والوهم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ به أضاء عالم الملكوت، وهو ما يُدْرَك بالعقل والفهم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ به أشرق عالم الجبروت، وهو ما يُدْرَك بالأول أو بالثاني في ثاني حال كما في الجنّة، فللطريقتين فيه حظّ وسهم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ سرَيان أنواره صارت مُدْركات الحسّ والوهم واضحة مُشْرِقة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ بمدده صارت العقول والأفهام في خزائن ذخائر المعاني من سِعتها منفقة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ به يصيرُ الحسّ وما معه والعقل وما معه لما كان محجوبًا عنها من غرائب المِدْرَكات مُحَقّقة.

وجه تخصيص الجبروت بالإستعارتين الأوّليْن والملكوت بالأخيرتَيْن: أللّهمّ صلِّ على من بتجلّي أسرار الذات فيه يحصل للعبد الفناء الأكبر. أللّهمّ صلِّ على مَنْ بتجلّيها فيه يفنى العبد عن نفسه وعن فنائه ويصير بما كان أعلم أجْهل، وبما كان أجْهل أخبر. أللّهمّ صلِّ على مَنْ بتجلّيها فيه يكمل شهود الصّفات الذي هو ملتقى البحرين ووَسَط المنبر. أللّهمّ صلِّ على مَنْ في تجلّي الصِّفات يلتقي السالك في ترقّيه والمجذوب في تدلّيه لكن الأوّل لك والثاني بك، فكماله أظهر. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لأجل ذلك التّكميل كانت حضرة الجبروت ساقية بنوره لحضرة الملكوت، وكان القرب فيها أكثر. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لأجل ذلك جُعِلت للجبروت المنير به الحياض وما يُناسبُها من الفَيْض والانصِباب. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لأجل ذلك جعلت للملكوت المزهر به الرّياض وما يُشاكلها من الزَّهر والإعجاب.

وجهٌ آخر في معنى السّقي من الجبروت: أللّهمّ صلِّ على من شبّه بالجبروت المنير به بالمشارب للأسرار. أللّهمّ صلِّ على مَنْ استعمل للجبروت المنير به من أجل ذلك الحياض وفيض الأنوار.

وجهٌ آخر في بيان ذلك على الشرح الثاني للعوالم: أللّهمّ صلِّ على مَن الاطّلاع على حقائق الأشياء والوقوف على كنهها إنّما يكون في حضرة الجبروت التي هي به مُشرقة. أللّهمّ صلِّ على من كمال السقي والرّي من نوره إنّما يكون فيها، فلذلك أثبتت لها الحياض التي هي بفيض أنواره متدفّقة.

ولا شيء إلاّ وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط: أللّهمّ صلِّ على مَنْ لا مَوْجود من الممكنات إلاّ وليه استناده. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لا شيء مِنَ العوالم إلاّ ومِنْ مدده استمداده. أللّهمّ صلِّ على مَنْ هو الواسطة في نعْمة الإيجاد، فلولا أصل وجوده ما وُجِدَ موجود. أللّهمّ صلِّ على مَنْ هو الواسطة

في نعمة الإمداد، فلولا ثبوت وجوده لتهدَّمت دعائم الوجود. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا عالم إلاّ ومِنْ علمه اقتباسه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا عارف إلاّ ومن بحر معرفته اغترافه والْتِماسه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا متخلّق بخلق ربّاني إلاّ وخلقه الكريم عُمْدَته وأساسه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ العالم مِنَ العرش إلى الثرى إليه محتاج وبوجوده مربوط. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا شيء مِنَ الأشياء إلاّ وهو به متعلّق ومَنُوط. أللَّهمَّ صلِّ على من بساط إحسانه لجميع الموجودات في جميع الأوقات مبسوط. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أظهر في موضع الإضمار مدحًا بمعنى التوسّط حيث قيل: إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط. أللَّهمَّ صلِّ على مِنَ الذهاب المرتّب على فَقْد توسّطه هو عدم الكون بالنسبة إلى نعمة الإيجاد. أللَّهمَّ صلِّ على من الذهاب المرتّب على فَقْد توسّطه هو الإضمحلال والتّلاشي بالنسبة إلى نعمة الإمداد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ دلَّ قولك: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *}[(312)] على أنّه الواسطة في كل نعمة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال لجبريل: هل نالك مِنْ هذه الرَّحمة شيء؟ فقال: نعم أمِنْتُ بالثناء عليّ بسببك النّقمة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه المرْسي جميع الأنبياء خُلقوا من الرَّحمة ونبيّنا هو عين الرَّحمة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ دلَّ جعله عين الرَّحمة على أنّ أنواعها وأفرادها مكتسبة منه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ دلَّ عموم العالمين على أنّ العالم من العرش إلى الفرش بوجوده مرحوم. أللَّهمَّ صلِّ على من الملَك الذي يملأ العالم ونصفه وثلثه والذي يقوم مقام جميع الملائكة من رحمته مسهوم. أللَّهمَّ صلِّ على من ناداه العرش في إسرائه بلسان حاله جعلني أعظم خلقه، فكان خوفي منه أعظم من خوف غيري. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له العرش كتب على قائمتي لا إله إلاّ الله، فازداد لهيبة اسمه خوفي وعِيلَ بري. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له العرش كتب على قائمتي محمّد رسول الله فسكنت، وكان اسمك لقاحًا لقلبي وطمأنينة لسرِّي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له العرش: أنت المرسل رحمةً للعالمين ولا بدّ لي من هذه الرحمة بنصيب يشفي الغليل. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له العرش نصيبي منك أن تشهد لي بالبراءة مما نُسِب إليّ من الاستقرار المستحيل. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أعرض عنه وجعل المراجعة في التخفيف عن أُمّته أهم شغله. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كثر المفروض على أُمّته أولاً ليبقى لهم ثواب جملته بعد إسقاط جلّه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جمعت لنا في الباقي ببركته أنواع عبادة الملائكة تشريفًا وتكريمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ هذه اللّطائف من نتائج كونه رؤوفًا رحيمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ الناس في مُشاهدة وساطته على أربع مقامات منحصرين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أوّلها موقفُ أهله شهود شريعته وهو لعامّة المؤمنين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ثانيها موقف أهله شهود ذاته، وهو للأولياء والصالحين. أللَّهمَّ صلِّ

على مَنْ ثالثها موقف أهله شهود روحه وهو للشهداء والصدِّيقين. أللَّهمَّ صلِّ على من رابعها موقف أهله شهود سرّه، وهو للأنبياء والمرسلين. أللَّهمَّ صلِّ على مَن مشاهد شريعته واقف مع شهود التّكليف. أللَّهمَّ صلِّ على من وجه كون شريعته مشهدًا أنها حجاب بين العبد وسخطك وبابٌ للتعريف. أللَّهمَّ صلِّ على من مشاهد ذاته واقف في مقام هيبة الجمال. أللَّهمَّ صلِّ على من لا سبيل لمشاهد ذاته إلى إدراك حقيقتها بالبصر ولا بالبصيرة في حالٍ من الأحوال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد ذاته الشريفة بَيْن إثبات ومحو. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا رامَ مشاهد ذاته حصر أوصافها تعذّر عليه فغاب، وإذا شاهد صورته البشريّة على الإجمال عاد إلى الصَّحو. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تخلقُ مشاهد ذاته بأخلاقه جبلة لا تكلف فيه. أللَّهمَّ صلِّ على من تخلّق مشاهد شريعته بأخلاقه لا يخلو عن تعمل حتى في ذكره بفيه. أللَّهمَّ صلِّ على من وجه كون ذاته مشهداً أنها حجاب بين العبد وما لا يطيقه من هيبة جنابك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لولا وساطة بشريته لم يستطع أحد تلقّي الأحكام من واسطة الملك، فأحْرى من عظيم خطابك. أللَّهمَّ صلِّ على من مشاهد روحه واقف في مقام هيبة الجلال. أللَّهمَّ صلِّ على من استوطن مشاهد روحه عالم الأمر تبعًا لمشهوده ولم يبق له في عالم الأغراض بحال. أللَّهمَّ صلِّ على من ليس لمشاهد روحه مع غيرك قرار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ليس لمشاهد روحه عمَّن سواك إخبار. أللَّهمَّ صلِّ على من تخلق مشاهد روحه بأخلاقه جبلة وله على مشاهد ذاته في التخلق زيادة. أللَّهمَّ صلِّ على من يخرج مشاهد روحه في تلقّياته عن العوائد؛ إذ لا حكم على الروح للعادة. أللَّهمَّ صلِّ على مَن لا اطّلاع لنا على مقام مشاهد سرّه ولا عِلْم لنا بحقيقة حاله الشريفة. أللَّهمَّ صلِّ على من لا مُناسبة بين الأنبياء والأولياء في الحظّ منه إلاّ في مطلق معنى الدّلالة والتعريف. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال أبو يزيد في الفرق بين حظّ الطائفتين منه حظّ النبيّ زقّ من عسل وحظّ الولي ما منه رشحْ. أللَّهمَّ صلِّ على من أسرار الأنبياء والأولياء كلّها مطوية في حشو بعض ما من مواهب سرّه ألْمَحْ. أللَّهمَّ صلِّ على من استبان من هذا أنه لا غنى لأحدٍ عن واسطته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قد لا يستحضر الفاني في التوحيد توسّطه، وإن كان حاصلاً لغلبة حالته. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا تجلّت شمس الأحدية في سرّ أحد استغرق نورها قمر محمّديّته. أللَّهمَّ صلِّ على من يغيب قمر محمّديته في نور شمس الأحديّة الأعلى. أللَّهمَّ صلِّ على من وجه غَيْبَة قمر محمّديته في شمس الأحدية القرب المشار إليه بآية: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *}[(313)]. أللَّهمَّ صلِّ على من يقرب للفهم غيبة نوره في شمس الأحدية غيبة نور القمر الحسّي عند تقارب المنازل في الشمس الحسّيّة. أللَّهمَّ صلِّ على من منزلة القرب المشار لها في الآية ثابتة له

ليلة الإسراء ذاتية وفيما بعدها روحية سرِّية. أللَّهمَّ صلِّ على من التقارب بينه وبينك على معنى ما يليق ببساط التَّوحيد ومقتضى اليقين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أشار لبقاء تلك المنزلة في الروح والسرّ بقوله: أبيت عند ربِّي يطعمني ويسقين.

صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله: أللَّهمَّ صلِّ على من إحسانه عام وإنعامه شامل؛ إذ لولاه لم يخلق آدم ولم توجد سماء ولا أرضًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أوجبت الصلاة والسلام عليه مكافأة لبعض إحسانه وافترضت ذلك على العباد فَرْضًا. أللَّهمَّ صلِّ عليه صلاة تليق بعظمتك وجلالك. أللَّهمَّ صلِّ عليه صلاة تُناسب عظيم فضلك ونوالك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يقدر أحدٌ منّا قدر ما تُعطيه. أللَّهمَّ صلِّ على من عطاؤك له على قدرك وقدره فلا تستطيع العقول تبدّيه. أللَّهمَّ صلِّ على من لما عبرنا عن مكافأته سألناك أن تكافئه عنا وتعطيه ما يُرضيه. أللَّهمَّ صلِّ عليه صلاة منك إليه بلا واسطة. أللَّهمَّ صلِّ على عليه صلاة لفضلك ممطرة ولأنعمك باسطة. أللَّهمَّ صلِّ عليه صلاة لا تصلّي مثلها على أحد؛ إذ ليس في خلقك مثله. أللَّهمَّ صلِّ عليه صلاة تدخل سائلها وقارئها وناظرها بمحض الفضل في دائرة أهل الصّلاح. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: مَنْ قال جزى الله عنّا محمّدًا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبًا ألف صباح.

فائدة عظيمة متضمّنة لفوائد جسيمة:

أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه الحضرمي أن الصلاة عليه وسلّم معراج وسلوك إليك إذا لم يلق الطالب شيخًا مرشدًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه تلميذه زروق أنّ الصلاة عليه ترفع همّة المتوجّه وإنْ كان في مقام التخليط؛ لأن ذكره كلّه نورٌ وهدى. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه ابن عباد أنّ للصلاة عليه تأثيرًا في تقوية اليقين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه السنوسيّ: مَنْ فقد شيوخ التربية فليُكْثر بالصلاة عليه، فإنه يصل بها إلى الفتح المبين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه المشرع اليمني: أنّ الصلاة عليه قرآن القرآن، وفرقان الفرقان. أللَّهمَّ صلِّ على من فسّر ما قيل فيه بأن ذكره يُورث تامّ الشهود وكامل العيان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال إنّ الصلاة عليه تفتح لصاحبها شهود الذّات في حقائق الصِّفات. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قيل: إن الصلاة عليه تفتح لصاحبها شهود حقائق الصّفات في معاني الذات. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شهود ذكره للذات لا يشغله عن شهود الصّفات. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شهود ذاكره للصفات لا يُشغله عن شهود الذَّات. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يجمع ذكره لذاكره بين ثمرتي ترقّي السالك وتدلّي المجذوب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تُثمر الصلاة عليه القوّة على الشهودين بكثرة تنويرها للقلوب. أللَّهمَّ صلِّ على مَن المصلّي عليه مطلوب مقبول مرضي

محبوب. أللَّهمَّ صلِّ على من قال ابن حجر العسقلاني: أنّ الصلاة عليه تفتح من كيمياء السعادة أبوابًا لا يفتحها غيرها. أللَّهمَّ صلِّ على من قال فيه أيضًا أنّ الصلاة عليه تنتج من مزايا الزيادة ما لا ينقطع عن المصلّي مَيْرُها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا أن الصلاة عليه تُوصل إلى كفاية المؤونة الدنيوية والأُخرويّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا أن الصلاة عليه تمنح اللَّحظات المحمّدية والتجلّيات الإسْتقاطية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه المشرع اليمني أنّ الصلاة عليه تُوصل طالب الفتح وتربّيه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا أنّ الصلاة عليه تهدي مزيد الوصول وترقّي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه الرصاع أن الرَّحمة تحيّة بالمصلّي عليه ومَنْ أحاطت به الرَّحمة كيف لا تُجاب له الدَّعوة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا إذا كان الدّعاء مقبولاً عند ذكر كثير من الصالحين، فكيف بذكر مَنْ هو لجميع العارفين قدوة؟

وجه ما قاله هؤلاء الشيوخ رضي الله عنهم ودلائله:

أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ الإكثار مِنَ الصلاة عليه بالإخلاص والأدب والتدبّر سبب لانطباع صورته في قلب المصلّي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ انطباع صورته في القلب مُوجب لصفائه بتوارد أنوار التجلّي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ صفاء القلب بذكره سبب لظهور الأشياء له على ما هي عليه من حُسن وقبح. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يصفو القلب بذكره، فتنجلي له مقامات اليقين انجلاء فلق الصبح. أللَّهمَّ صلِّ على من صفاء القلب بذكره ينفي عنه الاشتباه واللّبْس. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ صفاء القلب بذكره كاشفٌ له عن معاطب الطّريق ودسائس النّفس. أللَّهمَّ صلِّ على من صفاء القلب بذكره يبعث منه لصاحبه واعظًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يدعَ ذكره ملازمَه أن يكون لشر مستمعًا أو به لافظًا. أللَّهمَّ صلِّ على من صفاء القلب بذكره يضطر صاحبه للبحث عن دينه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ صفاء القلب بذكره يلجأ صاحبه للعمل بما علم من حينه. أللَّهمَّ صلِّ على من صفاء القلب بذكره مفتاح للعلم الذي لا ينال بمعتاد الطلب. أللَّهمَّ صلِّ على من صفاء القلب بذكره لجِلب لدُني العلم أقوى سبب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تَجُول روح ملازم ذكره في الملكوت وترجع لصاحبها بطرائف الحكمة. أللَّهمَّ صلِّ على من ترسم في سرّ ملازم ذكره دقائق الحقائق من غير أن يؤدّي إليه عالم علمه. أللَّهمَّ صلِّ على من يجد ملازم ذكره العلم عند الحاجة إليه. أللَّهمَّ صلِّ على من يواجه مرآة قلب ذاكره الحق فيتحقّقه ويعوّل عليه. أللَّهمَّ صلِّ على من لمثل هذا يتوجّه قوله: إستفتِ قلبك وإن أفتاك المفتون. أللَّهمَّ صلِّ على من أنعمت على ملازم ذكره إنعامًا غير محصور ولا ممْنُون. أللَّهمَّ صلِّ

على مَنِ انطباع صورته في القلب سبب لمجالسته ومشافهته. أللّهمّ صلِّ على مَنِ انطباع صورته في القلب مُنتج لمكالمته ومُحادثته. أللّهمّ صلِّ على مَنِ انطباع صورته في القلب مفتاح لمفاتحته ومواجهته. أللّهمّ صلِّ على من انطباع صورته في القلب مُوصِل لمطالعته ومشاهدته. أللّهمّ صلِّ على من قال فيه بعض الشيوخ لا يزال أحدنا يكثر الصلاة عليه حتى يصير يشاهده في اليقظة والنّوم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا لا يزال أحدنا يُكثر الصلاة حتى يصير يسأله عمّا يشكل عليه من أمر دينه في اللّيلة واليوم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ إذا تولّع القلب بذكره صارت حضرته العَلِيّة مأواه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ إذا تمكّن ذكره من قلبه ذاكره صارت دائرة جمعه مسكنه ومثواه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ هذا وجه الفرق بين الصلاة عليه وغيرها من أنواع العبادات. أللّهمّ صلِّ على مَنْ شاهد هذا قوله المرء مع من أحبّ ومَنْ أحبّ شيئًا أكثر من ذكره طبعًا وعادة. أللّهمّ صلِّ على من أوْمَأتْ لهذا المعنى في الصلاة عليه الآيات والأخبار. أللّهمّ صلِّ على من كلّ عن استيفاء مدحه الإنشاء وعجز عن استقصاء كمالاته الأخبار.

الدّليل الأول لما ذكره الشيوخ رضي الله عنهم قوله تعالى: { { (ص) } ! " £ $ % × ' ( ) 56 } {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[(314)].

أللّهمّ صلِّ على من شَرُفت الصلاة عليه على العبادات بفعلك. أللّهمّ صلِّ على من تولّيت الصلاة عليه بنفسك وخصصتها بذلك عنف رضك ونفلك. أللّهمّ صلِّ على من أمرت ملائكتك بالصلاة عليه، فبادروا لامتثال قولك. أللّهمّ صلِّ على مَنِ افترضت الصلاة والسلام عليه على المكلّفين، فأجاب أهل قبضة فضلك وأبى أهل قبضة عدلك. أللّهمّ صلِّ على من في هذا دليل على أنه أشرف الخلق عندك منزلة؛ إذ لم تفعل هذا لمخلوق سواه. أللّهمّ صلِّ على من في هذا تنبيه على تخصيصه بمنصب لا يُدانيه فيه مَنْ عداه. أللّهمّ صلِّ على من أوضحت الفرق بين تشريفه وتشريف آدم بكونك في تشريفه مع الملائكة. أللّهمّ صلِّ على من أوْمأت بتقدمك للصلاة عليه إلى أنّها من أخبرتنا باستمرار صلاتك وصلاة ملائكتك عليه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ أمرتنا بالصلاة عليه عقب ذلك لنفعل مثل ذلك في الإستمرار حتى تدم هدايانا إلَيْه. أللّهمّ صلِّ على من أمرتنا بالصلاة عليه أوّلاً أمرًا ضمنيًّا بالترغيب بفعلك وفعل ملائكتك لنشتاق لتعظيم من عظمته. أللّهمّ صلِّ على من أمرتنا بالصلاة عليه ثانيًا أمرًا صريحيًّا ليتحقّق التكليف مع ففعد مشقّته لحلاوة خدمة مَنْ أحْبَبْته. أللّهمّ صلِّ على مَنْ في الآية إشارة إلى أنّ الصلاة عليه أقرب ما يتقرّب به المتقرّبون إليك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ فيا تلويح إلى أنّ الصلاة عليه أعظم الشغل بك وأتمّ الإقبال عليك. أللّهمّ صلِّ

على مَنْ فيها إعلام بأنه لك حبيب ومعلوم أنّ ملازم ذكره له حبيب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ علم مِنْ هذا محبوبية المصلّي عليه عندك؛ لأن حبيب الحبيب حبيب.

الدليل الثاني: قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ *}[(315)].

أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ صرَّحت برفعة ذكره، فكان ذلك عن رفعة ذاكريه كناية. أللَّهمَّ صلِّ على من رفعت خدامه لأجله، فتكون لهم بالإنحياش إليه يوم الفزع الأكبر عناية. أللَّهمَّ صلِّ على من توفّق خدّامه للتوبة حتى لا تضرّهم الجناية.

الدليل الثالث: قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ}[(316)]، وقوله: { $ % 46 }[(317)]، قوله: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}[(318)].

أللَّهمَّ صلِّ على من قال فيه ابن فَرْحُون: كيف لا تحدث الصلاة عليه قلب المصلّي نورًا وقد سمّاه الله نورًا وسراجًا منيرًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا كيف لا تحدث الصلاة عليه في قلب المصلّي نورًا وقد أضاف الله لصدور أصحابه وأتباعه شرحًا وتنويرًا. أللَّهمَّ صلِّ على من تحفّظ المصلّي عليه عند هيجان الفتن. أللَّهمَّ صلِّ على من تُنير قلب المصلّي عليه عند اشْتداد ظلمة الباطل وضعف السُّنَن. أللَّهمَّ صلِّ على من يظفر ذاكره بمطلوبه مع فقد المساعد. أللَّهمَّ صلِّ على من يفوز ذاكره بمرغوبه مع عدم المعِين والمعاضد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا كان الوقت على الناس ليلاً كان على ذاكره نهارًا. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا جذبت القلوب كان غيث قلب ذاكره مدرارًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا أظلم الباطل البواطن واليت على قلب ذاكره من الحقّ أنوارًا. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا توقّفت الهِمم عندما فتح لها كان كوكب ذاكره سيّارًا. أللَّهمَّ صلِّ على من يقطع ملازم ذكره في يسير الزّمان ما لا يقطعه العباد في متطاول السنين. أللَّهمَّ صلِّ على من تطوى في نظر ذاكره مسافة الدنيا بما ينقدح له من نور اليقين. أللَّهمَّ صلِّ على من تؤيّد ذاكره بالتوفيق وتوجّه إليه منك النصر والعون. أللَّهمَّ صلِّ على من تفعل بذاكره ذلك فيرتحل عن الأكوان إليك ويرفض جملة الكون. أللَّهمَّ صلِّ على من الصلاة في مقامات الاشتباه منيرة وقّادة. أللَّهمَّ صلِّ على من أعمال البرّ لملتزم الصلاة عليه متيسّرة مُنقادة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا صارت الصلاة عليه شغل أحد حلَّت الهداية قلبه، أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا صارت الصلاة عليه شغل أحد حلَّت الهداية قلبه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا لازم شخص الصّلاة عليه نشط للعمل محبّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يحصل لكثرة الصلاة عليه فيما يُرضيك ولوع ورغبة. أللَّهمَّ صلِّ على من في الصلاة عليه للإيمان تقوية وتجديد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ الصلاة

عليه لمقام الإحسان توفية وتنفيذ. أللّهمّ صلّ على من مكثر الصلاة عليه مصحوب منك فيما تريد منه بالتأييد. أللّهمّ صلّ على من يحلو ذكره في قلب ذاكره فيتواجد شوقًا. أللّهمّ صلّ على من يتمكّن ذكره في قلب ذاكره، فيصير مغرب العارف شرقًا. أللّهمّ صلّ على مَنْ تتجلّى محاسنه في قلب المصلّي عليه فينجذب إليه عشقًا. أللّهمّ صلّ على مَنْ يملك حبّه من كثرة ذكره حبّه قلبه. أللّهمّ صلّ على من يصير هوى ذاكره عند ذلك تبعًا لما جاء به من ربّه. أللّهمّ صلّ على مَنْ يجود ذاكره عند ذلك بروحه ابتغاء رضاه وقربه. أللّهمّ صلّ على مَنِ الصلاة عليه مبغضة للمخالفة والابتداع. أللّهمّ صلّ على مَنِ الصّلاة عليه محبّبة للاقتداء والاتّباع. أللّهمّ صلّ على صرَّحت في آل عمران بأنك تولي متّبعه مقام المحْبوبية. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا اعتاد أحد ذكره كان له حظّ من المرادية والمطلوبية. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا سرمد أحد الصّلاة عليه كان له قسط من التحقّق بأوصاف العبوديّة. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا أبّد أحد الصلاة عليه صار له نصيب من الإمداد بأوصاف الربوبيّة. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا حضر المصلّي عليه قلبه عند الصلاة عليه غاب فيه. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا غاب المصلّي فيه بحضوره وجد النّعيم كلّه فيه. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا وجد النعيم فيه ترفّع على الأكوان بالعزّ والتّيه. أللّهمّ صلّ على مَنْ إذا ترفّع المصلّي عليه على الأكوان شاهد من خدمتها العجب العجاب. أللّهمّ صلّ على مَنْ تنفعل لذاكره الأكوان بدعائه؛ لأن دعاء ذاكره مُستجاب.

الدّليل الرابع: ما أوحاه الله إلى موسى عليه السلام.

أللّهمّ صلّ على مَنْ أوْحَيْتَ في شأنه إلى موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك، فأكثر الصلاة على محمّد. أللّهمّ صلّ على مَنْ أوحيت في شأنه إلى موسى: إن أردت أن أكون أقرب إليك من وسواس قلبك إلى قلبك، فأكثر الصلاة على محمّد. أللّهمّ صلّ على مَنْ أوحيت في شأنه إلى موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من روحك إلى بدنك، فأكثر الصّلاة على محمّد. أللّهمّ صلّ على مَنْ أوحيت في شأنه إلى موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من نور بصرك إلى عينيك، فأكثر الصّلاة على محمّد. أللّهمّ صلّ على مَنْ لما أنتجت الصلاة عليه هذا القرب العظيم منك علمنا أنها من كل عمل محمود أحمد.

الدّليل الخامس: حديث «مَن صلّى عليَّ واحدة صلّى الله عليه عشرًا».

أللّهمّ صلّ على مَنْ جاء ذات يوم ترى في وجهه البشري. أللّهمّ صلّ على مَنْ قال جاءني جبريل، فقال: من صلّى عليك واحدة صلّى الله عليه عشراً. أللّهمّ صلّ على مَنْ لم تشارك الصلاة عليه في هذه المنقبة عبادة أخرى. أللّهمّ صلّ على مَنْ لم يُساوي الصلاة عليه شيء في نَيْل هذه الدرجة الكبرى. أللّهمّ صلّ

على من قال ابن عطاء الله في شأن صلاتك على المصلّي عليه مَنْ صلّى الله عليه واحدة كفاه همّ الدنيا والآخرة، فكيف بمن صلّى عليه عشراً! أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا صلّيت على المصلّي عليه صلاة واحدة أغنيته. أللَّهمَّ صلِّ على من هذا كنزٌ عظيم ببركة ذكره لعبادك فتحته. أللَّهمَّ صلِّ على من واحدة من تلك العشر المقابلة للصلاة عليه ترجح بكل برّ يعمله العامل في عمره. أللَّهمَّ صلِّ على من عمل العامل في عمره إذا قُوبِل بذكره لا يفي من ثوابه بعُشْره. أللَّهمَّ صلِّ على من يطير قلب ذاكره فرحًا بهذا المعنى عند ذوقه. أللَّهمَّ صلِّ على من يثمر فهم هذا الاجتهاد في ذكره حتى لا يترك الموفق شيئًا مما في طَوْقه.

الدّليل السادس: ما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

أللَّهمَّ صلِّ على مَن عَظَّمت جاهه وأعْليت أمره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ وعدت ذاكره أن تجعله في الجنّة مع أكرم زمره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه عبد الله بن عمرو بن العاص: من صلّى عليه صلاة صلّى الله عليه وملائكته بها سبعين مرّة. أللَّهمَّ صلِّ على من عمر ذاكره وإن قلت أماده فقد كثرت أمداده. أللَّهمَّ صلِّ على من عمر ذاكره وإن نقضت آحاده، فقد زادت بالمضاعفة أعداده. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تبارك في عمر ذاكره حتى يدرك في يسير من الزّمن جلائل المنن. أللَّهمَّ صلِّ على من ترزق ذاكره من الفطنة واليقظة ما يحمله على تعمير أوقاته بخدمة القلب والدن. أللَّهمَّ صلِّ على من جعلت أوقات ذاكره كلّها ليلة القدر وكنت له نِعْم المعِين. أللَّهمَّ صلِّ على من زَكّيت كمية صلاة المصلّي عليه وكيفيّتها حيث قابلت كل ما يفعله منك ومن ملائكتك بالسّبعين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ الصلاة عليه من أزكى الأوراد. أللَّهمَّ صلِّ على من الصلاة عليه من أكمل أنواع الاستعداد. أللَّهمَّ صلِّ على منِ اتّسعت على المصلّي عليه من أجل ذلك الأمداد.

السابع والثامن من حديث أبي وحديث ذكره جبر.

أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تكفّل لمن جعل له ثواب صلاته عليه بكفاية همّه وغفران ذنبه كما في حديث أبي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال لكل شيء طهارة وغسيل وطهارة قلب المؤمنين من الصدأ الصلاة عليّ. أللَّهمَّ صلِّ على من تخرج الصلاة عليه من القلب جند الشيطان. أللَّهمَّ صلِّ على من لا تدع الصلاة عليه لإبليس على صاحبها من سلطان. أللَّهمَّ صلِّ على من تصير القلوب الخَرِبة بالإكثار من الصلاة عليه للخيرات أوطان. أللَّهمَّ صلِّ على من تَسُد الصلاة عليه على مفسد القلب مداخله. أللَّهمَّ صلِّ على من تطمس الصلاة عليه على مريد الإغواء طرقه ودلائله. أللَّهمَّ صلِّ على من تبطل الصلاة عليه على محاول

الإضلال عدّته ووسائله. أللّهمّ صلِّ على من تكفي ملازم الصلاة عليه شرّ كل ذي شرّ وغوائله. أللّهمّ صلِّ على من إذا أكثر أحد ذكره تعلّق به ورامَ قُرْبه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ إذا طلب أحد قربه ناداه لسان الصدق تطهّر فيُسرع إلى التوبة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ إذا تاب مُكْثر الصلاة عليه أتقن عمله واقْتَنى كَسْبه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ ترد الصلاة على قلب ذاكره وتُخرجه عن التقيّد بالعوائد. أللّهمّ صلِّ على من يُوصل ذكره ذاكره للعلم بك فيصير لقربك منه مُشاهد. أللّهمّ صلِّ على من يجعل ذكره مُنَى ذاكره وُجْدانه لك وفقده لسواك. أللّهمّ صلِّ على من يُوصل ذكره ذاكره إلى الأُنس بك والاستيحاش مما عَداك.

التاسع حديث ذكره أبو الصَّبْر أيوب بن عبد الله الفهري.

أللّهمّ صلِّ على مَن قال: إنّ الصلاة عليّ تنضر القلب وتنوّره وتطهّره من النّفاق كما يطهر الشيء بالماء فيخرج منه جند الظّلمة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ قال أنّ مَنْ صلّى عليّ سبع مرات أحبَّه الله، وأنّ مَنْ قال: أللّهمّ صلِّ على محمّد فقد فتح على نفسه سبعين بابًا من الرَّحمة. أللّهمّ صلِّ على من أفهمْتَ هذه الألفاظ أن الصلاة عليه تؤهِّل صاحبها لدخول حضرة قدسك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ أفادتْ أن الصلاة عليه تُوصل صاحبها للحلول في بساط أُنسك. أللّهمّ صلِّ على من أشارت إلى أنّ الصلاة عليه سلّم للوصول ومرقاة. أللّهمّ صلِّ على من دلّت على أن الرَّحمة على المصلّي عليه مصبوبة وملقاة. أللّهمّ صلِّ على من تطيب لذاكره عند سماع هذه المناقب الساعات والأوقات. أللّهمّ صلِّ على من تعظم إنعامك على ملازم ذكره بتحلية باطنه بالإستسلام لقهرك. أللّهمّ صلِّ على من تفتح لملازم ذكره ميادين الغيوب. أللّهمّ صلِّ على من يتجلّى لملازم ذكره من أسرار الملكوت والجبروت ما هو عن غيره محجوب.

العاشر تضمّنها لثواب أصول العبادات.

أللّهمّ صلِّ على مَنْ يشهد لما ذكرناه في الصلاة عليه أنها تتضمّن ثواب أُمّهات العبادات. أللّهمّ صلِّ على من صرَّح بأن الصلاة عليه تقوم في الأجر مقام المتعدّد من أكيد الطاعات. أللّهمّ صلِّ على من لا حصر لفضل الصلاة عليه ولا نفاذ. أللّهمّ صلِّ على من الصلاة عليه للجلب والدَّفع أقوى عِماد. أللّهمّ صلِّ على من يستنزل بالصلاة عليه منك العطف والوداد. أللّهمّ صلِّ على مَنْ قال إن الصلاة عليّ يعدل ثوابها الحجّ والجهاد. أللّهمّ صلِّ على من في الصلاة عليه لقلب المؤمن تسلية وفرجة. أللّهمّ صلِّ على من إذا تلَيْت مناقب الصلاة عليه على المسامع رجَّت قلوب الذّاكرين لسماعها رجّة. أللّهمّ صلِّ على من أوْجَبت إليه ما صلّى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزاة، كل غزاة بأربعمائة حجّة. أللّهمّ صلِّ على من يكثر

المؤمن من ذكره حتى يصير من أهل الشهود والإقتراب. أللَّهمَّ صلِّ على من قال مَنْ صلّى عليَّ من أُمّتي مخلصًا مِنْ قلبه كانت له عدل عشر رقاب. أللَّهمَّ صلِّ على من نتمنّى لأجل هذا يوم القيامة إن لم تقع لنا عن الإشتغال بذكره فلتة. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا رأى الغافل عن ذكره ما يحصل يوم القيامة لذاكريه علم أنّ حياته كانت موتة. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا كشف لشخص عن عظيم مجده لم يسكت عن ذكره سكتة. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا صار علم قَدْر الصلاة عليه حالاً لشخص استغرق فيها جمعته وسبْتَه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا استعملت أحدًا في الصلا عليه فبسمة السعادة وسَمْته. أللَّهمَّ صلِّ على من إذا استعملت أحدًا في خدمته علمنا أنك أحببته. أللصهمّ صلِّ على مَنْ إذا أشغلت أحدًا بذكره كنت له سمعه وبصره، ومَنْ رامه بسوءٍ قصمته. أللَّهمَّ صلِّ على من انبسط جاهه فوصل المصلّي عليه لهذا الخير العظيم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفع قدره فظفر المصلّي عليه بهذا الثواب الجسيم.

الحادي عشر: كلام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

أللَّهمَّ صلِّ على من قال فيه أبو بكر الصدّيق الصلاة على النبيّ محمد أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرّقاب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ دلّ كلام صاحبه هذا على أنّ الصلاة عليه تطهر صاحبها وترفعُ عن قلبه الحجاب. أللَّهمَّ صلِّ على المتخلّق بمعاني جميع أسمائك الحُسنى. أللَّهمَّ صلِّ على من تجلَّت فيه صفاتك العلية، ففاق الخُلق حُسنًا. أللَّهمَّ صلِّ على من أظهرت فيه سرّ جمالك وجلالك، فصار النظر إليه من جميع المطالب أسْنَى. أللَّهمَّ صلِّ على من سمّيته لذلك التخلّق بكثير من أسمائك. أللَّهمَّ صلِّ على الرؤوف الرَّحيم الحقّ الولي العظيم الشهيد الخبير العزيز في أرضك وسمائك. أللَّهمَّ صلِّ على الأوّل الآخر الظاهر الباطن العفوّ الجبار السميع البصير الحكيم الحليم السلام الشكور لآلائك. أللَّهمَّ صلِّ على العالم العليم الغني الكافي القوي القدّوس الماجد الهادي الواحد المجيب المحيي المؤمن المهيمن الوكيل الكريم القاسم لعطائك. أللَّهمَّ صلِّ على من قد سمّي لتجلّيك فيه سرّ الأسرار وكنز الأسرار ومعدن الأسرار ومهبط الأسرار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سمّي لذلك لوح الأسرار ومنبع العلوم وبحر الأنوار ومنبع الأنوار. أللَّهمَّ صلِّ على من سمّي السرّ الأنوه والسرّ الأنزه والسرّ الأكمل والسرّ الأبهى. أللَّهمَّ صلِّ على سمّي السر المحيط وسر العلم وحضرة الأسرار التي كل سرّ منها. أللَّهمَّ صلِّ على من سمّي جامع أسرار التوحيد ومرآة التجلّيات وأمين سرّ الأُلوهية. أللَّهمَّ صلِّ على من سمّي مبين أسرار الذات وسرّ الله الساري في العالم والعالم بأسرار اللاهوتية.

أللَّهمَّ إنه سرّك: أللَّهمَّ صلِّ على من الأسرار التي تجلّت في أنبيائك وأوليائك بعض أسراره؛ إذ منه اقتبسوا. أللَّهمَّ صلِّ على من تجلّى فيه من الأسرار ما انفرد به عنهم مع ما منه اغترفوا والتمسوا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تكاملت فيه التجلّيات واجتمعت فيه الأسرار. أللَّهمَّ صلِّ على من جَمعها أوّلاً في عالم الأرواح وثانيًا في عالم الأشباح وورّثَ ما ورَّث لأهل الخصوصية واستبدّ بما يناسب ما له من المقدار. أللَّهمَّ صلِّ على من اجتمع فيه من الكمال ما كان لمائة وأربعة وعشرين ألفًا من الأنبيا. أللَّهمَّ صلِّ على المخصوص بجميع ما افترق من الفضائل والفواضل في كُمَّل الأصفيا.

الجامع: أللَّهمَّ صَلِّ على مَنْ لما كان مجلي ومرآة ومظهرًا لأسرار ذاتك وأنوار صفاتك كملت دلالته عليك. أللَّهمَّ صلِّ على من عقدت له النبوّة قبل كل شيء ويوم أَلَسْت ببربّكم دعا الخلائق كلّهم إليك. أللَّهمَّ صلِّ على من دعاهم أخيرًا بعد خلق الأجساد. أللَّهمَّ صلِّ على الرّسول المطلق المخصوص بعموم دعاء العباد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ناب عنه الرُّسل في الدعوة، فكانوا كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته الأوْحديّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يكن داع من الابتداء إلى الإنتهاء على الحقيقة إلاّ حقيقته الأحمديّة.

الدّالّ عليك: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما مضى حكم سلطنة ذاتك الأزليّة ببسط مملكة أُلوهيّتك خلَقْتَه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما قضى حكم صفاتك العَليّة بنشر ألوية ربوبيتك أوجدته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما اقتضت حكمتك إظهار الخليقة وتسخيرها وإمضاء الأُمور وتدبيرها خلقْته. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لما اقتضت حكمتك حفظ مراتب الوجود ورفع مناصب الشهود ملَّكته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما أردت ذلك ولم تكن بين عزّة القدم وذلّة الحدوث مناسبة وسطته. أللَّهمَّ صلِّ على من خلعت عليه خلع جميع أسمائك وصفاتك. أللَّهمَّ صلِّ على من مكَّنته في الخلافة وألقيت إليه مقاليد الأُمور في تنفيذ تصرّفاتك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جعلت له حقيقة باطنة وصورة ظاهرة ليتمكَّن بهما من التصرّف في الملك والملكوت. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جعلته الخليفة الكبرى والواسطة العُظمى في العوالم كلّها حتّى عالم العزّة والجَبَروت. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لولا توسّطه في التلقّي عنك لتدكدكت المكوّنات كما تدكدك الجبل عند التجلّي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لولا التوصّل به إلى شهود جمالك وجلالك لتهدَّمت دعائم الوجود العلوي والسُّفلي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جعلته حجابًا للموجودات عن التلاشي والإضمحلال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أنجَيْتهم به من الفناء والإحتراق؛ إذ لا قدرة لهم في مقام الترقّي عن الإستقلال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ بهذا الإعتبار أُضيف اسمه الحجاب إليك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ظهر أنه لا مُنافاة بين كونه حجابك ومعرفًا بك ودالاً عليك.

وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لما جعلته الخليفة الكبرى وجعلت له نوّابًا ينوبون عنه في الحفظ والرّعاية. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لما جعلته الواسطة الكبرى جعلت له خلفاء يخلفونه في الإرشاد والهداية. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ جعلت نوّابه حُجُبًا لخلقك عن الهلاك وهو أعظمهم. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ جعلت خلفاءه قائمين بخدمتك وتعظيمك وهو أكبرهم وأفخمهم. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ استبان من هذا أنه سرّك الجامع الدالّ عليك. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنِ اتّضح مما سبق أنه حجابك الأعظم القائم لك بين يديك.

وجهٌ آخر في معنى الحِجاب: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ كان ولم يزل دالاً عليك بالحال والمقال. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ هُوَ للعقول عن النظر في أسرار الذّات والتفكّر فيها عقّال. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ زَجَرَها عن ذلك بقوله: تفكّروا في مخلوقاته ولا تتفكّروا في ذاته. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ كلّما رامت الأرواح الجمع التامّ في دار الفَرْق ردَّها، فسلمت من العطب ببركاته.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لما أرسلته رحمةً كان حجابًا للعباد عن العذاب. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ دعاهم إلى الإيمان والطاعة طوعًا وكرهًا حتى أنْجاهم وجعلهم من أهل الثّواب.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لما جعلته نبيّ الرّحمة كان حجابًا للخلق عن التدابر والتقاطع. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ ألَّف بين قلوبهم وحماهم من آفات التنافر والتدافع.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لما جعلته دالاً عليك وموصلاً إليك كان حجابًا للخليقة مِنْ نار الفرق والقطيعة. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ به توصَّل المؤمنون إلى معرفتك ومشاهدة أسرارك البديعة.

وجهٌ آخر: أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ لما جعلته نبيّ الحكم والحكمة حجب المؤمنين عمّا كان في الجاهلية من رديّ الأخلاق. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ حَجَب المؤمنين بشريعته عمّا يشبه قتل الجماعة بالواحد وقتل الأولاد خَشْية الإملاق.

أللّٰهمَّ ألْحِقْني بنَسَبِه: أللّٰهمَّ صلِّ على من يحقّ على كل مؤمن أن يسأل اللّحاق بكمال نسبه الديني ويطلب دوامه. أللّٰهمَّ صلِّ على مَنْ ظهر من هذين الوجهين معنى طلب اللّحاق بنسبه الدّيني مع حصوله، فتصوّرت استقامته وتمامه.

وجهٌ آخر: أللّهمَّ صلِّ على مَنْ يحقّ على كل مُنتسب إليه أن يطلب تحقّق نسبه الطِّيني وظهور نتائجه يوم القيامة. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ يحقّ على كل مُنتسب إليه ألاّ يركن للحاصل في الحال، بل يعتبر ختامه. أللّهمَّ صلِّ على من يحقّ على المنتسب له ألاّ يتّكل على ما وَرَد من الوعد لأهل نسبته، بل يوجّه لاتّباع سنّته تشميره واحتزامه. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يسكن لظاهر الوعد رَعْيًا لباطن العلم حتى أحّ في سؤال النصر ببدر. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ قال صاحبهُ مع شهادته له بالجنّة: يا ليت عمر لم تلده أُمّه خوفًا من المكْر. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ وجّه صاحبه المذكور ذلك بقوله: لعلّ حصول الموعود به مشروط بشرط لم نطّلع عليه. أللّهمَّ صلِّ على من شأن كبار المقتدين به في كلّ ما جاء فيه وعدًا لا يسكنوا إليه.

وجهٌ آخر: أللّهمَّ صلِّ على مَنْ الإنتفاع بنسبه الطّيني مشروط بثبوت نسبه الدِّيني. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ يتأكّد ويتقوّى نسبه الدّيني بحصول الطّيني. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يشقّ لمنحصل له كمال نسبه الدّيني مع الطيني غبار. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لاجتماع نسبيه مع كمال الديني قال الجيلاني: قدمي على رقبة كل معدود في زماني من المقرّبين والأبرار. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ يحقّ على المنتسب له لأجل ذلك طلب كمال الأوّل وتحقّق الثاني. أللّهمَّ صلِّ على من حمل طلب اللّحاق بنسبه على هذا أفيد من متقدّم المعاني. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ أظهر مِنْ هذا حمل طلب الشيخ اللّحاق بنسبه على خصوص الطيني. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ دلّ على هذا طلب التحقّق بحسبه، فإنّ معناه كما يأتي سؤال كمال النّسب الدِّيني.

فائدة:

أللّهمَّ صلِّ على من يجب على كلّ مسلم تعظيم أهل نسبه وقربه. أللّهمَّ صلِّ على من يحقّ على كل مؤمن به أن يحترمهم ويُوقّرهم؛ لأن ذلك من نتائج حبّه. أللّهمَّ صلِّ على من يحقّ علينا أن نذكر نفوسنا ما ورد في أهل بيته من الفضائل. أللّهمَّ صلِّ على من يحقّ علينا أن نذكر لأهل بيته ما جاء في حقّهم من التخويفات لئلاّ يتّكلوا ويهملوا الوسائل. أللّهمَّ صلِّ على من يحقّ على كل مُنتسب إليه أن يكون أعنى الناس باتّباع السنّة. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ يحقّ على كل مُنتسب إليه أن يُبالغ في شكرك بقلبه وجَوارحه على ما أسديت إليه من المِنَّة. أللّهمَّ صلِّ على من يحقّ على كلّ مُنتسب إليه مباعدة الكِبْر واجتنابه. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ يحقّ على كل مُنتسب إليه أن يلتزم التواضع ويستحضر أنه طريق مَنْ إليه انتسابه.

فائدة في ذكر نسب المؤلف رضي الله عنه:

أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حاز شرف الانتساب إليه الشيخ سيدنا ومولانا عبد السلام. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حاز الانتساب إليه أبوه سيّدنا مشيش بن أبي بكر وسيدنا أبو بكر بن علي وسيدنا علي بن حُرمة وسيدنا حرمة بن سلاّم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حاز الانتساب إليه سيدنا سلاّم بن مزْوار وسيدنا مِزْوار بن حيدرة وسيدنا حيدرة بن محمد الإمام. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حاز الانتساب إليه سيدنا محمد بن إدريس وسيّدنا إدريس بن إدريس الأكبر داعي أهل المغرب للإسلام. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حاز الانتساب إليه سيدنا إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثنّى وسيدنا الحسن بن سيّدنا الحسن السّبط وسيّدنا الحسن بن سيدنا علي وسيّدتنا فاطمة أُمّ أهل البيت الكرام.

وحقّقني بحسَبه: أللَّهمَّ صلِّ على من يحقّ على كل مؤمن أن يطلب التحقّق بحسبه، أي التخلّق بأخلاقه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ بالتخلّق بخلقه يحصل ارتفاع حجب القلب وانفتاح أغلاقه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ بالتخلّق بخلقه يظفر المقيد عن حضرة الخصوصية بإطلاقه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أيْأس بُلغاء العلماء من التوفية بالثناء على خلقه ثناء خلاقه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عَظِمت خلقه حيث لم تجعل له همّة في سواك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عظمت خلقه لأنه جاد بالكونَيْن، واكتفَى بك عمّا عداك. أللَّهمَّ صلِّ على من عظمتَ خلقه لوجدانه حلاوة المطالعة، فلم يؤثّر فيه من الخلق الجفاء. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عظمت خلقه؛ لأنه احتمل فيك البلا وما شكى، بل رحم وعفى. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عظمت خلقه حيث تخلّق بالقرآن. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْ أخلاقه الكرم والصفح والعفو والإحسان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اجتمع في خلقه السّخاء والألفة والنّصيحة والشفقة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ نَزَّهْتَهُ عن اللذصات والشهوات وجعلت بأخلاقك تخلّقه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مِنْ أخلاقه الحلم والتجاوز مع الإقتدار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عُرِف بترك مؤاخذة المسيء وبقبول الإعتذار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جذبه أعرابي بردائه وأغلظ عليه القول. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ضحك في وجهه وأوسع عليه العطا والطول. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما سبَّه أهل الطائف ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت قدماه بالدماء قابل إساءتهم بالإحسان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما استأذنه ملك الجبال أن يطبق عليهم الجبلين قال: لا، بَلْ أرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحّد الرحمن. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تقاضاه يهودي قبل أجله بوجه غليظ أمر عمر أن يزيده لترويعه على قضائه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان ذلك منه سببًا لإسلام اليهوديّ المذكور. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أخْرَجه بعظيم حلمه من الظلمات إلى النّور. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قابَل إساءة من كسروا رباعيّته وشجّوا وجهه يوم أُحد بالدعاء بالهداية. أللَّهمَّ

صلِّ على مَنْ كان يستغفر للمنافقين ويدعو لهم مع شدَّة الإذاية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عفى عن اليهوديّة التي سمّته والمنافق الذي سحره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عفى عن المشرك الذي تصدّى لقتله بعد أن اختطف سيفه من الشجرة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عفى عمّن قال في قسمته ما أُريدَ بها وجه الله وقال: قد أُوذي موسى بأكثر من هذا فصبر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له أعرابي عند القسم: اعدل يا محمّد، فعفى عنه بعد أن طلب قتله عمر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان لا تزيده شدّة الجهل عليه إلا حلمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان مع ذلك يحذر الناس ويحترس منهم حزمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قبل معذرة قيس بن الربيع بعد أن هجاه ووقع منه في إذايته السعي والخوض. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال عند اعتذاره مَنْ لم يقبل من متنصّل صادقًا كان أو كاذبًا لم يَرِد على الحوض. أللَّهمَّ صلِّ على سيّد المتواضعين. أللَّهمَّ صلِّ على المعروف بطلاقة الوجه والتبسم والبِشْر واللِّين. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يخدم مَنْ خَدَمَه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أنس كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له، فمهما صحبته في سفر أو حضر لأخدمه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان لا يلوم خادمه فيما منه صَدَر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أنس: كان أحسن الناس خلقًا ولا ولامني أحد من أهله إلاّ قال: دعوه إنّما كان هذا بكتاب وقَدَر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يصابر الجليس ويعود المريض ويفي بالوعد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يسلِّم على الصّبيان يبدأ مَنْ لقيه بالسلام ويكره القيام له الكره الشّديد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال لرجل أرعد بين يديه من الهيبة: إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يُرَ قطّ مادًّا رجليه بين أصحابه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يُباسطهم ويُلاينهم ويُؤنسهم في خطابه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان إذا جالسه أحد ظنّ أنه أكرم النّاس عليه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يعطي جليسه النّصيب منه حتى كان سمعه وحديثه وتوجّهه كلّه إليه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان له عبيد وإماء وكان لا يرتفع عنهم في مأكلٍ ولا مشرب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يمسح وجه فرسه بكفّه وكُمّه ويميل إلى الهرة الإناء حتى تشرب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يحمل الصبيان بين يديه وخلفه ويركب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان في بيته بشرًا من البشر يخيط ثوبه ويحلب شاته ويخصف نعله. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يتأخّر عن أضيافه في أكل الطّعام ويحب ثقله. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أَمَرَ أبا هريرة بالركوب معه فوثب، فلم يستطع فتغلق به فوقعا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ركب وأمره بالركوب ثانيًا فتعلّق به فنزلا معًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ركب وأذن له في الركوب معه ثالثًا فاستحيي وسار على رجليه ممتنعًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يُؤاكل المساكين والأرقّاء ويجالس الفقراء. أللَّهمَّ

صلِّ على مَنْ كان يَدْعو النّاس إليك دعاء واحدًا سواء عنده الضعفاء والأُمراء. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يحمل بضاعته من السوق ويأكل مع الخادم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يقبل الهدية، ولوْ جرعة لبن ويجيب الدعوة ولو إلى أقلّ ويحضر الولائم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كمُل علمه كمُل فيما سواك زهده. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ ارتفعت عن الأكوان همّته وانفرد لك توجّه وقَصْده. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يلتفت فيما قلّ أو جلّ لغيرك قلبه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ انقطع بالكلية إليك واستمرّ هذا دأبه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ نَزَل عليه إسرافيل بمفاتيح خزائن الأرض عليه أن تسير معه جبال تُهامة ذهبًا وفضّة وزمرّدًا وياقوتًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أعرض عن جميع ذلك وقال: أللَّهمَّ اجعل رزق آل محمّد قوتًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حجّ على رَحلٍ رَثٍّ وعليه قطيفة لا تُساوي أربعةُ دراهم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أهدى في ذلك الحجّ مائة من البُدن السليمة الكرائم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ زهد في كلّ مقام، فحاز أعلى مقام. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق بالعبوديّة على الكمال وحاز الزّهد على التّمام. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان أكمل العلماء بك عِلْمًا كان أشدّ الخائفين لك خوفًا علانية وخِفْية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال إنّي لأعلمكم بالله وأشدّ له خَشْية. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان لكلّ قريب أقرب كان من كل وَجَل أوْجل. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يصلّي ولصدره من البكاء أزيز كأزيز المرجل. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ لما اتّسعت معرفته كان أتمّ أهل الخصوصية إجلالاً لك وتكبيرًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما نظر سيّدنا أبو بكر يوم العريش لظاهر الوَعْد نظر هو لباطن العلم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لم يكن خوفه مع وله وقلق، بلْ مع طمأنينة وحلم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه سيّدنا علي: كان أجود الناس كفًّا وأكثرهم عطاء. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أيضًا مَنْ سأله حاجة لم يردّه إلاّ بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحقّ سواء. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يرضى بالدُّون من العيش ويعطي العطاء الخارج عن الحصر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أعطى رجلاً غنمًا بين جبَلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا، إن محمّدًا يعطي عطاءَ مَنْ لا يخاف الفَقْر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه أنس: لم يكن سبّابًا ولا فحّاشًا ولا لعّانًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال يوم حُنين: لو كان لي عدد هذه العضّات غنمًا لقسمته بينكم ثمّ لا تجدوني بخيلاً ولا كذّابًا ولا جبانًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه جابر: ما سُئِل شيئًا قطّ فقال لا، ولا سُئِل قطّ فمنعه إلاّ أن يكون مأثمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان إذا جاءه مال عجَّل قسمته ولم يبيت بل لم يقبل في بيته دينارًا ولا درهمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أتته خمسة دنانير عشاء فسهر حتّى أخرجها آخر الليل

ونام بعده. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال عند ذلك: ما ظنّ محمّد بربِّه لو لقي الله عزّ وجلّ وهذه عنده. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يعطي عطاء يعجز عنه عظماء الملوك ويعيش في نفسه عيشة الفقراء. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ فرّق السَّبْي ودلّ فاطمة على الذِّكر بعد أن شكَتْ إليه الرّحا، فاختار لها حال القانتين الكُبَرَا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أعطى لِمَنْ أهدى له رطبًا وقثاءً من الذهب والحلى مِلْءِ الكفّ. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قوّم ما أعطاه لهوازن يوم حُنين، فكان خمسمائة ألف ألف. أللَّهمَّ صلِّ على من عمّ جُوده وفضله العالم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: أنا أجود بني آدم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال له رجل من الأنصار: أنفق ولا تخشَ مِنْ ذي العرش إقلالاً، فتهلّل وجهه وتبسّم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جاءته مائة ألف من البحرين فقال: انْثروه في المسجد، ثمّ جلس يفرّقه فما قام وثمّ منه درهم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عمّ عدله البلاد الطُّول والعرض. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: إنّي لأمين في السماء أمينٌ في الأرض. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يُدْعى الأمين قبل النبوّة لتقرّر صدقه عند الخاصّ والعامّ. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شهد له بالصّدق أعداؤه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شهد له بالصّدق أعداؤه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ ناشدون الرَّحِم أن يسكت مخافة أن يهلكهم دُعاؤه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه رأس الأعداء عتبة بن ربيعة: قد عَلِمتم أنّ محمّدًا إذا قال شيئًا لا يكذب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه عتيبة بن أبي لهب لما مضغه الأسد بدعوته: ألم أقل لكم إنّ محمّدًا أصدق أهل المشرق والمغرب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه عتيبة أيضًا ما أظلّت السماء من ذي لهجة أصدق من محمّد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال فيه هرقل: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله فنطق بالحُكمة، وإن لم يسدد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان أشدّ حياءً من العذراء في الخدر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان لا يشاقّه أحدًا بما يكره استبقاءً للسّتر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان لا يثبت بصره في وجه أحد من شدَّة حيائه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يكني عما يضطره له الكلام بما يكره التصريح بأسمائه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ هو بالمؤمنين رؤوف رحيم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان حريصًا على إنقاذ الأُمّة من العذاب الأليم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان إذا خُيِّر بين أمرَيْن اختار أيْسَرهما ما لم يكن إثمًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يأمر بالسَّتْر والدعاء لا مَحْدُود بالمغفرة والرَّحمة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ إذا قال النّاس يوم الفزع الأكبر: نفسي نفسي، قال هو: أُمّتي أُمّتي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قال: إني لأدخل في الصلاة وأُريد أن أُطيلها فأسمع بكاء الصبيّ تصلّي أُمّه فأوجزُها من رحمتي. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ قرأ آية فمن تبعني فإنّه منّي، وآية إن تعذّبهم فإنهم عبادك، فرفع يديه وقال: أللَّهمَّ أُمّتي أُمّتي وبكى. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ

قلتَ لأجله: يا جبريل إهبط إلى محمّد فاسأله ما يُبكيك، فهبط فأخبره بالواقعة وحكى. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ قلتَ لأجله: يا جبريل إذهب لى محمّد فقل له: إنا سنرضيك في أُمّتك ولا نسوءك. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ عَظُمَ من بركته على أُمّته فضلك وإحسانك وجودك. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كان أحسن الناس عهدًا. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كان أوْصلهم للرّحم وأصدقهم وعدًا. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ كان يُحسن إلى أصدقاء خديجة بعد موته، ويقول: إن حسن العهد من الإيمان. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ قام يخدم وفد النجاشي بنفسه مكافأة على ما فعلوا مع أصحابه من الإحسان. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يعرف قَدْر أخلاقه ولا يحيط بها سواك. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ تخلّق بأخلاقه عَبْدُك عبد السلام ونال أوفر حظّ من طريق هُداك. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ أدرك ولده المذكور الجذب، وهو ابن سبع سنين. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ أعرض ولده المذكور عن الدُّنيا وجدّ في لحاق كُمّل المتّقين. أللّهمَّ صلِّ على من تخلّى ولده عن المألوفات وصارت الحظوظ عنده حقوق بما صاحبها من النّية التي تقلب الأعيان. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انقطه ولده للعبادة في مغارة خارجة عن العمران. أللّهمَّ صلِّ على من دخل على ولده في مغارتهب عد مدّة رجل عليه سيما أهل العرفان. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ قال الرجل لولده: أنا شيخك الذي كنت أمدك من وقت الجذب إلى الآن. أللّهمَّ صلِّ على من وصف الرجل لولده ما وصل له على يديه من المنازلات والواردات والعيان. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ فصّل الرجل لولده ذلك مقامًا مقامًا وحالاً حالاً وعيّن لكلٍّ ظرفه من الزّمان. أللّهمَّ صلِّ على من أمدَّ ولدَه عبد السلام ولده الملقّب الزيات والعطّار المسمّى عبد الرحمن. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ سُئِل ولده عبد السلام بعد ذلك: هل كان يأتيك أو تأتيه؟ فقال: كلٌّ قد كان. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ قيل لولده عبد السلام: هل كان الإتيان طيًّا أو سفرًا؟ فقال: طيًّا لمسافة المكان. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ أخذ شيخ ولده على القطب تُقي الدين الفقير بتصغير الاسم والمسمّى عظيم الشأن. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انتسب ولده بواسطة الشيخين المذكورَيْن إلى القطب فخر الدين. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انْتسب ولده بثلاثة وسائط إلى القطب نور الدين. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انتسب ولده بأربعة وسائط إلى القطب تاج الدِّين. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انتسب ولده بخمسة وسائط إلى القطب شمس الدِّين. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انتسب ولده بستّ وسائط إلى القطب زين الدين. أللّهمَّ صلِّ على مَنْ انتسب ولده بسبع وسائط إلى القطب إبراهيم البصري، وهو إلى القطب أبي القاسم المرْواني. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انتسب ولدهُ بتسع وسائط إلى القطب محمد سعيد، وهو إلى القطب محمد فتح السّعود، وهو إلى القطب سعيد الغزواني. أللّهمَّ صلِّ على مَنِ انتسب ولده بثلاث عشرة واسطة إلى

القطب أبي محمد جابر، وهو إلى سيدنا الحسن أوّل الأقطاب الوارثين للسرّ الرباني. أللّهمّ صلِّ على مَنْ ولده المذكور مِنْ كبار الأولياء العارفين. أللّهمّ صلِّ على مَنْ ولده المذكور من صدور أهل الإجتباء المقرّبين. أللّهمّ صلِّ على مَنْ كان ولده المذكور قطب الدائرة وعليه مدارها. أللّهمّ صلِّ على مَنْ كان ولده المذكور رئيس الطريقة، ومنه استمدادها. أللّهمّ صلِّ على مَنْ توفيّ ولده المذكور سنة اثنين وعشرين وستّمائة قتيلاً. أللّهمّ صلِّ على مَنْ أهْلكتَ قتلة ولده في الحين، فلم يجدوا للنّجاة سبيلاً.

وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل: أللّهمّ صلِّ على مَنْ لما كان هو المرآة الكُبْرى والواسطة العُظْمى كان حصول معرفته على حسب المعرفة به. أللّهمّ صلِّ على مَنْ أقرب الطُّرق لحضرتك التوغّل في معرفته؛ لأنك جعلت الدخول إليك من بابه والتوصّل إليك بسببه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ معرفة صفاته بالبحث عن سَيْره وإخباره تثمر محبّته التي هي روح الإيمان. أللّهمّ صلِّ على مَنْ معرفة مَعْناه وملكوتيّته تُرقي العبد لمقام الإحسان. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لا سيل لمعرفته الثانية بالكَسْب، وإنّما تنال بمَحْض فضلك وعطائك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ ليس للعبد في هذا النّوع من معرفته اختيار إلاّ من جهة طلبك ودُعائك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ يتأكّد على المؤمن أن يهتمّ بسؤال معرفته الكاملة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ يحقّ على طالب معرفته أن يُبالغ في التضرّع إليك والتذلّل بين يديك وصدق التوجّه إليك لتستجيب له. أللّهمّ صلِّ على مَنْ محبّتك للعبد على قدر محبّة العبد فيه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ محبة العبد فيه على قَدْر معرفته بحُسْنه المنزّه عن المثيل وإحسانه المرفّع عن المقارَب والشّبيه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لأجل هذا طلب الشيخ معرفته الخاصّة ليسلم بها من موارد الجهل. أللّهمّ صلِّ على مَنْ إذا تخلّى العبد عن رذيلة الجهل به تحلّى بفضيل المعرفة وفاز بالوصل. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لهذه النكتة أخّر الشيخ من صَفَتَيْ معرفته قوله: وأكرع بها من موارد الفضل. أللّهمّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ السّلامة من نوعي الجهل به المركب والبسيط. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لا ينافي هذا قوله: لا يعْلمني حقيقة غَيْرُ ربّي، فنفى عن غيرك العلم المحيط. أللّهمّ صلِّ على من تُصوّر المنافاة بأنّ البسيط هو عدم العلم به، ولا يخلو مخلوق من ثبوت مفهومه له في الجملة. أللّهمّ صلِّ على مَنِ الاستغراق لفي موارد الجهل المتضمّنُ كمال العلم به إنّما هو بحسب ما يليق بالعبد وما هو أهلٌ له. أللّهمّ صلِّ على من قرينةُ هذا الحمل إدخال من التبعيضية على موارد الفضل المفيد أنّه لم يسأل العلم كلّه. أللّهمّ صلِّ على من التبعيض في العلم به بحسب ما في الموارد، فلا يُنافي العموم الذي تقتضيه الإضافة للجنس. أللّهمّ صلِّ على مَنِ اتضى هذا التبعيض في العلم به التعبير بمن مع الكَرْع الذي

هو الشّرب بالفم بلا واسطة يد ولا آنية في الحسّ. أللَّهمَّ صلِّ على من شبّه الجهل به بالماء الضارّ، ودلّ على ذلك بإثبات الموارد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ دلَّ لفظ الموارد الثاني على تشبيه العلم به بالماء النّافع للوارد. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عُبِّرَ عن العلم به بالفضل لتمجّضه في الوهبي. أللَّهمَّ صلِّ على من فضلك أصل لِمَا تعلّق به من العلم الكَسْبِيّ.

وجهٌ آخر في المشبَّه: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كانت معرفته سببفا لمعرفتك طلبت السلامة بها من الجهل بجلالك وجمالك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لذلك طُلِب التوصّل بمعرفته إلى الكرع من بحر العلم بعظيم كمَالك.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ من المعرفة به ما يَسْلم به من الجهل بعليِّ قدرك وقدره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ من المعرفة به ما يحصل معه الكرع من العلم بك وبه، وهذا الوجه أفيد من غيره.

واحملني على سبيله إلى حضرتك حَمْلاً محفوفًا بنصرتك: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ النّاس في القرب منك بواسطته على ثلاث مراتب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سبب اختلاف أهل القرب منك اختلاف ما لهم في حضرة شهودك من الأذواق والمشارب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مُشاهِدُ شريعته يشاهد ما في التّكليف من تحمّل الأثقال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد شريعته يَشْهد ما مِنْهُ إليك من أعمالٍ وأحوال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد شريعته وإن كان ذا حظٍّ من القرب، فقد أثبتَ نفسه ونسب لها ما أجْرَيْتَ عليه من أفعالٍ وأقوال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يُلازمُ مشاهد شريعته الكَمَدُ والحُزْنُ لتحمّله ما فرّت من حمله السموات والأرض والجبال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد شريعته حامِل في طريق سيره فتطول عليه المسافات ويَبْعُد في حقِّه الوصال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد ذاته يرى ضعف نفسه ويستعين بك فتمدّه بالعَوْن والنّصرة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد ذاته يشهد ما منك إليه من الفضل والإحسان، فيُلازمه الفرح والمسرّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد ذاته محمولٌ في محفّات المِنن مُروَّحٌ عليه بنفحات اللّطف، فيَسْتَحْلي إليك سَيْره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تصير خدمة مشاهد ذاته جِبلّة يَسْتَلِذّ رضاه بها ولا يتكلّف صبره. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد ذاته أكمل من مشاهد شريعته، ولكن بقيت فيه بقيّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد ذاته مثبت لنفسه حيث رأى الهداية منك إليها هديّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد روحه هو الذي تكامَلَ فناؤه، فهو فيك وبك وإليك ذاهب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مشاهد روحه يشهد ما منك إليك قد حفَّتْ به نصرتك وحياطتك من كلّ جانب. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ للاحتراس عن المقام الأوّل طلب الشيخ أن يكون محمُولاً على سبيله إلى حضرتك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ للإحتراز عن المقام الثاني سأل أن يكون حمله على سبيله

إليك محفوفًا بنصرتك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مَعْنى الاسْتِعْلاء على سبيله أن يكون مُتَمَكِّنًا منه قويًّا على سلوكه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ هذا في الحقيقة معنى الحمل على سبيله، وذلك بأن يكون مجذوبًا حال سلوكه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شبّه سبيله بالبُراق في التوصيل إلى حضرتك العَلِيَّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ جُعِلَتْ قرينة ذلك الحمل المشْعِرُ بأن التمكّن من سبيله هو الاجتذاب والخصوصيّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ عمّم الشيخ في النّصرة الحافَّةِ بالحمل على سبيله ولم يخصّها بالنفس؛ لأنه شأن أهل البدايات. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ النّصرة في الحمل على سبيله على كل شيء حتّى تنفعل له الأشياء كما هو شأن أهل النّهايات. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تندرج في النّصرة الحافَّة بالحمل على سبيله النصرة بالشيخ للمريدين والإخوان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ كامل النصرة في الحمل على سبيله حتى يكون رحيله إليك لا إلى شيء من الأكوان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ كامل النصرة في الحمل على سبيله حتى يكون من أهل الخلافة الدَّالين عليك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ كامل النّصرة في الحمل على سبيله حتى تكمل مرتبة الإمامة والإرشاد إليك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ كامل النّصرة في الحمل على سبيله حتى يتبدّل فَقْرُ غَيْره به غنًى ويصير سبَبَ الغنى لأوليائك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ كامل النصرة في الحمل على سبيله حتى يتبدّل خوفُ غيره به أمْنًا ويصير برزخًا بينهم وبين أعدائك.

واقذف بي على الباطل فأدمغه: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يسكّن مشاهد روحه إلى شيء من المقامات والأنوار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يلتفت مشاهد روحه في لحظة من لحظاته إلى شيءٍ من الأغيار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لا يرضى مشاهد روحه بشيءٍ دونك ولهذا استعاذ الشيخ فيما حُكِيَ عنه من بَرْد الرّضا والتّسليم. أللَّهمَّ صلِّ على مَن تعرف في وجوه المشاهدين لروحه نَضْرة النّعيم وأثر الريّ من رحيق حضرته الممزوج بالتّسنيم. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان إليك المنتهى أعرض مشاهد روحه عمّا سواك وعدَّهُ باطلاً. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لما كان قربك هو المقصد الذي المقاصد وسائله قصر مشاهد روحه نظرَهُ عليه وتيقَّنَ غَيْره زائلاً. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه فطلبَ دوام غَلبته للأكوان وغيبته عنها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فيسأل استمرار دفعك به على الأغيار ونجاته منها.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فشبَّه نفسه بالحقّ الذي هو للباطل مُهْلك قامع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن يكون القذف به على الباطل من جهة العلوّ ليصير له أقوى دافع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن يكون القذف به

على الباطل من جهة العلوّ ليصير له أقوى دافع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن يكون الدّفع لتطهير بواطن المنتسبين إليه من القواطع والموانع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه فسألك أن تتولّى القذف به حتى يكون مدفوعًا، وذلك نتيجة فنائه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه حتى صار ذلك ظاهرًا من كلامه ودعائه.

وزُجَّ بي في بحار الأحديّة: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه وترقّى عن مقام شهود أهل شريعته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه وترقّى عن مقام أهل شهود جمال صورته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه وترقّى في التوحيد عن الفانين في وحدانيّة الأفعال، ثمّ عن الفانين في وحدانية الصّفات الذين لم يتكامل لهم الفناء والعرفان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه وصار من أهل كمال المشاهدة وصريح العيان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تزُجّ به في بحار الأحديّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن ترقى به في بحار التّوحيد الخاص حتى لا يشهد كونه موحّدًا ولا فناه عن ذلك غيبة في الذّات الصّمديّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تضمحلّ ذاته باعتبار نظره في ذاتك حتى لا يبقى له بذاته شعور. أللَّهمَّ صلِّ على من تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تضمحلّ صفاته باعتبار نظره في صفاتك حتى لا يُوجدُ منه في صفاته حضور. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فأنتجت محبّته فيك طلب قصر نظره عليك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فأنتجت محبّته فيك سؤال أن يكون توجّهه كلّه إليك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فصار حاله في طلب معرفتك حال المتعطّش اللّهفان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فلم يكْفِهِ إلاّ الدخول في بحار الأحديّة بين لُجج العرفان. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حلَّت للشيخ مشاهدة روحه، فلم يلتفت إلى أن خائض البحر قد يترتّب على خوضه له تلفه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أنتجت للشيخ حلاوة مشاهدة روحه محبّتك، فسأل خوض البحر لأن مَنْ كان فيك تلفه كان عليك خلفه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ شبَّه الشيخ علوم الأحديّة المتوصّل إليها بواسطته بالماء المرويّ الذي لا حدّ له ودلّ بذكر البحار على الاستعارة التي كنى عنها. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل الأحدية التي هي مبالغة في الوحدة، ولا تتحقّق إلاّ إذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن تكون أشدّ ولا أكمل منها.

وانْشلني من أوحال التَّوحيد: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فلم يخرج في سؤال خوض بحر الأحديّة عن حدِّ الأدب. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فاحترز في دعائه عمّا قد يعرض لخائض البحر من الهلاك والعطب. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فتنبّه إلى أنّ كثيرًا من خوض هذه البحار قد أُخِذُوا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فاستحضر أنّ مِنَ الخائضين مَنْ لَبِس عليهم، فادّعوا الحلول والاتّحاد فأُبْعِدُوا وطُرِدوا. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعرف أنّ مِنَ الخائضين مَنْ غلبت عليه الحقيقة غلبة أوجبت له الجبر. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعرف أنّ مِنَ الخائضين مَنْ لبس عليه، فقال بنفي الحكمة والأحكام فلحقه السكر. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعلم ألاّ عاصم عند ركوبه البحر إلاّ من رحمته، فدعا دعاء الموفّقين. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه فاحتَرَزَ في طلبه مِنْ حال مَنْ حال بينه وبين السنّة المحمّدية المَوْجُ، فصار من المغرقين. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تنشله من أوحال التَّوحيد. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تحرسه ممّا عُرِض من الاعتقادات الرَّدِّية لمن لم يصحبه التوفيق.

وأغرقني في عين بحر الوحدة: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعرف أنّ صاحب هذا الفناء، وإنْ كان كاملاً، فليس بأكمل. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فاستحضر أن المتّصف بهذا الوصف، وإنْ كان جميلاً فهو غير أجمل. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعلم أن صاحب هذا الفناء غريقٌ في شهود أسرار الذَّات. أللّهمّ صلِّ على من تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعَلِم أنّ صاحب هذا الفناء لم يقف بساحل الآثار الذي هو موقف النّجاة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ نزّهه وخلفاءَه مِنَ الأنبياء أبو يزيد عن هذ النّقص بقوله: خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله. أللّهمّ صلِّ على مَنْ نبّه أبو يزيد على كماله وكمال الأنبياء بأنّ خوض البحر من الجهل بهوله والوقوف بساحله من المعرفة بما في داخله. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعلم أنّ مَنْ غلب سكره على صحوه، وجمعه على فرقه، وإن كمل لا يكمل غيره. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فعلم أنّ مَنْ غلب فناؤه على بقائه وغيبته على حضوره ربّما أوجبت خلطتهُ التّلف والحيرة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فطلب أن يكون فناؤه وسيلة لبقائه لا حدًّا وغاية ومقصودًا. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فطلب أن يكون الفرق على ظاهره موجودًا والجمع في باطنه مشهودًا. أللّهمّ

صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تُخرجه لساحل السلامة وتُغرقه في عين بحر الوحدة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل الإغراق في العين؛ لأنه يحصل معه الريّ ولا يخشى على صاحبه ما يُوجب فقده. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل الإغراق في العَيْن التي هي لبحر الوحدة منشأ ومدد. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل الإغراق في العَيْن لسلامتها من الأوحال، فلا عطب فيها لأحد. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تكون عين بحر الوحدة وطَنه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تجعل حضرة الجمع عليه معشّش قلبه ومسكنه. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تجعل حضرة قربك وكره الذي يأوي إليه في نهار العافية بالحمد والشكر وشهود المنّة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تجعل حضرة قربك وكره الذي يأوي إليه في ليلة البليّة باللّجا والإستسلام والرّضا الذي هو للعارفين جنّة.

حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد: ولا أحسّ إلاّ بها: أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل الاستهلاك في محبّتك حتى يشهد قلبه سواك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأله ألاّ يكون له من حيث نفسه بصر ولا سمع ولا يد ولا قدم؛ لأنها من جملة ما عَداك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل أن تكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبْصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلا يرى إلاّ إياك. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فسأل الغيبة في عين بحر الوحدة لينحصر شهوده فيك ويكمل انقطاعه إليك بسببها. أللّهمّ صلِّ على مَنْ تحقّق الشيخ بمشاهدة روحه، فقال: وأغرقني في عبن بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلاّ بها.

واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي: أللّهمّ صلِّ على مَنْ أراده الشيخ بالحجاب الأعظم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ حلَّى الشيخ اسمه بألْ المعهود بها ما تقدَّم. أللّهمّ صلِّ على مَنْ لما حجب الأرواح عمّا فيه هلاكها ممّاتقدَّم كان حياتها . أللّهمّ صلِّ على مَنْ لم يحجب أرواح طوائف فابْتَدَعَتْ وخاضَتْ فيما جلب وبالها ومماتها. أللّهمّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ لذلك دوام كونه حياة روحه حتى تبقى بمعرفتك متنعّمة. أللّهمّ صلِّ على مَنْ عبَّر الشيخ هنا بخصوص اسمه الحجاب لمناسبة كونه حياةً وما فيه إلى معنى الحفظ من الإشارات المفْهَمة.

وروحه سِرَّ حقيقتي: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ دوام كون روحه مَشْهَد بصيرته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أراد الشيخ أن يكون شهود روحه المطهّرة شغل سرّ حقيقته. أللَّهمَّ صلِّ على من صحّح تسمية روحه سرًّا مع أن السرّ أعلى اعتبارُ نسبتها إلى ماهية الشيخ وحقيقته. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أراد الشيخ أن يحصل له بشهود روحه المطهجرة كمال لطيفته الربانيّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أراد الشيخ أن تكون روحَه (أي روح النبيّ (ص)) سرّ لطيفة الشيخ الربانية التي كان بها إنسانًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أراد الشيخ أن لا تكون حقيقته بواسطة شهود روح الرسول نَفْسًا في مقام الإسلام ولا قلبًا في مقام الإيمان، ولا روحًا في أوّل مرتبتَي الإحسان، بل تصير سرًّا في ثانيتهما المسمّاة أيضًا في مقام المسمّى إحسانًا.

وحقيقته جامع عوالمي: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ أن تكون لطيفته الربّانية الصادقة بالنَّفْس والقلب والعقل والروح جامع عوالم الشيخ اللّطيفة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ أن تكون لعوالمه اللّطيفة التي هي النّفْس وما معها الحظّ الأوفَرَ من شهود حقيقة الرّسول التي هي عوالمه الشريفة.

بتحقيق الحقّ الأول: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ يعين على شهود عوالمه الشريفة في عالم الأجسام تحقيق ما سَبَق يوم أَلَسْتُ بربِّكم من الشهود الروحاني. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لذلك سأل الشيخ أن تُعينه بتحقيق الشهود الأوّل على شهوده الثاني. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ سأل الشيخ دوام إعانته بتحقيق الشهود الأوّل له حتى لا ينحجب لحظة عن شهود الرّسول بالقالب الجسماني.

وجهٌ آخر: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ أقسم الشيخ عليك في إعطاء شهوده بتحقيق الحقّ الأزليّ الذي سبَق كلّ حقّ. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مَعْنى هذا القسم في شهوده أسألك بالتحقيق الصّادر من الحقّ الأوّل الذي به تحقّق كلّ حقٍّ، وهو حقّ الحقّ.

يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ استغاث الشيخ في سؤال شهوده بخصوص هذه الأسماء الحسنى لِمَا فيها من الإشعار بالإحاطة مع التّنزيه والقيوميّة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ استغاث الشيخ في سؤال شهوده به أيضًا لما تضمّنته من شمول أوصاف الأُلوهيّة.

اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء: أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ استغاث بهذه الأسماء على توريث شهوده حتى ينتفع به هو والمؤمنون إلى يوم القيامة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ تَرْجع الاستغاثة إلى ما قبلها من سؤال شهوده وما بعدها من توريثه، فضمّنت حصول الإنتفاع ودوامه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ مَعْنى سماع النّداء في

تدوين شهوده قبول الدّعاء والإستجابة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ خصّ الشيخ في سؤال توريث شهوده زكرياء من بين النبيّين؛ لأنّ نداءه تضمّن طلب الوارث واكتسابه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ استُجيبت للشيخ في سؤال توريث شهوده فورثه عَبْدك الشاذلي وأظهر مدَدَه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنِ اسْتَجَبْتَ للشيخ في سؤال توريث شهوده حتّى صارت طريق الخصوصية منسوبة لتلميذه وتخرَّج على يديه من الرِّجال ما لا يحصي الحاسبون عدَدَه.

وانصرني بك لك وأيّدني بك لك واجمع بيني وبينك وحِلْ بيني وبين غيرك: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ إلغاء الوسائط والأسباب، فطلب النّصرة بك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ القيام بالحقوق والإعْراض عن الحظوظ، فسأل النّصرة لك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ لمْ يبق شهوده للشيخ عَرَضًا إلاّ في شهودك وذكرك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ سؤال أن تجمع بينه وبينك وتَحُول بينه وبين غيرك. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ محبّة التنزّه عن الإقامة مع الأغيار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ محبّة الترفّع عن الاستئناس بالآثار. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ طلب السّلامة مما يكدّر صرف مشرب مقام جمعه. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ طلب الحيلولة بينه وبين الأغيار التي هي لمشاهدها سبب حجبه وقطعه.

الله الله الله: أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فخَتَمَ بما بدأ من إسمك الجامع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فأشار بذلك إلى أنّ الكلّ منك صادر، وإليك راجع. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فكرَّرَ ذلك تبرّكًا واستلذاذًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فكرّر اسمك الجامع ليكون التكرير لاستحضار الجملة من المفرد إعانة واستعدادًا. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فكرّر ذلك ثلاثًا إشارة إلى أنّ الخروج عن العوالم الثلاثة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك مجرّد إسمك الشريف عمّا فيه رائحة البُعْد من النداء والإستغاثة. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فجعل ذكرك أوّلاً إشارة للفناء في فعلك عن الأفعال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الإستغراق فيك، فجعل ذكرك ثانيًا إشارة للفناء في جمالك وجلالك عن كل جمال وجلال. أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ حقّق شهوده للشيخ الاستغراق فيك، فجعل ذكرك ثالثًا إشارة للفناء في ذاتك الأحدّية عن الذّوات التي لها أشكال وأمثال.

انتهى شرح المشيشية لسيدي ابن زكري رضي الله عنه ونفعنا به &#5؛

هذا الشرح مأخوذ من كتاب: (الإلمام والإعلام بنفثة من بحور علوم ما تضمّنته صلاة القطب مولانا عبد السلام) لسيدي ابن زكري رضي الله عنه ونفعنا ببركاته

هذا الكتاب يحتوي على:

. المقدمة الأُولى في كيفية خلق النبيّ (ص) وبيان صفات ذاته الشّريفة ليكون ذلك طريقًا لتشخيص المصلّى عليه.

. المقدمة الثانية: فيما يُثمره ذلك التشخيص والإنطباع من رؤيته التي هي أسْنى المطالب وأعظم الوسائل والرغائب.

. شرح الصلاة المشيشية.

. بيان شَرْح ما تقدَّم وإيضاح ما يصعُب فهمُه منه.

&#5؛ ترجمة سيدي عبد العزيز الدبّاغ رضي الله عنه الوليّ الكامل، الغوث الحافل، الصوفي الباهر، نجم العرفان الزّاهر، صاحب الإشارات العَلِيَّة، والعبارات السَّنِيَّة، والحقائق القدسيَّة، والأنوار المحمّدية، والأسرار الربَّانية، والهِمم العرشيّة، الشريف الحسني سيدي عبد العزيز الدبَّاغ رضي الله عنه.

وُلِدَ عام 1095 هجرية من أبٍ شريف ينتمي نسبه إلى سيدي علي بن مولانا إدريس الأزهر رضي الله عنه. وأمّا ولدته، فهي بنت أخت العارف الكبير سيدي العربي الفشتالي رضي الله عنه، توفي والدها وهي صغيرة وتزوّجت والدتها رجلاً ثانيًا وبقيت البِنْت تحت كفالة خالها سيدي العربي، فوجّه إليها عنايته ورعايته ولما بلغت الحلم زوّجها من سيدي مسعود الدبّاغ والد سيدي عبد العزيز، وكان من جملة أصحابه الذين يقرؤون عليه القرآن ويجوّدونه ويصحّحونه، وكان سيدي العربي الفشتالي يقول: رأيت النبيّ (ص)، فقال لي: إنه سيزيد ولي كبير عند ابنة أختك، فقلت: يا رسول الله صلّى الله عليك، ومَنْ أبوه؟ فقال: مسعود، وكان سيدي العربي يتمنّى أن يدرك ولادة مولاي عبد العزيز لكنه مات عام 1090، أي قبل ولادته بخمس سنوات، ولما حضرته الوفاة أوصى لسيدي عبد العزيز بشاشية وحذاء تركهما عند والديه، وقال لهما: هذه أمانة الله عندكما حتى يزيد عندكما عبد العزيز، فأعطوه هذه الأمانة؛ ولما وُلِد وبلغ من العمر نحوًا من أربعة عشر عامًا ألهم الله تعالى والدته، فجاءت بالأمانة وقالت له: يا ولدي إنّ سيدي العربي الفشتالي أوصى إليك بهذه الأمانة، فأخذها سيدي عبد العزيز وجعل الشاشيّة على رأسه ولبس الحذاء في رجليه، فحصلت

له سخانة عظيمة حتى دمعت عيناه وعرف ما قال له سيدي العربي وفَهِم إشارته، وعقب هذا توفيت والدته، فتزوّج والده امرأة أخرى، فكانت تُسيء إلى سيدي عبد العزيز، وكانت بجانبها أيضًا أمه لوالده فكان يقاسي شدائدهما معًا، وبمناسبة ذلك يذكر لنا حادثة عجيبة ومشهدًا غريبًا حصل له في ذلك الإبان، فيقول: وقد وقع لي، عام أحد عشر، بعد موت أُمّي ما يستغرب، وذلك أنّ أبي تزوّج امرأة أخرى واستجور أمَة له، فجاءت الأمَة فضربتني فقلت: أيّ همٍّ أُقاسيه همّ الأمَة أم همّ المرأة؟ فتكدّرت وتغيّرت ثم جرت لي سنة، فرأيت جميع ما يقع لي إلى انْصِرام أجلي، فرأيت من التُّقى معي من الأشياخ، ورأيت المرأة التي أتزوّجها ومضيّ المدة إلى ولادة ولدي محمد، وذبحت له وسبّعت، ثم رأيت جميع ما يقع لي بعد ولادة عمر إلى ولادة ولدي إدريس، وذبحت له وسبّعت، ثم جميع ما يقع لي بعده إلى ولادة ابنتي فاطمة، ورأيت الفتح الذي وقع لي بعد ولادتها وجميع ما أدركته لا يغيب عني شيء منه، ومن جميع ما وقع ويقع لي في عمري، وهذا كلّه في سويعة ولست بنائم حتى تكون رؤيا منام.

قال رضي الله عنه: (منذ لبست الأمانة التي أوصى لي بها سيدي العربي الفشتالي وفهمت ما قال لي فيها ألقى الله في قلبي التشوّف إلى العبودية الخالصة، فجعلت أبحث عنهما غاية البحث، فما سمعت بأحد يشيخه الناس ويُشيرون إليه بالولاية إلا ذهبت إليه وشيخته، فإذا شيخته ودمت على أوراده مدّة يضيق صدري ولا أرى زيادة، فأتركه ثم أذهب إلى غيره، فأشيخه فيقع لي مثل ما وقع من الأول، فأتركه ثم أذهب إلى غيرهما، فوقع لي مثل ذلك فبقيت متحيّرًا في أمري من سنة تسع إلى سنة إحدى وعشرين، وكنت أبيت كل ليلة جمعة في صريح الوليّ الصالح سيدي علي بن حرزهم، وكنت أقرأ البردة مع من يبيت به حتى نختمها كل ليلة جمعة، فلمّا كانت ذات ليلة طلعت ليلة الجمعة كالعادة، فقرأنا البردة وختمناها ثم خرجت من الروضة فوجدت رجلاً جالسًا... فجعل يكلّمني ويكاشفني بأمور في باطني، فعلمت أنه من الأولياء العارفين بالله عزّ وجلّ، فقلت له: يا سيدي أعطني الورد ولقّنّي الذِّكر، فجعل يتغافل عني ويتكلم معي في أُمور أُخر، فجعلت ألحّ عليه في الطلب وهو يمتنع، ومقصوده أن يستخرج مني العزم الصحيح حتى لا أرك ما أسمع منه، فلم أزل معه كذلك إلى أن طلع الفجر وظهر الغبار في الصومعة، فقال: لا أُعطيك الورد حتى تعطيني عهد الله أنك لا تتركه، فأعطيته عهد الله وميثاقه أني لا أتركه، وكنت أظنّ أنّه يعطيني مثل أوراد من شيخت قبله، فإذا به يقول لي: أذكر كل يوم سبعة آلاف (أللّهمَّ يا ربّ بجاه سيدنا محمد بن عبد الله (ص) إجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله في الدنيا قبل الآخرة)، ثمّ قمنا فخلط علينا سيدي عمر بن

محمد الهواري قيم الروضة، فقال له: ذلك الرجل ثم أنشأ في هذا أُوصيك به خيرًا، فقال سيدي عمر: هو سيدي يا سيدي، فقال لي سيدي عمر عند خروج روحه وانتقاله إلى الآخرة: أتدري مَنِ الرجل الذي لقّنك الذِّكر عند السّدرة المحرّرة؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال: هو سيّدنا الخضر عليه السلام... فبقيت على ذلك الذِّكر، فثقل عليّ في اليوم الأول، فما كملته حتى جاء الليل، ثم جعل يخفّ عليَّ شيئًا فشيئًا، وذاتي تصطحب معه حتى كنت أُكمله عند الزّوال، ثم جعل يخف عليّ حتى كنت أُكمله عند الضحى، ثم زاد في الخفّة حتى صرت أُكمله عند طلوع الشمس، وبقيت مع سيدي عمر أحبّه ويحبّني في الله إلى أن كانت سنة خمس وعشرين، فجاءته الوفاة وكنت جالسًا معه، فقال: أتدري مَنْ شيخي؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال: هو سيدي العربي الفشتالي... ولم يكن سيدي عمر حاملاً لأسْرار سيدي العربي بأسرها، وإنّما كان عنده بعضها، وتفضّل الله تبارك وتعالى عليَّ بجميعها، وزادني عليها ما لا أقدر على شكره... وبعد وفاة سيدي عمر بثلاثة أيّام وقع لي والحمد لله الفتح وعرفنا الله بحقيقة نفوسنا، فله الحمد وله الشكر، وذلك يوم الخميس الثامن مِنْ رجب عام خمسة وعشرين ومائة وألف...

فلمّا بلغت باب الفتوح دخلتني قشعريرة ثم رعدة كبيرة، ثم جعل لحمي يتنمّل كثيرًا، فجعلت أمشي وأنا على ذلك، والحال يتزايد... ثم خرج شيء من ذاته كأنه بخار الكسكاس، ثم جعلت ذاتي تتطاول حتى صارت أطول من كلّ طويل، ثم جعلت الأشياء تنكشف لي وتظهر كأنّها بين يدي، فرأيت جميع القرى والمدن والمداشر، ورأيت كل ما في هذا البرّ، ورأيت النصرانية ترضع ولدها وهو في حجرها، ورأيت جميع البحور ورأيت الأرضين السبع وكل ما فيهنّ من دوابّ ومخلوقات، ورأيت السماء وكأني فوقها وأنا أنظر ما فيها، وإذا بنورٍ عظيم كالبرق الخاطف الذي يجيء من كل جهة، فجاء ذلك النور من فوق ومن تحتي وعن يميني وعن شمالي وعن أمامي وخلفي وأصابني منه بردٌ عظيم حتى ظننت أني متُّ، فبادرت ورقدت على وجهي لئلا أنظر إلى ذلك النور، فلمّا رقدت رأيت ذاتي كلّها عيونًا، العين تُبصر والرأس تُبصر والرجل تُبصر وجميع أعضائي تُبصر، ونظرت إلى الثياب التي عليّ فوجدتها لا تحجب ذلك النظر الذي سرى في الذات، فعلمت أنّ الرقاد على وجهي والقيام على حدٍّ سواء... ورحمني الله تعالى بأن جمعني مع بعض العارفين من أوليائه.. اسمه عبد الله البروناني وأنه من برنو، وإنما جاء لفاس بقصدي، ففرحت... فبقي معي سيدي عبد الله البرناوي يرشدني ويسدّدني ويقوّيني ويمحو الخوف من قلبي فيما أُشاهده بقية رجب وشعبان ورمضان وشوّال وذي القعدة وعشر ذي الحجّة، فلمّا كان اليوم الثالث من يوم العيد رأيت سيّد الوجود (ص)، فقال

سيدي عبد الله البرناوي: يا سيدي عبد العزيز، قبل اليوم كنت أخاف عليك واليوم حيث جمعك الله مع رحمته تعالى سيّد الوجود (ص) أمِنَ قلبي واطمأنّ خاطري، فأستودعك الله عزّ وجلّ، فذهب إلى بلاده وتركني، وكانت إقامته معي بقصد أن يحفظني من دخو الظلام عليّ في الفتح الذي وقع لي أن يقع لي الفتح في مشاهدة النبيّ (ص) لأنّه لا يخاف على الفتوح حينئذ، وإنّما يخاف عليه قبل ذلك).

كان رضي الله عنه يقول: إنه يزال عن المفتوح عليه حين الفتح شيء شبه السّلخ الأسود، وهو الظلام المحيط بالذات كلّها، فإذا زال ذلك السّلخ صبّ على الذات نور الفتح، وهو كبكبة عظيمة يأتي بها مَنْ شاء الله من الملائكة وقوم آخرون يشتغلون بزوال السّلخ والملائكة حاملة للسرّ، وبنفس زوال السلخ تضع الملائكة النّور في الذّات، وفي وقت زوال السّلخ تدهش الخلائق على المفتوح عليه لجعلهم بعاقبة مره من موت أو زوال عقل أو سلامة، فلا يزالون يتضرّعون إلى الله تعالى في أن يرزقه القوّة والتأييد والتوفيق لحمل ما طوّقه، وكان يقول: والوليّ إذا وقع له الفتح نزع الله منه اثنين وسبعين عرقًا من عروق الظلام، فبعضها ينشأ عنه الكذب، وبعضها ينشأ عنه الكبر، وبعضها ينشأ عنه الرّياء، وبعضها ينشأ عنه حبّ الدّنيا، وبعضها ينشأ عنه الشّهوة ومحبّة الزّنا وغير ذلك من القبائح، وكان يقول: وأهل الفتح رضي الله عنهم إذا تعاطوا تفسير القرآن فيما بينهم لم يكن لهم همّ إلاّ أسباب النزول، وليس المراد بها أسباب النزول التي في علم الظاهر، بل الأحوال والأنوار التي تكون عليها ذات النبيّ (ص) وقت النّزول، فيسمع منهم في ذلك ما لا يكيف لأنهم يخوضون في البحور التي في باطنه عليه الصّلاة والسّلام، وكان يقول: لكل شيء علامة، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبيّ (ص) في اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبيّ اشتغالاً دائمًا بحيث لا يغيب عن الفكر ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل، ويشرب وهو كذلك ويخاصم وهو كذلك وينام وهو كذلك، وكان قول: ومشاهدة النبيّ (ص) أمرها جسيم وخطبها عظيم، فلولا أنّ الله تعالى يقوّي العبد ما أطاقها لو فرضنا رجلاً قويًّا عظيمًا اجتمع فيه قوّة أربعين رجلاً كل واحد منهم يأخذ بأُذن الأسد من الشجاعة والبسالة، ثمّ فرضنا النبيّ (ص) خرج من مكان على هذا الرجل لانفلقت كبده وذابت ذاته وخرجت روحه، وذلك من عظمة سطوته (ص)، ومع هذه السطوة العظيمة ففي تلك المشاهدة الشريفة من اللذّة ما لا يكيف ولا يحصى، حتى أنها عند أهلها أفضل من دخول الجنّة؛ وذلك لأنّ مَنْ دخل الجنّة لا يرزق جميع ما فيها من النِّعم، بل كل واحد له نعيم خاصّ، بخلاف مشاهدة النبيّ (ص)، فإنه إذا حصلت له المشاهدة المذكورة سقيت ذاته بجميع نعيم أهل الجنّة، فيجد لذَّة كل لون وحلاوة كل نوع، كما يجد أهل

الجنّة في الجنّة، وذلك قليل في حقّ مَنْ خلقت الجنّة في نوره (ص) وشرّف وكرَّم ومجّد وعظّم وعلى وآله وصحبه.

وكان يقول: لا شكّ أن الصّلاة على النبيّ (ص) أفضل الأعمال، وهي ذكر الملائكة الذين هم على أطراف الجنّة، ومن بركة الصلاة على النبيّ (ص) أنّهم كلّما ذكروها زادت الجنّة في الاتّساع، فَهُمْ لا يفترون عن ذكرها والجنّة لا تفتر عن الاتّساع، فهم يجرون والجنّة تجري خلفهم، ولا تقف الجنّة عنِ الاتّساع حتى ينتقل الملائكة المذكورون إلى التسبيح، ولا ينتقلون إليه حتى يتجلّى الحقّ سبحانه لأهل الجنّة في الجنّة، فإذا تجلّى لهم وشاهده الملائكة المذكورون أخذوا في التسبيح، فإذا أخذوا فيه وقفت الجنّة واستقرَّت المنازل بأهلها، ولو كانوا عندما خلقوا أخذوا في التسبيح لم تزد الجنّة شيئًا، فهذا من بركة الصّلاة على النبيّ (ص).

وسُئِلَ رضي الله عنه: لِمَ كانت الجنّة تزيد بالصّلاة على النبيّ (ص) دون التسبيح وغيره من الأذكار؟ فقال: لأنّ الجنّة أصلها من نور النبيّ (ص)، فهي تحنّ عليه حنين الولد إلى أبيه، وإذا سمعت بذكره انتعشت وطارت إليه، لأنّها تُسقى منه (ص)، وكان يقول: ولولا إرادة الله ومنعه لخرجت إلى الدنيا في حياة النبيّ (ص)، وتذهب معه حيث ذهب وتبيت معه حيث بات، إلاّ أنّ الله تعالى منعها من الخروج إليه (ص) ليحصل الإيمان به (ص) على طريق الغيب.

كان سيّدي عبد العزيز الدبَّاغ رضي الله عنه كلّه كرامة؛ لأنه كان يخوض في العلوم التي تعجز عنها الفحول، ويأتي فيا بما يوافق المعقول والمنقول مع كونه أُمّيًا لا يحفظ القرآن العزيز، فضلاً أن يُسام بتعاطي شيء من العلوم، مع أنه قطّ لم يُرَ في مجلس درس مِنْ صغره إلى كبره.

ترك سيدي عبد العزيز رضي الله عنه تلاميذ خصوصًا: سيدي أحمد بن المبارك رضي الله عنه الذي جمع بعض كلام شيخه في كتاب (الإبريز) الذي يُعتبر من أهم كتب الصوفية، وسيدي عبد الوهاب التازي رضي الله عنه الذي هو شيخ سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه مؤسّس الطريقة الإدريسية، التي هي فرع من الطريقة الشاذلية.

توفي سيدي عبد العزيز عام 1131 هجرية، ودُفِن بالقباب خارج باب الفتوح بمدينة فاس، ودُفِن معه تلميذه العلاّمة سيدي أحمد بن المبارك.

هذه الترجمة جُلّها مقتبس من كتاب (الإبريز) الذي تلقّاه نجم العرفان الحافظ سيدي أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدبّاغ رضي الله عنهما&#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله

الكبير سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه، المتوفّى عام 1131 هـ هذا الشرح مأخوذ من كتاب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز رضي الله عنه، وهذا الكتاب جَمَعَهُ وقيَّدَه تلميذه سيدي أحمد بن المبارك رضي الله عنه، الذي قال:

فمن ذلك أنه شرح لنا رضي الله عنه بعض الألفاظ من صلاة القطب الكامل الوارث الواصل مولانا عبدالسلام بن مشيش رضي الله عنه، فسمعته رضي الله عنه يقول في شرح قوله: (أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ منه انشقَّت الأسرار) ، حاكيًا عن سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي رضي الله عنه، أنّ الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارها مثل ما فيها من العيون والآبار والأنهار والأشجار والثّمار والأزهار، أرسل سبعين ألف مَلك إلى سبعين ألف مَلك إلى سبعين ألف مَلك، ثلاث سبعينات من الألوف، فنزلوا يطوفون في الأرض، فالسّبعون الأُولى يذكرون اسم النبيّ (ص)، ومرادنا بالإسم الإسم العالي على ما يأتي في شرح (وتنزّلت علوم آدم)، والسبعون الثانية يذكرون قربه (ص) من ربِّه عزّ وجلّ ومنزلته(ص) منه، والسبعون الثالثة تصلّي عليه (ص)، ونوره (ص) مع الطوائف الثلاث، فتكوّنت الكائنات ببركة ذكر اسمه (ص) وحضوره بينها ومشاهدتها قربه (ص) من ربِّه عزّ وجلّ، قال: وذكروه على الأرض، فاستقرّت وعلى السموات فاستقلّت، وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانَتْ بإذن الله تعالى، وعلى مواضع عينيه ففتحت بالأنوار التي فيها، فهذا معنى قوله: منه انشقّت الأسرار، فقلت: فهذا معنى قول دلائل الخيرات، وبالإسم الذي وضعته على اللّيل فأظلم وعلى النهار فاستنار، وعلى السموات فاستقلّت، وعلى الأرض فاستقرّت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار فجَرَتْ، وعلى العيون فنبعت، وعلى السحاب فأمطرت.

فقال رضي الله عنه: نعم ذلك الاسم هو اسم نبيّنا ومولانا محمّد (ص)، فببركته تكوّنت الكائنات، والله أعلم.

قلت: وقد سبق كلام سيدي أحمد بن عبد الغوث رضي الله عنه، وقوله لمريده: يا ولدي لولا نور سيّدنا محمد (ص) ما ظهر من أسرار الأرض؛ فلولا هو ما تفجّرت عينٌ من العيون، ولا جرى نهرٌ من الأنهار، إنّ نوره (ص) يا ولدي يفوح في شهر مارس ثلاث مرات على سائر الحبوب، فيقع لها الإثمار ببركته (ص)، ولولا نوره (ص) ما أثمرت، ويا ولدي إنّ أقلّ الناس إيمانًا مَنْ يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه، فأجرى غيره، وإنّ الذَّات تكلّ أحيانًا عن حمل الإيمان، فتريد أن ترميه فيفوح نور النبيّ (ص) عليها، فيكون مُعينًا لها على حمل الإيمان، فتستحيله وتستطيبه.

وسمعته رضي الله عنه مرّة أخرى يقول في شرح: (مَن منه انشقّت الأسرار) أنّه لولا هو (ص) ما ظهرت تفاوت الناس في الجنّة والنار، ولكانوا كلّهم على مرتبة واحدة فيهما؛ وذلك أنّه تعالى لما خلق نوره (ص)، وسيق في سابق علمه تفاوت الناس في قبوله والمَيْل عنه، ظهر ذلك عليهم حيث خلق ذلك النور، فعلم هناك أنّ منهم مَنْ يبلغ مِنَ الخشوع درجة كذا، ومِنَ المعرفة درج كذا، ومِنَ الخوف درجة كذا، وأنّ لون كذا من نوع كذا، وفلانًا شرب منه نوعًا آخر قبل ظهورهم، وهم في عدم العدم.

قال رضي الله عنه: فتفاوت المراتب وتباينها هو معنى انشقاق الأسرار منه (ص)، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه مرّة أخرى يقول في شرح مَنْ مِنْه انشقَّت الأسرار: إنّ أسرار الأنبياء والأولياء وغيرهم كلّها مأخوذة من سرّ سيّدنا محمد (ص)، فإنّ له سرَّين: أحدهما في المشاهدة وهو موهوب، والآخر يحصل من هذا السرّ وهومكسوب؛ فلنفرض المشاهدة بمثابة ثوب ما بقي صاحب حرفة من الحِرَف إلاّ وصنع فيه شيئًا من صنعته، ولنفرض صاحب المشاهدة كشارب لذلك الثوب بأسره، فإذا شرب الخيط الذي صنعه الجرار مثلاً أمدَّه الله تعالى بمعرفة صناعة الحرير، وكلّ ما تحتاج إليه في أمورها وشؤونها كلّها، وإذا شرب الخيط الذي صنعه النسّاج مثلاً أمدّه الله تعالى بصناعة النسج، ومعرفة جميع ما تتوقف عليه، وهكذا حتى تأتي على سائر الصنائع والحِرَف التي تعرفها والتي لا تعرفها، فهكذا مشاهدته (ص) نفرضها مشتملة على جميع المعارف التي سيقت بها إرادته تعالى.

قلت: ووجه الشَّبه بينها وبين الثوب السابق تباين الأُمور؛ ففي اثوب السابق تباينت فيه الصنائع والحِرَف، وفي المشاهدة الشريفة تباينت فيه الأسماء الحسنى وظهرت فيها أسرارها وأنوارها.

ووجه آخر أن الصنائع المتباينة اجتمعت كلّها في الثوب السابق، وكذا أنوار الأسماء الحسنى كلّها اجتمعت في مشاهدته (ص).

ووجهٌ آخر أن تلك الصنائع المتباينة بمعرفتها يقع التصرّف في موضوعاتها، كذا الأسماء الحسنى بالسقي بأنورها يقع التصرّف في هذا العالم، فوجه الشَّبه حينئذ مركّب من مجموع هذه الأشياء الثلاثة، وهي تباين الأُمور في شيء مع استيفائها، وكون التصرّف يضاف إليها، والله أعلم.

ثم قال رضي الله عنه: فتكون ذاته (ص) مشتملة على جميع ما يلزم في تلك المشاهدة، وممدودة بسائر أسرارها من رحمة الخلق ومحبّتهم والعفو عنهم والصفح والحلم والدعاء لهم بخير، لعلّ الله تعالى يقوّيهم على الإيمان بالله عزّ وجلّ.

قال رضي الله عنه: وبهذا كان (ص) يدعو لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، والناس اليوم لا يعرفون قيمة هذا الدعاء.

قلت: يعني لما فرضنا المشاهدة المشتملة على سائر الأسماء الحسنى، وفرضنا صاحبها (ص) كالشارب السابق للثوب السابق، لزم قطعًا أن تكون ذاته (ص) مسقية بجميع أنوار الأسماء الحسنى وممدودة بأسرارها، فيكون في ذاته (ص) نور الصبر ونور الرَّحمة ونور الحلم ونور العفو ونور المغفرة ونور العلم ونور القدرة ونور السمع ونور البصر ونور الكلام، وهكذا حتى تأتي على جميع الأسماء الحسنى؛ فتكون أنوارها في الذات الشريفة على الكمال.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: فنلتفتُ إلى غيره من الملائكة والأنبياء والأولياء، فنجدهم قد تفرّق فيهم بعض ما في الذات الشريفة مع كون السقي وصل إليهم من الذات الشريفة، فالأسرار الموجودة في ذواتهم انشقَّت منه (ص)، حتى إني سمعته رضي الله عنه يقول: لولا الدم الذي في الذَّات واللّحم والعروق المانع من معرفة حقائق الأُمور، لم يتكلّم الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام منذ وُجِدوا إلى أن ظهر نبيّنا) ص) إلاّ بأمر نبيّنا (ص)، فلا تكون إشارتهم إلاّ إليه، ولا تكون دلالتهم إلاّ عليه؛ حتى أنهم يصرّحون لكل مَنْ تَبِعهم بأنهم إنّما ربحوا منه، وأن مددهم جميعًا إنما هو دونه (ص)، وأنّهم في الحقيقة نائبون عنه لا مستقلّون، وأنهم بمنزلة أولاده (ص)، وهو (ص) بمنزلة الأب لهم، حتى يكون الخلق كلّهم فيه سواء، دعوة الجميع إليه (ص) واحدة، فإنّ هذا هو الكائن في نفس الأمر والأُمم الماضية بمجرّد موتهم وانفصالهم عن هذه الدار يعلمونه يقينًا وفي الآخرة يظهر عليهم عيانًا، وعند دخول الجنّة يقع الفصل بينهم وبين الجنّة حيث تنكمش عنهم وتنقبض، وتقول لهم: لا أعرفكم لستم من نور محمّد (ص)، فيقع الفصل بأنهم وإنْ سبقوا عليه، فهم ممتدّون من أنبيائهم، وأنبياؤهم عليهم السلام ممتدّون من النبيّ (ص)، فإذن الجميع ممتدٌّ منه (ص).

قال رضي الله عنه: لولا الدم وما سبق في الإرادة الأزليّة، لكان هذا الواقع في دار الدنيا.

فقلت: ولِمَ منع هذا الدم من معرفة الحقّ؟

فقال رضي الله عنه: لأنه يجذب الذَّات إلى أصلها الترابي ويميل بها إلى الأُمور الفانية، فتتشوّف للبناء والغرس ولجميع الأموال وغير ذلك، يميل بها إلى ذلك في كلّ لحظة وهو عين الغفلة والحجاب عنه تعالى، ولولا ذلك الدَّم لم تلتفت الذَّات إلى شيءٍ من هذه الأُمور الفانية أصلاً.

قلت: ولا يخفى أن حجابيت تختلف، فهي كثيفة في حقّ العوام ضعيفة في حقّ الخواصّ، وتقرب من الانتفاء في حقّ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ومنتفية رأسًا في حقّ سيد الأوّلين والآخرين (ص)، وقد سبق ما يدلّ على ذلك في الكتاب، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله: (وانفلقت الأنوار) : إنّ أوّل ما خلق الله تعالى نور سيّدنا محمّد (ص) ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها، ثم خلق اللّوح، ثمّ قَبْل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنّة والبرزخ.

أمّا العرش، فإنه خلقه الله تعالى من نوره، وخلق ذلك النّور من النور المكرم، وهو ـ أي النور المكرّم ـ نور نبيّنا محمّد (ص)، وخلقه ـ أي العرش ـ ياقوتة عظيمة لا يُقاس قدرها وعظمها، وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة، فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهرة، ثم إنّ الله تعالى أمدّ تلك الجوهرة وسقاها بنوره (ص)، فجعل يخرق الياقوتة ويسقي الجوهرة، فسقاها مرّة ثم مرّة ثم مرّة إلى أن انتهى إلى سبع مرّات، فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى، فرجعت ماء ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش.

ثم إنّ النور المكرَّم الذي خرق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع، فخلق الله منه ملائكة ثمانية وهم حَمَلة العرش، فخلقهم من صفائه وخلق من ثقله الرّيح وله قوّة وجهدٌ عظيم، فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته، فحملته ثم جعلت تخدم وجعل البرد يقوى في الماء، فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد، فلم تدعه الرياح، بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد، وجعلت تلك الشقوق تتعفّن ويدخلها الثقل والنتونة وشقوق تزيد على شقوق، ثم جعلت تكبر وتتّسع وذهبت إلى جهات سبع وأماكن سبع، فخلق الله منه الأرضين السبع ودخل الماء بينها وبين البحور، وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوّة جهد الريح، ثمّ جعل يتراكم، فخلق الله منه السموات السبع.

ثم جعلت الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها أولاً وآخرًا، فجعلت النار تزيد في الهواء من قوّة حرق الرِّيح للماء والهواء، وكلّما زندت نار أحسّها الملائكة وذهبت بها إلى محل جهنّم اليم فذلك أصل جهنّم، فالشقوق التي تكوّنت منها الأرضون تركوها على حالها، والضباب التي تكوّنت منه السموات تركوه على حاله أيضًا، والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محلٍّ آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع والضّباب الذي منه السموات السبع، بل وتأكل الماء وتشربه بالكلّية لقوة جهد الرِّيح.

ثم إنّ الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره (ص)، وأمرهم أن يعبدوه عليها، وخلق ملائكة السموات من نوره (ص)، وأمرهم أن يعبدوه عليها.

وأمّا الأرواح والجنّة إلا مواضع منها، فإنها أيضًا خُلِق من نور، وخُلِق ذلك النور من نوره (ص).

وأمّا البرزخ، فنصفه الأعلى من نوره (ص)، فخرج من هذا أن القلم واللَّوح. ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلّها خُلِقت من نوره (ص) بلا واسطة، وأنّ العرش والماء والجنّة والأرواح خُلِقت من نورٍ خُلِق من نوره (ص).

ثم بعد هذا، فلهذه المخلوقات أيضًا سقي من نوره (ص).

أما القلم، فإنه سقي سبع مرات سقيًا عظيمًا، وهو أعظم المخلوقات، بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وصارت رميمًا. وكذا الماء، فإنه سُقِيَ سبع مرّات، لكن ليس كسَقْيِ القلم.

وأمّا الحُجُب السبعون، فإنّها في سَقْيٍ دائم.

وأمّا العرش ذاته سُقِيَ مرّتين: مرّة في بدء خلقه، ومرّة عند تمام خلقه لتستمك ذاته، وكذا الجنّة فإنّها سُقِيت مرّتين: مرة في بدء خلقها، ومرّة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها.

وأمّا الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، وكذا سائر المؤمنين من الأُمم الماضية ومن هذه الأُمّة، فإنّهم سُقُوا ثمان مرات:

الأُولى: في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملة، فسقاه.

الثانية: حين جعل يصوّر منه الأرواح، فعند تصوير كل روح سقاها بنوره (ص).

الثالثة: يوم (ألستُ بربِّكم)، فإنّ كلّ مَنْ أجاب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام سُقِيَ من نوره (ص)، لكنّ منهم مَنْ سُقِيَ كثيرًا ومنهم مَنْ سُقِيَ قليلاً، فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين، حتى كان منهم أولياء وغيرهم.

وأمّا أرواح الكفار، فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه، فلمّا رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاءات السرمدية نَدِمت وطلبت سقيًا، فسُقِيت من الظلام والعياذ بالله.

الرابعة: عند تصويره في بطن أُمّه وتركيب مفاصله وشقّ بصره، فإنّ ذاته تُسْقَى من النُّور الكريم لتلين مفاصله وتنفتح أسماعها وأبصارها، ولولا ذلك ما لانت مفاصلها.

الخامسة: عند خروجه من بطن أُمّه، فإنّه يُسْقى من النور الكريم لِيُلْهَم الأكل من فمه، ولولا ذلك ما أكل من فمه أبدًا.
السادسة: عند التقامه ثدي أُمّه في أوّل رضعة، فإنه يُسْقَى من النور الكريم أيضًا.
السابعة: عند نفخ الروح فيه، فإنّه لولا سقي الذات بالنّور الكريم ما دخلت فيها الروح أبدًا، ومع ذلك لا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب يحصل للملائكة معها، ولولا أمر الله تعالى لها ومعرفتها به ما قدر ملك على إدخالها في الذَّات.
وسمعته رضي الله عنه مرّة أخرى يقول: مثل الملائكة الذين يريدون أن يدخلوا الروح في الذات كعبيد صغار لملك يُرْسلها إلى الباشا العظيم ليدخلوه إلى السجن، فإذا نظرنا إلى الغلمان الصغار وإلى الباشا العظيم وجدناهم لا يقدرون على معالجة الباشا في أمرٍ من الأُمور، وإذا نظرنا إلى الملك الذي أرسلهم وأنه الحاكم في الباشا وغيره حكمنا بأنه يجب أن يذلّ لهم الباشا وغيره، وإذا أرادوا إدخالها في الذَّات حصل لها كرب عظيم وانزعاجات كثيرة، وتجعل ترغرغ بصوتٍ عظيم، فلا يُعلم ما نزل بها إلاّ الله تعالى، والله أعلم.
الثامنة: عند تصويره عند البعث، فإنه يُسْقى من النور الكريم لتستمسك ذاته.
قال رضي الله عنه: فهذا السّقي في هذه المرّات الثمان اشترك فيه الأنبياء والمؤمنون من سائر الأُمم ومن هذه الأُمّة، ولكن الفرق حاصل، فإنّ ما سُقِيَ به الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام قدر لا يطيقه غيرهم، فلذلك حازوا درجة النبوّة والرسالة.
وأمّا غيرهم، فكل سُقِيَ بقدر طاقته.
وأمّا الفرق بين سقي هذه الأُمّة الشريفة وبين سَقْي غيرها من سائر الأُمم، فهو أنّ هذه الأُمّة الشريفة سُقِيَت من النّور الكريم، بعد أن دخل في الذات الطّاهرة وهي ذاته (ص)، فحصل له من الكمال ما لا يليق ولا يُطاق؛ لأنّ النور الكريم أخذ سرّ روحه الطاهرة وسرّ ذاته الطاهرة (ص)، بخلاف سائر الأُمم، فإنّ النور في سقيها إنما أخذ سرّ الروح فقط، فلهذا كان المؤمنون من هذه الأُمّة الشريفة كملاً وعدولاً، وكانت هذه الأُمّة: {خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[(319)]، ولله الحمد والشكر.
قال رضي الله عنه: وكذا سائر المخلوقات سُقِيت من النور الكريم، ولولا النّور الكريم الذي فيها ما انتفع أحدٌ منها بشيء.

قال رضي الله عنه: ولما نزل سيّدنا آدم على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسّلام إلى الأرض كانت الأشجار تتساقط ثمارها في أوّل ظهورها، فلمّا أراد الله تعالى إثمارها سقاها من نوره الكريم (ص)، فمن ذلك اليوم جعلت تُثْمر، ولقد كانت قبل ذلك كلّها ذكارًا تنفتح ثم تتساقط، ولولا نوره (ص) الذي في ذوات الكافرين فإنها سُقيت به عند تصويرها في البطون عند نفخ الروح وعند الخروج وعند الرّضاع لخرجت إليهم جهنّم وأكلتهم أكلاً، ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم حتى ينزع منهم ذلك النور الذي صَلُحت به ذواتهم، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنهم مرّة أخرى يقول: لما خلق الله تعالى النور المكرَّم وخلق بعده القلم والعرش واللَّوح والبرزخ والجنّة، وخلق الملائكة الذين هم سكان العرش والجنّة والحُجُب، قال العرش: يا ربّ لِمَ خلقتني؟ فقال الله تعالى: لأجعلك حجابًا تحجب أحبابي من أنوار الحجب التي فوقك، فإنهم لا يطيقونها لأني أخلقهم من تراب، ولم يكن في ذلك الوقت أعداء ولا دارهم الّتي هي جهنّم، فظنّ الملائكة أنّ أحبابه الذين يخلقهم الله تعالى من تراب يخلقهم في الجنّة ويسكنهم فيها ويحجبهم بالعرش.

ثم خلق الله تعالى نور الأرواح جملةً فسقاه من النور المكرّم، ثم ميَّزه الله تعالى قطعًا قطعًا، فصوّر من كل قطعة روحًا من الأرواح، وسقاهم عند التصوير من النور المكرّم أيضًا، ثم بقيت الأرواح على ذلك مدّة؛ فمنهم مَنِ استحلى ذلك الشراب، ومنهم من لم يستحله، فلمّا أراد الله تعالى أن يميّز أحبابه من أعدائه وأن يخلق لأعدائه دارهم التي هي جهنّم جمع الأرواح، وقال لهم: (ألست بربكم)، فمنِ استحلى ذلك النور، وكانت منه إليه رقّة وحنوٌّ عليه أجاب محبّةً ورضًا، ومَنْ لم يستحله أجاب كرهًا وخوفًا، فظهر الظلام الذي هو أصل جهنّم، فجعل الصلام يزيد في كلّ لحظة، وجعل النور أيضًا يزيد في لحظة؛ فعند ذلك علموا قدر النور المكرّم حيث رأوا مَنْ لم يستحلّه استوجب الغضب وخلقت جهنّم من أجلهم، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول مرّةً أخرى: إنّ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وإن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه، بل كل واحد يشرب منه وما يناسبه وكُتِبَ له، فإنّ النور المكرَّم ذو ألوان كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة، فكلّ واحد شرب لونًا خاصًّا ونوعًا خاصًّا.

قال رضي الله عنه: فسيّدنا عيسى عليه الصّلاة والسلام شرب من النور المكرَّم، فحصل له مقام الغربة، وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة وعدم القرار في موضع واحد.

وسيّدنا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام شرب من النور المكرّم، فحصل له مقام الرَّحمة والتواضع مع المشاهدة الكامنة، فتراه إذا تكلّم مع أحد يخاطبه بلين ويكلّمه بتواضع عظيم، فيظنّ المتكلّم أنه يتواضع له، وهو إنَّما يتواضع لله عزّ وجلّ لقوّة مشاهدته.

وسيّدنا موسى عليه السلام شرب من النور المكرَّم، فحصل له مقام مشاهدة الحقّ سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدّر قدرها، وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام والملائكة الكرام، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: إنّما ظهر الخير لأهله ببركته (ص)، وأهل الخير هم الملائكة والأنبياء والأولياء وعامّة المؤمنين.

فقلت: وكيف يُفرّق بينهم؟

فقال رضي الله عنه: الملائكة ذواتهم من النور وأرواحهم من النور، والأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ذواتهم من تراب وأرواحهم من نور، وبين الروح والذات نورٌ آخر، هو شراب ذواتهم، وكذا الأولياء، غير أن الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام زادوا عليهم بدرجة النبوّة التي لا تكيف ولا نطاق.

وأمّا عوامّ المؤمنين، فلهم ذوات ترابية وأرواح نورانيّة، ولذواتهم شبه عرق من ذلك النور الذي للأولياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فقلت: وما نسبه هذه الأنوار من نور نبيّنا محمد (ص)؟ وكيف استمدادها منه؟ فضرب رضي الله عنه مثلاً عاميًّا على عادته نفعنا الله به، وقال: كمن جوّع جماعة من القطط مدّة حتى اشتاقوا للأكل اشتياقًا كثيرًا، ثم طرح خبزة بينهم، فجعلوا يأكلون منها أكلاً حثيثًا والخبزة لا ينقص منها قلامة ظفر، فكذا نوره (ص) تستمدّ منه العوالم ولا ينقص شيء، والحقّ سبحانه وتعالى يمدّ بالزيادة دائمًا، ولا تظهر فيه الزّيادة بأن يتّسع فراغها، بل الزيادة باطنة فيه لا تظهر أبدًا كما أن النقص لا يظهر، فهذا النور المكرَّم تستمدّ منه الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنين والمدد مختلف كما سبق، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: أنوار الشمس والقمر والنّجوم مستمدّة من نور البرزخ، ونور البرزخ مستمدّ من النور المكرَّم ومن نور الأرواح التي فيه، ونور الأرواح مستمدّ من نوره (ص).

قال رضي الله عنه: وإنّما ظهرت الأنوار فيها عند قرب خلق آدم وبعد خلق الأرض وجبالها، فكانت الملائكة والأرواح يعبدون الله تعالى، فلم يفجأهم إلاّ والأنوار ظهرت في الشمس والقمر والنجوم، ففرّ الملائكة الذين في الأرض من نور الشمس إلى ظلّ الليل، فجعلت الشمس تنسخه وهم يذهبون معه إلى أن

عادوا إلى المكان الذي بدؤوا منه، وحصل لهم هَوْلٌ عظيم، وظنّوا أن ذلك حدث لأمرٍ عظيم، فاجتمع ملائكة كل أرض في أرضهم وفعلوا ما سبق. وأمّا ملائكة السموات والأرواح التي في البرزخ، فإنّهم لما رأوا ملائكة الأرض فعلوا ما فعلوا نزلوا معهم إلى الأرض. فأمّا أرواح بني آدم، فوقفوا مع ملائكة الأرض الأُولى واجتمع الجميع من ملائكة الأرض والسموات والأرواح على تلك الليلة، فلمّا رجعت الشمس إلى موضعها الأوّل ولم يحدث شيء أمِنُوا فرجعوا إلى مراكزهم، ثمّ صاروا يفعلون ذلك كل عام، فهذا سبب ليلة القدر، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله: (وفيه ارتقت الحقائق) إن المراد بالحقائق أسرار الحقّ تعالى التي فرّقها في خلقه، وهي ثلاثمائة وستّة وستّون سرًّا، ظهرت في الحيوانات على ما أراد الحقّ سبحانه، وظهرت في الجمادات كذلك، وهكذا سائر المخلوقات.

قال رضي الله عنه: ففي النبات مثلاً سرعتها وهو النفع، فلهذا النفع حقيقة من حقائق الحقّ سبحانه أي المتعلّقة به؛ لأن كل حقّ فهو متعلّق به سبحانه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. ثم هذا النفع ارتقى في النبيّ (ص) وبلغ مقامًا لم يكن لغيره. ألا ترى النفع السابق في استمداد المكوّنات كلّها من نوره (ص)، ولم يثبت هذا لمخلوق!!

قال رضي الله عنه: وفي الأرض مثلاً سرّ الحمل لما فيها وهو حقيقة من حقائق الحقّ سبحانه، وقدِ ارتقى في النبيّ (ص) إلى حدٍّ لا يُطاق، حتى أنه لو جعل ما فيه من الأسرار والمعارف على المخلوقات لتهافتوا ولم يطيقوا ذلك، وفي أهل المشاهدة مثلاً سرٌّ من الأسرار، وهو أنهم لا يغفلون عنه تعالى طرفة عين، وهذا المعنى ارتقى فيه النبيّ (ص) إلى حدٍّ لا يُطاق، كما سبق في مشاهدته الشريفة، وفي الصدّيقين سرٌّ من أسرار الحقّ سبحانه وهو الصّدق، وقَدِ ارتقى في النبيّ (ص) إلى حدٍّ لا يُطاق، وفي أهل الكشف سرٌّ من أسرار الحقّ سبحانه، وهو معرفة الحقّ على ما هو عليه، وقد ارتقى في النبيّ (ص) إلى حدٍّ لا يبلغ كنهه.

وبالجملة، فارتقاء الحقائق على قدر السقي من أنوار الحقّ سبحانه.

ولما كان النبيّ (ص) هو الأصل في الأنوار، ومنه تفرّقت لزم أنّ الحقائق ارتقت فيه على قدر نوره ونوره لا يُذيقه أحد؛ فارتقاء الحقائق الذي فيه لا يطيقه أحد، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله: (وتنزّلت علوم آدم) : إن المراد بعلوم آدم ما حصل له من الأسماء التي علمها المشار إليها بقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[(320)].

والمراد بالأسماء الأسماء العالية لا الأسماء النّازلة، فإنّ كل مخلوق له اسمٌ عالٍ واسمٌ نازل؛ فالاسم النازل هو الذي يشعر بالمسمّى في الجملة، والاسم العالي هو الذي يشعر بأصل المسمّى ومن أيِّ شيءٍ هو؟ وبفائدة المسمّى، ولأيّ شيءٍ يصلح الناس من سائر ما يستعمل فيه؟ وكيفية صنعة الحدّاد له فيعلم من مجرّد سماع لفظه هذه العلوم والمعارف المتعلّقة بالناس، وهكذا كل مخلوق. والمراد بقوله تعالى: {الأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (1) الأسماء التي يطيقها آدم ويحتاج إليها سائر البشر أوّلهم بها تعلق، وهي من كل مخلوق تحت العرش إلى ما تحت الأرض، فيدخل في ذلك الجنّة والنار والسموات السبع وما فيهنّ، وما بينهنّ وما بين السماء والأرض وما في الأرض من البراري والقفار والأودية والبحار والأشجار، فكلّ مخلوق في ذلك ناطق أوجامد إلا وآدم يعرف من اسمه تلك الأُمور الثلاثة أصله وفائدته؟ وكيفية ترتيبه ووضع شكله، فيعلم من اسم الجنّة من أين خُلِقت؟ ولأيّ شيء خُلقت وتتيب مراتبها، وجميع ما فيها من الحور وعدد مَنْ يسكنها بعد البعث، ويعلم من لفظ النار مثل ذلك، ويعلم من فظ السماء مثل ذلك، ولأيّ شيء كانت الأُولى في محلّها، والثانية وهكذا في كل سماء، ويعلم من لفظ الملائكة من أيّ شيءٍ خُلقوا، ولأيّ شيءٍ خُلقوا وكيفية خلقهم، وترتيب مراتبهم وبأيّ شيء استحقّ هذا الملك هذا المقام واستحقّ غيره مقامًا آخر، وهكذا في كل ملك في العرش إلى ما تحت الأرض، فهذه علوم آدم وأولاده من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلاو، والأولياء الكمّل رضي الله عنهم أجمعين.

وإنما خصّ آدم بالذِّكر لأنه أوّل مَنْ عَلِم هذه العلوم ومن علمها من أولاده، فإنما عَلِمَها بعده، وليس المراد أنه لا يعلمها إلا آدم، وإنّما خصّصناها بما يحتاج إليه وذرّيته وبما يطيقونه لئلاّ يلزم من عدم التخصيص الإحاطة بمعلومات الله تعالى، وإنما قال: تنزّلت إشارة إلى الفرق بين علم النبيّ (ص) بهذه العلوم، وبين علم آدم وغيره من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام بها، فإنّهم إذا توجّهوا إليها يحصل لهم شبه مقام عن مشاهدة الحقّ سبحانه وتعالى، وإذا توجّهوا نحو مشاهدة الحقّ سبحانه وتعالى حصل لهم شبه النَّوم عن هذه العلوم، ونبيّنا (ص) لقوّته لا يشغله هذا عن هذا، فهو إذا توجّه نحو الحقّ سبحانه وتعالى حصلت له المشاهدة التامّة، وحصل له مع ذلك مشاهدة هذه العلوم وغيرها ممّا لا يطاق، وإذا توجّه نحو هذه العلوم حصلت له مع حصول هذه المشاهدة في الحقّ سبحانه وتعالى، فلا تحجبه مشاهدة الحقّ عن مشاهدة الخلق، ولا مشاهدة الخلق عن مشاهدة الحقّ سبحانه وتعالى.

(ﻓ) تلك العلوم العلوم إنما نزلت ورسخت فيه دون غيره (ص)، فإنّ غيره تزول عنه إذا توجّه نحو الحقّ سبحانه وتعالى، ولذلك (أعجز) (ص) (الخلائق وتضاءلت الفهوم) فيه، أي اضمحلّت فلم يفهموه ولم يعرفوه، والفهوم جمع فهم وهو نور العقل الذي هو الإدراك (فلم يدركه منّا) أي من بني آدم (سابق) وهم الأنبياء (ولا لاحق) وهم الأولياء الكُمّل، والموجب لذلك هو أنَّ روحه عليه الصّلاة والسّلام لما كانت كاملة في الكمالات الباطنية، فكذلك ذاته (ص) كاملة في الكمالات الذاتية، (فرياض الملكوت) أي فأسرار العالم العلويّ، أي فأسرار القدر التي فيه وفي خلق كل مخلوق فيه ووضعه في موضعه من الملائكة وجميع ما فيه، ولِمَ كانت السماء في محلّها واللَّوح المحفوظ في محلّه (بزهر جماله مونّقة) أي رحمها الله تعالى بنوره ى(ص) (وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة).

اعلم أنّ العالم العلوي يقال له عالم الملك، وعالم الملكوت، وعالم الجبروت باعتبارات مختلفة، فعالم الملك باعتبار اتّفاق أهله أعني ناطقهم وصامتهم وجامدهم وعاقلهم، فإنّهم اتّفقوا على نظرٍ واحد والتفاتٍ واحد إلى معبودٍ واحد وهو الحقّ سبحانه وتعالى، فهم متّفقون على معرفته وسلب الاختيار عنهم بخلاف أهل الأرض من العالم السفليّ، فمنهم عبّاد شمس وعبّاد قمر وعبّاد كواكب وعبّاد صليب وعُبّاد وثن إلى غير ذلك من ضلالاتهم، فاختلفت نظرهم بخلاف أهل العلم العلويّ.

وبالجملة، فكل عالم اتّفق أهله على كلمة حقّ فهو عالم الملك، وليس ذلك إلاّ العالم العلويّ، وعالم الملكوت باعتبار اختلاف أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم، وعالم الجبروت باعتبار الأنوار التي تهبّ عليهم كما يهبّ علينا ريح الهواء في عالمنا، فتهبّ عليهم تلك الأنوار لتسقي ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بها مقاماتهم، فهي أي الأنوار التي تهبّ عليهم كالحافظة لجميع ما سبق من أحوالهم، فجعل لتلك الأنوار التي أُشير إليها بالجبروت حياضًا.

ولما كانت تلك الأنوار إنما تستمدّ من نوره (ص)، قال: إنّ تلك الحياض تدفّقت من فَيْض أنواره (ص).

قلت: وهذا الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه في هذه العوالم الثلاثة حسن.

وذهب بعضهم: إلى أنّ عالم الملكوت هو المدرك بالحواس، وعالم الملكوت هو المدرك بالعقول، وعالم الجبروت هو المدرك بالمواهب.

وقال بعضهم: عالم الملك هو الظاهر المحسوس، وعالم الملكوت هو الباطن في العقول، وعالم الجبروت هو المتوسّط بينهما الآخذ بطرف كلٍّ منهما.

وقال بعضهم: الجبروت هو حضرة الأسماء، كما أن الملكوت حضرة الصّفات من حيث كونها وسائط التصرّف بين الأسماء والأفعال؛ كاللّطف والقهر المتوسّطين بين اللّطيف والملطوف، والقهار والمقهور، والله تعالى أعلم.

وقال رضي الله عنه مرّة أخرى في قوله: (فرياض الملكوت).

اعلم أنّ الرياض هنا كمن يقول محاسن الملكوت، والملكوت هو العالم العلويّ، وقصده هنا هو اللّوح المحفوظ مع القلم والبرزخ وما فوق ذلك من العرش؛ لأن اللّوح المحفوظ مكتوب فيه اسمه (ص)، وأسماء الأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحين وسائر المؤمنين، وحروف اللّوح المحفوظ تسطع منها الأنوار وتخرج على قدر اختلاف مقامات أصحاب الأسماء المتقدّمة عند الله عزّ وجلّ، فأنوار اللّوح المتعلقة بحروف الأسماء المتقدّمة في غاية الاختلاف، وكذلك الأنوار الخارجة من القلم مختلفة جدًّا كالاختلاف السابق.

وأمّا البرزخ، فلا يطيق أحد أن يحصي ألوان الأنوار الخارجة منه، وهي أنوار أرواح الأنبياء والأولياء وعباد الله الصّالحين وسائر المؤمنين. وكذلك أنوار العرش، فإنها مختلفة السطع فيه على حسب اختلاف منازل سكان الجنّة، فكلّ منزل فيها له نور يخصّه والعرش يسطع فيه نور كل منزل فأنواره مختلفة، ولما اختلفت أنوار هذه الأشياء حسن تشبيهه لها بالرّياض المحسوسة المشتملة على أزهار متدّدة وأنوار متباينة، ولذلك أطلق عليها اسم الرياض، فقال: فرياض الملكوت، ولما كان نوره (ص) في تلك الأشياء المتقدمة، إنّ اسمه مكتوب في اللّوح المحفوظ وخرج نوره من أسرار القلم، ولروحه الشريفة مقام في البرزخ، وله في الجنّة المقام الذي لا مقام فوقه، فلزم أنّ نوره (ص) موجود مع تلك الأنوار المتقدِّمة، وحيث كان موجودًا معها حصل لها بسببه حسن وبهاء ورونق عجيب ونظام غريب، وإليه أشار بقوله: بزهر جماله (ص) (ولا شيء إلاّ وهو به منوط) أي معلّق استمدادًا واستنادًا، فإنّ الكل مستمدّ منه (ص) ومستند عليه في الحقيقة (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط).

الواسطة هنا هو نبيّنا (ص)، وسمّاه بالواسطة لوجود الأشياء من أجله (ص)، وهو وسيلتهم العظمى.

والمراد بالموسوط ما عداه (ص).

وقوله: كما قيل، إشارة إلى أن هذا أمر قد قاله غيره وأشار به إلى ما اشتهر على ألسنة الخاصّ والعامّ، وأنّه لولا هو (ص)، ما خلقت جنّة ولا نار ولا سماء ولا أرض ولا زمان ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا غير ذلك.

(صلاة تليق بك) أي بقدرك وعظمتك (منك) أي صادرة منك لا منّي إليه، أي تنتهي إليه (اللّهمّ إنه سرّك الجامع) أي الذي حمل من أسرارك وجمع منها ما لم يجمعه غيره، فإنّ المشاهدة كلّما اتَّسعت دائرتها اتّسعت علوم صاحبها ولا أعظم من مشاهدته (ص)، وعندنا يعلم من العرش إلى الفرش ويطّلع على جميع ما فيه ما فوقه أحد، وهذه العلوم كلّها بالنسبة إليه (ص) كألف من ستّين حزبًا التي هي القرآن العزيز، والله أعلم.

واعلم وفّقك الله، أنّي لم يمكني أن أسأله رضي الله عنه كما أحبّ عن قوله: فلم يدركه منّا سابق إلى آخر ما كتبته في شرحه رضي الله عنه لهذه المواضع من هذه الصلاة المباركة لحضور بعض مَنْ لا يعتقد الشيخ رضي الله عنه في مجلسنا فلم ينطلق لسانه رضي الله عنه على ما سمعناه من أوّل الصلاة لسمعنا منه العجب العجاب، والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله: (أللّهم ألحقني بنسبه وحقّقني بحسبه) أنّ المراد بالنسب ما ثبت في باطنه (ص) من المشاهدة التي عجز عنها الخلائق أجمعون.

والشيخ عبد السلام رضي الله عنه كان قطبًا جامعًا ووارثًا كاملاً له (ص) حتى سُقِي من مشاهدته الشريفة.

قال رضي اا عنه: والمراد بالحسب صفاته (ص)، مثل الرحمة والعلم والحِلْم وغير ذلك من أخلاقه الزكيَّة الطاهرة المرضيّة.

ولما كانت مشاهدته (ص) لا يطيقها أحد طلب اللحوق بها دون التحقّق بها؛ لأنه لا يطيقه.

قال رضي الله عنه: وإيّاك أن تظنّ أن حرية نظر الشيخ ومجمع قصده ونهاية عَزْمه توجّهت لغير ذاته الشريفة (ص) منْ كشف وتصرّف وولاية، بل هي مقصورة على الذَّات الشريفة.

وسمعته رضي الله عنه مرّةً أخرى يقول: أللَّهمَّ ألحقني بنسبه ، أي الجهد والقوّة، وحقّقني بحسبه : أي ما حمل عليه (ص) وما يحمله، ثم ضرب مثلاً برجل له إبل لا تُحصى وتركها مدّة تتناسل وهو في كل ذلك يفصل الثياب الفاخرة واللّباسات الزاهرة والأحمال الباهرة، ونظر فيمن يطيق حمل جميع ما فصل فلم يجد في إبله كلّها سوى واحد، فحمل الجميع عليه وحمله بغير كلفة ولا مشقّة، والله أعلم.

ترجمة سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي رضي الله عنه كان إمامًا شهيرًا وعالما كبيرًا وعارفًا راسخًا وطودًا شامخًا، قويّ الأنوار، فيّاض الأسرار، ممّن جمع بين الإمامتين وحَظِيَ بالمرتبتين. وُلِد رضي الله عنه بالقصر الكبير في حدود سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، بالقصر كان

سَلَفُهُ رحمهم الله، ثم انتقل إلى فاس مع أخيه لأبيه الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي رضي الله عنه اسْتوطنها معه سنة ثمان وثمانين من القرن المذكور، وهو إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة أو نَحْوها، وأخذ في طلب العلم وتحصيله على مشايخها، فأخذ عن غير واحد منهم وتخرّج بالشيخ الإمام العلاّمة الهُمام قدوة المحقّقين وعُمْدة المحصِّلين شيخ الإسلام ومفتي الأنام أبي عبد الله سيدي محمد بن قاسم القصّار، ومهر في العلوم وبرع في الفنون، فكان إمامًا فيها وخُصوصًا الحديث والتفسير، ورُبِّيَ في حِجْر أخيه وشيخه في الطريق الشيخ أبي المحاسن رضي الله عنه ونفعنا به، فقرأ عليه وأخذ عنه العلم في عِداد مَنْ أخذ عنهم وتأدّب في أثناء ذلك بآدابه والتمس من بركاته، فكان علمه وطلبه محصوبَيْن بالنّور محفوفَيْن بالتوفيق، لا يشاكل الطلبة وما هم عليه، وكان شيخه القصّار رحمه الله كثيرًا ما يقول إذا رآه مُشرفًا عليه: مَرْحبًا بحَبِيب لا يُمَلّ، لِمَا يرى من حُسْن سيرته وطِيب سريرته، واستمرّ في حجر أخيه المذكور مشتغلاً بالعلم واستفادته وإفادته إلى أن أراد الله تكميله وتهيئته لحضرته وتأهيله وجذبه إليه وجمعه عليه، فبينما هو مشتغل بكتب القاموس عنده وصل إلى قوله فيه مع تكون للمصاحبة إذ نزلَ به من قِبَل أخيه الشيخ سيدي يوسف رضي الله عنه وارد عظيم ومدد جسيم اقتطعَه عَنْ حِسّه ومألوف أبناء جنسه، فلم يكمل الكتا المذكور ولم يعبْق فيه متّسع لما كان يسعه قبل ذلك. قال سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه: نزل بسيدي عبد الرحمن واردٌ عظيم وحالٌ قوي، فكان يقول الشيخ سيدي يوسف رَحِمَه الله: أخي عبد الرحمن لولا أنه حصل بيد المعلّم - يعني نفسه - لكان مما يبول على ساقه - يعني مثل البهاليل - لكثرة ما نزل به وغيبته فيه، وكان الشيخ سيدي يوسف رضي الله عنه مهتمًّا به وصارفًا عنان العناية إليه يربّيه ويُرقّيه ويؤدِّبه ويهذّبه إلى أن تكمل وتخرج به، ومدّة ملازمته له على طريق الإرادة والتحكيم ثلاث وعشرون سنةً، وقد صرّح هو بذلك فقال: إن بعض الناس لا يُلازم الشيخ ويمرّ عليه مُرور العرانين بسبتة - مثلٌ يُضْرَبُ عند الناس لسرعة الإنتقال وعدم طول الإقامة - ثم يقول شيخي: وأنا ما جلست هذه الجلسة - يعني التصدّي للمشيخة - بعد سيدي يوسف حتى جالَسْت أخي سيدي يوسف كذا وكذا، وذكرَ المدَّة المذكورة، وكان بعد وفاة سيدي يوسف يجلس بجامع القرويِّين ومعه سيدي محمد بن عبد الله، وهو أوّل مَنْ تبعَه وعرف خلافته بعد وفاة سيدي يوسف، ثم جعل الناس من أصحاب أخيه وغيره يأتي إليه واحدًا واحدًا، ويجتمعون عليه هنالك حتى كثروا ثم انتقل عنها...

ثم أذن ببناء الزاوية، وكان يجلس فيها لنشر العلم وإقرائه وتربية أصحابه وفقراءه، فأفاد الطريقين ونفع الفريقين، فكان يقرأ فيها الحديث والتفسير والتصوّف وغير ذلك ويُفرد لأصحابه المنتسبين إليه مجلسًا يدلّهم فيه على الله ويُرشدهم إليه ويبثّ فيهم ما منحهُ الله من الأنوار والمعارف، وخرج ليلة على أصحابه وهم بالزاوية[(321)]، فقال لهم: أتدرون على أيِّ شيء يصحبُ الناس المشايخ؟ فقالوا: لا يا سيّدي، فقال: على أن يصحبوهم مع قدَر الله . يعني يرضوهم على الرضا بأحكام الله . حتى يكون مُرادُ الله هو مُرادُهم، وهب مرّة هو والقاضي العلاّمة أبو القاسم بن أبي النعيم رحمهما الله إلى فاس الجديد بقصد الإصلاح بين صاحبها وبين أهل فاس، فقال له القاضي المذكور وقد علم شأنه من القوّة فيه الله والصدع بالحقّ: يا سيّدي لاطِف هذا الرجل، وتلا عليه: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى *}[(322)]، فقال له سيدي عبد الرحمن: ذلك مقامٌ مُوسَوِيٌّ، ومقامنا نحن محمّدي، وتلا عليه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[(323)].

وله رضي الله عنه كلام بديع في الطريق وإشاراتعالية وحِكَمٌ سامية لا يَسَعنا إيرادَها وتتبّعها وتعدادَها وأكثرها مبثوث في تصانيفه، ومن تصانيفه:

. تفسير الفاتحة على طريق الإشارة.

. حاشية في التفسير عظيمة الفائدة.

. حاشية على صحيح البخاري كثيرة النكت والفوائد تَدَاولها الناس وانتفعوا بها.

. تعليق على الصّلاة المشيشيّة.

. حاشية على الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

. تعليق على صلاة سيدي علي بن وفا رضي الله عنه.

. حاشية مفيدة على دلائل الخيرات.

. حاشيتان على شرح الصُّغْرى.

. وله أجوبة وتقاييد كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتصوّف وغيرها، وعلى كتبه حواشٍ كثيرة في فنون متعدّدة إذا أخرجت حصل بها نفع عظيم إن شاء الله.

توفي رضي الله عنه في آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأوّل سنة ستٍّ وثلاثين وألف، ودُفِنَ في رَوْضَةِ أخيه الشيخ أبي المحاسن قريبًا من القبّة في شمالِها وبُنِيَ عليها بناء حسن في صورة البيت رحمه الله ورَضِيَ عنه.

هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (مرآة المحاسن من أخيار الشيخ أبي المحاسن) ومن كتاب (المقصد الأحمد في التعريف بسيّدنا ابن عبد الله أحمد) &#5؛ تعليق على الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه المتوفّ عام 1036 هـ قوله: (أللّهمَّ صلِّ على مَنْ منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار) ما افتتح به هذه الصلاة هو كقوله بعد (أللّهمَّ إنه سرّك الجامع الدالّ عليك) فهو سرُّ الأسرار ومنبع الأنوار وعين التجلّي الذاتي والإسم الأعظم، والله أعلم. وقوله: (وفيه ارتقت الحقائق) يعني العيانية والتجليات الذاتية. وقوله: (وتنزّلت علوم آدم) يعني التنزّلات الأسمائية والتعرّفات الصّفاتية الإحاطية، وفي تنزل ذلك سرّ الخلافة ومظهرية الربوبية، ولذلك لم يكن (شيء إلاّ وهو به منوط) لكونه روحَ كل شيء وحياته وزين التعيّنات الملوكتية ومدد الحياض الجبروتية العلمية والمعاني الكشفية. وأمّا قوله: (وحجابك الأعظم) ، فيعني به أنّ بقاء، بل الإبقاء على الأرواح من أن تتلاشى بصدمات القدم وتحترق بسبحات أنوار الأزل، فمعناه قوت، بل قوّة وحياة للأرواح تتحمّل بها أعباء الحقائق؛ كما يشير إليه قوله: (واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي).

وأمّا قوله: (وروحه سرّ حقيقتي) فيعني به أن يكون فرعًا من أصله ومستمدًّا من روحه. وقوله: (وحقيقته جامع عوالمي) ، فإشارة إلى كونه قطبًا وإنسان عين معارفه وأصل فصول معانيه ولطائفه، وهو رمز لبعض ما تحتمله وبسط ذلك بما تسعه العبارة، والتلويح كافٍ لأهله.

&#5؛ ترجمة سيدي الحسن الزياتي رضي الله عنه وُلِد في نصف جمادى الثانية سنة أربع وستّين وتسعمائة، ثم رحل إلى فاس في طلب العلم الظاهر، وقد أتقن عُلوم القرآن العزيز من القرآن وغيرها، وعلوم العربية نَحْوًا وتَصْرِيفًا وغير ذلك، وانفرد بمعرفة معاني الشاطبية معرفةً لم يُشاركه فيها غيره، وشارك في علومٍ كثيرة محقّقًا في جميعها.

صَحِب الشيخ أبا المحاسن يوسف الفاسي رضي الله عنه على طريق الإرادة والتَّحكيم. سَمِعْتُه رحمه الله يقول ما معناه: أنّه لما توفي شيخه أبو العباس القدّومي وَجَدَ عليه وَجْدًا عظيمًا واشتدّ به الأسف حتى غلبَتْ عليه السوداء واسْتَوْلت عليه الأفكار الرَّديَّة، فكان يُخَيَّلُ إليه في كثيرٍ من الأوقات أنّ الموت قد نزل به، فبينما هو

يومًا في بيته بمدرسة الحلفاويّين من البيوت المشرفة على الصَّحْن في الجانب الفَوْقاني عن يمين الداخل للمدرسة والبيتُ مُغلق عليه، وهو معمور البال بأفكاره؛ إذ مرَّ رَجُلان من الطَّلبة في المباح الذي بين صفَّي البيوت، فقال أحدهما للآخر: إن سيدي محمد النيجي اتّخذ سيدي يوسف الفاسي شيخًا له وسَلَبَ له الإرادة وانتفع به، قال: فتنبَّهْتُ وكان لي ولأَخَوَيَّ اعتقاد عظيم في سيدي محمد النيجي ووثوق بعلمه ومعرفته بطريق القوم، فقلت: هذا الذي انقاد إليه لا نَعْدِلُ عنه، فلَوْ سألتُ الشيخ ذا بصيرة لم أسْألْ غيره وما أحْوَجني إلى هذا الشيخ وقد كان سيدي محمّد النيجي صَحِبَه قبل ذلك، فسار إلى الشيخ من حينه، فكان شفاؤه في لقائه وصادَف عناية لمْ تَدَعْ له ملتفَتًا عن السلوك، فأقبل عليه ورَفَض الدنيا ولَبِس الخَشِنَ بعد ما كان عليه من الترفّه ولازم المجاهدة، ففتح عليه ووَرَدَتْ عليه وارداتُ المعارف والأسرار ولاحَتْ عليه أنوارُ الاختصاص والولاية، إلى أنْ لَقِيَ الله تعالى على خَيْرِ عمَلٍ وأحْسَنِ حالٍ، وقد قرأ على الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي ختمات كثيرة من القرآن العزيز، ولازمَ مَجْلِسَه في أنواع العلوم وزوَّجَهُ الشيخ ابنته، وقام بجميع مؤونه إلى أن توفي الشيخ رضي الله عنه، ودرَّسَ في أنواع العلوم وصَنَّف وقيَّدَ كثيرًا، وكان مُشارًا إليه بالتحقيق مُعْتَرَفًا له به، ولما انتصب للتدريس كما تقدَّم لازَمْناهُ أيضًا في الجماعة، وأقبل على التّدريس وانتفع به خَلْقٌ كثير، وصنَّفَ كُتُبًا مُفيدة منها:

. شرح على صلاة القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش.

. شرح جُمَل المجراد.

. حاشية على شَرْ اللاَّمية للمكلاتي.

. حاشية على شرح الصُّغرى.

. حاشية على شرح الضَّبْط للتنّيسي.

. حاشية على شرح الجرُّومية لسيدي الشريف.

. حاشية على شرح الألفية للمكُودي، إلا أنها لم تكمل.

. شرح توضيح ابن هشام يتكلّم فيه مع الأزهري، كتبَ منه نَحْو النصف في نَحْو سفْرَيْن.

. حاشية على مختصر الشيخ خليل مفيدة جدًّا تَرَكَها في هامش نسخته من المختصر.

. بطائق وأوراق تصدَّى لتخريجها بَعْدَه ولده الأستاذ العلاّمة أبو فارس عبد العزيز، فكَتَبَ منها جُملةً صالحةً في كراريس عديدة، ولمْ أدْرِ هل أكْمَلها أم لا.

. جَمْع أجوبة شيخه أبي المحاسن.
وله غير ذلك، وجَمَعَ وقيَّدَ وأفاد رحمه الله ورَضِيَ عنه.
لما اضطرب أمْر هذا المغرب واختلفت أحواله وعَظُم الخطب بفاس خرج سنة اثنين وعشرين وألف إلى جَبَلِ كُرْت من بلاد عوف، وكان له أصحاب هنالك وهي بلاد مِنْ أخصب بلاد المغرب، فأقام هنالك منفردًا بنفسه، وله سببٌ مِنْ حَرْثٍ وماشية إلى أن مَرِض مُدّة، وتوفي بين الظُّهرين من يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وألف، ودُفِنع بالموضع المعروف بزاوية الهبطي من جَبَل كُرْت رحمه الله ورَضِيَ عنه.
هذه الترجمة مُقتبسة من كتاب (مرآة المحاسن مِنْ أخبار الشيخ أبي المحاسن) أي سيدي يوسف الفاسي رضي الله عنه. الكتاب من تأليف سيدي محمد العربي بن سيدي يوسف الفاسي رضي الله عنهما.
&#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي الحسن الزياتي رضي الله عنه المتوفى عام 1023 هجرية الحمد لله لما حبّب الله تبارك وتعالى إلينا تفضّلاً منه ورحمةً الصلاة على واسطة الوجود، سيّد كل والد ومولود، سيّدنا ومولانا محمّد (ص)، ومجّد وعظّم، وشرّف وكرّم، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا بتصلية حجّة الطريقة، وينبوع الحقيقة، أستاذ العارفين، ورافع لواء الواصلين سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وزاده تكرمة وإنعامًا كنت أتأمّل حال التّلاوة تراكيبها كي يكون القلب متواطئًا مع اللّسان، ودُمْت على ذلك حينًا من الدَّهر، ثم إني رأيت أن أرسم ما أُفهمت فيها في هذه الوريقات كي أُوعيه أكثر، ويكون عند المفكّرة أحضر، فامتثلت أمر هذا الوارد بهذا المقصد، فقيّدت ذلك لا على أنه كشف لشيء من أستارها، وافتضاض لجودة من أبكارها، بل وعلى أنّه جامع لما كان يخيّل إليّ فيها، وإنما هو ما حضرني ساعة قيّدت ذلك ولا ينقص تجاسر مثلي عليه شيئًا من قدرها، بل هو من أدلّة ارتفاع شأنها، فإنّ أحسن الكلام ما كان بحيث تطمح فيه الأصاغر، وتشيب في استقصائه مناحر الأكابر وهُوَ المسمّى بالسهل الممتنع، وكذلك هي.
صلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلّم
أللَّهمَّ صلِّ على مَنْ منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار: قوله: (أللَّهمَّ) هي للنّداء المحض لا للتمكين جواب، ولا دلالة على قلّة وقوع، والأصل: يا ألله، وعدّل هنا لنكتتين: الأُولى ما في إثبات حرف النّداء من الإشعار بالبُعْد، فإنّ يا لنداء البعيد منك غير مُناسب في هذا المقام، الثانية ما يقتضيه لفظ أللَّهمَّ من توفّر

الرغبة في المتوجّه إليه وتربية العزم في طلبه لمكان الميم المزيدة في آخره، فقد عهدت زيادتها آخر دلالة على قوّة المعنى نحو زرقم لكثير الزرقة وكونها عوضًا من حرف النّداء لا يقدح في ذلك، فقد قضى بها الغرضان معًا.

قوله: (صلِّ) أصل الصلاة الترحّم، فإذا قلت: صلّى الله على محمّد، فمعناه: أللَّهمَّ ارحم محمّدًا وشرعت لنا ليحصل لنا الأجر. وأمّا سيّدنا محمّد (ص)، فمقطوع له بالرَّحمة، وهي فرض مرّة في العمر، وظاهر هذا أنّه لا ينتفع بصلاتنا عليه، وإنَّما يعود النّفع إلينا، وهو قول. وقيل: ينتفع بها وفضل الله لا حدَّ له، وإذا نظرت بعين الحقيقة فما صلّى على محمّد (ص) إلاّ سيدنا محمد؛ فإنّ الله تعالى خلق آدم وولده أجمعين على صورة حروف اسمه (ص)، كي لا يُرى بالبصر إلاّ اسمه، ولذلك مَنْ أحبّ شيئًا لا يرى إلاّ صورته، فجعل الميم الأُولى من محمّد (ص) هي الرأس، فإذا ما صدرت الصلاة عليه إلاّ من ميم صورة اسمه، وجعل الحاء هي اليدان، وجعل الميم الثانية هي البطن، وجعل الدالّ هي الفخذان والساقان والقدمان، وهكذا صورته في الخطّ القديم وعلى هذه الصورة صورة أهل الجنّة رجالاً ونساءً وولدانًا، كي يرى اسمه في كلّ مكرَّم ومحبوب معظم، فيعمّ حبّه كل شيء برؤية اسمه (ص)، وإنَّما خرجت البهائم والنبات والآلات والمعادن الجوهر والأثاث وسائر الأشخاص عن هذه الصورة المحمّدية من جهة أنّها مستخدمة مملوكة لبني آدم مخلوقة من أجلهم كي لا يستخدم اسم الحبيب ولا يستذلّ.

قوله: (على مَنْ مِنْه انشقَّت الأسرار) أي أسرار الذات، فإنها كانت مبطّنة مغلقة حتى أبانها وفتحها باسميه: المبين والفاتح، فهو الذي فتق العقول بالهداية لما منح لها من ذلك، وأطلق الألسنة وهو معرب أسرار الذَّات والخليفة على الإطلاق، وللربوبيّة سرٌّ لو ظهر لبطل نور الشريعة، وهو قد اطّلع على ذلك فأبطن ما يليق وأظهر ما يليق، فمنه انشقّ ما ظهر من ذلك وهو معدن الأسرار، وتقديم المعمول وهو قوله: (منه)، والإتيان بأل الجنسية الإستغراقية في قوله: (الأسرار) مؤذن بانشقاق جميع الأسرار منه لا مِنْ غيره، وهو كذلك لأنه أوّل مخلوق خلق باعتبار ذاته الباطنة النورانية لا الطينية، كما ورد في الأخبار: أن أوّل ما خلق الله نوره (ص)، فإنّ المراد به ذاته الباطنة النورانية، ومنه تستمدّ جميع العوالم، قاله في شعب الإيمان.

قوله: (وانفلقت الأنوار) أي الأنوار كلّها الملكية والملكوتية، وما يَرِد على القلوب من علاَّم الغيوب كلّها منه انفلقت (ص) لا من غيره، قاله في الشعب. وقد روت عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: {] ء ــ . 4 } [(324)]، قالت: كان خُلُقه القرآن، والقرآن هو النور المبين الذي منه يستمدّ كل نور في

الموجودات، والقرآن هو الجامع للأشياء والصّفات الربانية القائمة بجميع الأشياء أوجد الله تبارك وتعالى عن كل معنًى من معاني أسمائه وصفاته القديمة مُحدثة بثّها في العالمين، فأوجز العلم عن علمه، وهكذا جميع أسمائه وصفاته، فخلق نور محمّد (ص) وذاته الباطنة عن معاني القرآن، وخلق كبكل صفة محمودة فيه والقرآن جامع لمعاني الكتاب كلّها والمهيمن عليها، ولذلك سُمِّي قرآنًا، والقرآن هو الجمع، فهو يعني النبيّ (ص) جامع لكل نور وخير وبركة وحُسْن وجمال، ومنه تستمدّ جميع العوالم، وقد ورد في الأخبار أنّ أوّل ما خلق الله تعالى نور محمّد (ص)، يعني ذاته الباطنة النورانية، انتهى. ثم قال بعد كلام: قد تبيّن أن نور الوجود وجماله وخيره في البواطن والظواهر إنّما تُستمدّ ويستمد من نور ذاته الباطنة، وقد سمّاه الله تعالى سراجًا منيرًا في قوله عزّ وجلّ: { » « { (ص) } 45 ! " ₤ $ % 46 }[(325)]، قال تعالى في الشمس سراجًا، فذاته (ص) الوجود منها يستمدّ جماله ونوره وحسنَهُ، فكما أن الأبصار تستمدّ من أشعة الشمس المبثة من القرص إلى أقطار العالم، فيرى بنورها ويظهر ويتبيّن كل شيء، فكذلك تستمدّ العقول والبصائر والذات من ذات المصطفى النورانية التي هي شمس الوجود وسراجه، فافهم؛ فأوّل ما خلق الله تعالى نوره (ص) في البدء، فكان بذرة الوجود وأقرب موجود هو مقام الحبيب من الحبيب، ثم نشأ عنها الوجود كلّه كما تنشأ الشجرة عن البذرة حتى كَمُلت الموجودات الكلّيات، ثم خلق الله آدم عليه السلام وولده والنور يمدّ الكل من الأصل حتى ظهر جسده الطاهر في آخر الدنيا، وكمال الخلق كما تظهر ثمرة الشجرة بعد كمالها، فهو الأوّل والآخر، انتهى. فقد بان لك أن الأنوار كلّها منه انفلقت، والنّور ظلّ يقع في الصدر من معنى اسم أو صفة، كذا فسّره سيدي زروق في شرح الحكم، وإنَّما أحضره بالموصول، وهو قوله: على من منه، الخ... دون اسمه العلم لما في هذه الصّفة من التفخيم والصِّلة إذا كانت صلته كذلك، فإنه أوقع في النفس وأبقى عند المحافظة.

وفيه ارتقت الحقائق وتنزّلت علوم آدم: قوله: (وفيه ارتقت الحقائق) أي: وفي سماء ذاته الباطنة النورانية ارتقت أي طلعت الحقائق العيانية جمع حقيقة المقابلة بالشريعة، وهي ما يلقيه الحق لعبده من العلوم الإلهامية التي لا يشكّ مَنْ أَلقَيْت إليه حقيقتها ولا يحتاج إلى برهان في تحقيقها ولا تستند إلى دليل خارج عنها ولا تخرج عن أصلٍ شرعيٍّ في وجودها، كذا فسّرها سيدي أحمد زرّوق في شرح الحكم، ويحتمل أن يُراد حقائق الأشياء على العموم؛ لأنه (ص) أعلم البريّة على الإطلاق، ومِنْ علومه علم اللَّوح والقلم.

قوله: (وتنزّلت علوم آدم) أي وفيه تنزّلت علوم آدم بالأسماء والصّفات الربانية القائمة بجميع الأشياء تنزّلاً بالأصالة أولاً قبل خلق آدم، فإنه (ص) عقدت له النبوّة قبل كل شيء، ودعى الخليقة عند خلق الأرواح وبدأ الأنوار إلى الله تعالى، كما دعاهم آخرًا في خلق جسده آخر الزّمان، فهو آدم الأرواح ويعسوبها، كما آدم أبو الأجساد وسببها وبالوراثة ثانيًا، فمنه بدأت وإليه عادت.

فأعجز الخلائق: أي كل مخلوق وآدم منهم عجزوا عن بلوغ مرتبته، وقيل: مكانته وعلوّ منزلته وإدراك علمه. قال في الشعب: انظر أحاديث الإسراء والآيات الواردة فيه، فقد رتّب البراق ورقى المعراج ورتب الرفرف وجاوز مقامات الأملاك والأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى، فإنّما صعد (ص) إلى مقامه الأوّل الذي هو بدء للنور الذي خلق منه العرش من نوره الأوّل الذي ليس بينه وبين الله تعالى واسطة، بل هو الواسطة للوجود كلّه، ومن هذا تفهم حديث قتادة رضي الله عنه الذي ورد أن الله يُجلس محمّدًا (ص) على العرش لاستغنائه هو جلّ جلاله عن العالمين، فيُقعده مكان الربوبيّة، ويهب ملكه له لاستغنائه عن الكلّ، فيكون مشرفًا على الوجود كلّه؛ لأن الوجود من نوره ومن جماله استنار، وليست تظهر منزلته (ص) التي ظهرت لأهل العلم لعموم الخلق إلاّ في الآخرة، ويشهد لذلك قوله عليه الصّلاة والسّلام: «أنا سيّد ولد آدم، أنا حامل لواء الحمد، أنا سيّد الأوّلين والآخرين، أنا أوّل من يحرّك خلق الجنّة، أنا أوّل شافع وأوّل مشفّع، أنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض» ، فقد أشار إلى خصائص خُصَّ بها لا ينالها ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل إظهارًا لمزيته (ص).

الفاء في قوله: (فأعجز) نتيجة عن كل ما تقدَّم من قوله: منه انشقّت الأسرار، إلى قوله: وتنزّلت علوم آدم.

وله تضاءت الفهوم، فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق: اللام من قوله: (وله) يحتمل كونها بمعنى عن أي، وعنه أي عن إدراك معناه تضاءت الفهوم، أي ضَعُفَت، وقد عَبَّرَ عن ذلك البوصيري رحمه الله بقوله:

أعْيَا الورى فَهْمُ معناه فليس يُرَى	للقرب والبُعْد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بُعُدٍ	صغيرة وتكل الطرف من أُمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته	قومٌ نيامٌ تسلّوا عنه بالحُلُمِ

وقد قال (ص) لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «يا أبا بكر، والله ما عرفني غير ربّي» ، أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام؛ فهذا دليل شاهد على صحة هذا الإحتمال، ويحتمل أنّها على بابها من التعليق وضمير له حينئذٍ عائد على كل ما تقدَّم من انشقاق الأسرار، الخ.. بتأويل ما ذُكِرَ، أي لأجل ما ذُكِر من انشقاق الأسرار

وانقلاب الأنوار منه وارتقاء الحقائق وتنزل علوم آدم، فيه ضعفت الفهوم عن إدراك معناه وإحصاء فضله (ص):

فإنّ فضل رسول الله ليس له	حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم
أرومُ امتداد المصطفى فيردّني	قصوري عن إحصاء تلك المناقِبِ
ومَنْ لي بعد القطر والرّمل والكلأ	ومَنْ لي بإحصاء الحصا والكواكب

قوله: (فلم يدركه منّا)، أي معشر الخلق طرًّا. قوله: (سابق ولا لاحق) سابق عليه في اخلقة الطِّينيّة، ولا لاحق له فيها. وأمّا باعتبار ذاته اللطيفة النورانيّة، فهو أوّل المخلوقات، ويحتمل أن يكون المراد بالسابق واللاحق معًا باعتبارنا معشر المنفيّ عنهم الإدراك، لا باعتباره (ص).

فرياض الملكوت بزهر جماله مونّقة: الملكوت ما شأنه أن يدرك بالعقل والفهم لا بالحسّ والوهم، وهو عنّا عبارة عن عالم الصّفات، وهو محلّ مجال الأرواح، ولما كانت الصفات متعدّدة متنوّعة استعار لها لفظ الرّياض المتنوّع الأنوار، ثم فرع عليه ما يناسب الرّياض وهو الأزهار؛ فالرّياض عبارة عن آلة شهود الصّفات، وهي القلوب والأرواح. قوله: (مونّقة) أي معجبة، يقال: تأنّق في الروضة إذا وقع فيها متتبّعًا لما يُونّقه، أي يُعجبه.

وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفّقة: الحياض جمع حوض قُلِبت واو ياء لمكان الكسرة قبلها، والجبروت ما لا اطّلاع لنا عليه الآن وسنطّلع عليه، وهو هنا عبارة عن عالم الذّات الذي هو محلّ نظر السرِّ الذي هو باطن الروح ولا وجود للروحعندما يرتقي من عالم الصّفات إلى عالم الذّات، بل تتخالف لدهشها بشعاع أنوار الذّات، وضمير جماله وأنواره للنبيّ) ص)؛ إذ لا ينال شيء إلاّ بواسطة روحه عليه الصّلاة والسّلام، ولما كان الذات واحد غير متنوّع استعار لفظ الحوض المحتوي غالبًا على نوعٍ واحد ثم فرّع عليه ما يُناسب الحوض من الفَيْض والتدفّق أي التصبّب، فالحياض عبارة عن الأسرار التي هي آلة شهود الذات.

ولا شيء إلاّ وهو به منوط: أي معلّق أناطه استناد واستمداد، فإنّ الكلّ مستمدّ منه ومستند إليه وقد تقدَّم أنه بذرة الوجود عنه نشأ الوجود كلّه، فراجعه.

إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط: هذا علّة لقوله: (ولا شيء إلاّ وهو به منوط)، والمراد بالواسطة نبيّنا محمّد (ص)، فإنّ تسميته بالواسطة للوجود والوسيلة العظمى شائع بين القوم لانفصال الكلّ عنه وبسببه، ولذا أتى به ظاهرًا ولم يقل لولا هو لذهب، الخ... أي ليصرّح بأنه الواسطة بين عزّة القدم وذلّة

الحدوث، والمراد بالموسوط الوجود بأسره عداه (ص). وقوله: (كما قيل) إشارة إلى الأخبار الواردة في ذلك من أنّه لولا هو (ص) ما خلقت جنّة ولا نارًا ولا أرضًا ولا زمانًا ولا مكانًا ولا غير ذلك، وتَقْدِيرُ كلامه: إذ لولا هو (ص) ما وُجِدَ الوجود. وأمّا جعل قوله: (كما قيل) إشارة إلى مثل في الخارج أو إلى أن هذا الكلام مثل، فيعيد من الذوق.

صلاة تليق بك منك إليه كما أهو أهله: قوله: (صلاة) هو معمول قوله أولاً: أللَّهمَّ صلِّ، والصّلاة اسم وُضِعَ موضع المصدر، تقول: صلّيت صلاة، ولا تقول: تصلية. قالوا: ولعلّه فرارًا من صليت العود في النار تَصْلِية. قوله: (تليق بك) أي بعظمتك وكبريائك وكرمك، والجملة صفة لصلاة. قوله: (منك إليه) حال من فاعل تليق، أي صلِّ عليه صلاة تليق بك في هذه الحالة، وهي كونها صادرة منك إليه، فإنّ ما يليق بملك عظيم القدر مثلاً ولله المثل الأعلى باعتبار صدوره منه إلى أحد السَّفَلة لا يليق به باعتبار صدوره منه إلى وزيره الأعظم، فقد طلب له رضي الله عنه أتمّ صلاة وأكملها؛ لأن ما يصدر من أكرم الأكرمين إلى أكرم الأكرمين لا يقاس عليه بمقياس. قوله: (كما هو أهله) أي صلِّ عليه هذه الصلاة حسبما هو أهل لذاك.

أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع الدالّ عليك: كأنّه فصل من فصول الكلام، ولذا صدر بلفظ: أللَّهمَّ الذي يؤتى به في الإفتتاح والكلام فيه كما تقدَّم في: أللَّهمَّ الذي صدر به الكلام أوّلاً، وكذا حيث جاءت ونسبته مما قيل إنه علّة وبيان لاستحقاقه ما طلب له من الصلاة، فهو بيان لقوله: (كما هو أهله). قوله: (سرّك الجامع) تقدَّم أنه المعرب لأسرار الذَّات، وأنّ الأسرار منه انشقّت، وقال سيدي عبد الجليل: فكلّ قلب وروح أحبّه من جميع الخلائق ائتلف مع روحه الكريم في غيب الغيب، كما قال (ص): «الأرواح جنود مُجَنّدة، فما تعارف منها ائتلف» الحديث، فائتلف أرواح العالم كلّه بالمحبة له على حبِّه، فكان أمير الأرواح كلّها وسيّدها، واجتمعت على محبّته كاجتماع النَّحل على يعسوبها، وهو مَلِك النحل الجامع لها، فاجتمعت الأرواح على حبِّه وعلى دينه وتوحيده وحبّ خالقه تعالى؛ إذ هو (ص) الدّاعي إلى التوحيد في الأزليّة للجميع وفي كل مكان، فكان ذلك من الأرواح إجماعًا واجتماعًا عليه، وقال في موضع آخر: وعليه أسبغت جميع النِّعم وخلعت حلل الجود والكرم، فهو جامع بكلّ اعتبار وعلى كل وجه وجعله نفس السر؛ لأنه يرد بمعنى خيار الشيء وخلاصته، فمعنى قوله: سرك، أي مختارك ومصطفاك من خلقك وتحفتهم وخلاصتهم، ويحتمل أنه على حذف مضاف، أي محل سرّك الجامع له. قال: خفيت أسراره مع حبيبه في

غيب الغيب بدخوله عليه وحده، كما يدخل الوزير المقرّب على الملك، وعليه فالسرّ مقابل العناية. قوله: (الدالّ عليك) أي أولاً عند خلق الأرواح، وآخرًا عند بعثته (ص).

وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك: لما كان (ص) وسيلة عظمى وواسطة كبرى بين عزّة القدم وذلّة الحدوث وخليفة على الإطلاق وعلى يده يدخل مَنْ سبق له جذب عناية، وكان مَنْ سار إلى حضرة ربّه بواسطته واتّباع صراطه المستقيم ظفر، ومن حادَ عن ذلك واتّبع السبيل تفرّقت به فخسر، فكان بابه وحجابه الأعظم القائم له بين يديه بهذا الإعتبار، كما يقال في وزير الملك المقرّب المتولّي شؤون المملكة حجاب، ويحتمل أنه يسمّى بالحجاب الأعظم القائم له بين يديه لحجبه العقول وتحجيرها عن الخوض في كنه ذاته.

أللّهمّ ألحقني بنسبه وحقّقني بحسبه: المعتبر أولاً بالذات أصل النَّسب الديني وفرعه، ثمّ انضاف إلى ذلك النّسب الطيني كان مؤكّدًا له، فلا جرم لا يدرك لصاحبه شَأْوٌ ولا يشقّ له غبار ولا تشمّ له رائحة ولا يُخاض له تيار، فالشيخ رضي الله عنه قصد بقوله: ونسبه، النّسب الديني، وبقوله: بحسبه، الحسب الحالي، ولك أن تقول: النّسب في الإنسان هو باعتبار شخصه الظاهر الذي هو جسده، وبه يقال: فلان بن فلان؛ إذ هو المتولّد عن النّطفة. وأمّا ذاته الباطنة التي هي روحه، فلا مدخل لها في النّسب، لأنها لم تتولّد عن النّطفة والأرواح سابقة على الأجساد، والله عزّ وجلّ كما فرض على القلوب عملاً من الإعتقادات كذلك فرض على الجوارح الظاهرة عملاً من الطّاعات، فقد طلب رضي الله عنه بقوله: ألحقني بنسبه، أي يلحق به باعتبار جسده الظاهر، أي يكون تابعًا له وعلى قدمه فيما هو من وصف الجوارح الظاهرة؛ إذ حينئذ يكون نسبه رضي الله عنه، أي جسده الظاهر يلحق بنسبه، أي ذاته الظاهرة (ص)، والحسب في الإنسان يُطلق باعتبار لطائفه وأخلاقه الحميدة، فقد طلب رضي الله عنه بقوله: وحقّقني بحسبه أن يلحق به باعتبار ذاته الباطنة النورانية وما هي عليه من الأخلاق والكمالات، فقد طلب رضي الله عنه أن يكون تابعًا له، وأن يكون وارثًا على قدمه في الظاهر والباطن والقلب والقالب، ويحتمل وجهًا ثالثًا هو عندي كبير الملتفت إليه باعتبار ما قبله، وهو أنّ كونه من نسبه وأنه محفوظ النّسب من لدنّ الحسن رضي الله عنه إلى هلمّ جرًّا أمر مظنون؛ لأنه ما نُقِل بالتواتر المفيد للقطع والمظنون يطلب ويدعى أن يكون محقّقًا في نفس الأمر، ولكن هذا الوجه يختصّ به الشيخ ومَنْ شاركه في تلك المعنى ولا يبقى لغيرهما عند ذكر هذا الكلام إلاّ قصد الحكاية وما قبله عامّ في كل ذاكر، فهو أوْلى التوفيق، وهو أعلم بالصواب.

وصِيغَةُ الأمر في قوله: (وألحقني) (وحقّقني) للدوام، فإنّ قولك للمتلبّس بفعل إفعل كذا ممّا هو متلبّس به معناه إلزم فعلك ودُمْ عليه؛ لأنه طلب لإيجاد الفعل من أصله، إذ هو حاصل، والأمر يكون للدَّوام، مِنْ قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}[(326)]، أي دُوموا على الإيمان بهما على أحد التأويلين في الآية والشيخ رضي الله عنه كان متّصفًا بما طلب حين الطلب، بل كان راسخ القدم فيه، ومع كونه كما ذكرنا أي للدَّوام، فالحامل عليه إظهار العبودية والتلذّذ بالخطاب والأمر به، لا قصد نَيْل المطلوب؛ لأنه خاصّة الخاصّة يدعون للأمر بالدعاء مع نسيان حظّهم وحيث وجدت لفظ الأمر في كلامه، فاحمله على هذا الحِمل.

وعرّفني إياه معرفة أسْلَم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل: معرفته (ص) أي فهم معناه هي سبب لمعرفة الله، بل هي عينها، ولما كان لفظ معرفة يَصْدُقُ بأشياء كمن شاهد ذاته، وإنْ لم ينتفع به أو عرفه بالخبر وكم فهم معناه وأدرك حقيقته طلب رضي الله عنه هذا القسم الأخير من المعرفة؛ إذ به تحصل السلامة والكرع مما ذكر، وتقدير كلامه وعرّفني إيّاه معرفة أسْلَم بها من ورود موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل، والموارد جمع مورد وهي محل السقي والشراب، والكرع الشرب بالفم بلا واسطة اليد، ففيه إشارة إلى مطلبه علم لدنيّ من الربِّ إلى القلب بلا واسطة، والأمر أيضًا للدَّوام.

واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفًا بنصرتك: أي: واحملني على كاهل شريعته المحمّدية إلى حضرتك الأحدِّية القدسيّة حَمْلاً محفوفًا محفوظًا بالنصر والتأييد، والحضرة دائرة الولاية، وهي مشتقّة من الحضور، وهو حضور العبد مع ربِّه بقلبه أو روحه أو سرّه، كلٌّ بحسبه.

واقذف بي على الباطل فأدمغه: أصل القذف الرَّمي، وأصل الدمغ من إصابة الدماغ، يقال: دمغه أي أصاب دماغه، والباطل ضدّ الحقّ، وباطل كلّ أحد ركونه إلى طبعه وحظوظ نفسه، أي: وارْمِ بي على حظوظ نفسي وركوني إلى طبعي، فأذهبت ذلك: هذا باعتبار البداية والباطل باعتبار البساط الذي تكلّم منه الشيخ رؤية غير الله أيًّا كان، ألاَ كل شيء ما خلاَ الله باطِلُ، بدلل قوله: وزُجَّ بي، إلى قوله: إلاج بها، والأمر أيضًا للدَّوام.

وزُجَّ بي في بحار الأحدِّية: الأحدّية أحد اعتبار الوحدة، وذلك أنّ الوحدة عند القوم يقصدون بها عين الذَّات ولها اعتباران: أحدهما يسمّى أحدّية، والآخر واحدية؛ فإن أخذت الوحدة باعتبار سقوط الكثرة، ولوحظت لا باعتبار ترتيب صور الموجودات عنها، فذلك الأحدية. وإنّ أخذت باعتبار الكثرة والحقائق

الغير المتناعية ولوحظت بحسب ترتيب صور الموجودات، فذلك الواحدية. قال ابن خلدون في كتابه شفاء السائل لتهذيب المسائل، ما نصّه: الرأي الأول رأي أصحاب التجلّي والمظاهر والأسماء والحضرات، وهو أي غريب، ومن أشهر المتذهّبين به ابن الفارض، إلى أنْ قال: وحاصله في ترتيب صور الموجودات عن الواجب الحقّ أن آنية الحقّ هي الوحدة، وأن الوحدة منشأة عنها الأحدّية والواحدية، وهما اعتباران للوحدة؛ لأنه إن أخذت من حيث سقوط الكثرة وانتفاء الاعتبارات، فهي الأحدّية. وإن أخذت من حيث اعتبار الكثرة والحقائق غير المتناهية، فهي الواحدية ونسبة الواحدية إلى الأحدية نسبة الظاهر إلى الباطن، والشهادة إلى الغيب، فهي مظهر للأحدّية بمنزلة المظهر للمتجلّي، ثم تلد الوحدة الجامعة التي هي عين الذات وعين قبولها للإعتبارين، أعني اعتبار الباطن وتوحّده واعتبار الظاهر وتكثّره، فهي بَيْنَ الظهور والبطون كالمتحدّث مع نفسه، انتهى.

ولنرجع إلى بيان كلام الإمام قوله: (وزُجَّ بي في بحار الأحدِّية)، أي أدْخِلْنيها وغيِّبني فيها، فقد طلب رضي الله عنه أن يزجّ بي فيها حتّى يكون مطلوبًا بها لا طالبًا لها، وحتى تعتمره اعتماءً فيحظى بها قلبًا وروحًا وسرًّا وقالبًا، بحيث ينشر بها نشرًا يظهر أثره على ظاهره كما تحقّق به باطنه، ولما كان هذا جمعًا بلا فرق، ومحوًا بلا إثبات، وهو مجمل تضلّ فيه الأحلام ومدحض تزلّ فيه الأقدام إنْ لم يكن تأييد من المِلك العلاَّم عقبه بقوله:

وانشلني من أوحال التَّوحيد: أي احفظني وأزِلْني منها بسرعة، فقد طلب أن يكون مزجي به في بحار الأحدّية محفوظًا من مخاوف ذلك المقام في حالة واحدة، وذلك بأن يكون مردودًا من مقام الجمع المطلق إلى محو الجمع والفرق، فيكون الفرق على ظاهره موجودًا، والجمع في باطنه مشهودًا كي يؤدّي لوازم العبودية على بساط حضرة الربوبية، وقد يحتمل بأن يُراد بأوحال التَّوحيد توحيد أهل الرسوم المستفاد من الدّليل والبرهان، فإنّ ما يفيده النظر في الفجاج والوهود وحل ووهم بالنسبة للنظر والعيان والشهود، وإنْ كان له بيتٌ من المجد مشيّد بالنسبة لما دونه من التقليد، فإنّ الأمر نسبيّ وإضافي، وفي معنى ذلك أنشد قائلهم حيث يقول:

كبر اليقين عليّ حتى أنه	طار اليقين من العيان توهّمًا

والأمر أيضًا للدَّوام.

وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أُرى ولا أسمع ولا أجد ولا أُحسّ إلاّ بها: المراد بالعين نفس الشيء، والوحدة هي عين الذات حسبما قدَّمناه، أي وأغرقني في مشاهدة الذات حتى لا أُدرك شيئًا إلاّ بها، فقد طلب أن تحظى كثائفه من ذلك بما حَظِيت به لطائفه، وكذلك كان؛ فالدعاء للدَّوام، وعليه فالحاصل إظهار العبودية والتلذّذ بالخطاب، لا قصد نيل الحظّ حاشاه.

واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سرّ حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحقّ الأول: قولُهُ: واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه تسميته (ص) بالحجاب الأعظم، ومعنى كلامه أنّه طلب أن يكون غائبًا في محبّته مستهلكًا في ذاته حتى يمتزج ذلك بروحه وينصبغ فيها انصباغًا لا يمكنها الانفكاك عنه وينطبع فيها انطباع المرء في المرآة، ويشتبك فيها اشتباك الحياة بالحيّ، فيكون حياة روحه.

قوله) : وروحه سرّ حقيقتي)، أي: واجعل روحه المحمّدي سرّ حقيقتي حتى تكون حقيقتي محمّدية.

قولُهُ: (وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحقّ الأول)، أي: واجعَل حقيقته الأحمدية جامعة عوالمي اللّطيفة التي هي محلّ المعرفة بتحقيق الحقّ الأول، ذولك معرفة يوم الميثاق، فقوله: بتحقيق الحق الأول معمول لقوله: جامع عوالمي، والإضافة الأُولى، أي يوم أَلَسْتُ، فقد طلب أن ترد لطائفه إلى معرفتها الأصلية السابقة لها، والأمر في جميع ذلك للدَّوام.

يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن، إسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء، وانصرني بك لك، وأيِّدي بك لك، واجمع بيني وبينك وحُلْ بيني وبين غيرك: خصّ هذه الأسماء بالذّكر من بين سائر الأسماء لِمَا فيها من الإشعار بالإحاطة ومطلوبه هو قوله: اسمع ندائي، الخ... ومعنى: اسمع ندائي، أي: اقبل طلبي بالفضل الذي قبلت به طلب عبدك زكرياء حيث قلت مخبرًا عنه ومجيبًا طلبه: { خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ 89 ع غ [گ] }[(327)]، والسّماع يقع مرادفًا للقبول، تقول: سمعت عذرك أي قبلته، وهذا شيءٌ لا أسمعه أي لا أقبله، وكلامه طبق قولهم العارف فعله بالله وشواغله لله وهمّته لله، فقوله: وانصرني وأيِّدني بك لك، الخ... طبق قولهم فعله بالله وشغله لله، واجمع بيني وبينك، وحِلْ بيني وبين غيرك طبق قولهم وهمّته لله، وانصرني بك لك وأيِّدني بك لك، أي للقيام بحقّ ربوبيتك، لا للاشتغال بحظّي، والنّصر والتأييد بمعنى واحد، فهو من التفنّن بفنِّ الكلام وهو حسن، وباقي الكلام بيِّن واضح، والأمر في جميع ذلك للدَّوام.

ألله ألله ألله: وسط قوله: اسمع ندائي، الخ... يريد نداءين الأول قوله: يا أول يا آخر، الخ... الثاني قوله: ألله ألله ألله، فإنه مُنادٍ ترك معه حرف النداء لما تقدم في قوله في افتتاح الكلام: أللّهمَّ من أنه للبعد وهو غير

مناسب للمقام اعتناءً بشأنه واهتبالاً بأمره، كما يقال: أللَّهمَّ افعل في كذا يا مولاي، وكرّر لفظ الجلالة ثلاثًا إشارة إلى العوالم الثلاثة، فيغيب العبد إن ساعده التوفيق بقوله أولاً: الله عن شهود فعله بشهود فعل مشهوده، ويغيب بتكرير ذلك ثانيًا عن شهود وصفه بشهود وصف مدعوّه، ويغيب بإعادته ثلاثًا عن شهود ذاته بشهود ذات معبوده.

{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}[(328)]: تفسير الآية معروف ويقتبس منها هنا البشارة بإجابة قوله: (وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحقّ الأوّل) على ما قدَّمنا من أن المراد به معرفة يوم الميثاق؛ إذ ذاك هو معاذ أرواحنا، لكن لتراكم الجهل وطول الغفلة نسينا العهد القديم.

{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(329)]

{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض } (2)

{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض } (2)

ختم كلامه رضي الله عنه بالآية الحاكية دعاء أهل الكهف لِمَا اشتملت عليه من حسن الدعاء، وكرّرها ثلاثًا لأن الإلحاح يحسن في مواضع منها الدعاء، والله يحب الملحّين في الدعاء، وتقع في بعض النسخ غير مكرّرة، وهو بيِّن لا يحتاج إلى توجيه، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا. أللَّهمَّ ببركة المصلّي والمصلَّى عليه غيِّبني فيك عمّن سواك واغْنِني بك عمّن سواك، وانسني بك عمّن سواك، وعلِّمني من علمك، وفهِّمني عنك، وأسمعني منك، وبصّرني بك، وأوقمني بشهودك، وعرّفني الطريق إليك، وهوّنها بفضلك وألبسني التقوى منك وبك، إنك على كل شيء قدير.

انتهى بحمد الله حُسْن عونه وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا، والحمد لله ربّ العالمين.

&#5؛ ترجمة سيدي محمد الخروبي رضي الله عنه أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، الجزائري، المالكي، فقيه الجزائر في عصره. وُلِد بطرابلس الغرب، ودخل مراكش سفيرًا بين سلطان آل عثمان والأمير عبد الله الشريف للمهادنة بينهما، وتوفي بالجزائر عام 963 هجرية (1555 ميلادية).

ترك رضي الله عنه مؤلّفات عديدة منها:

. كتابٌ في التفسير.

. الحِكَم الكبرى.

. شرح الصلاة المشيشية.
. مُزيل اللَّبْس عن آداب وأسرار القواعد الخمس.
. رسالة في ذي الإفلاس.
. الأنس في التنبيه على عيوب النفس.
هذه الترجمة مُقتبسة من كتاب (معجم المؤلفين) للسيد عمر رضا كحّالة &#5؛ شرح الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي الخروبي الطرابلسي رضي الله عنه، المتوفّى عام 963 هجرية اسم هذا الشرح هو: مفتاح المقام لفهم ما عبر عنه في تصليته الشيخ مولانا عبد السلام الحمد لله الذي جعل الصلاة على النبيّ (ص) سيّد العرب والعجم من أعظم الرُّتب وأفضل القُرب، ووفّق إليها أهل العناية، وجعلها مِعْراجًا إلى تحقيق الولاية، ودليلاً على صحة البداية، وبلغ النهاية، وسببًا لتكفير كل جناية، ولم يزل المحبوب من أُمّته وأهل القرب من أهل ملّته، من شدَّة الحب ودنوّ القرب تفيض على قلوبهم أنوار المحبّة، وتهزّ أرواحهم عواصف الدنوّ والقربة، فتنطلق ألسنتهم بمعاني ما حصل في بواطنهم من شهود النّور المحمّدي، وما انكشف لأرواحهم من كمال السرّ الأحمدي، وما رامَ أحد منهم بذلك بلوغ الغاية، ولو بلغ مقاله النهاية؛ إذ لا يبلغ أحد معرفة قدر الرسول الكريم، ذي القدر العظيم، إلا الخبير العليم، وهيهات أن يبلغ أحدٌ من الخلق، وإن وفى ببعض حبِّه وصف أحوال المصطفى، وإنما يَحُول حول الحق، بل كيف يلحق أحد بيده السماء؟ إيه، وممّن خاطب في هذا بأفصح خطاب، ونطق فيه بالصواب، وسلك في الصلاة على رسول الله (ص) مسلك أوسط الألباب، ودلّ خقابه على تحقيق في مقام الاقتراب، وقربه من الجناب بتحقيق ما قاله، وأدب بين يدي الرّسالة، هو الشيخ الإمام القطب العارف بالله الدالّ عليه، ذو الطريقة السَّنيّة المستقيمة، والأحوال السَّنيّة العظيمة، وشرف النّسب وأصل الحسب «سيدي عبد السلام بن مشيش» الحسني أعاد علينا الله من بركاته بمنِّه، ولما كانت التصلية المنسوبة إليه تضمّنت حقائق شريفة، ومعاني دقائق الحقيقة، من عالم غيب ربّ العالمين، إلى سماء قلوب العافين، سألني شَرْح تصلية الشيخ المذكور حفيده السيد العابد الصالح الزّاهد سني الطريقة، الباحث على تحقيق رسوم الحقيقة، الجبل الثابت، البحر الصامت «أبو حفص سيدي عمر» بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني نفعنا الله به وبصالح نسبه آمين بمنّه وكرمه، فلم يسعني إلا إجابة داعيه وتلبية مُناديه، وإن كنت لم أصْلُح لذلك؛ إذ لا قدرة لي على سلوك هذه المسالك،

لكن اعتمدت على الربّ الذي لا يخيب من اعتمد عليه، واستندت إليه فيما أردته، إذ هو الذي يُعين مَنِ استند إليه، وبه سبحانه وتعالى أستعين، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليِّ العظيم.

يحسن قبل الكلام على ألفاظ التصلية أن يُعرِّف بالشيخ الذي أجادت بها أريحيّته، إسمًا، ونسبًا، وطريقة، ومعاملة في أحواله وآدابه ومقامه؛ إذ قبول كل مقالة فرعٌ عن معرفة قائلها، ووددت أن أستقصي الكلام في ذلك كلّه لو تيسّر لي، لكن أذكر ما حضر لي في ذلك، وعلى مَنْ علم شيئًا زائدًا مما ذكرناه عليه أن يلحقه به وأجره على الله سبحانه.

أمّا اسمه، فهو الشيخ العارف بالله تعالى، القطب الداعي إليه، أبو محمد «مولاي عبد السلام» بن مشيش بالميم، ويقال: بشيش بالباء الموحدة من أسفل، وكان بعض من لقيناه من الأشياخ يصحّح الأول، ويقول: مشيش بالميم وتشديد الشين الأُولى وتخفيفها.

أمّا نسبه، فهو إدريسي حسني ثابت الشَّرف، وكان رضي الله عنه من أكابر الأولياء العارفين بالله، صدر الصدور، في الأكابر مذكور، وبينهم مشهور، قطب الدائرة، فعليه مدارها ومنه استمدادها.

وأمّا طريقته في معاملاته وأحواله في منازلاته وآدابه ومتعبّداته، فكانت طريقة سَنِيَّة وتعبّداته زكيّة، أخذ الطريقة عن الأكابر، منهم الشيخ عبد الرحمن المديني، ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وأخذها عنه أكابر، فممّن أخذها عنه القطب الوارث ـ أي لسرِّه ـ أبو الحسن علي الشاذلي، وكان رضي الله عنه ذا جدٍّ واجتهاد ومحافظة على الأوراد، قطع المقامات والمنازلات حتى نفذ إلى طريق المعرفة بالله.

تنبيه:

اعلم أنّ الخطاب يكون تارة بحسب المخاطِب ـ بكسر الطاء ـ من اسم فاعل، وتارة يكون بحسب المخاطَب ـ بفتحها ـ من اسم مفعول، وهنا وقع بحسب الأوّل؛ إذ الثاني لا يخاطب بقدره، إذ هو مقام الرسالة الأحمّدية والنبوّة المحمّدية، وإنَّما كان مخاطبًا عن رسول الله (ص) بحسب معرفته بجانبه وبحسب اطّلاعه على خصوصيّته وقربه، أي في قوله: صلِّ. وخطاب الشيخ في تصليته هذه يدلّ على علوِّ مقامه في المعرفة بربِّه وعلى صدقه في محبَّته وعلى تمكّنه في مقام الوصلة والقربة، ولعَمْري لقد ضمن فيها معاني لطيفة وأسرارًا شريفة تؤذن بعلوِّ قدر الرسول العظيم وعظيم خصوصيّته بين المرسلين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، ولقد أحسن فيها اللّفظ والمعنى وضمَّنَ فيها كل مقصد أسْنَى، أتى فيها بكل سرٍّ عجيب ومعنًى

غريب، ونبّه فيها على خصوصية النبيّ الكريم ورفيع قدره الماجد العظيم، بعبارة لطيفة وإشارة دقيقة، لا يُدركها إلاّ ذو روح عرشي، وسرّ كرسيّ، وقلم لوحيّ، ولسان قلميّ، ولقد أحسن فيها البداية وأجاد في النّهاية، فقال مبتدئًا:

أللَّهمَّ: توجّه للمطلوب وطلب لحصول المرغوب بالتوسّل بالإسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى، ولفظ بصيغة حذف فيها ياء النّداء المتضمّنة لوجود البينونة المعنويّة النفسانية؛ إذ حذفها يقتضي زوال ذلك، ولا شكّ أن الشيخ حين خاطبه بهذه التصلية كان في مقام جمع غائب عن الفرق، وتعويض الميم من ياء النداء في لفظ الجلالة يقتضي قوّة الهمَّة في الطلب والجزم به، وإنّما جعل هذا الإسم الأعظم في أوّل الأدعية غالبًا؛ لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلها، فجميع معاني أسماء الله تعالى راجعة إليه. قال أبو رجاء العطّار: ردّد في قوله: أللَّهمَّ تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله تعالى، وقال النّضر بن شُميل: الميم في قولك: أللَّهمَّ بمثابة ميم الجمع، فإذا قلت: أللَّهمَّ فكأنّك دعوت الله تعالى بأسمائه كلّها، فعلى هذا من دعى وتوسّل به، فكأنّما دعى بجميع أسماء الله تعالى كلّها وتوسّله بها، ولذلك قال الإمام الحسن بن أبي الحسَن البَصْري رحمه الله: في قولك: أللَّهمَّ جميع الدعاء.

صلِّ: طلب من الله تعالى ودعاء أن يصلّي على نبيِّه (ص)، والصّلاة من الله تعالى على نبيِّه (ص) زيادة تكريم وإنعام، وهي من الملائكة رحمةً واستغفار، وهي من العباد دعاء، فتكريم الله عزّ وجلّ لرسوله (ص) زيادة تشريفيّة له وتقريبية منه، والصلاة على رسول الله (ص) من العبيد وسيلة للقرب منه عليه الصّلاة والسّلام كما جعلت هدايا الفقراء إلى الأُمراء وسائل ليتقرجب بها إليهم وليعود نفعها عليهم؛ إذ أنه (ص) بعد صلاة الله عليه لا يحتاج إلى صلاة أحد، وإنّما شرعت تعبّدًا لله تعالى وقربةً إليه، ووسيلة إلى جنابه المنيع مقامه الرفيع (ص)، وهذا من العبيد على سبيل التأكيد لا على سبيل التأسيس بأمرٍ من الله تعالى؛ إذ صلاة الله على رسوله (ص) سبقت صلاة غيره، فلم يحتجّ إلى صلاة غير الله تعالى بعد صلاته عليه، ولكن جعلها لعباده سببًا للوصول إلى رضاه تعالى وبابًا للدخول عليه سبحانه ومعدنًا للكمالات، ومفتاحًا لأبواب الخيرات، وسببًا لنيل البركات وحصول الكرامات، وهي أفضل عبادات المتعبّدين، وأعظم قربات السالكين، وأدلّ دليل على إرادة المريدين، وعلامة على صدق المحبّين، وكهف إيواءِ الواصلين، وهي وإن اختلفت مواردها شاعت مصادرها، فمرجعها إليه، وحقيقتها منه وعليه؛ إذ ما صلّى على محمّد (ص) إلاّ هو، لأنّ صلاة العبيد عليه (ص) صدرت منهم بأمره، من صورة اسمه، فجميع اسم محمّد نفس صورة آدم

المكرَّم، وهذا الحكم جاء فيما تفرّع من آدم عليه السلام، فميم نطقت بالصلاة عليه، وكذلك كل عبادة صدرت من آدم وبنيه فإنه بأمره (ص) ومن صورة اسمه، وبالتحقيق ما صلّى على رسول الله (ص) إلا الله؛ إذ أنه تعالى إنما صلجى عليه بنفسه وبفعله مع أنا لا نلقى إلاّ به في الظاهر، بل نثبتها ونراها، وهذه الإشارة التي أشرنا إليها والشبيه الذي نبّهنا عليه في كون الصلاة عليه (ص) صدرت من صورة اسمه عليه، فألهمته ولم نسبق إليه ولا رأيت أحدًا ممّن تقدَّم نبّه عليه ولا أشار إليه، وإنّما هو مجرّد إلهام ألهمته عند الحضور في ورد الصّلاة عليه (ص) وحين غاب حسّي في حضرة الحقّ رجع عليّ بلسان القربة.

على مَنْ منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار: يريد سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّدًا (ص)، والأسرار جمع سرّ، والمراد بها أسرار الذَّات وأسرار الصّفات وأسرار الأفعال؛ فهذه الأسرار كلّها مبطَّنة بها تجلّى عليها من اسمه الباطن وحجب عنها خلقه بنور كبريائه، فكانت كذلك حتى جاء (ص) فحولها باسمه تعالى الظاهر، وأظهرها باسمه المبين ورفع عن بصائر المؤمنين الحجاب، فظهرت الأسرار لائحة الأنوار بادية الأسرار، فكان (ص) هو المظهر لها وكاشف الحجاب عنها، فبنوره ظهرت الأسرار وبسرِّه انكشفت الأنوار، والمراد بالأنوار الأنوار الإيمانية التي انشقَّت في قلوب المؤمنين، وقد كانت قبل بعثته (ص) مستورة بظلمة الكفر ودخان الشِّرك، فلمّا جاء النور المحمّدي أشرقت في قلوب مَنْ أراد الله هدايته، فكشف عنها ظلام الكفر وأشرق فيها نور الإيمان، وكان النور المحمّدي هو المزيل عن قلوب المؤمنين ظلام الكفر والكاشف لدخان الشرك والمشرق فيها النور الإيماني، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الجامع في التصلية بقوله: انشقَّت الأسرار وانفلقت الأنوار، أي منه ظهرت وعنه صدرت، فمنه بدئها وعنه صدورها، وما قلناه من انكشاف الأسرار بذلك فذلك بحسب المقامات، فكلّ ذي مقام ينكشف له من الأسرار ما يليق بمقامه؛ فأهل مقام الإسلام إذا تحقّقوا فيه وقاموا بوظائفه وداموا على الذِّكر الخاصّ به وحلوا بمعنى ذلك الذكر تحلية تتميّز معها ثمراته وتحصل لهم أسْرار الأفعال ويكون لهم هذا الكشف سبيلاً إلى كشف أسرار الصِّفات، وهذا الكشف يكون لهم معراجًا إلى كشف أسرار الذات، وذلك عند انتقالهم من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان، فإذا ترقّوا من ذلك إلى هذا وثبتوا فيه وتحقّقوا وقاموا بوظائفه وداموا على الذِّكر الخاص به وتحلّوا بمعنى ذلك الذِّكر تحلية تُثمر معها ثمراته وتحصل معها نتائجه انكشف لهم من أسرار الذات ما تسعه عقولهم وتحمله أرواحهم، وذلك رحمةً من الله تعالى بهم، ثمّ إنّ المكاشفين بهذه الأسرار منهم مَنْ كشف له جملة، ومنهم من كشف له تفصيلاً، ومنهم من كشف له جملةً وتفصيلاً، وهم الرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام وأعظمهم في ذلك

كشفًا نبيّنا محمّد (ص)، وقد كانت الأسرار التوحيدية قبل بعثته (ص) بحرًا طامسًا وسماءً عابسًا، فبنوره ظهرتْ، وكانت الأنوار الإيمانية محجوبة بظلام الكفر، فبسرِّه (ص) أشرقت، وبالجملة فجميع ما أودع الله سبحانه في مكنوناته من الأسرار، فهو (ص) المظهر لها بعدما كانت القلوب غافلة عنها، والأرواح جاهلة بها، فنبَّه (ص) القلوب لما كانت عنه غافلة، وعلَّم الأرواح ما كانت به جاهلة.

وفيه ارتقت الحقائق: أي أنه (ص) فيه ارتقت حقائق جميع الأشياء العلويّة والسفليّة، المعنوية والحسِّية، اللّطيفة والكثيفة، فجميع هذه الحقائق ارتقت فيه وتجلَّت في باطنه حتى صار قلبه معدنًا لها وباطنه مرساها، فقلبه (ص) معدن الحقائق والأسرار، وباطنه مهبط العلوم والأنوار، وإنَّما خصّ قلبه (ص) بذلك لاتِّساعه، فما وسعه لا يسعه غيره، فما جتمع فيه (ص) افترق في غيره من المرسلين والنبيّين والصدِّيقين والعارفين، ولهذا قيل محمّد (ص) اجتمع فيه ما افترق في غيره؛ لأنه الإنسان الكامل، وإنّما كان قلبه (ص) معدن الحقائق والأسرار وباطنه مهبط العلوم والأنوار للمجانسة؛ إذ الحقائق عرشية، والأسرار كرسيّة، والعلوم لوحية، والأنوار ملكوتية، وقلبه وباطنه من تلك العلوم العلويّة، والشيء قد يولد الشيء بنسبة بينهما.

وتنزّلت علوم آدم فأعجز الخلائق: أشار بما ذكر إلى اتّساع قلبه (ص)، وأن معلوماته عجز عن إدراكها جميع الخلائق، وأراد بعلوم آدم علم الأسماء التي علّمها له الله تعالى، فنزلت في نبيِّنا محمّد (ص) بحسب الوراثة ما أعجز الخلائق كما عجزت الملائكة الكِرام عن علم ما علمه الله تعالى لخليفته آدم عليه السلام، فمقامه (ص) مقام موروث في الإعجاز، وما وقع به الإعجاز، وهذا التوارث وإنْ وقع في حضرة الفرق فوقوعه فيها كذلك بحسب الحكمة العادية الواقعة بين السابق حسًّا وجسمًا على اللاحق، وفي حضرة الجمع السابق؛ فنبيّنا محمد (ص) مفيد لا مستفيد، فأرواح العلماء وقلوب العارفين والمرسلين والنبيّين وعباد الله الصالحين تتلقّى من روحه (ص) العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية، ولهذا سمّى روحه (ص) أبو الأرواح، فعلوم العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء مستفادة من علومه (ص) ومعارفه وحكمه، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفون وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم، الجميع نقطة من بحره (ص)، فهو بحر العلوم ومنبعها وقلبه معدنها وباطنه مهبطها ومرساها، فظهر من هذا أنه (ص) وارث في حضرة الفرق للوجود الذاتي، الموروث في حضرة الجمع والوجود الروحاني. قيل: إذا لقي آدم عليه السلام نبيّنا محمّدًا (ص)، يقول: آدم لنبيّنا محمد (ص) يا ولد ذاتي ويا والد معانيَّ، يشير إلى أن روحه (ص) أبو الأرواح.

وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منّا سابق ولا لاحق: أشار رحمه الله إلى خفيّ سرّ روحانيته الأحمّدية ورفيع قدر صورته المحمّدية؛ إذ حقيقة ذلك لم يُدركها أحد بفهمه، ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء من ظواهر المأمورات دونبواطنها وجليّها دون خفيّها، فالفهوم كلَّت والعقول وقفت عن طلب الإستشراق وتضاءلت عند خفيّ سرِّه والوقوف على حقيقة أمره، ولا يفهم ذلك إلاّ الذي خصَّه به سبحانه، وإذا كان الوليّ لا تدرك حقيقته في هذه المدارك، فكيف الرسل عليهم أفضل الصّلاة والسّلام، وعلى الأخصِّ سيدهم وإمامهم سيدنا محمد (ص)، وما أدرك الناس حقيقة أمره وخفيّ سرِّه إلا على قدر عقولهم البشرية، فما ظهر لهم من ذلك نعمة عليهم ليعرفوا قدره ويعظّموا أمره، وما خفي عنهم فرحمةً من الله بهم؛ إذ لو ظهر مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنةً لهم، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين، فكانت النّعمة فيما ظهر والحكمة فيما استتر، ثم إن الناس في اطّلاعهم على سرّ نبوّته وخصوصيّة رسالته بحسب مقاماتهم ومُنازلاتهم، فكلّ أحد كشف له من ذلك بحسب مقامه ومحل قدر قرب روحه من روحه عليه الصّلاة والسّلام، وأعظم الناس كشفًا لذلك وأكثرهم عليه اطّلاعًا صفيّه وصديقه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وما كُشِف له من خصوصية الرسالة المحمّدية وحقيقة السرّ الأحمدي لم يكشف لأحدٍ غيره، ولهذا كان أشدّ الناس قربًا منه (ص) وأعظمهم خلّة له وأكثرهم تعظيمًا واحترامًا، وكان أوّل المؤمنين بنبوّته والمصدِّقين برسالته من غير طلب دليل ولم يعثره توقّف ولا تأويل.

فرياض الملكوت بزهر جماله مونّقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفّقة: رياض الملكوت عبارة عن حضرة الأرواح، وحياض الجبروت عبارة عن حضرة الأسرار، وهو (ص) ظهر في حضرة الأرواح بجماله فتأنّقت، وفي حضرة الأسرار بنوره فأشرقت، وزهر جماله كناية عمّا ظهر من جمال سرّ النبوّة المحمّدية في حضرة الأرواح، فظهر بذلك الجمال معاني آثار أسماء الأفعال، فظهرت عجائب الكون وانكشف رداء الصَّوت، فشرهت الألبابُ إذ انكشف الحجاب، ولما كان عالم الملكوت موطن مجال الأرواح ومسرح الأفكار تنزّه فيما تجلّى فيه من معاني آثار أسماء الأفعال، فهو بهذا الاعتبار سمّي رياضًا، لكن إنّما أيْنع وتأنّق بزهر المصطفى (ص)، أي بما ظهر فيه من سرّ النبوّة المحمدية، وكذلك حضرة الأسرار المعبّر عنها بحياض الجبروت امتلأت بما أفاض فيها من أنواره عليه الصلاة والسلام، والتدفّق عبارة عن كثرة الأنوار المحمّدية.

ولا شيء لاّ وهو به منوط: أشار إلى تعلّق جميع الأشياء به (ص)، منها ما هو متعلّق تعلق استناد، ومنها ما هو متعلّق به تعلق استمداد، فكل شيء إليه استناده، ومنه استمداده.

إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط: يشير إلى اعتبار وجوده (ص) في الوجود؛ إذ لولا وجوده (ص) لما وجد الموجود، فنسبته منه كنسبة الواسطة إلى الموسوط.

صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله: فصلاة مفعول مطلق بصلِّ، فهذه هي أفضل الصلاة وأتمّها وأشرفها وأعظمها وأكملها؛ إذ لا يليق من الربّ العظيم إلى النبيّ الكريم إلاّ ما هو عظيم، وهو (ص) أهل لأن يُعامَل بالكمالات، ولو قال رحمه الله ورضي عنه: كما أنت أهله، لكان أكمل.

أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع الدالّ عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك: هذا اللفظ ظاهره الإخبار ومعناه الإقرار بالمخبر به على جهة تعظيم المخبر عنه، وهو سيّدنا محمد (ص)، وهو المقصود بالضمير المتّصل بأن، وأضمر الشيخ في كلامه هذا ثلاث مقامات لنبيّنا (ص)، الأوّل: كونه (ص) سرّ الله الجامع، الثاني: كونه الدالّ عليه، الثالث: كونه حجابه القائم له بين يديه؛ فهذه مقامات ثلاث أقامه الحقّ فيها واختاره لها وأهّله إليها وأمدَّه فيها بالمعونة والتأييد والتيسير والتسديد، وهذه المقامات وإن شاركه فيها غيره من المرسلين عليهم الصّلاة والسلام، فلم يبغ أحد منهم فيها مبلغه (ص)، ولا ترقَّى أحد إلى مقامه؛ فأمّا كونه (ص) سرّه الجامع، فلأنّه عليه الصلاة والسلام جمع جميع أسرار أسماء الصفات وأسرار أسماء الأفعال، فهو مُظهرها وهو سرّ الله تعالى الذي أودعه مكنوناته العلويّة والسفليّة، وهو السرّ الذي ظهرت به الأسرار، وهو النّور الذي أشرقت به الأنوار، فلا مكوّن إلاّ وهو سرّه الذي قام به بأمره؛ فالأوّل السرّ المحمّدي الذي أودعه الله المكنونات الملاكية والسرّ الأحمدي الذي أودعه الله المكنونات الملكوتية لما قامت بها أسماء الصفات وأسماء الأفعال، ولهذا كانت آثارًا يقوم بها الإستدلال. وأمّا كونه دالاً على الله تعالى؛ إذ هو الدليل الأعظم بعثه الله تعالى دليلاً يدلّ عليه ويعرف الطريق إليه، بعثه في زمن فترة عمّت فيه الضلالة وكَثُرت فيه الجهالة، الخلق فيه عن ذكره معرضون وعن بابه محايدون شاردون، فدلّهم على الله تعالى وعرّفهم الطريق إليه وردَّهم إلى بابه الكريم ونهج الصّراط المستقيم، فكانت رسالته عامّة ودلالته تامّة؛ فدلّ على الله بأقواله وأفعاله وأيقظ الأرواح إلى ملاحظة جلاله وجماله، فكلّ داعٍ إلى الله تعالى، فإنّما يدعو بدعوته، وكل دليل فهو يدلّ بدلالته، وكانت دعوته إلى الله تعالى ودلالته عليه لسياسة محمّدية وتعرّفهم به تعالى لحكمه أحمدِّية، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار، وإنّما رفع عن بصائر العارفين حجاب الأغيار وظلام سحائب الآثار. وأمّا كونه (ص) حجابه القائم له بين يديه، لأنه (ص) حَجَب العقول عن النظر في حقائق الذَّات والتفكّر فيها، فغفل العقل عن النظر في حقائق الذَّات والتفكّر فيها، فغفل العقل عن النظر إلى ما ليس له

إليه سبيل، بهذا أرسل (ص) وبه أمر، فكان حجاب الله الأعظم القائم له بين يديه، فأبطن الفرق وأظهر الجمع، فكلّما طلبت الأرواح الجمع المطلق في دار الفرق وزجرَها زاجر الشرع وعقلها بعقال العلم، فرجعت القهقرى ونكصت إلى الوراء، فلم يكن لها إليه سبيل، ولا أبيح لها في قليل من ذلك ولا أقلّ من قليل، وافهم قوله رضي الله عنه: وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك أشار إلى أنه (ص) حجاب به لا عنه، أي فهو حجاب من جهة تعلّق خلقه به لا من جهة تعلّقه سبحانه بخلقه.

أللّهمَّ أَلْحِقْني بنسبه وحقِّقني بحسبه: اللُّحوق بالنسب هو الاتّصال الجسماني، والتحقيق بالحسب هو الاتّصال الحالي، وذا يقتضي شرف الملحق بشرف الملحق به، وكمال المحقّق بكمال من يتحقّق به، وهذا الطلب يقتضي القرب، ومعنى طلب الشيخ ذلك ليكون قريبًا منه) ص) حسًّا ومعنًى، قرب اتّصال دون انفصال، ومَنْ صحّ له ذلك فقد استمسك بالعروة الوُثْقى لا انفصام لها.

وعرِّفني إيَّاه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل: المعرفة الحقيقية لله ولرسوله (ص) هي ما أثمرت ثمرة ونتجت نتيجة، وكلّ معرفة لا ثمرة لها ولا نتيجة فليست بمعرفة على الحقيقة، فالشيخ رضي الله عنه طلب من الله تعالى أن يعرّفه برسوله (ص) معرفة تُثمر له ثمرة وتُنتج نتيجة، وذكر ذلك فقال: أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل، ولا شكّ أنّ مَنْ عرف رسول الله (ص) حقّ المعرفة أثمرت له معرفته به (ص) الفضل، وحقّ لمن تحقّق في معرفته (ص) أن يكرَّم بهاتين الخصلتين الظيمتين؛ لأن معرفته عليه الصّلاة والسّلام تقتضي ذلك، وكيف لا وقد قرب سرّ المعارف من سرِّ معروفه، وتألّفت روحه مع روحه، والقرب والإيلاف يقتضيان المتابعة والاقتداء، وذلك سبب يُورد التابع موارد متبوعه وينهل مناهله فينكشف لسرّ العارف ولروحه من العلوم اللدنيّة والأسرار العرفانية ما يُزحزحه عن موارد الجهل ويتّصف بمقتضى العلم، فيصير القلب عارفًا والروح عالمِا، ويَرِدُ هذا العارف موارد الصّفا التي وردها المقرّبون وينهل المناهل التي يشرب منها العارفون، والكرع عبارة عن شرب المتعطّش اللّهفان السابق إلى الورود الراغب في الازدياد، وموارد الفضل هو مشارب أرواح المقرّبين وموارد أسرارهم التي لا تُدرك بطلب، ولا تنال بسبب، بل بمحض الفضل الإلهيّ والعناية الربّانية، ولهذا قيل فيها موارد الفضل.

واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفًا بنصرتك: هذا مطلب الصدِّيقين القاصدينإلى حضرة مولاهم جلّ جلاله؛ إذ غاية مقصدهم وأقصى مرادهم ومطلبهم الوصول إلى الحضرة الربانية التي تجذب السالك إلى حضرة الله تعالى جذبًا على سبيل السُّنَّة المحمّدية، فإذا أراد الله سبحانه أن يبلغ السالك إلى الحضرة الكريمة

حمله إليها على سبيل الاقتداء بالدّليل الأعظم، والرّسول الأكرم سيّدنا محمد (ص)، فيكون في سلوكه متّبعًا له (ص) في أقواله وأفعاله وأحواله وفي حركاته وسكناته محفوفًا في جميع ذلك بنصرة الله تعالى له، فيكون في سلوكه بربِّه لا بنفسه، وهذا من علامات الوصلة وأمارات القربة، والحضرة مأخوذة من الحاضرة، وكثيرًا ما يجري ذكرها على لسان القوم، وكثيرًا من المتصوّفين لا يعلمون لها حقيقة، وهي عبارة عن موطن من مواطن القرب والمشاهدة، وإذا كان العبد على بساط الحقّ مشاهدًا الصفات سمّي ذلك الموطن حضرة الأفعال، وهي أول مرحلة السالكين.

واقذف بي على الباطل فأدمغه: طلب رضي الله تعالى عنه أن يكون حجّة من حجج الله الدامغة للباطل، وهذا مقام من مقامات الوارثين الذين أقامهم الله تعالى مقام الخلافة وجعلهم مصابيح الهدى وئمّة بهم يُقتدى، فالحقّ يجري على لسانهم، فبالله ينطقون ومنه يسمعون وبه يبصرون وعنه نائبون، وصاحب هذا المقام يكون آية لإظهار الحقّ وإخماد الباطل.

وزُجَّ بي في بحار الأحدِّية: الزجّ الرّمي، ومقصد الشيخ بدعائه هذا أن ينقله من حضرة الفرق إلى حضرة الجمع، والمستغرق في هذه الحضرة مستغرق في بحار الأحدية، فلا يشاهد إلاّ الله، فهو دائم الشهود متّصل الورود، منزّه الروح عن علق التفرقة، ممنوع بالبقاء الدّائم والمعنى التامّ والجمع الصحيح، قد أُعطيَ الجلوس على بحر التفريد وأذن له في الارتقاء على مقام التَّوحيد، فيعود نظره إليه وجمعه به عليه، فتفنى الرسوم ولم يبق إلا الحيّ القيّوم، فهنا: {ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا}[(330)].

وانشلني من أوحال التَّوحيد: انشلني معناه خلّصني، وأوحال التوحيد هي مكبتات أحكامها[(331)] التي زلَّت فيها أقدام كثير من الناس إلاّ مَنْ رَحِمَ الله، فترى العارفين إذا غرقوا في بحر التَّوحيد وساروا فيها بفلك أسرارهم تلاطمت عليهم أمواجه، وهي تجري بهم في موج كالجبال، فلا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ مَنْ رَحِمَ، فآواه إلى السنّة المحمّدية، وآخرون حال بينهم الموج، فكانوا من المغرقين.

وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلاّ بها: أراد أن يكون مستهلكًا في حقائق التَّوحيد غائبًا في الشهود عن الوجود، وهذا هو الفناء التامّ المعبَّر عن بفناء الفناء، وصاحب هذا المقام فإن غائب عن فنائه باقٍ مع الحقّ بعين الجمع، فدانى الصّفات وحاذى الأفعال، وإلى هذا أشار بقوله: لا أرى ولا أسمع ولا أجدّ ولا أحسّ إلاّ بها، وهذه المعاني تضيق عنها العبارة لدقّة معناها، وإنما يشار إليها من بعد.

واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحه سِرَّ حقيقتي، وحقيقته جامع عوالمي: المراد بالحجاب الأعظم ما تقدَّم ذكره من أنه (ص) الحجاب الأعظم القائم له بين يديه، وتقدَّم إنّما كان كذلك لأنه حَجَب العقول وعقلها بعقال شرعه المستقيم عن النظر في حقائق الذات العظيمة؛ إذ ليس لها إلى ذلك سبيل، وأودع الله تعالى نبيّه محمّدًا (ص) هذا السرّ العظيم ليكون رحمةً ونعمةً للوجود وحياة للأرواح حيث حَجَبها عمّا فيه استهلاكها وفناؤها؛ إذ لا قوّة لها على كشف حقائقه، ولو كشف لها عن شيء من ذلك في هذه الدّار ورفعت عنها الحجب لتفرّقت الموجودات وتمزّقت وتدكدكت كما تدكدك الجبل عند التجلّي للكليم عليه السلام، لهذا اتّفق أهل المعرفة على أنّ الله تعالى لا يتجلّى لأحد من أوليائه ولا ينظر إليه أحد منهم في هذه الدّار إلاّ من وراء الحُجُب التي حجبهم بها عن إدراك كنه ذاته العظيمة، ولولا تلك الحجب لتلاشى الموجود وماتت الأرواح، فكان الحجاب الأعظم حياتها، فطلب الشيخ أن يكون الحجاب الأعظم حياة روحه إشارة إلى ما قلناه فافهم، وقوله: وروحه سرّ حقيقتي أراد أن يكون الروح المحمدي سرّ حقيقته لتكون حقيقة محمّدية، وقوله: وحقيقته جامع عوالمي أراد الحقيقة المحمّدية؛ إذ هو جامع العوالم اللّطيفة الإنسانية.

بتحقيق الحقّ الأوّل: قسم أقسم به عليه تعالى أن أسألك بتحقيق الحقّ الأول، وتحقيق الحقّ الأول بالحقّ الأزليّ الذي سبق كل حقّ. نعم كل ذي حقّ إنما تحقّق به، فهو حقّ الحق.

يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن: نداء على جهة الاستغاثة بالمنادى، وإنّما ناداه بهذه الأسماء دون غيرها من الأسماء الحسنى لما تضمّنته من معنى الأزليّة والقيوميّة وشمول أوصاف الأُلوهية. قال الرازي رحمه الله في (لوامع البيّنات): حدّثني شيخي ووالدي أنه لما نزلت هذه الآية، يريد قوله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}[(332)] استقبل المشركون المدينة وسجدوا، وذكر أن لأهل الإشارات فيها نحو 24 تأويلاً ذكرها كلّها في كتابه المذكور.

اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السّلام: هذا وما بعده إلى قوله: وحِلّ بيني وبين غيرك، هي الأُمور المطلوبة المستغاث لأجلها، وهي مطلب العارفين، والمراد بنداء زكرياء هو قوله: { ز س ش ص ض ط ظ 89 ع غ [گ] ء ـ . ف ق ك ل م ن ه و ى يً 90 }[(333)].

فطلب الشيخ رضي الله عنه أن يُستجاب له كما استُجيب لزكرياء عليه السّلام، وقيل: إنه كان يطلب الوارث لسرّه.

تنبيه:

مقاصد الناس في مطالبهم وإجابة دعائهم مختلفة، فالعامّة مرادهم إجاة الدعاء وإعطاء مسألتهم لا غير، لا ينقذ أرواحهم ولا يلوح لفكرهم غير ذلك، فهؤلاء عبيد أهوائهم وطالبون لحظوظهم، وهذا غير منهاج العبودية، والخاصة جعلوا هذا المقصد تابعًا لمقصد أعلى ومقام أكمل وأسنى، وذلك أنّهم قصدوا بمطالبهم وسؤالهم إظهار وَصْف العبودية من الفقر والاحتياج والعجز وغير ذلك من أوصافها والتعلّق بأوصاف الربوبيّة من الغنى المطلق والقدرة الكاملة، ولم ينسوا حظّهم من فضل مولاهم عزّ وجلّ، فهؤلاء أعطوا لكل ذي حقٍّ حقَّه ولكل ذي قسطٍ قسطه، وهؤلاء عبيد الله إلاّ أن فيهم شائبة حظّ وبقيّة هوًى، وأكمل منهم وهم خاصّة الخاصّة أعرضوا عن هذا المقصد الأوّل ولم يلتفتوا إليه أصلاً، واعتبروا المقصد الثاني لكنهم جنحوا إلى مقصد أتمّ وأكمل ومقام أعلى وأفضل، وذلك أنّهم قصدوا بمطالبهم ومسائلهم الجلوس على بساط العبودية والتحلّي بين يديّ الربّ جلّ جلاله ولذَّة المكالمة وفوائد المخاطبة وثمرات المسامرة ونتائج المساءلة، وهذا المقصد هو أفضل الأبواب التي يدخل على الله سبحانه منها، وأهل هذا المقصد يستوي عندهم العطاء والمنع والضرّ والنفع بما حصل لهم من المقصد الأكمل والمراد الأفضل، ولم يَفُتْهم من مقاصد مَنْ دونهم شيء؛ إذ لما توجَّهوا إلى الله سبحانه وأقبل عليهم أقبل عليهم كلّ شيء، فاشتغلوا بمقام العبودية التي هي غايتهم القصوى تبعًا لرسول الله (ص).

ولتكن على يقين أنّ الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به هو من أهل المقام اكمل؛ إذِ ابْتُلِي فصبر في آخر لحظة من حياته، ومن الذين لو أقسموا على الله لأبرّهم؛ لقوله (ص) في الحديث القدسي: «وما يزال تعبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه وإن استعاذني لأُعيذنّه» ، ومراده في هذا هو ما أراده خاصّة الخاصّة، وأسألته تدلّ على ذلك حيث قال:

وانصرني بك لك، وأيّدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحِلْ بيني وبين غيرك: فهذه المطالب تدلّ على الانحياز إلى الله تعالى والاكتفاء به والاستناد إليه والجمع له، وليس فيها شائبة غيريّة، ولا ركون إلى غير الأحدّية، وتعرف لسوى الفردانية. فقوله: (وانصرني بك لك) طلب النّظر به سبحانه دون وسائطه وأسبابه، هذا معنى قوله: بك لك، ومراده أن تكون نصرته له على القيام بالتكاليف الدينية والوظائف الشرعيّة على أن يكون عبدًا على الحقيقة، وقوله: (وأيّدني بك لك) هو بمعنى الأوّل؛ إذ النصر والتأييد هما بمعنى واحد، لأن كل لفظ منهما حيث أردف لفظه بالآخر، فالمراد به التأكيد وتنويع اللفظ وجزالته، وفي طلب الشيخ

رضي الله عنه النّصر والتأييد به سبحانه دليل على عدم تعلّقه بالأكوان وإعراضه عنها، وفي قوله: (لك) دليلٌ على اكتفائه بحقوق ربِّه وإعراضه عن حظوظ نفسه، وقوله: (واجمع بيني وبينك) طلب لمقام الجمع وتنزّه عن الإقامة مع الأغيار وترفّع عن الاستئناس بالآثار، وقوله: (وحِلْ بيني وبين غيرك) تبرأ من القواطع المكدّرة لشرب أهل مقام الجمع، أن الأغيار قاطعة وحاجبة، وصاحب مقام الجمع إذا لم يَحُل بينه وبينها تكدّر صفو مشربه.

ألله ألله ألله: أتى عقب مطالبه بلفظ الجلالة لفوائد، وكرّره ثلاثًا لفوائد. أمّا تلفّظه به عقب مطالبه بلفظ الجلالة فللتبرّك به، وليكون به الاختتام كما كانبه الافتتاح، وفيه إشارة إلى أن كلّ شيء منه بدأ وإليه يعود هو الأوّل والآخر، وحسن مجيء اسم الله بعد قوله: (واجمع بيني وبينك وحِلْ بيني وبين غيرك)، إيقاظًا للأرواح وتنبيهًا لها إلى التعلّق بما له طلبت والتخلّي عمّا عنه رغبت، عملاً بقوله تعالى: {ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[(334)]، وكرّره ثلاثًا ليثبت معناه في الباطن ويتأكّد في القلوب، وأيضًا لما كان اسم الجلالة تظهر معناه أسماء الأفعال ومعاني أسماء الصّفات ومعاني أسماء الذات كرّره بحسب ما تضمّنه من المعاني ليدرك ذاكره في كل مرّة معنًى من المعاني التي تضمّنها، وهذا أثبت في النفوس وأرسخ في البواطن؛ لا سيما لأهل البداية الذين يضعفون عن إيراد معانٍ كثيرة مع لفظٍ واحد، ومقصد الشيخ وأمثاله غير هذا؛ إذ المقاصد بحسب المقامات، ولا يبعد أن يكون مقصده في تكرار العدد الثاني لِمَا في هذا العدد من الأسرار الحرفية أو خرقًا للحُجُب الكونية الملكيّة والملكوتية والجبروتية، مع كل ذكر يخرق عالمًا من هذه العوالم، فلا يكمل العدد إلاّ وهو في حضرة القدس في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مُقتدر، وقد شاهدت بعض مَنْ له هيئة عالية في السلوك الربّاني إذا ذكر الله ثلاثًا يترقّى في كل مرّة مقامًا من مقامات أرباب السلوك، فإذا قال: ألله أولاً يكون في مقام الإسلام، وثانيًا في مقام الإيمان، وثالثًا في مقام الإحسان، وهو أعظم مقامات القرب من الربّ سبحانه، كما جاء في حديث جبريل حين قال: يا محمد أخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك» ، وفي بعض الروايات: «من حيث لا تراه» ، ويسمّى هذا مقام المكاشفة وبعده مقام المراقبة، هذا حكم أرْباب المقامات.

وأمّا حكم أرباب الأحوال، فقد ينتقل العبد في ذكره من حالٍ إلى حال أعلى، فيقول أوّلاً: ألله، وهو في حال البقاء، ثم إذا قالها ثانيًا فيكون في حال الفناء، ثمّ إذا قالها ثالثًا فيكون في حال الفناء عن الفناء، وهذا أتمّ حالات أهل الأحوال وسرعة الانتقال في المقامات والأحوال، وإنّما يكون لأرباب الجذب الماقودين عن

أنفسهم، فأرْواحهم سمويّة إذا عاشت طاشت، وقلوبهم عرشية إذا سارت طارَتْ، وأسرارهم جبروتيّة إذا طابوا غابوا، فافهم.

{ ( ) * + ، - . / }[(335)]: هذه آية قرآنية أتى بها رضي الله عنه لِمَا فيها من معنى الرجوع والمعاد، منحًا لأهل الإشارات اللّطيفة والمعاني الشريفة مع تقريرهم الآية على ظاهرها المعروف وفهم معناها المألوف، وهو أن سبب نزول الآية هو أنه لما أذن الله لرسوله (ص) في الهجرة إلى المدينة وخرج من الغار صحبة صديقه وصفيِّه أبي بكر الصدِّيق ليلاً، فسارا في غير الطريق، فلمّا نزلا بالجحفة، وهي قرية بين مكَّة والمدينة، وعرف طريق مكّة اشتاق إليها، وذكر مولده ومولده أبيه بها، نزل عليه جبريل بالبشارة، فقال له: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال عليه السلام: «نعم» ، فقال جبريل: إنّ الله تعالى يقول: { ( ) * + ، - . / } (1) ، ومعنى فرض أنزل وأوجب عليك تبليغه إلى العباد والتمسّك به، ومعنى إلى معاد أي إلى مكّة ظاهرًا منتصرًا على أعدائك، وهذه الآية ينبغي قراءتها للمسافر رجاء عوده إلى بلده ظافرًا سالما مطمئنًّا، ثم ختم بقوله تعالى:

{ ح خ د ذ ر ز س ش ص ض }[(336)]: دعاء ورغبة، والله سبحانه المستعان وهو حسبنا ونِعْم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وصلّى الله على سيِّدنا ونبيّنا ومولانا محمد الفاتح الخاتم عدد ما ذكره الذَّاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا، انتهى والحمد لله على توفيقه وإعانته.

&#5؛ ترجمة سيدي أبي المواهب الشاذلي رضي الله عنه كان من الظُّرفاء الأجلاّء الأخيار والعلماء الراسخين والأبرار، أُعْطِيَ رضي الله عنه ناطقة سيدي علي أبي الوفاء وعمل الموشّحات الربّانية، وألّف الكتب الفائقة اللدنيّة، وكان مقيمًا بالقرب من الجامع الأزهر، وكان له خلوة فوق سطحه موضع المنارة التي عملها السلطان الغوري، وكان يغلب عليه سكر الحال، فينزل يتمشّى ويتمايل في الجامع الأزهر، فيتكلّم الناس فيه بحسب ما في أوعيتهم حسنًا وقبحًا، وله كتاب القانون في علوم الطائفة، وهو كتابٌ بديع لم يؤلّف مثله يشهد لصاحبه بالذوق الكامل في الطريق، وكان أولاد أبي الوفاء لا يُقيمون له وزنًا لأنه حاكى دواوينهم وطار كلامه ينشد في الموالد والإجتماعات والمشاهد على رؤوس العلماء والصالحين، فيتمايلون طربًا من حلاوته وما خلا جسدٌ من حسد، وكان هو معهم في غاية الأدب والرقّة والخدمة، وأمسكوه مرّة وهو داخل يزور السادات فضربوه حتى أدْمُوا رأسه وهو يبتسم ويقول: أنتم أسيادي، وأنا عبدكم.

من كلامه رضي الله عنه: إذا أردت أن تهجر إخوان السوء، فاهجر قبل أن تهجرهم أخلاقك السوء، فإنّ نفسك أقرب إليك والأقربون أولى بالمعروف، وكان يقول: العارف ينمو حاله حال حياته ولا يشتهر إلاّ بعد مماته، وكان يقول: العارف كلّما علا به المقام صَغُر في أعْين العوام؛ كالنجم يُرى صغيرًا وإنما العيب من العيون، وكان يقول: أهل الخصوصية مزهودٌ فيهم أيام حياتهم، متأسّفٌ عليهم بعد مماتهم، وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم، وكان يقول: لما علم أهل الله تعالى أنّ كل نبات لا ينبت ولا يُثمر آلا بجعله تَحْت الأرض تعلوه الأرجل جعلوا نفوسهم للكل أرضًا ليعطيهم ما أعطى أصفياءه وأولياءه، وكان يقول: وممّا جربناه فصحَّ أنه مَنْ أراد قضاء حوائجه ودفع مصائبه، فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس، هكذا عادة الله تعالى مع مَنْ يتعلّق به أوّل مرّة، فاعمل على ذلك، فإنه الكبريت الأحمر والفرج القريب والمعين على ذلك الصّبر، وكان يقول: ينبغي لمن خدم كبيرًا كاملاً ثمّ فقده أنْ لا يخدم مَنْ دونه إلاّ إذا كان أكمل منه، وإلاّ جعل صحبته مع الله تعالى، وكان يقول: وإذا مات الولي صلّى عليه جميع أرواح الأنبياء والأولياء، وكان يقول: مِنَ الأولياء مَنْ ينفع مُريده الصادق بعد موته أكثر ما ينفعه حال حياته، وكان يقول: إذا نُقِل إليك أحد كلامًا عن صاحب لك فقل له: يا هذا أنا من صحبة أخي وودّه على يقين، ومن كلامك على ظنّ ولا يترك يقين لظنّ، وكان يقول: سألت ربّي ليلة أن يُلهمني حمدًا أحمده به، فأملى على لساني الوارد في الحال: الحمد لله ولله الحمد بكل المحامد على كل المحامد بجميع المدائح المحمودة في جميع الحمد والمدح بما يجب للحمد لك حمدًا أزليًّا لا أوّل لبداية حمده غير حمده بحمده لحمده في جميع المحامد الأزليّة والأبدية بلسان جمع الحمد وفرقه في جمع المحمود بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وبفعله على فعله، وطال في ذلك في شرح قوله في الحكم العطائية: مَنْ لم يشكر النِّعم فقد تعرّض لزوالها، فراجعه إن شئت. وكان يقول: مَنْ أراد أن يرى النبيّ (ص)، فليُكْثِر مِنْ ذكره ليلاً ونهارًا مع محبّته في السادة الأولياء، وإلاّ فبابُ الرّؤيا عنه مسدود؛ لأنهم سادات الناس وربّنا يغضب لغضبهم، وكذلك رسول الله (ص).

كان رضي الله عنه كثير الرّؤيا لرسول الله (ص)، وكان يقول: قلت لرسول الله (ص): إنّ الناس يكذّبونني في صحة رؤيتي لك، فقال رسول الله (ص): وعزّة الله وعظمته مَنْ لم يُؤمن بها أو كذّبك فيها لا يموت إلاّ يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا، وكان يقول: كنّاني سيدي يحيى بن أبي الوفاء بأبي عابد، فرأيت سيدي عليًّا رضي الله عنه وقال لي: هذه الكنية لا تصلح لك، إنما تصلح لأرباب الأثقال، وإنما كنيتك أبو حامد، ثم

رأيت النبيّ (ص)، فقال: كنيتك عندما أبو حامد، وكذلك في السماء، وقد دخلت في دائرة بني الوفاء ومقامك كبير وأنت وليّ، وكان يقول: رأيت رسول الله (ص)، فقال لي: أنت تشفع لمائة ألف، قلت له: بِمَ استوجب ذلك يا رسول الله؟ قال: بإعطائك لي ثواب الصلاة عليّ، وكان يقول: رأيت رسول الله (ص) فقبّل فمي، وقال: أقبّل الفم الذي يصلّي عليَّ ألفًا بالنهار وألفًا باللّيل، وكان يقول: تفل رسول الله (ص) في فمي، فقلت: يا رسول الله ما فائدة هذا التّفل؟ فقال: لا تتفل بعدها على مريض إلاّ ويبرأ، وكان يقول: قلت مرّة في مجلس محمد بشر: لا كالبشر، بل هو ياقوت بين الحجر، فرأيت النبيّ (ص) فقال لي: قد غفر الله لك ولكلّ مَنْ قالها معك، وكان رضي الله عنه لم يزل يقولها في كل مجلس إلى أن مات، وكان يقول: استعجلت مرّة في صلاتي عليه (ص) لأكمل وردي، وكان ألفًا، فقال لي (ص): أمَا علمت أنّ العجلة من الشيطان؟ ثم قال: قل أللّهمَّ صلِّ على سيّدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بتمهّل وترتيل إلا إذا ضاق الوقت فما عليك إذا عجّلت، ثم قال: وهذا الذي ذكرته لك على جهة الأفضل، وإلا فكيفما صلّيت فهي صلاة.

وكان يقول: رأيت رسول الله (ص)، فقلت: يا رسول الله صلاة الله عشرًا على مَنْ صلّى عليك مرّة واحدة، هل ذلك لمن كان حاضر القلب؟ قال: لا، بل هو لكل مصلٍّ عليّ غافلاً ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له. أمّا إذا كان حاضر القلب فيها، فلا يعلم ذلك إلاّ الله. وكان يقول: انقطعت عني رؤية رسول الله (ص) مدّة، فحصل لي غمٌّ بذلك، فتوجّهت بقلبي إلى شيخي يشفع فيّ عند رسول الله (ص)، فحضر عنده رسول الله (ص) فقال: ها أنا، فنظرت فلم أره، فقلت: ما رأيته، فقال عليه الصّلاة والسّلام: سبحان الله غلبت عليه الظلمة، وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعة في الفقه ووقع بيني وبينهم جدال في إدحاض حجج بعض العلماء، فتركت الاشتغال بالفقه، فرأيته فقلت: يا رسول الله الفقه من شريعتك؟ فقال: بلى، ولكنّه يحتاج إلى أدب بين الأئمّة، وكان يقول: قال لي رسول الله(ص): أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس ولا يقوم منها، وكان يقول: رأيت رسول الله (ص) على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة ، فوضه يده على قلبي وقال: يا ولدي الغيبة حرام، ألم تسمع قول الله تعالى: {وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}[(337)]، وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس، ثم قال (ص): فإن كان ولا بدّ من سماعك غيبة الناس، فاقرأ سورة الإخلاص والمعوّذتين وأهدِ ثوابها للمغتاب، فإنّ الغيبة والثواب يتوارثان ويتوافقان إن شاء الله تعالى، وكان يقول: رأيت رسول الله (ص) في

المنام، فقال لي: قل عند النَّوم أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم خمسًا، بسم الله الرحمن الرحيم خمسًا، ثمّ قل: أللَّهمَّ بحقِّ محمد أرني وجه محمّد حالاً ومآلاً، فإذا قلتها عند النوم فإني آتي إليك ولا أتخلّف عنك أصلاً.

هذه الترجمة مقتبسة من كتاب (الطبقات الكبرى) لسيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه &#5؛

مزج الصلاة المشيشية للعارف بالله الكبير سيدي أبي المواهب الشاذلي رضي الله عنه المتوفّ عام 882 هجرية (أللَّهمَّ صلِّ) وسلَّم بجميع الشؤون في عالم الظهور والبطون (على مَنْ مِنْه انشقّت الأسرار) الكامنة في ذاته العَلِيَّة ظهورًا (وانفلقت الأنوار) المنْطَوِية في سماء صفاته السَّنِيَّة بُدُورًا، (وفيه ارتقت الحقائق) منه وإليه (وتنزّلت علوم آدم) به فيه عليه (فأعجز) كُلاً مِنَ (الخلائق) ، فَهْمُ ما أُود2 من السرّ فيه (وله تضاءلت الفهوم) وَكُلٌّ عَجْزُهُ يكفيه، فذلك السرّ المصون (لم يدركه منّا سابق) في وجوده، ولا يبلغ منّا (لاحق) على سوابق شهوده، فأعْظِهِمِ أللَّهمَّ به من نبيٍّ ورسوله، (رياض) الملْك و (الملكوت بزهر جماله) الزاهر (مونّقة، وحياض الجبروت بفيض أنوار) سرِّه الباهر (متدفّقة، ولا شيء إلاّ وهو به منوط) ، وبسرّه الساري مَحُوط، (إذ لولا الواسطة) في كل صعود وهبوط (لذهب كما قيل الموسوط، وصلاة تليق بك منك إليه) وتوارُدُ بتوارُدِ الخلق الجديد، والفيض المديد عليه، وعلى آله سلامًا يُجازي هذه الصلاة فَيْضُهُ وفَضْلُهُ (كما هو أهله) ، وعلى آله شموس سماءِ العُلا، وأصحابه والتّابعين ومَنْ تَلا، (أللَّهمَّ إنه سرّك الجامع) لكل الأسرار، ونورك الواسع بجميع الأنوار، ودليلك (الدالّ) بك (عليك) ، وقائد ركوب العوالم إليك، (وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك) ، فلا يَصِلُ واصِلٌ إلاّ إلى حضرتك المانعة، ولا يهتدي الحائر إلاّ بأنواره اللامعة، (أللَّهمَّ أَلْحِقْني بنسبه) الرّوحي، (وحقِّقني بحسبه) السُّبّوحي، (وعَرِّفني إيَّاه معرفة) أشهد بها مُحيَّاه، وأصِيرُ بها مُجْلاه، كما يحبّه ويرضاه، وأسْلَمُ بها من مَوْرُود (موارد الجهل) بعوارفه، (وأكرع بها من) مورود (موارد الفضل) بمعارفه، (واحملني على) نجائب لطفك وركائب حنانك وعطفك، وسِرْ بي في (سبيله) القويم وصراطه المستقيم (إلى) حضرته المتّصلة (بحضرتك) القُدُّوسية، المتجلّية بتجلّيات المحاسن الأُنْسِية، (حملاً محفوفًا) بجنود (نصرتك) مصحوبًا بعوالم سرائرك، (واقذف بي على الباطل) بجميع أنواعه في جميع بقاعه (فأدمغه) ، وبالحق على وَجْهِ الأحقّ، (وزُجَّ بي في بحار الأحدِّية) المحيطة بكل مُركّبات وبساطات (وانشلني من أوحال التوحيد) إلى فضاء التفريد، المنزَّهِ عن الإطلاق والتقييد، (وأغرقني في عين بحر الوحدة) شهودًا (حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحسّ إلاّ بها) نزولاً وصعودًا كما هو كذلك، لا يزال وجودًا وإجمالاً وتفصيلاً، واجعل أللَّهمَّ ذلك لديه مَمْدُوحًا وعندك محمودًا، (واجعل) أللَّهمَّ (حجابك الأعظمُ

وبابك الأكرم سيدنا محمّدًا (ص) (حياة روحي) كَشْفًا وعِيانًا؛ إذِ الأمرُ كذلك لكَ رَحْمَةً منك وحَنانًا، واجعل أللَّهمَّ (روحَه سرَّ حقيقتي) شوقًا وذوقًا وحالاً ومقالاً (وحقيقته جامع عوالمي) في مجامع معالمه حالاً ومآلاً، وحَقِّقْني بذلك على ما هُنالك (بتحقيق الحقّ الأوّل) والآخر والظاهر والباطن (يا أوّل) فليس قَبْلَكَ شيء (ويا آخرُ فليس بَعْدَكَ شيء و (يا ظاهر) فليس فَوْقَك شيء، و (يا باطن) فليس دونك شيء (إسمع ندائي) في بقائي وفنائي (بما سمعت به عبدك زكرياء عليه السلام) واجعلني عنك راضيًا وعندك مَرْضِيًّا (وانصرني بك لك) على عوالم الجنّ والإنس والأملاك والملوك العُلويّة والسفليّة (وأيّدني بك لك) بتأييد أهل الصدق في الرماد منّا ممن سَلَك فَمَلَك، ومَنْ ملكَ فَسَلَكَ، (واجْمَعْ بيني وبينك) وارفع عن عَيْنِي غَيْنَكَ، (وحُلْ بيني وبين غيرِكُ (ألله ألله ألله) منه بدأ الأمر وإليه يعود، الله واجِبُ الوجود وما سواه مفقود. (إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد) في كل اقتراب وابتعاد وانتهاض واقتعاد. (ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّء لنا من أمرنا رشدًا) واجعلنا ممّن اهتدى بك فهدى، حتى لا يقع منا نظر إلاّ عليك، ولا يَسِيرُ بنا وطرٌ إلاّ إليك، وسِرْ بنا في معارج مدارج إن الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلِّموا تسليمًا. أللَّهمَّ أدْرِجْ أسمائي تحت أسمائك، وصفاتي تحت صفاتك، وأفعالي تحت أفعالك دَرْجَ السلامةِ وإسقاط الملامة، يا حيُّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام بجاهك أستغيث، يا إلهنا وإله كلّ شيءٍ إلهًا واحدًا لا إله إلاّ أنت، سبحانك يا مُغِيثُ أغِثْني.

قال الحاج المرون قدّس الله روحه:

(من قرأ سورة يس مرّة واحدة وسورة ألهاكم التكاثر عشر مرات ومزج الصلاة المشيشية لأبي المواهب الشاذلي ثم يهدي ثواب هذا كلّه إلى روح سيّدنا محمّد (ص) وإلى روح الشاذلي، فإنّ روح الشاذلي رضي الله عنه تجيء منامًا ثم يقظة، لكن هذا يحتاج إلى الإذن من الشيخ) .

&#5؛ زيارة الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش قدّس الله سرّه ذكر بعض فضائلها . الشيخ الغزواني (توفي عام 935 هـ) هو مؤسّس زيارة القطب مولانا عبد السلام (الشيخ الغزواني هو العارف بالله تعالى العالم العلاّمة شيخ العارفين بالله من مشايخ القرن العاشر الهجري، كان إليه المفزع في عصره في تدريس العلوم الدينيّة والتربية والسلوك الرباني، أخذ الطريقة عن الشيخ التباع، وهو عن القطب سيدي محمد الجزولي رضي الله عنهم.

مكث الشيخ الغزواني بالزاوية التي بناها بقرية تزروت ببني زكار إحدى قبائل الهبط ثلاثين سنة في تعليم العلم وتربية الأتباع الذين منهم الشريف سيدي محمد بن علي وأخوه مولاي عبد الرحمن الشريف والشيخ التليدي والشيخ الهبطي، وكان طيلة هذه المدّة يخرج مصحوبًا بأتباعه قاصدًا زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش على رأس كل سنة، وقد اختار لذلك يوم النّصف من شعبان، ولن يزال يوم النصف من شعبان يوم احتفال بضريح القطب مولانا عبد السلام إلى يومنا هذا، ثمّ انتشرت شهرة زيارته في جميع أنحاء المغرب، فتقاطر الناس عليه زرافات ووحدانًا للترحّم عليه والتبرّك بأحفاده، ولا عبرة بمغالاة الجاهلية والجاهلات، وسيأتي في مناقبه أنه طلب من الله تعالى أنلا يصل إليه مَنْ كتب عليه الشقاء، وإذا وصل إليه شفّعه فيه يوم القيامة.

وذكر أن الغزواني في زيارته الأُولى للشيخ المذكور خرج من مدينة مراكش مصحوبًا بتلاميذه ومُريديه، ولما وصل إلى قبر الشيخ مولانا عبد السلام وجده كسائر القبور العادية لا يعرفه إلاّ أحفاده وبنو أعمامه، فخشي عليه أن يضمحلّ مع مرور الزمن، فرفع بنيانه بالحجارة دون طين ثم انهار وأُعيد بناؤه مرارًا حتّى استوى على الهيئة الذي هو عليها الآن) .

من كتاب (حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام) ، لسيدي الطاهر بن عبد السلام اللهيوي العلمي.

. قال سيدي عبد السلام بن الطيّب القادري رضي الله عنه في كتابه «المقصد الأحمد في التعريف بسيّدنا ابن عبد الله أحمد»:

(حتى إذا بلغ الأشدّ وبلغ حدود ثلاثين سنة أرشده الله تعالى بسابق عنايته لما أراد به من كرامته . أي بسيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه . فجمعه بشيخ طريقه وإمام تحقيقه الشيخ الإمام العالم العارف الكامل الراسخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي نفعنا الله به وأفاض علينا من بركاته، وسبب ذلك أنه كان يزور مع والده الشيخ القطب سيّدنا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به فطلب مرّة عنده أن يجمعه الله بشيخ يوصله إليه ويدلّه عليه، فظفر هنالك بمَرامه وتعيين إمامه) ، وقال: (بقي سيدي محمد بن عبد الله مع شيخه حوالي أربع سنين حتى توفي الشيخ، ثم صحب بعده وارث حاله أخاه الشيخ العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي رضي الله عنه، وكانت مدة صحبته إيَّاه ثلاث وعشرين سنة، وذلك مدّة ما بين وفاة الشيخين) ، وقال: (ولما توفي سيدي عبد الرحمن رضي اا عنه مكَث . سيدي محمد بن عبد الله . نَحْوَ

العامَيْن لا يتصدّى لأحد والإخوان يتردّدون إليه يستعطفونه وهو لا يُريد أن ينتصب لهم، ويقول لهم: إنّ الحقيقة ورثتها، ولا إذن عندي، ثم وقع له الإذن في جبل العلم عند زيارته للقطب سيدنا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ونفعنا به فتصدّى للمشيخة) .

. قال سيدي عبد السلام بن الطيّب القادري رضي الله عنه في كتابه «المقصد الأحمد في التعريف بسيّدنا ابن عبد الله أحمد»:

(ثم إنّه كما ذكر في الإلماع في أواسط ذي الحجّة من السنة المذكورة (1064 هجرية) ذهب سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه إلى زيارة قطب الأقطاب أبي محمد سيدي عبد السلام بن مشيش الحسني رضي الله عنه، فتجدّدت له به إرادة وصحبته منه أيُّما أفادة، كان بعد أن رجع يرى في معناه أنه يمدّ يديه إلى سيدي قاسم الخصاصي رضي الله عنه سائلاً سنّه طالبًا ومتملّقًا إليه راغبًا حسبما أخبر هو عن نفسه بذلك وأنبأ عمّا هنالك، فأراه ابن مشيش بذلك أنه إمام وجهته ومِحراب قبلته وشيخ طريقه وقدوة تحقيقه) ، وقال: (كان سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنه يصف زيارة مولاي عبد السلام بأنه يحصل منه المدد للوافدين عليه واستعظامه لمقامه جدًّا بحيث لا يقدم عليه في الفضل أحدًا من مشايخ المغرب) .

. قال سيدي علي الجمل الذي هو شيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما: (اعلموا يا إخواني وإيّاكم لا تنكروا فضل العوامّ، والله ما فتح لي الباب إلاّ على يد رجل عامّي جاهل من عوامّ المسلمين، فأتت له أيام كان يُرافق فيها أحدًا من العارفين، فلمّ اجتمعت مع ذلك العامي مصادفة من غير قصد وكنت في ذلك الوقت واقفًا بلصق الباب أدقّ عليها ليلاً ونهارًا صباحًا ومساءً، لما أراد الله أن يفتحها لي اجتمعت مع ذلك العاميّ بقرب الباب وفي يده المفتاح وهو لا بدري ما الباب وما الفتاح، فألهمني الله تبارك وتعالى إليه، فمددت يدي إليه لنأخذه على أني أقيسه على الباب هل تفتح به أم لا، فدفعه إلى ذلك العامّي وهو زاهدٌ فيه لا يعرف له قدرًا، فأدخلت المفتاح في الباب فانفتح الباب، فدخلت في الحين، فكنت أوّل نهاري من العموم وآخر نهاري مع الخصوص، فلمّا دخلت سبَّحت وقلت: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور، فالمنّة لله ولرسوله (ص)، وأصل ذلك كلّه أني كنت أكثر زيارة الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به وبأمثاله، وهذا الباب الذي ذكرنا هو باب الفنا ليس للدَّاخل عنه محيد، ولا ننكر فضل المربّي الذي ربَّانا بعد الدخول جزاه الله عنّا خيرًا جمعنا الله تبارك وتعالى به بعد الدخول) .

من كتاب «اليواقيت الحسان في تصرف معاني الإنسان»، لسيدي علي الجمل رضي الله عنه.

. قال سيدي محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه في كتابه «سلوة الأنفاس»:

(وقد ذكر في الروضة المقصودة أنه أجمع أهل البصائر على أنه تنبغي زيارته . أي زيارة مولانا عبد السلام هـ بقدر الاستطاعة والإمكان في كل يوم أو في كل أسبوع أو في كل شهر أو في كل سنة، وتتأكّد تعيينًا ليلة الجمعة ويوم عرفة وصبيحة العيدين والمولد النبويّ وسابعه) .

. قُلْتُ: مَنْ فيه المحبّة يجب عليه زيارة مولاي عبد السلام كلّ شهر لكي يفتح له الأبواب، العارفون والأولياء يزورون مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه: الضّعيف منهم يزور ليصبح قويًّا، والقوي يزور ليزداد قوّة. مَنْ أراد الدنيا فعليه بزيارة مولاي عبد السلام، ومَنْ أراد الآخرة فعليه بزيارة مولاي عبد السلام، وذلك أنّ الدعاء عنده مُستجاب.

انتهى هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه

---

pksl/Text Tag: "tx2"

لقمَان: الآية 15.

التّوبَة: الآية 119.

البَقَرَة: الآية 60.

الكهف: الآية 65.

البَقَرَة: الآية 282.

الحُجرَات: الآية 3.

آل عِمرَان: الآية 31.

الأحزَاب: الآية 43.

الأحقاف: الآية 11.

الشارح سيدي أحمد بن عجيبة أخذ النسبة عن سيدي محمد البوزيدي عن مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهم أجمعين.

الشارح سيدي أبو بكر البناني أخذ النسبة عن سيدي عبد الواحد الدباغ عن مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهم أجمعين.

سيدي محمد الحراق هو أحد شُرَّاح المشيشية رضي الله عنهم.

الشارح سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير أخذ النسبة عن سيدي أحمد بن عبد الله رضي الله عنهما.

سيدي عبد الرحمن الفاسي هو أحد شُرَّاح المشيشية رضي الله عنهم.

الشارح سيدي الحسن الزياتي أخذ النسبة عن سيدي يوسف الفاسي رضي الله عنهما.

الشارح سيدي الخروبي أخذ النسبة عن سيدي أحمد زروق رضي الله عنهما.

الشارح سيدي محمد المعطي أخذ النسبة عن أبيه سيدي محمد الصالح الشرقاوي عن سيدي أحمد بن ناصر عن أبيه سيدي محمد الكبير.

عن سيدي أحمد بن إبراهيم عن سيدي عبد الله بن حسين الرقي عن سيدي أحمد بن علي الحامي عن سيدي الغازي عن سيدي علي بن عبد الله السجلماسي عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني عن سيدي أحمد زرق رضي الله عنهم أجمعين.

الكهف: الآية 10.

الصافات: الآيات 180. 182،

الصافات: الآيات 180. 182.

النور: الآية 52.

العَنكبوت: الآية 69.

آل عِمرَان: الآية 97.

طه: الآية 114.

سُجِنَ رضي الله عنه سجنًا معنويًّا حيث لم يكن له حبيب ولا خليل ولا صديق في تلك المدينة.

الأحزَاب: الآية 6.

النجم: الآيات 13 - 15.

الأنبياء: الآية 23.

القَصَص: الآية 68.

البَقَرَة: الآية 152.

الكهف: الآية 65.

الزمر: الآية 22.

الأنعَام: الآية 122.

النُّور: الآية 35.

النُّور: الآية 40.

النُّور: الآية 35.

الكهف: الآية 66.

البَقَرَة: الآية 31.

البَقَرَة: الآية 37.

البقرة: الآية 124.

غَافر: الآية 15.

البَقَرَة: الآية 269.

المائدة: الآية 54.

البقرة: الآيتان 30، 31.

الحَديد: الآية 3.

النجم: الآيات 5 - 9.

البقرة: الآية 33.

نُوح: الآية 5.

) انظر سورة الأنبياء من آية 57 إلى آية 69).

الأنبيَاء: الآية 69.

الحَجّ: الآية 46.

القَلَم: الآية 4.

الرعد: الآية 4.

الأنعَام: الآية 122.

البَقَرَة: الآية 60.

الأحزَاب: الآية 56.

النازعات: الآيتان 6، 7.

المؤمنون: الآية 101.

الحُجرَات: الآية 13.

البَقَرَة: الآية 189.

الضّحى: الآية 11.

الإسراء: الآية 110.

الفَتْح: الآية 29.

الصَّف: الآية 6.

الفَتْح: الآية 10.

البَقَرَة: الآية 60.

الأنعَام: الآية 38.

الأنعَام: الآية 153.

الإسرَاء: الآية 1.

الحَشر: الآية 7.

الأحزَاب: الآية 23.

فَاطِر: الآية 10.

يُونس: الآية 32.

الأنعَام: الآية 103.

الأنعَام: الآية 104.

الانفطار: الآيات 6 – 8.

التّحْريم: الآية 6.

الكهف: الآية 10.

الأحزَاب: الآية 56.

القِيَامَة: الآيتان 22، 23.

البقرة: الآية 260.

الأنعَام: الآية 75.

الحَديد: الآية 3.

الرُّوم: الآية 40.

آل عمران: الآيتان 37، 38.

مريم: الآيات 5 - 6.

ق: الآية 16.

الحَديد: الآية 4.

طه: الآية 46.

الأنعام: الآية 91.

فُصّلَت: الآيتان 30، 31.

الأنعَام: الآية 91.

القَصَص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

الكهف: الآية 10.

الأحزَاب: الآية 56.

الصافات: الآيات 180 - 182.

الكهف: الآية 10.

الأحزَاب: الآية 56.

العَنكبوت: الآية 45.

النّحل: الآية 125.

يُوسُف: الآية 101.

النُّور: الآية 27.

الشّورى: الآية 52.

قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (التجريد: إماطة السِّوَى والكون من القلب والسر).

وقال: (الغيب: كل ما ستره الحق عنك منك لا منه).

قال سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه: (هوية الحق: غيبه الذي لا يمكن ظهوره ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات... وشأنها الإشعار بالبطون والغيبوبية، وهي مأخوذة من لفظة هو الذي للإشارة إلى الغائب، وهي في حق الله تعالى إشارة إلى كُنْه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوبية ذلك).

ُ أ ؤ إ ئ اِ [آل عِمرَان: الآية 81] {فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}.

»إن هذا القرآن أُنْزِلَ على سبعة أحرف» حديث نبوي رواه أبو يعلى والسيوطي.

العماء. (عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أين كان ربّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء» حديث نبوي رواه الترمذي.

[2]. العماء في اللغة: السحاب الرقيق، وقيل: الكثيف، وقيل: الضباب.

[3]. قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (وهذا صورة العماء الذي هو الجسم الحقيقي العامّ الطبيعي الذي هو صورة من قوة الطبيعة تجلي لما يظهر فيه من الصور وما فوقه رتبة إلا رتبة الربوبية التي طلبت صورة العماء من الاسم الرحمن فتنفس فكان العماء فشبّهه لنا الشرعُ مما ذكر عنه من هذا الاسم فلما فهمنا صورته بالتقريب قال: ما فوقه هواء يعلو عليه فما فوقه إلا حق وما تحته هواء يعتمد عليه أي ما تحته شيء ثم ظهرت فيه الأشياء، فالعماء أصل الأشياء والصور كلها وهو أوّل فرع ظهر من أصل). انظر: الفتوحات المكية، الباب الأحد والسبعون وثلثمائة.

) كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أُعْرَف فَأَحْبَبْتُ أنْ أُعْرَفَ فخلقت خَلْقًا فتعرَّفت إليهم فَبِي عرفوني) حديث قدسي.

ُ م ن هـ وِ [الأعرَاف: الآية 156] {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}.

الهيولى: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. قال سيدي البرزنجي رضي الله عنه: (الهيولى عند طائفة الصوفية اسم للشيء باعتبار نسبته إلى ما هو ظاهر فيه بحيث يكون كل باطن هيولى الظاهر الذي هو صورة فيه، ولا يعنون بالصورة الجسمانية فقط بل يعنون بها ما يشمل كل صورة معنوية كانت أو جسمانية).

»أُوتيت جوامع الكَلِم واختصر لي الكلام اختصارًا« حديث نبوي.

»مَنْ رَآني فقد رأى الحق« حديث نبوي، رواه البخاري.

+ *) (' × % $ £ " ! { ،72 2 1 0 / . -

] { الأحزاب: الآية 72[.

قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (الأنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال الجلال).

وقال: (المحادثة: خطاب الحق للعارفين من عالم المُلْك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى).

»وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصلاة« حديث نبوي، رواه أحمد والنسائي والحاكم، قال سيدي

.[4] = محمد بن عبد الكبير الكتّاني رضي الله عنه: («وجُعِلَت قُرَّة عيني في الصلاة» أي صلاة الله عليَّ).

كان رسول الله (ص) يقول في دعائه ربّه في سفره: «أللَّهمَّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل».

»سُؤْرُ المؤْمِنِ شِفَاءٌ« حديث نبوي. قال سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه، (ُ } ! " £ ژ .! ! ِ [الفَتْح: الآية 1] {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيناً *}: المراد بالفتح فتق رتق ما أغلق من مكامن التجليات الذاتية المتضمنة الموروثة من سؤر المؤمن شفاء، والمؤمن من أسمائه تعالى، وسؤره عبارة عن انبساط أشعة مقتضيات الأسماء الذاتية اللاهوتية).

}ى يٍّ ٌّ َ ُ 6 {]النمل: الآية 6[.

»جَفَّ القَلَمُ بما هو كائن« حديث نبوي.

»الكبرياء ردائي والعظمة إزاري مَن نازعني واحدًا منهما قصمته« حديث قدسي.

ُ ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غِ [الفُرقان : الآية 45] .

ُ هـ و ى ژ .! ! ي ّ ٌ َ ژ پ! ! ِ [النّجْم: الآيتان 1، 2] {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *}.

»لكل شيء نسبة ونسبة الله عزّ وجلّ: { 3 4 5 6 1 7 8 2 }]الإخلاص: الآيتان 1، 2[، حديث نبوي، خزينة الأسرار ص 155.

قَلْزَمَ الشيءَ: ابْتَلَعَهُ. القُلْزُم: البحر الأحمر. القِلْزِم: اللئيم.

ۀ ُ : ؛ چ = عع ؟ ژ ءِ [الإسرَاء: الآية 85] {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}.

»مَن عرف نفسه عرف ربّه« حديث نبوي.

ۀ ُ 6 7 8 9 : ؛ چ = عع ؟ ژ ء آ أ ؤ إ

.[5] = ئ ا ب ژ ف«! ! ِ [فُصّلَت: الآية 53] {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *}.

إشارة إلى الآية القرآنيةُ % × ' ( ) * ژ (ص)! ! + ، - . ژ }.! ! ِ [الإنسَان: الآيتان 17، 18] {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً *عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً *}.

إشارة إلى الآية القرآنيةُ £ $ % ژ }! ! × ' ( ) * ژ ! ! ِ [النّجْم: الآيتان 8، 9] {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *}.

قال سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه: (النَّاسوت: وهو ما ظَهَرَ من الحِسّ).

وقال: (اللاَّهُوت: ما بَطَنَ مِنَ المعْنَى).

ۀ ُ) * + ، - . ِ [الفَتْح: الآية 10] {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}.

»وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها« حديث قدسي، رواه البخاري.

ُ ج ح خ د ذ ر ز سِ [العَنكبوت: الآية 20] {قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ}.

} أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ}.

ُ ذ ر ز س ش صِ [المَائدة: الآية 117] {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ}.

المِحْق، قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (المحق: فناؤك في عينه).

»لن يرى أحدكم ربه حتى يموت» حديث نبوي. قالت الصوفية: (لا تنال رؤية الذات إلا بعد خراب الذات) معناه لا تنال رؤية الذات الإلهية إلا بعد خراب الذات البشرية.

}ش ص ض 32 ط ظ ع 33 غ [34 }]طه: الآيات 32 - 34[.

ُ ظ ع غ [گ] ء ـ . ِ [الأنعام: الآية 76] {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي}.

»وما بين أهل الجنة وبين أن يروا ربّهم إلا ردَاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» حديث نبوي.

قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (البرزخ: العالم المشهود بين عالم المعاني وعالم الأجسام).

ُ عع ؟ ژ ء آ أ ؤ إ ئ ا ِ [الأنفال: الآية 24] {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}.

»إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء» حديث نبوي، رواه الدارمي وابن ماجه وأحمد والبيهقي.

ُ + ، - . / 0 1 ِ [طه: الآية 108] {وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا}.

}غ [گ] ء 5 ـ . ف ق ك ل م ن 6 هـ و ى ي ٌّ ً ُ ِ ّ ْ 7 }]مريم: الآيات 5 - 7[

.

قال سيدي ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه: (الجَمْع إشارة إلى حق بلا خَلْق)، وقال: (جَمْعُ الجَمْع: الاستهلاك بالكلية في الله).

: 9 8 7 6 5 }؛ چ = عع ؟ ژ ء آ

أ ؤ إ ئ ا ب ة ت 2 }]الحج: الآية 2[. = [6].

ُ { (ص) } ! " £ $ % ِ [الكهف: الآية 18].

إشارة إلى غزوة ذي الرّقاع حيث أتى أحد المشركين ليفتك برسول الله (ص) وشرط ذلك لقومه وأخذ سيف رسول الله (ص) وأصْلَته بعد أن استأذنه في أن ينظر إلى السيف، فلما أصْلَته هَمَّ به، فصرفه الله عنه ولحقه بَهَت. فقال: مَنْ يَمْنعك مني يا محمد؟ قال: «الله»، فَرَدَّ السيف في غمده.

قال الجرجاني رضي الله عنه: (الحقيقة المحمدية التعيّن الأول مع الذات وهو الاسم الأعظم). وقال سيدي إبراهيم الكوراني رضي الله عنه: (اعلم أن المحقّقين من المشايخ نفع الله بهم قالوا: إن التعيّن الأول

أول مرتبة للذات الأقدس وأول مراتب العلم من حيث إنه عين الذات لا نعت زائد عليها والعلم بحُسْن المرتبة الأولى التي هي التعيّن الأول هو ظهور الذات لنفسه باندراج اعتبارات الواحدية فيها فإنه علم ذاته فقط...).

»حُبُّ الوَطَنِ من الإيمان» حديث نبوي. قال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه: فإن قلتَ: ما معنى قوله (ص): «حبّ الوطن من الإيمان»؟ قُلْتُ: الموطنُ موطنان؛ موطن أهل الجنان وموطن أهل شهود العِيان. فالجناني لأهل اليمين. والعياني للمقرَّبين.

الكهف: الآية 10.

الإسرَاء: الآية 85.

الأحزَاب: الآية 56.

البَقَرَة: الآية 115.

النّحل: الآية 67.

الصافات: الآيات 180 - 182.

مريَم: الآية 10.

آل عمران: الآية 110.

غَافر: الآية 57.

القَلَم: الآية 4.

القَصَص: الآية 88.

الشّورى: الآية 11.

القَصَص: الآية 85.

القَصَص: الآية 85.

القَصَص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

الكهف: الآية 10.

الأحزَاب: الآية 56.
الصَّافات: الآية 180.
آل عِمرَان: الآية 110.
الأنفَال: الآية 62.
الأنعَام: الآية 94.
النّجْم: الآية 42.
القَصَص: الآية 85.
الكهف: الآية 10.
الكهف: الآية 10.
الصافات: الآيات 180 ـ 182.
البَقَرَة: الآية 255.
الأعراف: الآية 43.
الأنعَام: الآية 70.
الإسرَاء: الآية 20.
البَقَرَة: الآية 31.
الأنعَام: الآية 112.
يُونس: الآية 99.
القَصَص: الآية 68.
الإنسَان: الآية 30.
البَقَرَة: الآية 198.
طه: الآية 114.
الشورى: الآية 13.
يونس: الآية 32.
الإسرَاء: الآية 60.

الأعرَاف: الآية 172.

المِائدة: الآية 61.

الحَديد: الآية 3.

الأحزَاب: الآية 1.

القَصَص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

فُصّلَت: الآية 28.

الأحزَاب: الآية 56.

الصافات: الآيات 180 - 182.

القَصَص: الآية 85.

الضّحى: الآية 5.

النّجْم: الآية 10.

فَسَّرَ سيدي محمد المعطي بن الصالح رضي الله عنه الآية الكريمة الواردة في الصلاة المشيشيةُ ( ) * + ، - . / ِ {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ} ثم فسر الآيات التي أتت بعدها إلى آخر سورة القصص ولأن هذه الآيات قد وردت مُفَسَّرة في كتابه الذخيرة كما هي مُفَسَّرة في شرحه للصلاة المشيشية فقد حذفتها من شرحه بعد استِسماحه اكتفاءً بوجودها في الذخيرة وإحالة للقارىء عليها.

الكهف: الآية 10.

الجَاثِيَة: الآية 26.

البَقَرَة: الآية 203.

آل عِمرَان: الآية 103.

القَصَص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

هامع: سائل.

خدير: صديق.

خَلَّة: الفقر والحاجة.

سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه في شرحه للصلاة المشيشية يُقدم أولاً شرح نصها من عنده ثم يُعقبه بما شرح به.

سيدي محمد الخروبي رضي الله عنه ذلك النص وهكذا إلى آخر فقرة من فقراتها، وبما أن شرح سيدي محمد الخروبي رضي الله عنه يُوجد مستقلاً ضمن هذا المجموع فقد ارتأيت تجريده عن شرح سيدي مصطفى البكري احترازًا من التكرار وتفاديًا من التطويل لا سيما وقد حذف سيدي مصطفى البكري نفسه في إحدى شروحه للصلاة المشيشية شرح سيدي محمد الخروبي عن شرحه فكان حذفه كالإذن في هذا الحذف لمن يريده.

الأحزَاب: الآية 56.

الأحزَاب: الآية 56.

يونس: الآية 5.

المائدة: الآية 15.

المائدة: الآية 16.

النُّور: الآية 35.

آل عِمرَان: الآية 81.

الفُرقان: الآية 1.

سَبَأ: الآية 28.

آل عِمرَان: الآية 81.

الأنبيَاء: الآية 107.

طه: الآية 114.

انظر الباب الموفِّي ستين من كتاب (الإنسان الكامل) لسيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه.

الأنفَال: الآية 60.

القصص: الآية 48.

النِّساء: الآية 113.

البَقَرَة: الآية 216.

الإسرَاء: الآية 85.

العَنكبوت: الآية 69.

البَقَرَة: الآية 282.

الأنفَال: الآية 29.

آل عِمرَان: الآية 31.

البَقَرَة: الآية 31.

البَقَرَة: الآية 282.

الجُمُعَة: الآية 4.

الزُّمَر: الآية 68.

المائدة: الآية 35.

الأعرَاف: الآية 69.

النجم: الآيتان 8، 9.

يُونس: الآية 12.

الكهف: الآية 29.

الصِّل: الحيّة التي لا تنفع فيها الرُّقْية.

الأنعَام: الآية 18.

السَّجْف: الستر.

الواقِعَة: الآية 85.

الذّاريَات: الآية 47.

النّحل: الآية 43.

آل عِمرَان: الآية 28.

الإسرَاء: الآية 85.

المائدة: الآية 116.

النَّمل: الآية 65.

الأعرَاف: الآية 188.

الأنعَام: الآية 35.

الأحقاف: الآية 9.

النِّساء: الآية 32.

الإسرَاء: الآية 70.

القمر: الآيتان 19، 20.

القَمَر: الآية 20.

الحَاقَّة: الآية 7.

يُوسُف: الآية 108.

الأنبيَاء: الآية 18.

الإسرَاء: الآية 81.

البَقَرَة: الآية 115.

فاطر: الآية 8.

النَّمل: الآية 88.

الصَّافات: الآية 96.

صِرْف: خالِص.

الكهف: الآية 29.

الأنعَام: الآية 122.

النّجْم: الآية 42.

النّحل: الآية 120.

يُونس: الآية 108.

القَصَص: الآية 48.

يُونس: الآية 108.

الأنعام: الآية 5.

الحجر: الآية 85.

الأنبيَاء: الآية 89.

الأنبيَاء: الآية 90.

الأنبيَاء: الآية 90.

التِّين: الآية 6.

طه: الآيتان 17، 18.

المائدة: الآية 54.

الأعرَاف: الآية 199.

الأنفَال: الآية 37.

الأنعَام: الآية 91.

الإسراء: الآية 110.

النّجْم: الآية 8.

النّجْم: الآية 9.

الإخلاص: الآية 1.

العَنكبوت: الآية 45.

القَصَص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

الكهف: الآية 65.

التّوبَة: الآية 103.

الأنعَام: الآية 90.

النجم: الآيتان 8، 9.

القَلَم: الآية 4.

آل عِمرَان: الآية 81.

النِّساء: الآية 136.

مريَم: الآية 47.

الأنبيَاء: الآية 89.

الأنبيَاء: الآية 90.

مريم: الآيتان 5، 6.

القَصَص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

النّجْم: الآية 10.

الأنبيَاء: الآية 107.

النّجْم: الآية 8.

الأحزَاب: الآية 56.

الشّرح: الآية 4.

المائدة: الآية 15.

الأحزاب: الآية 46.

الزُّمَر: الآية 22.

آل عِمرَان: الآية 110.

البَقَرَة: الآية 31.

الزاوية بناها بباب حومة الفلفليين بمدينة فاس.

طه: الآية 44.

الكهف: الآية 29.

القلم: الآية 4.

الأحزاب: الآيتان 45، 46.

النِّساء: الآية 136.

الأنبياء: الآيتان 89، 90.

القصص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

الأحزَاب: الآية 11.

مكتبات أحكامها أي مهلكات، مأخوذ من قوله تعالى: «كبتوا كما كبت».

الحَديد: الآية 3.

الأنبياء: الآيتان 89، 90.

الأنعَام: الآية 91.

القصص: الآية 85.

الكهف: الآية 10.

الحُجرَات: الآية 12.